المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٥٢٢٥
جامعة أم القرى مكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
المكتبة المركزية بمكة المكرمة
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام

دراسة نظرية تطبيقية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب
فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي
(تخصص تفسير وعلوم قرآن)
الرقم الجامعي/٤٢٣٨٠٢٩٧

إشراف
فضيلة الأستاذ الدكتور/محمد بن عمر بازمول

١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

اسم الطالب:فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي. المرحلة:الماجستير.

موضوع الرسالة:دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام دراسة نظرية تطبيقية.

خطة البحث:اشتملت هذه الرسالة على قسمين رئيسيين:

القسم الأول:الدراسة النظرية،وقد تضمن فصلين:

الفصل الأول:دلالة السياق،وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول:تعريف دلالة السياق لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني:أركان السياق وأنواعه.

المبحث الثالث:أصل القول بدلالة السياق.

المبحث الرابع :عناية العلماء بالسياق وأهميته.

الفصل الثاني:المتشابه اللفظي في القرآن،وفيه أربع مباحث:

المبحث الأول:تعريف المتشابه،والمتشابه اللفظي،لغة واصطلاحاً وفي القرآن.

المبحث الثاني:أنواع المتشابه اللفظي في القرآن.

المبحث الثالث :أهمية علم المتشابه وفوائده.

المبحث الرابع:دراسة في كتب المتشابه اللفظي،من حيث عنايتها بدلالة السياق.

القسم الثاني :الدراسة التطبيقية،ومجالها قصة موسى عليه السلام في القرآن،وقد توصلت في الخاتمة إلى نتائج عدة من أهمها:

١-لقد تبين من خلال البحث أهمية التأصيل الصحيح لمسائل العلم،وأن من قرر طريقاً في درس العلم لم يوفق فيه،فإنه لا بد أن يقع في الخلل.

٢-يتبين من خلال البحث أن السياق طريق سليم في توجيه المتشابه،وهو يحمي من الوقوع في التوجيهات الضعيفة،فهو سلاحٌ قوى في الرد على الطاعنين في القرآن.

٣-لقد تبين من خلال البحث أثر المتشابه اللفظي في الفصل في بعض مسائل العلم.

٤-أن توجيه المتشابه هو المرحلة الأخيرة الذي يتبين بها معنى الآية،وقبله مراحل هي وسائل إليه،فمن اقتصر على بعضها-كما هو فعل بعض الموجهين- لم يبلغ الغرض.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

The Summery of The message

The Name of the Studient: Fahed Bin Shetwy Abdel Moiee Al Shetwy.

The phase: Master's degree.

The Subject of the message is: The Significance of the Context and its effectiveness in applied corresponding of pronunciation in Mosa's Novel (or The prophet Mesa's Novel) with Studying Theoretical of practical.

The plane of the research:

This message concluded on two main section:

The first Section: is theoretical Studying That included on two chapters:

The first Section: is The critical studying that included on Two Chapters:

The first Chapters: Significance Context in This chapter four research:

The first one: The definition of Significance Context Terminology and language.

The Second: Supports of Context and its Types.

The Third: The consolidation of saying with context of significance.

The fourth: The Scientist care with the context and its importance.

The Second Section: The propounciation of Corresponding in Quaraa'n on it Four section:

The first Research: The definition of Corresponding and pronounciation of corresponding Terminology and Language in Qurra'n.

The Second research: The Types of pronounciation of Corresponding in Quraa'n.

The Third research: The importance and useful of corresponding Science.

The fourth research: Studying in pronouncniation of Corresponding books from its cane with context of significance.

The second Section: The Practical attitude Survey and its Field (Prophet Mosa's Novel) in Quraa'n and in the end I reached to some results from its impotence:

1- From clear in this research that The context is the good way to corresponding directions, and keeping from bracken in wead directions that strong weapon in respond on aged on Quraa'n.
2- From clear in this research the importance of consolidation to The science case and from decided the way on science study don't Success on it, might be broken out in Trouble.
3- Through this search appeared the effect of pronounciation Corresponding of sepatate in some science cases.
4- The corresponding direction is the last phase in it clearing the meaning of the example and before that some phases way instruments to it, if he is limitated to the few, as made some consulors didn't reach to the aim.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمةً للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،أما بعد:

فإن خير ما يبذل فيه المسلم وقته تعلمُ كتاب الله،وتدارسُه،والسعيُ في تحصيل دروسه وعبره،والتخصص في التفسير منّة من الله وحجةٌ على من منّ الله عليه بذلك،والمتخصص في هذا العلم العظيم لا يحصل فضيلته ولا يجني ثمرته ما لم يفتحْ عليه الفتاحُ العليم من كنوز علمه ويسبغْ عليه من واسع فضله وجوده ،وحتى يمنّ عليه ويكرمه بالإخلاص لوجهه الكريم،فيكون غاية أمره قولاً واعتقاداً وعملاً ما قاله العبد الصالح نبي الله سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم:﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾(النمل ٤٠).

ألا وإن من الغبن البين أن ينصرف كثير من طلبة العلم عن تحصيل تفسير كتاب الله إلى أمورٍ لا تقارب ذلك،فكانوا بذلك من الذين استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير،وأكثر من ذلك غبناً من زين له سوء عمله،فرأى أن حقاً عليه أن يظهر نفسه بذم أهل العلم وانتقاصهم،فانصرف وصُرف عن النافع إلى الضار،وما ربك بظلام للعبيد.

ولو صرف هؤلاء جهدهم في تعلم كتاب الله واستخراج كنوزه،لكانت السلامة أولاً حليفهم من الآثام،ثم ما يحصل لهم من المغانم العظام.

والخطر أن يدخل من هذا حاله في قول الله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾(الفرقان ٣٠).

قال ابن كثير-رحمه الله-:«يقول تعالى مخبرا عن رسوله ونبيه محمد ﷺ أنه قال:﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾،وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يستمعونه،كما قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾(فصلت ٢٦)،فكانوا إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره حتى لا يسمعوه،فهذا من هجرانه،وترك علمه وحفظه أيضاً من هجرانه،وترك الإيمان به وترك تصديقه من هجرانه،وترك تدبره وتفهمه من هجرانه،وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه،والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو

طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه،فنسأل الله الكريمَ المنانَ القادرَ على ما يشاء أن يخلصنا مما يسخطه،ويستعملنا فيما يرضيه:من حفظ كتابه،وفهمه،والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يحبه ويرضاه إنه كريم وهاب»[1] انتهى كلامه رحمه الله.

وقد كان لهذا الكتاب العظيم منذ أن أنزله الله على نبيه الكريم ﷺ أعداء يحاولون الطعن فيه،فكان الطاعنون الأولون يضطربون في شأنه فمرة يجعلونه شعراً ومرة سحراً ومرة قولَ مجنون،وهم يعلمون أنه الحق المبين،ولكنهم يرفضون الاستماع له،ويتواصون بترك الإيمان به.

وكان من المطاعن التي شغب بها الطاعنون الأتباع الطعنُ في القرآن في متشابهه اللفظي،فزعموا أنه تكرار لا فائدة فيه،وقد انبرى لهم العلماء من أول أمرهم يفندون شبههم في ثنايا مؤلفاتهم،حتى أفرد هذا الفن بالتأليف المستقل،وكان من أكبر البواعث على تلك المصنفات المستقلة هو رد المطاعن المثارة على المتشابه اللفظي.

ولكن هذا الغرض النبيل وهو الدفاع عن القرآن العظيم قد حدا ببعض الموجهين إلى أن يسلكوا طرقاً ضعيفة في التوجيه؛لأنهم كان يحدوهم باعث ليس شأنه بالهيّن،فبسببه يرون لزاماً عليهم أن يجدوا توجيها لما أشكل من المتشابه اللفظي.

والحق أن طعن الطاعنين في المتشابه اللفظي مردود جملةً وتفصيلاً،بل الشأن أن المتشابهَ اللفظي أحدُ أدلة إعجاز القرآن الكريم،حين تظهر فيه البلاغة في ذروتها:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢﴾(فصلت ٤١-٤٢).

ولقد عثرت بحمد الله في دراسة السياق القرآني وتوجيه المتشابه اللفظي في ضوئه على ما أظنه أعظم ضمانة من الوقوع في الزلل،فكان خيرَ سلاحٍ يُردّ به على الطاعنين في القرآن في متشابهه اللفظي؛لأن السعي في بيان الوجه الصحيح لتوجيه المتشابه اللفظي خيرٌ من التذرع بالحجج الضعيفة؛فإن فيه رداً للمطاعن أيما ردّ،وفيه بيان لوجه الإعجاز.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد كان يحدوني منذ سنوات النظر في المتشابه،وكنت أعجب من تلك الفروق الدقيقة بين بعض الآيات،وكنت أبذل حينها جهد المقل القاصر علّي أجد توجيهاً لذلك،فأرجع إلى

---

(1) تفسير ابن كثير ٦/١٠٨.

كتب التفسير،وإلى بعض كتب توجيه المتشابه،فأجد من ذلك درراً أقنع بها،وأحياناً أجد توجيهات هزيلة،أرى أن كتاب الله يتره عنها،حتى أشار عليَّ فضيلة الأستاذ الفاضل عبد المحسن اللعبون وكيل المعهد العلمي في المجمعة-وهو ممن له اهتمام بعلم البلاغة-بالنظر في السياق لحل تلك المشكلات،فوجدت حقاً أن الجميل من تلك التوجيهات إنما هو حين يكون النظر فيه إلى السياق،فعظم هذا الأمر عندي،ولقد شدّ من عزمي ما أعتبره من توفيق الله حين يسر الله لنا دراسة مادة البلاغة في السنة المنهجية،فتتلمذنا على الأستاذ الفاضل د. محمد أبو موسى،وقد تطرق مرّةً للمتشابه اللفظي وقال من غير أن أسأله:إن السياق هو المستقل ببيان المتشابه اللفظي،فكان هذا من المشجعات،ثم تبين لي بعد أن من توفيقه سبحانه وحسن تدبيره أن يسر لي دراسة مادة البلاغة تلك؛لأنها فتحت قلبي وعيني على ما لم أعالجه من قبل من فنون العلم التي تبين ضرورتها بعد لبحثي،فلله الحمد والمنة أولاً وآخراً.

ثم إني قد اخترت قصة موسى عليه السلام لكثرة ما فيها من المتشابه،ثم لما فيها من العبرة والعظة،حتى كانت أكثر قصةٍ ثنّاها الله في كتابه.

قال ابن تيمية-رحمه الله-:«كانت قصة موسى عليه السلام هي أعظم قصص الأنبياء المذكورين في القرآن،وهي أكبر من غيرها وتبسط أكثر من غيرها.قال عبد الله بن مسعود:كان رسول الله ﷺ عامة نهاره يحدثنا عن بني إسرائيل»[1] انتهى كلامه رحمه الله.

ولقد واجهتني صعوبات في هذا البحث ترجع إلى أسباب عدةٍ،وكلها قد بين عندي قيمة هذا البحث:

أحد تلك الصعوبات:طبيعة البحث نفسه،فهو فنٌّ دقيق من فنون التفسير،فكان لهذا يتجاذبه سببان من أسباب الصعوبة،كونه في التفسير،ثم كونه من أخص أبوابه وأدقها.

الثاني:أن المتشابه لا يختص بنوع من الآيات،فكما تجده في القصص، تجده في آيات العقيدة،والأحكام،وغيرها،كما أنّه يأتي على أنواع متعددة،وهيئات مختلفة،تحتم على فنون العلم أن تكون خادمةً له،فهو يحتاج إلى أصول الدين والنحو وأصول الفقه والبلاغة وغيرها،مما يحتم على الباحث أن يضرب بسهمٍ في تلك الفنون،وهذا مكمن الصعوبة.

الثالث:أن الكتب التي تولت توجيه المتشابه كانت قاصرةً عن الوفاء؛لسببين:

أحدهما:أنها لم تستوعب كثيراً من المتشابه في قصة موسى عليه السلام،حيث لم تتطرق له.

---

(١) العقيدة الأصفهانية ١/١٩٦.

الثاني:أن ما غبر من المتشابه الذي تطرقت له كان كثير منه توجيهاً غير مرضيٍّ عندي.

وقد ألزمني هذان السببان أن أحاول جهدي ما استطعت في جمع شتات المسائل من مظانها،ومن غير مظانها من متفرقات مصنفات قد لا يظن الظان وجود مثل تلك المسائل فيها،ومعلومٌ ما في ذلك من الصعوبة،ولولا هداية الله وتوفيقه ما اهتديت لشيءٍ ألبتة.

الرابع:أن مصطلح السياق الذي ارتضيت دلالته أن تكون حاكمة على التوجيه، لم يكن مصطلحاً واضح المفهوم،فهو مستعمل عند الأوائل دون أن يصطلحوا على تعريف له،وأما المتأخرون فقد كثر تناولهم له لكن أكثرهم ينطلق من دراسات غربية،رأيتها قاصرة لم تف بالغرض،لأمرين مهمين:

أحدهما:أنها لم تسع إلى تأصيل هذا المصطلح من تراث أهل الإسلام،وإن حاول بعضهم فعل شيء من ذلك فإنه يفعله تبعاً لا استقلالاً،وأنا على يقين تامّ من أن العلم والفهم التامّ إنما هو فهم السلف،فهم الصحابة ﷺ وفهم من اقتفى أثرهم،وقواعد الفهم وضوابطه هي مسالكهم،لا سيما والبحث يتعلق بأعظم مدروس وهو كتاب الله،ثم إني على يقين كذلك من أن تراث أهل العلم الذين خدموا كتاب الله هو خير معينٍ على الفهم الصحيح،ليس لأنه قديم،بل لأنه تراثٌ حكّمته العقول فنهلت منه وأجازته،فلا يقارن تراث هذا حاله بمصنفاتٍ لم يتعد تحكيمها عقل من صنفَها.

الثاني:أنني وجدت أن انبهار بعض المؤلفين المحدثين بتلك المؤلفات الغربية،إنما هو انبهار بالخطوة الأولى من خطوات البحث،وهي خطوة لا تبلغ الغرض،كما أنها خطوة قد تجاوزها علماؤنا الأوائل بمراحل،وذلك أنهم يطيلون في دراساتهم تلك في الحديث عن بيان مفهوم السياق وأهميته بتقرير بعض قواعد العلم التي هي عند أهل العلم من المسلمات، وقد كان انبهارهم هذا مانعاً لبعضهم من تعدي هذه الخطوة،ولبعضهم سبباً في وقوعهم في الخطأ حين عظموا سلطة السياق فجعلوه حاكماً على لغة العرب فلا دلالة للفظ إلا تحت مظلة السياق،والأوائل قد تجاوزوا ذلك فعرفوا المعنى الأصلي،والمعنى الذي يفيده المعنى الأصلي من خلال السياق.

ولأجل هذين الأمرين فقد سعيت في تأصيل مفهوم السياق من المأثور،ثم سعيت أيضاً في تقعيد أنواع المتشابه اللفظي في القرآن،وبيان أصولها العلمية التي ترجع إليها.

وعنوان هذه الرسالة:دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام دراسة نظرية تطبيقية.

وتشمل خطة الرسالة على ما يلي:مقدمة وقسمين وخاتمة.

وهذه هي المقدمة.

وأما القسمان،فالأول منهما:الدراسة النظرية،وتنقسم إلى فصلين:

الفصل الأول:دلالة السياق.

وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول:تعريف دلالة السياق لغة واصطلاحا.

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:السياق لغة.

المطلب الثاني: السياق اصطلاحاً.

المطلب الثالث:دلالة السياق.

المبحث الثاني:أركان السياق وأنواعه.

وتحته مطلبان

المطلب الأول:أركان السياق.

المطلب الثاني:أنواع السياق.

المبحث الثالث:أصل القول بدلالة السياق.

وتحته مطلبان:

المطلب الأول :أصل القول بالسياق من سنة ﷺ.

المطلب الثاني:ما ورد عن الصحابة ﷺ من اعتبار السياق .

المبحث الرابع :عناية العلماء بالسياق وأهميته.

وتحته مطلبان:

المطلب الأول:عناية العلماء بالسياق.

المطلب الثاني:أهمية السياق.

الفصل الثاني:المتشابه اللفظي في القرآن.

وفيه أربع مباحث:

المبحث الأول:تعريف المتشابه،والمتشابه اللفظي،لغة واصطلاحاً وفي القرآن.

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول:تعريف المتشابه لغة.

المطلب الثاني:أنواع المتشابه في القرآن.

المطلب الثالث:تعريف المتشابه اصطلاحاً.

المطلب الرابع:تعريف المتشابه اللفظي في القرآن.

المبحث الثاني:أنواع المتشابه اللفظي في القرآن.

المبحث الثالث :أهمية علم المتشابه وفوائده.

وتحته مطلبان:

المطلب الأول:أهمية علم المتشابه اللفظي.

المطلب الثاني :فوائده.

المبحث الرابع:دراسة في كتب المتشابه اللفظي،من حيث عنايتها بدلالة السياق.

القسم الثاني :الدراسة التطبيقية.

ومجالها قصة موسى عليه السلام في القرآن.

الخاتمة:وفيها أهم النتائج.

الفهارس:ذيلت البحث بكشّافات للآيات المتشابهة،والآيات المستشهد بها،والأحاديث،والأعلام،ودليلٍ للمراجع،وآخر للموضوعات.

منهجي في البحث:

-عزوت الآيات بأرقامها إلى سورها،واعتمدت الرسم العثماني في كتابة الآيات كلها،المتشابه منها،والمستشهد به،والمنقول من المصادر.

-خرجت الأحاديث النبوية.

-عرّفت بالأعلام غير المشهورين،ولن أشير إلى من سبقت ترجمته.

-إذا حذفت شيئاً من النص وضعت مكانه نقطاً "...",وإذا أضفت للنص توضيحاً وضعته بين قوسين هكذا ( ).

-ما نقلته من كلام غيري فإني أضعه بين علامتي تنصيص « »وقد أدرجه أحيانا بين هاتين العلامتين في أثناء كلامي من غير أن أقول:قال فلان،وذلك حتى لا يختل سبك الكلام،ثم أشير إلى المصدر في الحاشية،فإن لم أنقل بالنص بل بتلخيص الكلام أو مفهومه فإني أقول:انظر كذا.

-المراجع في الحاشية لن أشير إلى تفاصيلها في الحاشية،وإنما المعول عليه دليل المراجع.

-قدمت بمقدمة في افتتاح الدراسة التطبيقية تبين منهجي فيها،وآليت أن يكون ذلك هناك؛لأنه ألصق بها،وحتى يكون كالمفتاح الذي يفتح به بابها.

وأخيراً فإني أتقدم بالشكر الوافر-بعد شكر المولى سبحانه وتعالى-لفضيلة الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي عميد كلية الدعوة وأصول الدين،شكراً عاماً على ما تهيئه الكلية للعلم وطالبيه،وشكراً خاصاً على وقوفه معي من أول الالتحاق بالدراسة،وهي مواقف له أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها في موازين حسناته.

ولقد كان من فضل الله عليّ أن هيأ لي مشرفاً كريماً،وأستاذاً فاضلاً،وهو فضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور محمد بن عمر بازمول الأستاذ في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى،فقد كان نعم المشرف،فأشكره على ما قام به من توجيه ومتابعة وتقويم،مع ما أعلمه عنه من كثرة المشاغل العلمية سدده الله ووفقه لما يحبه ويرضاه.

ولقد كان من تيسير الله أيضاً أن هيأ لهذا البحث أستاذين فاضلين،ومناقشين مدركين،وهما فضيلة شيخنا الدكتور عويد بن عيّاد المِطرِفي، المعروف عنه اهتماماته اللغوية ولمساته البيانية،وقد كان البحث بأمس الحاجة لمثل هذا،فهو بحث لغوي في غالبه.

والأستاذ الثاني هو فضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور أمين الباشا،والذي من فضله أنه كان من المؤيدين لهذا البحث في بدايته،والداعمين له حتى أقر واعتمد،وأنا أعلم أن هذا الموضوع على رأس اهتماماته،وقد أشرف على رسالة دكتوراه في هذا الموضوع قبل ذلك،وما زال يحث الطلاب على التسجيل في هذا الموضوع المهم،ولقد كان من دواعي الغبطة أن تتكلل مساعيه بالنجاح فتسجل قصة إبراهيم ولوط عليهما السلام رسالة ماجستير يشرف عليها فضيلته،وهذا كله من حسن تدبير الله وتوفيقه لهذا البحث فله الحمد والمنة أولاً وآخراً،فأشكر فضيلة الشيخين الكريمين على قبولهما الرسالة وتفضلهما بتقويمها وتسديدها.

كما أشكر كل من ساعدني في هذا البحث برأي أو تقويم أو توجيه،أو دلالة على كتاب،أو إعارة أو غير ذلك،وأخص منهم فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله الربيعة المحاضر في جامعة القصيم في قسم القرآن وعلومه،على ما بذله في وضع الخطة،وما أفادني به من مسائل علمية،وما أعارني من كتب،وكذا فضيلة الدكتور محمد الدغريري رئيس قسم النحو في كلية اللغة العربية في جامعة أم القرى،على ما أفادني به في المسائل النحوية التي عرضت لي أثناء البحث،وما تكرم به من الإعارة في بعض المراجع-فجزاهما الله خيراً.

وبعد:فهذا جهد المقل،فما كان فيه من صواب فمن الله الرحمن الكريم المنان،وما كان فيه من خطأ فمني ومن زلل الشيطان،فأبوء إلى ربي بنعمته عليّ،وأبوء بذنبي،وأسأله سبحانه أن يغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا هو،والحمد لله رب العالمين.

القسم الأول

الدراسة النظرية

وفيها فصلان

الفصل الأول: دلالة السياق

الفصل الثاني: المتشابه اللفظي في القرآن

الفصل الأول: دلالة السياق

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: السياق لغة واصطلاحا

المبحث الثاني: أركان السياق وأنواعه.

المبحث الثالث: أصل القول بدلالة السياق.

المبحث الرابع: عناية العلماء بالسياق وأهميته.

المبحث الأول: السياق لغة واصطلاحا

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: السياق لغة

المطلب الثاني: السياق اصطلاحاً

المطلب الثالث: دلالة السياق

المطلب الأول:السياق لغة

قال الجوهري-رحمه الله-[(١)] «ويقال :ولدت فلانة ثلاثة بنين علي ساق واحدة أي بعضهم علي إثر بعض ،ليست بينهم جارية ..والسياق نزع الروح.»[(٢)] .

وقال ابن فارس-رحمه الله-[(٣)] :«السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء يقال ساق يسوق سَوْقاً .والسِّيقة :ما استيق من الدواب .ويقال:سقت إلي امرأتي أي صداقها ،وأسقته والسُّوق مشتقة من هذا،لما يساق إليها من كل شيء،والجمع أسواق ، والساق للإنسان وغيرة ،والجمع سُوق،وإنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها»[(٤)] .

وقال الراغب الأصفهاني-رحمه الله-[(٥)] :«سَوْق الإبل: جلبها وطردها، يقال:سقته فانساق...والسّويق سمي لانسواقه في الحلق من غير مضغ»[(٦)] .

قال ابن منظور-رحمه الله-[(٧)] :«سوق السوق معروف ساقَ الإبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقاً سِياقاً ...وقد انْساقَت تَساوَقَت الإبلُ تَساوُقاً إذا تتابعت، وكذلك تقاوَدَت

---

(١)إسماعيل بن حماد الجوهري،كان من أذكياء العالم،وخطه يضرب به المثل في الجودة،أخذ عن خاله إبراهيم بن إسحاق،وعن أبي سعيد السيرافي،وعن أبي علي الفارسي،مات سنة (٣٩٣هـ)،انظر معجم الأدباء ٢٠٦/٢،بغية الوعاة ٤٤٦/١-٤٤٨.

(٢)الصحاح١١٣٨/٢-١١٣٩

(٣)هو :أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المعروف بالرازي،كان من أئمة اللغة، رأساً في الأدب،جواداً كريماً ربما وهب ثيابه، له كتاب المجمل،ومعجم مقاييس اللغة. مات سنة(٣٩٥هـ).انظر بغية الوعاة ٣٥٢/١، سير أعلام النبلاء ١٠٣/١٧.

(٤)معجم مقاييس اللغة ١١٧/٣

(٥)كثر الاختلاف في اسمه،فقيل: الحسين بن محمد بن المفضل،وقيل:الحسين بن مفضل بن محمد،وقيل:الحسين بن الفضل،وقيل:المفضل بن محمد الأصبهاني الراغب،له مفردات ألفاظ القرآن،وأفانين البلاغة،والمحاضرات،توفي في حدود سنة ٤٢٥هـ على خلاف في ذلك.انظر بغية الوعاة ٢٩٧/٢،سير أعلام النبلاء ١٢٠/١٨،ومقدمة تحقيق المفردات.

(٦)مفردات ألفاظ القرآن ص٤٣٦

(٧)محمد بن مكرّم بن علي بن منظور،ولي قضاء طرابلس،كان فاضلاً ،عارفاً بالنحو،واللغة ،والتأريخ،والكتابة،اختصر كثيراً من كتب الأدب،وله لسان العرب في اللغة،جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح وحواشيه والجمهرة والنهاية،مات سنة (٧١١هـ)،انظر بغية الوعاة ٢٤٨/١،أبجد العلوم ١٠/٣.

فهي مُتَقاوِدة مُتَساوِقة،وفـي حديث أُم معبد:فجاء زوجُها يَسُوق أَعْنُزاً ما تَساوَقُ أَي ما تتابَعُ.الـمُساوَقة الـمُتابعة كأَنّ بعضَها يسوق بعضاً ،والأَصل فـي تَساوَقُ تَتَساوَقُ كأَنها لضعفِها وفَرْطِ هُزالِها تَتَخاذَلُ ويتخلَّفُ بعضها عن بعض. ساقَ إِليها الصَّداقَ والـمَهرَ سِياقاً أَساقَه وإِن كان دراهمَ أَو دنانيرَ ؛لأَن أَصل الصَّداق عند العرب الإِبلُ وهي التي تُساق، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما...وهو في السَّوْق أَي الترع كأَنّ روحه تُساق لتخرج من بدَنه ويقال له السِّياق أَيضاً»[(١)] .

وقال الفيروز آبادي-رحمه الله-[(٢)] :«والسِّياق ،ككتاب :المهر..والمُنساق:التابع،والقريب..وتَسَاوَقت الإبل:تتابعت وتقاودت، والغنم :تزاحمت في السير »[(٣)] .

وبهذا يتبين أن هذه المادة تدور على معنى التتابع،والاتصال،وأن استعمال العرب لهذه المادة ومشتقاتها يدور على ذلك ،وسبق في كلام العلماء من تعليل تلك الاستعمالات ما يبين أن هذه المادة تدور على ما ذكرنا،فإن سوق الإبل وتساوقها من التتابع والتتابع اتصال لا انقطاع فيه،وساق الإنسان كذلك،والمهر، وسوق الروح،والسّوق سوق البيع والشراء،كلّ ذلك يدور على معنى التتابع والاتصال،والله أعلم.

---

(١)لسان العرب ١٠/١٦٦-١٦٧.

(٢)محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروز آبادي،ولد سنة (٧٢٩هـ)،وتفقه ونظر في اللغة،وكان كثير المطالعة،لا يسافر إلا ومعه أحمال من الكتب،صنف القاموس المحيط،الروض المسلوف،وغيرها كثير،مات سنة (٨١٦هـ)،انظر بغية الوعاة ١/٢٧٣،أبجد العلوم ٣/٨.

(٣)القاموس المحيط٣/٣٣٥-٣٣٦

المطلب الثاني: السياق اصطلاحاً

لقد كان تعريف السياق من أشكل المشكلات؛لأننا لم نجد تعريفاً له عند الأقدمين،مع أننا وجدناهم يصرحون به ويعملون به.

يقول صاحب كتاب البحث الدلالي عند الأصوليين :«قد يشيع المصطلح العلمي بين الدارسين إلى درجة الابتذال فيتوهم البعض أن هذا المصطلح واضح مفهوم ، فإذا ما حاولوا تحديد المعنى الذي ظنوا أنهم يفهمونه بدا الأمر عسيراً غاية العسرة وغامضاً أشد الغموض ، ومن تلك المصطلحات اللغوية الشائعة الاستعمال، العصيّة على التحديد الدقيق بشكل متفق عليه بين الدارسين مصطلح الكلمة ومصطلح الجملة ومصطلح السياق»[(١)] .

ولكي يتبين لنا تعريف السياق تمام التبين،فإننا سوف ننظر في تعامل العلماء مع هذا المصطلح،والذي سنتناوله من جوانب أربع:

أ-مفهوم السياق من خلال استعمالهم له واعتمادهم عليه.

ب-طرق العلماء ووسائلهم في تحديد السياق.

ج-هل يعدل العلماء عن السياق،فيرجحون بخلافه؟.

د-صريح قولهم في مفهوم السياق.

أ-لقد استقريت الكثير[(٢)] من النصوص التي ورد فيها لفظ السياق عند علماء التفسير والأصول،لعله يتبين بهذا الاستقراء مفهومه عندهم.

والذي ظهر لي بعد الاستقراء ما يلي:

أولاً:أن غالب إطلاق العلماء للسياق،إنما هو على الغرض الذي ورد الكلام لأجله.

قال السعدي-رحمه الله-[(٣)] في مقدمة تفسيره:«وقد كثرت تفاسير الأئمة -رحمهم الله-لكتاب الله،فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود،ومن مقصر يقتصر على حل

---

(١)البحث الدلالي عند الأصوليين د. محمد يوسف حبلص ص٢٨.

(٢)استقريت ما يربوا على خمسمائة موضع عن طريق الحاسب.

(٣)هو:عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي،ولد سنة(١٣٠٧هـ)،نشأ يتيماً،وحفظ القرآن عن ظهر قلب وعمره أحدى عشرة سنة،أخذ عن عدد من المشايخ ،ولازم الشيخ صالح بن عثمان القاضي ملازمة تامة،كان

بعض الألفاظ اللغوية بقطع النظر عن المراد،وكان الذي ينبغي في ذلك، أن يجعل المعنى هو المقصود واللفظ وسيلة إليه،فينظر في سياق الكلام وما سيق لأجله»[(١)] .

ومن الأمثلة التي تبين ذلك:

١-ما اختار به ابن جرير -رحمه الله-[(٢)] المعني بقوله تعالى:﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾(البقرة ١٧٧)،فقد قال:«وأولى القولين بتأويل الآية،القول الذي قاله قتادة والربيع بن أنس، أن يكون عنى بقوله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾(البقرة ١٧٧)اليهود والنصارى؛لأن الآيات قبلها مضت بتوبيخهم ولومهم والخبر عنهم وعما أعد لهم من أليم العذاب،وهذا في **سياق ما قبلها**،إذ كان الأمر كذلك:ليس البر أيها اليهود والنصارى أن يولي بعضكم وجهه قبل المشرق، وبعضكم قبل المغرب،﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ﴾(البقرة ١٧٧)الآية»[(٣)] ،فقد جعل-رحمه الله-هذه الآية تابعة لما قبلها،والذي قبلها كان غرضه الحديث عن اليهود والنصارى ،فكانت هذه الآية من ذلك.

٢-قال أبو جعفر النحاس[(٤)] -رحمه الله-:«وقوله جل وعز:﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾(الزمر ٨) قال السدي: الأنداد من الرجال يطيعهم في المعاصي

متواضعاً دمث الخلق،اشتغل كثيراً بكتب ابن تيمية وابن القيم فاستفاد كثيرا،وقد صار إليه التدريس ببلده عنيزة،مات سنة(١٣٧٦هـ)،انظر علماء نجد خلال ثمانية قرون ٣/٢١٨-٢٥٣،ومقدمة محقق تفسيره.

(١)تيسير الكريم الرحمن ص ٩-١٠.

(٢)محمد بن جرير بن يزيد بن غالب الطبري أبو جعفر،رأس المفسرين ،له في ذلك التفسير الذي لم يصنف مثله،وكان عالماً بالسنن،والسير،وله تهذيب الآثار،وتأريخ الأمم والملوك وغيرها،كان مجتهداً له مذهب متبوع،مات سنة (٣١٠هـ)،انظر معرفة القراء الكبار ١/٢٦٤،طبقات المفسرين للداودي ص ٥١.

(٣)جامع البيان ٣/٧٦.

(٤)أبو جعفر أحمد بن محمد النحوي المشهور بابن النحاس،أخذ عن الأخفش الأصغر ونفطويه والزجاج ،له معاني القرآن ،وإعراب القرآن،وقلمه أحسن من لسانه،توفي سنة ثلاثمائة وثمان وثلاثين للهجرة،انظر بغية الوعاة ١/٣٦٢،طبقات المفسرين للداودي ١/٣٢٤-٣٢٥.

،وقيل:عبد الأوثان،وهذا أولى بالصواب؛لأن ذلك في سياق عتاب الله عز وجل إياهم على عبادتها»[(١)].

٣-في قول الله تعالى:﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾(البقرة ٩٨).يقول ابن كثير-رحمه الله-:«﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾،وهذا من باب عطف الخاص على العام،فإنهما دخلا في الملائكة في عموم الرسل،ثم خصصا بالذكر؛لأن **السياق** في الانتصار لجبرائيل،وهو السفير بين الله وأنبيائه،وقرن معه ميكائيل في اللفظ؛لأن اليهود زعموا أن جبرائيل عدوهم وميكائيل وليهم،فأعلمهم الله تعالى أن من عادى واحدا منهما فقد عادى الآخر وعادى الله أيضا؛ولأنه أيضا ينزل على أنبياء الله بعض الأحيان»[(٢)].

ثانياً-وجدتهم يطلقون السياق ويريدون به نفس النص،وهذا يرجع غالباً إلى الأول في مآله؛لأن المقصود ظهور المعنى المراد في السابق واللاحق.

قال ابن جزي-رحمه الله-[(٣)] وهو يبين أوجه الترجيح في التفسير:«السادس:أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده»[(٤)].

ومن أمثلة ذلك من أقوال المفسرين:

١- في قول الله تعالى:﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾(المائدة ٨٢).

يقول السمرقندي-رحمه الله-:«قال بعضهم:إنما أراد به النصارى الذين كانوا في ذلك الوقت؛لأنهم كانوا أقل مظاهرة على المؤمنين وأسرع إجابة للإسلام.وقال أكثر

---

(١)معاني القرآن ١٥٦/٦.

(٢)تفسير ابن كثير ٣٤٦/١.

(٣)هو:محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي،قرأ على أبي جعفر ابن الزبير،صاحب تآليف،فله مع تفسيره الفوائد العامة في لحن العامة،وتقريب الوصول إلى علم الأصول،وغيرها،مات سنة(٧٤١هـ)انظر الديباج المذهب ص٣٨٨.

(٤)التسهيل في علوم التنزيل ٩/١.

المفسرين:إن المراد به النصارى الذين أسلموا،وفي سياق الآية دليل عليه،وهو قوله:﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ ﴾(المائدة ٨٥)»[(١)] .

ومقصود السمرقندي-رحمه الله-بسياق الآية هو ما أتى بعد في الآية الخامسة والثمانين،وهو يرجع في مآله إلى المعنى المراد،ووجهه:أن الإثابة لا تكون إلا لمن دخل في دين الله الحق ،وهو الإسلام،فتعين أنهم النصارى الذين أسلموا،والله أعلم.

٢-اختلاف العلماء في المراد بقوله تعالى:﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ ﴾(مريم ٢٤)،فقد قال بعضهم :إنه جبريل عليه السلام،وقال بعضهم:إنه عيسى عليه السلام.

قال الشنقيطي-رحمه الله-[(٢)] مرجحاً:«أظهر القولين عندي:أن الذي ناداها هو ابنها عيسى، وتدل على ذلك قرينتان،الأولى: أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلا بدليل صارف عن ذلك يجب الرجوع إليه،وأقرب مذكور في الآية هو عيسى لا جبريل؛لأن الله قال:﴿ فَحَمَلَتْهُ ﴾(مريم ٢٢) يعني عيسى﴿ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ ﴾(مريم ٢٢) أي بعيسى،ثم قال بعده: ﴿ فَنَادَىٰهَا ﴾،فالذي يظهر ويتبادر من **السياق** أنه عيسى،والقرينة الثانية:أنها لما جاءت به قومها تحمله،وقالوا لها ما قالوا أشارت إلى عيسى ليكلموه،كما قال تعالى عنها:﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ ﴾(مريم ٢٩)،وإشارتها إليه ليكلموه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة، لندائه لها عندما وضعته،وبهذه القرينة الأخيرة استدل سعيد بن جبير في إحدى الروايتين عنه على أنه عيسى،كما نقله عنه غير واحد»[(٣)] .

---

(١)تفسير السمرقندي ١/٤٣٤.

(٢)هو:محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي،ولد سنة(١٣٢٥هـ)في موريتانيا،ونشأ يتيماً عند أخواله،وهو بيت علم،فأتم القرآن وله عشر سنين،وكان حافظة ذكياً،حبب إليه العلم من صغره،سافر للحج فاستقر في بلاد الحرمين،وكان له دروس في المسجد النبوي منها التفسير الذي قد برع فيه،وله يد طولى أيضاً في أصول الفقه،مات سنة(١٣٩٣هـ)،انظر ترجمته في مقدمة تلميذه محمد رشاد سالم لأضواء البيان،ومقدمة محقق كتابه العذب النمير،وهي ترجمة واسعة.

(٣)أضواء البيان ٤/٢٦٦،ومثال آخر ٥/٧٥٠.

فالشنقيطي-رحمه الله-رجح بقرينتين إحداهما سماها قرينة السياق،وهي نفسها قاعدة اتحاد الضمائر،فالسياق هنا هو لفظ الآية،وهو يرجع في مآله إلى أن المقصود هو أن المحدث عنه هو عيسى عليه السلام لا جبريل عليه السلام.

وأما القرينة الأخرى فلم يسمها هنا قرينة السياق،ولكنه-رحمه الله-قد استعمل هذه الدلالة بعد ذلك وسماها سياق القرآن؛لأن القرآن ظهر فيه قصد إظهار خرق العادة لمريم ،كما في قوله تعالى:﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(آل عمران ٣٧)وسيأتي مزيد بيان لذلك-بإذن الله-في مطلب أنواع السياق في المبحث الثاني[(١)].

٣-قال ابن كثير-رحمه الله-:«﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾(آل عمران ٣٦)،فيه دليل على جواز التسمية يوم الولادة،كما هو الظاهر من السياق»[(٢)].

وهذا المثال الأخير يختلف عن السابقين،فإن مقصود ابن كثير هنا نص الآية،ولم يحدد موضوع الآية أو الغرض منها،والدلالة التي استفادها من الآية هي دلالة الإشارة المعروفة عند الأصوليين[(٣)]،فليست هي المقصودة في الآية،والله أعلم.

ب-طرق تحديدهم للسياق،وقد ظهر لي من الاستقراء عدة طرق يستدلون بها على السياق:

أحدها:ما يكون في الآية أو الآيات من الدلالة عليه.

مثاله:قال ابن العربي-رحمه الله-[(٤)]:«قوله تعالى:﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ

---

(١)انظر ص ٤٨.

(٢)تفسير ابن كثير ٣٣/٢.

(٣)«وضابط دلالة الإشارة هي:أن يساق النص لمعنى مقصود،فيلزم ذلك المعنى المقصود أمر آخر غير مقصود باللفظ لزوما لا ينفك»أضواء البيان ٤٤٤/٤،وانظر شرح الكوكب المنير ٤٧٦/٣.

(٤)هو:محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي المعروف بابن العربي،مالكي المذهب،تولى القضاء وكان شديداً على الظالمين،له مع تفسيره عارضة الأحوذي،والعواصم من القواصم وغيرها،مات سنة(٥٤٣هـ)انظر سير أعلام النبلاء ١٩٧/٢٠-٢٠٤،الديباج المذهب ص ٣٧٦-٣٧٨.

أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾(النساء ٢٥)،فيها اثنتا عشرة مسألة...المسألة الثانية:في فهم سياق الآية،اعلموا وفقكم الله تعالى أن العلماء اختلفوا في سياق هذه الآية،فمنهم من قال إنها سيقت مساق الرخص...ومنهم من جعلها أصلا وجوز نكاح الأمة مطلقا...وقد جهل مساق الآية من ظن هذا،فقد قال الله تعالى ما يدل على أنه لم يبح نكاح الأمة إلا بشرطين،أحدهما:عدم الطول،والثاني:خوف العنت،فجاء به شرطا على شرط،ثم ذكر الحرائر من المؤمنات،والحرائر من أهل الكتاب ذكراً مطلقا،فلما ذكر الإماء المؤمنات ذكرها ذكرا مشروطا مؤكدا مربوطا»[(١)].

إن ابن العربي في كلامه السابق يقرر أن السياق هو الغرض من الكلام،ثم يسعى إلى بيان هذا الغرض بما في الآية نفسها.

الثانية:ويستدلون على السياق بسبب النزول،وهو أعم من أن يكون أثراً منقولاً في دواوين السنة،فإن سبب النزول قد يتبين من مساق الآية أو الآيات.

مثال ذلك:

لقد بين السرخسي-رحمه الله-مفهوم النص عنده، في باب أسماء صيغة الخطاب في استعمال الفقهاء وأحكامها،بأن النص ما«يزداد وضوحا بقرينة تقترن باللفظ من المتكلم،ليس في اللفظ ما يوجب ذلك ظاهرا بدون تلك القرينة»،ثم قال:«وقال بعضهم:النص يكون مختصا بالسبب الذي كان السياق له،فلا يثبت به ما هو موجب الظاهر[(٢)]،وليس كذلك عندنا،فإن العبرة لعموم الخطاب لا لخصوص السبب عندنا على ما نبينه،فيكون النص ظاهرا لصيغة الخطاب،نصا باعتبار القرينة التي كان السياق لأجلها.

وبيان هذا في قوله تعالى:﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾(البقرة ٢٧٥)،فإنه ظاهر في إطلاق البيع نص في الفرق بين البيع والربا،بمعنى الحل والحرمة؛لأن السياق كان

---

(١)أحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠٠-٥٠٢.

(٢)والظاهر عنده«ما يعرف المراد منه بنفس السماع من غير تأمل»أصول السرخسي ١/١٦٣.

لأجله،لأنها نزلت ردا على الكفرة في دعواهم المساواة بين البيع والربا،كما قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾(البقرة ٢٧٥)»[(١)] .

إن السرخسي في كلامه السابق استدل على السياق بسبب النزول،واستدل على سبب النزول بما سبق من لفظ الآية،وهو واضح في أن اللاحق بسببٍ من السابق،والله أعلم.

الثالثة:ويستدلون على السياق أحياناً من غير لفظ الآية،بل بما يعلمونه من أحوال من نزل القرآن عليهم،ومن أحوال نزول القرآن:

مثاله:قال ابن كثير-رحمه الله-:«وقوله تعالى:﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾(آل عمران ١٠٣) إلى آخر الآية،**وهذا السياق** في شأن الأوس والخزرج؛فإنه قد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية وعداوة شديدة وضغائن وإحن وذحول[(٢)] ، طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم، فلما جاء الله بالإسلام فدخل فيه من دخل منهم، صاروا إخوانا متحابين بجلال الله ،متواصلين في ذات الله،متعاونين على البر والتقوى»[(٣)] .

إن هذه السورة مدنية وهذا استدلال بأحوال نزول القرآن،والأنصار قد كان معلوماً ما بينهم من العداوة والبغضاء في الجاهلية قبل الإسلام،حتى ألف الله بينهم بالإسلام،وهذا استدلال بحال من نزل القرآن فيهم،وليس يظهر في لفظ الآية ما يدل على تحديد المعني.

الرابعة:ويستدلون على السياق أحياناً بما يحف من القرائن والأحوال التي تبين المقصود،مع ما يبينه اللفظ.

---

(١)أصول السرخسي ١/١٦٤.

(٢)قال في مختار الصحاح(١/٩٢):« الذَّحْلُ الحقد والعداوة يقال طلب بذحله أي بثأره والجمع ذُحُولٌ»،وانظر اللسان ١١/٢٥٦.

(٣)تفسير ابن كثير ١/٣٩٠،وانظر جامع البيان ٤/٣٣،وقد ذكرا ما ورد في السير من تلاوة النبي ﷺ هذه الآية على الأنصار لما تشاجروا.

مثاله:قال السعدي-رحمه الله- في قوله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(النساء ٦٤):«أي لتاب عليهم بمغفرته ظلمهم،ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها والثواب عليها،وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته؛لأن السياق يدل على ذلك،لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته،وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك»[(١)].

إن وجه دلالة السياق في كلام السعدي السابق:إنما تبينت بما هو معلومٌ من أحوال معاملة النبي ﷺ ،والتي أتى بيانها من خارج النص المتحدث عنه.

ج-هل يعدل العلماء عن السياق،فيرجحون بخلافه؟

ومن المسائل المهمة التي تبين مفهوم السياق عندهم:هو أنهم مع اعتمادهم على السياق،إلا أنه قد يظهر لنا أحياناً أنهم يقولون بخلافه،مما يجعلنا قد نقول:إن السياق عندهم قد يأتي في دَرْجِهِ ما ليس منه،فيكون كالجملة المعترضة خلاله،أو أن السياق قد ينقطع وينتقل إلى غيره،وهذا لا إشكال فيه،ولكن الإشكال يكون في عزوفهم عن السياق وترجيحهم خلافه.

أمثلة ذلك:

١-لقد أورد صاحب رسالة(دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير،دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير)أورد كثيراً من الأمثلة التي رأى فيها أن ابن جرير يقول بانقطاع السياق.

والذي يظهر لي-والله أعلم-:أن غالب ما ورد عن ابن جرير مما يقال فيه الانقطاع إنما هو كالجمل المعترضة التي لا تخالف السياق،بل تؤيده؛لأن خروج الخطاب مثلاً من الحديث عن أمرٍ من الأمور إلى أن يكون تعقيباً من الله،لا يعد قطعاً للسياق؛لأنه مما يقرر معنى السياق،وهذا كثيرٌ في القرآن.

---

(١)تيسير الكريم الرحمن ص ١٩٤ .

وجزءٌ آخر من تلك الأمثلة يكون ابن جرير يقول فيه بالعموم،الذي يتعدى خصوص السياق،وهو مستفاد من عموم اللفظ،ومعلوم أن العموم لا يعارض الخصوص،وقد جرى العلماء على هذا.

مثال ذلك:في قول الله تعالى:﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾(آل عمران ٨٥)يردّ ابن تيمية-رحمه الله-على من قصر الآية في العرب،مبيناً دخول أهل الكتاب فيها؛لأن السياق فيهم،لكنه لا يقصرها عليهم،بل يبين عمومها،بما يفيده لفظها،فيقول:«فإن قوله تعالى:﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾صيغة عامة،وصيغة من الشرطية من أبلغ صيغ العموم،كقوله تعالى:﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾(الزلزلة ٧، ٨)،ثم إن **سياق الكلام** يدل على أنه أراد أهل الكتاب وغيرهم؛فإن هذا في سورة آل عمران في أثناء مخاطبته لأهل الكتاب ومناظرته للنصارى،فإنها نزلت لما قدم على النبي ﷺ وفد نجران النصارى..وقصتهم مشهورة معروفة»[(١)].

إن ابن تيمية-رحمه الله-يبين دخول أهل الكتاب في الآية؛لأن السياق فيهم،ويستدل على هذا السياق بأمرين:

أحدهما:ما يظهر في السورة من مخاطبة أهل الكتاب ومناظرتهم.

الثاني:سبب النزول،وقصتهم مشهورة معروفة.

لكنه مع هذا لم يقصر الآية عليهم،بل بيّن عمومها،بما يفيده لفظها من العموم،والله أعلم.

يقول السعدي-رحمه الله-في قاعدة مهمة في هذا:« قاعدة:وتدبر هذه النكتة التي يكثر مرورها بكتاب الله تعالى.إذا كان السياق في قصة معينة،أو على شيء معين،وأراد الله أن يحكم على ذلك المعين بحكم لا يختص به،ذكر الحكم وعلقه على الوصف العام؛ليكون

---

(١)دقائق التفسير ٣٣٣/١وانظر في قصتهم البداية والنهاية ٢٦٢/٧-٢٧٢.

أعم،وتندرج فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها،وليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين»[(١)].

ولكن من الأمثلة التي ظهر فيها مخالفة ابن جرير-رحمه الله-للسياق مع ظهور تقريره له،ما ذكره في تفسير قوله تعالى:﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾(الأحقاف ١٠).

قال-رحمه الله-:«وقوله:﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾،اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك،فقال بعضهم:معناه:﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾،وهو موسى بن عمران عليه السلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾يعني على مثل القرآن،قالوا:ومثل القرآن الذي شهد عليه موسى بالتصديق التوراة..وقال آخرون:عنى بقوله:﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾عبد الله بن سلام،قالوا:ومعنى الكلام:﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾على مثل هذا القرآن بالتصديق،قالوا:ومثل القرآن التوراة.

والصواب من القول في ذلك عندنا:أن الذي قاله مسروق(وهو القول الأول)في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل؛لأن قوله:﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾في سياق توبيخ الله-تعالى ذكره-مشركي قريش،واحتجاجا عليهم لنبيه،وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها،ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر،فتوجه هذه الآية إلى أنها فيهم نزلت،ولا دل على انصراف الكلام عن قصص الذين تقدم الخبر عنهم معنى،غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله بأن ذلك عنى به عبد الله بن سلام،وعليه أكثر أهل التأويل،وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن والسبب الذي فيه نزل وما أريد به،فتأويل الكلام إذ كان ذلك

---

(١)تيسير الكريم الرحمن ص ٦٨٢.

كذلك:﴿وَشَهِدَ﴾ عبد الله بن سلام،وهو الشاهد من بني إسرائيل﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾،يعني: على مثل القرآن وهو التوراة،وذلك شهادته أن محمدا مكتوب في التوراة أنه نبي تجده اليهود مكتوبا عندهم في التوراة كما هو مكتوب في القرآن أنه نبي،وقوله:﴿فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾يقول فآمن عبد الله بن سلام وصدق بمحمد وبما جاء به من عند الله ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أنتم على الإيمان بما آمن به عبد الله بن سلام معشر اليهود،﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾يقول إن الله لا يوفق لإصابة الحق وهدى الطريق المستقيم القوم الكافرين،الذين ظلموا أنفسهم بإيجابهم لها سخط الله بكفرهم به»[(١)].

لقد خالف ابن جرير هنا دلالة السياق لما رآه من الثابت عن الصحابة ﷺ في تفسير الآية،وهو معارض في ذلك.

قال ابن تيمية-رحمه الله-:«وقوله:﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ ليس المقصود شاهدا واحدا معينا،بل ولا يحتم كونه واحدا،وقول من قال إنه عبد الله بن سلام ليس بشيء،فإن هذه نزلت بمكة قبل أن يعرف ابن سلام،ولكن المقصود جنس الشاهد»[(٢)].

ومن الأمثلة التي يُظْهِرُ فيها أحد علماء التفسير مخالفته للسياق،ما رجح به الشنقيطي-رحمه الله-أحد قولي العلماء في المراد بالقرح الذي أصاب المشركين في قول الله تعالى:﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾(آل عمران ١٤٠)هل كان هذا القرح في بدر أو في أحد؟.

فيقول-رحمه الله-:«قال بعض العلماء:وقرينة السياق تدل على أن القرح الذي أصاب المشركين ما وقع بهم يوم أحد؛لأن الكلام في وقعة أحد،ولكن التثنية في قوله:﴿

---

(١)جامع البيان ١/١٢٤-١٣٢.

(٢)النبوات ١/١٧٧-١٧٨،وانظر تفسير ابن كثير ٧/٢٧٨،وقد نقل ابن جرير-رحمه الله-إنكار مسروق والشعبي أن يكون عبد الله بن سلام؛لأن السورة مكية.

﴿مِّثْلَيْهَا﴾(آل عمران ١٦٥)تدل على أن القرح الذي أصاب المشركين ما وقع بهم يوم بدر؛لأنه لم ينقل أحد أن الكفار يوم أحد أصيبوا بمثلي ما أصيب به المسلمون»[(١)] .

وبعيداً عن ترجيح أحد القولين،فإننا لو تأملنا ما ذهب إليه الشنقيطي لوجدناه في حقيقته لا يخالف السياق،فإن السياق وإن كان في أحد إلا أن امتنان الله على المؤمنين بما كان في بدر إنما كان تأنيساً لهم مما أصابهم في أحد،فلم يخرج عن سياق غزوة أحد.

د-صريح قولهم في مفهوم السياق.

وأخيراً لعلنا نستعرض من صريح قولهم في السياق ما لعله يكون سبباً في بيان التصور الكامل لمفهوم السياق لديهم:

قال ابن دقيق العيد-رحمه الله-[(٢)] :«أما السياق والقرائن، فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه»[(٣)] .فقد أرجع السياق إلى مراد المتكلم،وهو الغرض والمقصود.

وقال الزركشي-رحمه الله-[(٤)] -:«ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له،وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز،ولهذا ترى صاحب الكشاف يجعل الذي سيق له الكلام معتمداً حتى كأن غيره مطروح»[(٥)] .

---

(١)أضواء البيان ٢٥٣/١.

(٢)هو:محمد بن علي بن وهب المعروف بابن دقيق العيد،ولد سنة(٦٢٥هـ)،كان إماماً متقناً في الحديث الأصول والفقه،كثير المطالعة،وله مع الإحكام ،الإمام،والإلمام،وغيرها،له شعر مليح،مات سنة(٧٠٢هـ)انظر أبجد العلوم ١٥٦/٣.

(٣)انظر إحكام الأحكام (٢١/٢) .

(٤)هو:محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي،فقيه أصولي،له:شرح المنهاج للأسنوي،وشرح جمع الجوامع،والبرهان وغيرها،مات سنة(٧٩٤هـ).انظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٦٧/٣،الدرر الكامنة٣٩٧/٣.

(٥)انظر البرهان في علوم القرآن ٣١٧/١.

وقال السيوطي-رحمه الله-[(١)] في الإتقان :«وعليه(أي المفسر)بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي، ومراعاة التأليف،والغرض الذي سيق له الكلام»[(٢)].

والمفهوم من كلام الزركشي والسيوطي:أنهما يجعلان السياق هو الغرض،والنظم-في عبارة الزركشي وهو التأليف عند السيوطي-تابع للسياق ودليل عليه.

وقال السجلماسي[(٣)] في تعريفه للسياق:«ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول»[(٤)].

وفي حاشية العطار على جمع الجوامع:«قرينة السياق هي:ما يؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود أو سابقه»[(٥)].

وفي حاشية البناني على جمع الجوامع:«قرينة السياق هي:ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه»[(٦)].

وقد عرفه في قواعد الفقه بقوله: «سياق الكلام:أسلوبه الذي يجري عليه،وقولهم:وقعت هذه العبارة في سياق الكلام،أي:مدرجة فيه»[(٧)].

وقال صاحب دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم:«أما السياق القرآني ، فإننا نقصد به الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني

)هو:جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي،ولد سنة(٨٤٩هـ)،نشأ يتيماً،وحفظ القرآن صغيراً،كان ١(مكثراً من التأليف جداً،مات سنة(٩١١هـ)،انظر حسن المحاضرة ١/٢٨٩-٢٩٧،البدر الطالع ١/٢٢٩.

(٢)الإتقان في علوم القرآن ٢/١٢٢٢.

(٣) لم يجد له محقق كتابه هذا ترجمه إلا ما أفادته نسخ الكتاب المحقق،فهو:أبو محمد القاسم بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري السجلماسي الأندلسي،من علماء القرن الثامن؛لأن في ختام أحد النسخ:«فرغ من إملائه وتأليفه بحمد الله الحادي والعشرين لصفر سنة أربع وسبعمائة.انظر مقدمة المحقق ص ٤٦-٤٧.

(٤)المترع البديع في تجنيس أساليب البديع ص١٨٨.

(٥)حاشية العطار على جمع الجوامع (١/٣٠).

(٦)حاشية البناني على جمع الجوامع ١/ ٢٠.

(٧)قواعد الفقه ١/٣٣٠.

القرآن إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته»[(١)].

وقال صاحب رسالة دلالة السياق القرآني:«يمكن تعريف السياق عموماً بأنه : تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده»[(٢)].

قال صاحب دلالة السياق :«كلمة السياق في تعبير المفسرين تطلق على الكلام الذي خرج مخرجاً واحداً ، واشتمل على غرض واحد ، هو المقصود الأصلي للمتكلم ، وانتظمت أجزاؤه في نسق واحد ، مع ملاحظة أن الغرض من الكلام ، أو المعاني المقصودة بالذات هي العنصر الأساسي في مفهوم السياق»[(٣)].

وبعد هذا البيان فإننا نخلص إلى تعريف للسياق:

وهو أنه:الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولاً عليه بلفظ المتكلم،أوحاله،أو أحوال الكلام،أو المتكلم فيه،أو السامع.[(٤)]

وعلاقة هذا التعريف الاصطلاحي باللغوي ظاهرة،فإن اتحاد الغرض وظهوره يلزم منه تتابع الكلام واتصاله بين السابق واللاحق.

وقد يكون الغرض قريباً فَيُعْلَمُ من النص القريب،كما هو الحاصل من معرفة الغرض من نص الآية أو الآيات الظاهر ورودها في الموضوع الواحد،وقد يكون أبعد من ذلك فيتبين من معرفة الغرض المقصودة في جملة من الكلام الذي يظهر فيه عدد من الأغراض،ينتظمها ذلك الغرض،كما هو الحال في معرفة غرض السور التي يكون فيها عدد من الأغراض،وقد يكون الغرض بعيداً جداً فلا يتبين إلا بمعرفة المقاصد والأغراض التي

---

(١)دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن ص٨٨.

(٢)دلالة السياق القرآني لعبد الحكيم القاسم ص ٦٢.

(٣)دلالة السياق لردة الله الطلحي ص ٥١ .

(٤) ولفضيلة المناقش الدكتور عويد المطرفي تعريف للسياق هذا نصه:«هو التتابع والسرد الذي سيق الكلام على هيئته ووصفه في أسلوبه الذي بنيت جمله وعباراته عليه حتى أصبح سياقاً من الكلام يتبع بعضه بعضاً في نظمه الذي ورد الخطاب به».ويرد هنا أن هذا البناء الذي ذكره فضيلته لا يتبين إلا بمعرفة الغرض الذي ورد الكلام لأجله،والله أعلم.

يؤمها المتكلم عادة في كلامه،كما هو الحال في سياق القرآن حين ينظر الناظر في المعاني التي يؤمها القرآن،فتكون هي المقصودة بالكلام،وسيأتي-بإذن الله-مزيد بيان لهذا في أنواع السياق في المبحث التالي في مطلب أنواع السياق.

وأما شرح هذا التعريف،فإنه سيأتي-بإذن الله-في المبحث التالي لهذا،في مطلب أركان السياق،والله أعلم.

المطلب الثالث:دلالة السياق

قال الزركشي-رحمه الله-:«دلالة السياق أنكرها بعضهم،ومن جهل شيئا أنكره،وقال بعضهم:إنها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى»[(١)].

قال صاحب رسالة دلالة السياق القرآني:«ويمكن تعريف دلالة السياق بأنها:فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده.

ويمكن تعريف دلالة السياق في التفسير : بأنها بيان اللفظ أو الجملة في الآية ، بما لا يخرجها عن السابق واللاحق»[(٢)].

وبناءً على ما تبين لنا من تعريف السياق،فإننا نعرف دلالة السياق:

بأنها:ما يتبين من المعاني على ما يقتضيه الغرض الذي تتابع الكلام لأجله.

والله أعلم.[(٣)]

---

(١)البحر المحيط للزركشي ٤/٣٥٧.

(٢)دلالة السياق القرآني لعبد الحكيم القاسم ص ٦٢.

(٣) ولفضيلة المناقش الدكتور عويد المطرفي تعريف لدلالة السياق هذا نصه:«دلالة السياق:معنىً مفهوم غير مصرح به في النص،يشي به عموم ارتباط السياق بالسباق في أسلوب الخطاب الذي يبحث فيه عن ذلك المعنى،من ذي علم بالعربية،ودربة بأساليبها.».

المبحث الثاني: أركان السياق وأنواعه

وتحته مطلبان

المطلب الأول: أركان السياق

المطلب الثاني: أنواع السياق

المطلب الأول :أركان السياق.

قال الرازي-رحمه الله-:«ورُكن الشيء جانبه الأقوى، وهو يأوي إلى رُكْنٍ شديد، أي إلى عز ومنعة»[(١)].

ركن الشيء هو جانبه الذي لا يقوم إلا به ،فالركن بهذا يكون من ماهية الشيء .

وهذه الأركان هي كالشرح لتعريف السياق-كما سبق الإحالة عليه-،والسياق يقوم على خمسة أركان سنبينها-بإذن الله-فيما يلي:

الركن الأول:الغرض من الكلام.

وهذا هو الركن الأعلى من الأركان؛لأن بقية الأركان تابعةٌ له،من حيث إنها وسائل مبينة له.

قال ابن القيم-رحمه الله-:«فمن عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب اتباع مراده،والألفاظ لم تقصد لذواتها،وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم،فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق كان عمل بمقتضاه،سواء كان بإشارة،أو كتابة،أو بإيماءة، أو دلالة عقلية،أو قرينة حالية، أو عادة له مطردة لا يخل بها،أو من مقتضى كماله وكمال أسمائه وصفاته،وأنه يمتنع منه إرادة ما هو معلوم الفساد وترك إرادة ما هو متيقن مصلحته،وأنه يستدل على إرادته للنظير بإرادة نظيره ومثله وشبهه، وعلى كراهة الشيء بكراهة مثله ونظيره ومشبهه،فيقطع العارف به وبحكمته وأوصافه على أنه يريد هذا،ويكره هذا، ويحب هذا،ويبغض هذا»[(٢)].

---

(١)مختار الصحاح ١/١٠٧،وانظر اللسان ١٣/١٨٥.

(٢)إعلام الموقعين١/٢٨٠،«وضابط دلالة الإشارة هي:أن يساق النص لمعنى مقصود،فيلزم ذلك المعنى المقصود أمر آخر غير مقصود باللفظ لزوما لا ينفك»أضواء البيان ٤/٤٤٤،وأما دلالة الإيماء والتنبيه فإن«ضابط هذا المسلك المنطبق على جزئياته:هو أن يقترن وصف بحكم شرعي على وجه لو لم يكن فيه ذلك الوصف علة لذلك الحكم لكان الكلام معيبا عند العارفين»أضواء البيان ٦/٢٤٢-٢٤٣،وهذان المسلكان هما من دلالات الألفاظ ويأتي بيان ذلك في الركن الخامس-بإذن الله-.

الركن الثاني:معرفة حال المتكلم.

قال ابن تيمية-رحمه الله-:«وموجب الأدلة السمعية يتلقى من عرف المتكلم بالخطاب،لا من الوضع المحدث فليس لأحد أن يقول:إن الألفاظ التي جاءت في القرآن موضوعة لمعاني،ثم يريد أن يفسر مراد الله بتلك المعاني،هذا من فعل أهل الإلحاد المفترين»[(١)].

وقال ابن القيم-رحمه الله-:«والعارف يقول:ماذا أراد؟واللفظي يقول:ماذا قال؟ كما كان الذين لا يفقهون إذا خرجوا من عند النبي ﷺ يقولون:﴿**مَاذَا قَالَ ءَانِفًا**﴾(محمد ١٦)،وقد أنكر الله سبحانه عليهم وعلى أمثالهم بقوله:﴿**فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**﴾(النساء ٧٨)،فذم من لم يفقه كلامه.والفقه أخص من الفهم،وهو فهم مراد المتكلم من كلامه،وهذا قدر زائد على مجرد وضع اللفظ في اللغة، وبحسب تفاوت مراتب الناس في هذا تتفاوت مراتبهم في الفقه والعلم.

وقد كان الصحابة يستدلون على إذن الرب تعالى وإباحته بإقراره وعدم إنكاره عليهم في زمن الوحي،وهذا استدلال على المراد بغير لفظ،بل بما عرف من موجب أسمائه وصفاته،وأنه لا يقر على باطل حتى يبينه.

وكذلك استدلال الصديقة الكبرى أم المؤمنين خديجة بما عرفته من كمال الرب تعالى وكمال أسمائه وصفاته ورحمته أنه لا يخزي محمدا ﷺ ،فإنه يصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق،وأن من كان بهذه المثابة،فإن العزيز الرحيم الذي هو أحكم الحاكمين وإله رب العالمين لا يخزيه ولا يسلط عليه الشيطان،وهذا استدلال منها قبل ثبوت النبوة والرسالة،بل استدلال على صحتها وثبوتها في حق من هذا شأنه،فهذا معرفة منها بمراد الرب تعالى،وما يفعله من أسمائه وصفاته وحكمته ورحمته وإحسانه ومجازاته المحسن بإحسانه،وأنه لا يضيع أجر المحسنين[(٢)].

---

(١)بيان تلبيس الجهمية ١/٥٤٤.

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب بدء الوحي،١/١٤،برقم (٣).ومسلم في صحيحه،كتاب الإيمان،باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ،١/١٣٩،برقم(١٦٠).

وقد كانت الصحابة أفهم الأمة لمراد نبيها وأتبع له،وإنما كانوا يدندنون حول معرفة مراده ومقصوده،ولم يكن أحد منهم يظهر له مراد رسول الله ﷺ ثم يعدل عنه إلى غيره ألبتة »[(١)].

الركن الثالث:معرفة حال السامع.

قال ابن تيمية –رحمه الله-:«ومن لم يعرف لغة الصحابة التي كانوا يتخاطبون بها ويخاطبهم بها النبي ﷺ وعادتهم في الكلام وإلا حرف الكلم عن مواضعه؛فإن كثيرا من الناس ينشأ على اصطلاح قومه وعادتهم في الألفاظ،ثم يجد تلك الألفاظ في كلام الله أو رسوله أو الصحابة،فيظن أن مراد الله أو رسوله ﷺ أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عادته واصطلاحه،ويكون مراد الله ورسوله ﷺ والصحابة خلاف ذلك،وهذا واقع لطوائف من الناس من أهل الكلام والفقه والنحو والعامة وغيرهم»[(٢)].

وقال-رحمه الله-:«إن الألفاظ التي يقال إنها متواطئة،كأسماء الأجناس،مثل:لفظ الرسول والوالي والقاضي والرجل والمرأة والإمام والبيت ونحو ذلك،قد يراد بها المعنى العام، وقد يراد بها ما هو أخص منه مما يقترن بها:تعريف الإضافة أو اللام،كما في قوله:﴿ **إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا * فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ** ﴾(المزمل ١٥، ١٦)،وقال في موضع آخر:﴿ **لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا** ﴾(النور ٦٣)،فلفظ الرسول في الموضعين لفظ واحد مقرون باللام،لكن ينصرف في كل موضع إلى المعروف عند المخاطب في ذلك الموضع،فلما قال هنا:﴿ **كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا * فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ** ﴾ كان اللام لتعريف رسول فرعون،وهو موسي ابن عمران عليه السلام ،ولما قال لأمة محمد ﷺ:﴿ **لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا** ﴾ كان اللام لتعريف الرسول المعروف عند المخاطبين بالقرآن والمأمورين بأمره والمنتهين بنهيه،وهم أمة محمد...فإنه قد

---

(١)إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/٢٨١-٢٨٢.

(٢)مجموع الفتاوى ١/٢٤٣.

علم أنه في أحد الموضعين هو محمد،وفي الآخر موسى،مع أن لفظ الرسول واحد.ولكن هذا اللفظ تكلم به في سياق كلام من مدلول لام التعريف»[(١)].

ثم قال-رحمه الله-بعد ذلك معللاً:« لأن جزء الدلالة معرفة المخاطب»[(٢)].

وتتبين مراعاة حال السامع في عدة جوانب:

منها:ما تجده في القرآن من ضرب الأمثال.

قال الزركشي-رحمه الله-:«ومن حكمته(أي ضرب المثل) تعليم البيان،وهو من خصائص هذه الشريعة،والمثل أعون شيء على البيان.فإن قلت:لماذا كان المثل عونا على البيان،وحاصله قياس معنى بشيء من عرف ذلك المقيس،فحقه الاستغناء عن شبيهه،ومن لم يعرفه لم يحدث التشبيه عنده معرفة؟.

والجواب:أن الحكم والأمثال تُصور المعاني تَصور الأشخاص؛فإن الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان،لاستعانة الذهن فيها بالحواس،بخلاف المعاني المعقولة،فإنها مجردة عن الحس،ولذلك دقت،**ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون المثل المضروب مجربا مسلما عند السامع**»[(٣)].

ومنها:ما يكثر من الحذف المدلول عليه بمعرفة السامع، وسيأتي مثاله-بإذن الله- في مطلب أهمية السياق،في المبحث الرابع من هذا الفصل[(٤)].

ومنها:ما يكون من الإضمار اتكالاً على فهم السامع.

قال الزركشي-رحمه الله-في قاعدة في الضمائر:«الخامس:أن يدل عليه(أي الضمير)السياق،فيضمر ثقة بفهم السامع،كإضمار:الأرض في قوله:﴿**مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ**﴾(فاطر ٤٥)،وقوله:﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ۝٢٦﴾(الرحمن ٢٦) »[(٥)].

---

(١)مجموع الفتاوى ٢٠/٤٢٧-٤٢٨.

(٢)السابق ٢٠/٤٣٨.

(٣)البرهان في علوم القرآن ١/٤٨٧-٤٨٨.

(٤)انظر ص ٧٦.

(٥)البرهان في علوم القرآن ٤/٢٧.

ومنها:ما تجده من أساليب البيان التي غرضها إثارة السامع ،وحفز فهمه لما يسمعه،والله أعلم.

الركن الرابع:معرفة حال المتكلم عنه،وعلاقة هذا بالركن الذي قبله علاقة عموم وخصوص من وجه،وذلك أنهما يجتمعان فيما إذا كان المتكلم عنه هو السامع.

فيدخل في هذا معرفة أسباب النزول،ومعرفة أحوال النبي ﷺ،وأحوال أصحابه،وسيرته،ومعرفة المكي من المدني،وغيرها من أحوال نزول القرآن،ولقد كان الصحابة ﷺ يعتنون بهذا لما له من الأثر في فهم المعنى.

قال ابن مسعود-رضي الله عنه-:«والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت؟،ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أنزلت؟ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»[(١)].

ولهذا فقد عرف الصحابة ﷺ لابن مسعود ﷺ فضله وعلمه،ولم ينكروا عليه إعلانه ذلك كما حكاه من حضر حلقهم.

ففي صحيح مسلم[(٢)] عن ابن مسعود ﷺ أنه كان يقول:«ولقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أني أعلمهم بكتاب الله، ولو أعلم أن أحدا أعلم مني لرحلت إليه،قال شقيق فجلست في حلق أصحاب محمد ﷺ فما سمعت أحدا يرد ذلك عليه ولا يعيبه».

قال السعدي -رحمه الله-:«ومن فوائد معرفة الرسول ﷺ معرفة الآيات القرآنية المنزلة عليه،وفهم المعنى والمراد منها موقوف على معرفة أحوال الرسول ﷺ وسيرته مع قومه وأصحابه وغيرهم من الناس؛فإن الأزمنة والأمكنة والأشخاص تختلف اختلافا كثيرا،فلو أراد إنسان أن يصرف همه لمعرفة معاني القرآن من دون معرفة منه لذلك،لحصل من الغلط على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى مراد الله من كلامه شيء كثير،وهذا إنما يعرفه من عرف ما في أكثر التفاسير من الأغلاط القبيحة التي يتره عنها كلام الله»[(٣)].

---

(١)صحيح البخاري،كتاب فضائل القرآن،باب القراء من أصحاب النبي ﷺ،٣/٣٤١،برقم(٥٠٠٢)،صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ﷺ،باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما،٤/١٩١٣،برقم (٢٤٦٣) .

(٢)السابق نفس الكتاب والباب،برقم (٢٤٦٢).

(٣)تيسير الكريم الرحمن،طبعة مركز صالح بن صالح الثقافي. ١/٢٧.

قال ابن تيمية-رحمه الله-:«ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب »[(١)].

وفي الإتقان:«قال الواحدي لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها.وقال ابن دقيق العيد بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن»[(٢)].

الركن الخامس:ألفاظ الخطاب ودلالات تراكيبه.

وهذا الركن يدخل تحته ثلاثة أمور هي أركان يقوم عليها،فكان بهذا ركناً يقوم على أركان،كما كان السجود في الصلاة ركناً يقوم على أركان هي أعضاؤه السبعة،وهذه الأمور هي:

الأمر الأول:المفردات:

و«النظر في مفردات النص الأدبي من أوجب ما يجب على مفسره ودارسه ؛لأنها مفتاح النص وزمام ما فيه من دقيق المعاني وخفي الإشارات»[(٣)].

وقد بلغ من اهتمام العلماء بمعنى المفردة أن اهتموا بحروفها التي تتركب منها،فكانوا يلاحظون بهذا تناسب المعاني للألفاظ،وكل هذا يبين اهتمامهم بالمفردة لما لها من الأثر الكبير في فهم النص.

قال ابن جني-رحمه الله-:«باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني.اعلم أن هذا موضع شريف لطيف،وقد نبه عليه الخليل[(٤)] وسيبويه[(٥)]،وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته.

---

(١)مجموع الفتاوى ٣٣٩/١٣.

(٢)الإتقان ٩٣/١.

(٣)البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ٢٦١.

(٤)هو:الخليل بن أحمد الفراهيدي،ولد سنة(١٠٠هـ)،إمام العربية ،ومنشئ علم العروض،أخذ عنه سيبويه،كان مفرط الذكاء،له كتاب العين لم يتمه،مات سنة(١٧٠هـ)وقيل غيرها،انظر سير أعلام النبلاء ٤٢٩/٧-٤٣١،بغية الوعاة ٥٥٧/١-٥٦٠.

(٥)هو:عمر بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه،إمام العربية،أخذ عن الخليل ،ويونس ،وأبي الخطاب الأخفش،له:الكتاب المشهور إمامٌ في بابه،حكي عنه المناظرة المشهورة مع الكسائي عند يحيى البرمكي،وأنه مات بعدها مغموماً سنة(١٨٠هـ) وقيل غيرها.انظر بغية الوعاة ٢٢٩/٢،سير أعلام النبلاء ٣٥١/٨.

قال الخليل كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا، فقالوا:صر،وتوهموا في صوت البازي تقطيعا،فقالوا:صرصر.

وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان:إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو:النقزان والغليان والغثيان،فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال»[(١)].

وقال ابن تيمية-رحمه الله-:«أكثر المحققين من علماء العربية والبيان يثبتون المناسبة بين الألفاظ والمعاني»[(٢)].

كما قد اهتم العلماء أيضاً بالحروف التي تسمى حروف المعاني،فبينوا معانيها،وبينوا أن لها معانٍ هي فيها أصلٌ،وصنفوا في ذلك استقلالاً وكذا ضمن بعض مصنفاتهم.

ومع هذا فقد غلا بعضهم فسلب المفردات معناها ما لم تكن في سياق،والسبب عندهم«أن الكلمة خارج السياق لا تعني شيئاً محدداً أو لا تعني شيئاً البتة»[(٣)]،وبعضهم ينحوا إلى هذا وإن لم يقله صريحاً،لكنه يكون من لوازم مذهبه،كالذين يقولون بالترادف المحض فيجعلون اللفظ بمعنى اللفظ لا يستقل أحدهما عن الآخر بشيء من المعنى،وسيأتي-بإذن الله-بحث مسألة الترادف في مبحث أنواع المتشابه اللفظي[(٤)].

ولكن ثمت مسألة هنا تبين أهمية النظر إلى المفردة،وتضعف القول بالترادف،وذلك أننا قد وجدنا ابن جني-رحمه الله- وهو من كبار الذين يقولون بالترادف،وجدناه يقول بالتضمين ،وهو أن يضمن فعل معنى فعل آخر حين يتعدى بتعديته،ثم يجعل هذا التضمين من أدلة ثبوت الترادف،والذي يفهم من هذا أنه يهجر المعنى الأصلي للفعل الملفوظ به حتى يصيره إلى أن يكون بمعنى الفعل الذي ضمن إياه،وهذا مخالفٌ لمذهب أهل التضمين الذين يجعلون من التضمين دلالة على معنيين الفعل الملفوظ به والفعل المضمن.

قال ابن جني-رحمه الله-:«اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر،وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا

---

(١)الخصائص ١٥٢/٢.

(٢)مجموع الفتاوى ٤١٨/٢٠.

(٣)الكلمة دراسة لغوية معجمية ص ١٥٥ نقلاً عن السياق وأثره في توجيه المعنى ص ٢٧.

(٤)انظر ص ١١٤

بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر؛فلذلك جئ معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه،وذلك كقول الله عز اسمه:﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾(البقرة ١٨٧)،وأنت لا تقول رفثت إلى المرأة،وإنما تقول رفثت بها أو معها،لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء،وكنت تعدى أفضيت ب(إلى)،كقولك أفضيت إلى المرأة جئت ب(إلى) مع الرفث إيذانا وإشعارا أنه بمعناه»[(١)] ثم قال مستدلاً بالتضمين على الترادف:«وفيه أيضا موضع يشهد على من أنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد،حتى تكلف لذلك أن يوجد فرقا بين قعد وجلس،وبين ذراع وساعد، ألا ترى أنه لما كان رفث بالمرأة في معنى أفضى إليها جاز أن يتبع الرفث الحرف الذي بابه الإفضاء وهو إلى»[(٢)].

قال الزركشي-رحمه الله-:«التضمين:وهو إعطاء الشيء معنى الشيء، وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف،فأما في الأسماء فهو أن تضمن اسما معنى اسم لإفادة معنى الاسمين جميعا...وأما الأفعال فأن تضمن فعلا معنى فعل آخر، ويكون فيه معنى الفعلين جميعا»[(٣)].

و نكون نحن بما بيناه من المعنى الصحيح للتضمين قد حققنا أن المفردة لها أصل معنىً ترجع إليه؛لأن المفردة حملت معنيين المعنى الأصلي ،وهو مأخوذ من لفظها،والمعنى الزائد وهو الذي استفادته من التضمين،ونكون بهذا قد أضفنا دليلاً آخر على أهمية النظر إلى المفردة وتحقيق معناها.

---

(١)الخصائص ٣٠٨/٢.

(٢)السابق ٣١٠/٢،وقد بينا في مبحث أنواع المتشابه:أن ابن جني في حقيقة الأمر يعلل الألفاظ بمعانيها التي جعلتها تدل على تلك التسميات،كما أن كلامه السابق في هذا المبحث يؤيد ذلك؛لأنه يرى تناسب الألفاظ مع المعاني،وقد بينا في مبحث أنواع المتشابه:أن كلام الذين يقولون بالترادف ممن وجدنا عنهم ما يخالف ذلك،أن قولهم بالترادف منزل على اعتبار دلالتها على الذات.

(٣)البرهان ٣٣٨/٣،وعلى هذا جرى المفسرون في بيان معنى التضمين:انظر الكشاف ج٢/ص٦٧١،تفسير البيضاوي ٣٠٠/٢،إرشاد العقل السليم ٢٥٧/٣،مجموع الفتاوى ٣٤٢/١٣،روح المعاني ١١٧/٢٤.

الأمر الثاني:هيئة الكلمة،بمعرفة تصريفها واشتقاقها،ذلك أن المعاني تختلف باختلاف ذلك.

قال أبو البقاء العكبري في حد التصريف:«أما حده فهو:تغيير حروف الكلمة الأصول بزيادة أو نقصان أو إبدال؛للمعاني المطلوبة منها».

وقال:«وأما فائدة التصريف:فحصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد. والعلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة؛لأن التصريف نظر في ذات الكلمة،والنحو نظر في عوارض الكلمة»[(١)].

ولئن كان الاختلاف في هيئة الكلمة يثير اهتمام الدارس للغة العرب،حتى تتبين له المعاني المخبوءة وراء اختلاف الصيغ،فإن الدارس للمتشابه يثير هذا الأمر اهتمامه أضعاف ذلك؛والسبب هو أن المتشابه تأتي فيه الصيغ المختلفة في موضوعٍ واحد،وفرق كبيرٌ بين أن يكون الاختلاف في كلامين وبين أن يكون في كلامٍ واحد،مما يبين الحاجة الملحة لدراسة السياق حتى تتبين أسباب هذه الاختلافات.

ولقد اهتم العلماء باختلاف هذه الهيئات للمفردات،وكان لعلماء التفسير منهم اهتمامٌ بالغٌ بهذا الأمر،سواءٌ كان اهتمامهم بالهيئات في توجيه المعنى،أو في الترجيح،أو غير ذلك،ولظهوره وكثرته فإننا نجد أننا لسنا بحاجة إلى ضرب أمثلة عليه.

الأمر الثالث:النظر في نظم الجملة الواحدة،ثم في نظم الجمل وعلاقاتها ببعض.

إن في تبين معنى المفردة ودلالة هيئتها،ثم ما يكون بعده من تحديد علاقات المفردات في الجملة،وعلاقات الجمل ببعضها،بعد ذلك كله تتبين دلالة الألفاظ على المعاني.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:«ولابد في تفسير القران والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ،وكيف يفهم كلامه؟فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقة مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني»[(٢)].

---

(١)اللباب ٢١٩/٢،وانظر الشافية في علم التصريف ص ٦،البرهان في علوم القرآن ٢٧٩/١.

(٢)مجموع الفتاوى ١١٦/٧.

إن«دراسة الجملة قد استنفدت جهداً كبيراً من علماء النحو والبلاغة،وقد امتزجت الدراسات النحوية بمسائل بلاغية ،كما قامت الدراسات البلاغية في كثير من الحالات على دراسات نحوية بصيرة واعية.لذلك كان من الصعب على من يتصدى لدراسة الجملة دراسة بلاغية أن يفصل بحثه عن الدراسة النحوية ،أو يحدد بين اللونين تحديداً كاملاً وتاماً .ولا عبرة بمن يقول :إن المباحث النحوية قد داخلت الدراسة البلاغية وأفسدتها ،فهذا كلام فاسد»[(١)] .

وفي دراسة المتشابه من مباحث نظم الجملة الشيء الكثير،فإننا نجد من أنواع المتشابه:التقديم والتأخير ،والحذف والذكر،وصور التوكيد،وأسرار الإعراب،وفي الجمل من مباحث الفصل والوصل،وترتيب الجمل،والاختصار في القصص،واختلاف التذييل وهو ما يسمى بالفواصل وغيرها،وقد بينا أنواع ذلك في مبحث أنواع المتشابه،وتوجيه ما ورد من ذلك من متشابه القصة في الدراسة التطبيقية.

وللزركشي-رحمه الله-كلام جميلٌ هو تلخيص وتأكيد لما بيناه من هذا الركن اللغوي،حيث يقول:«فصل فيما يجب على المفسر البداءة به:الذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه،وهو كتحصيل اللبن من أوائل المعادن في بناء ما يريد أن يبنيه.

قالوا:وليس ذلك في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع وغيره،وهو كما قالوا:إن المركب لا يعلم إلا بعد العلم بمفرداته؛لأن الجزء سابق على الكل في الوجود من الذهني والخارجي، فنقول:النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها.

وأما بحسب الأفراد فمن وجوه ثلاثة:

من جهة المعاني التي وضعت الألفاظ المفردة بإزائها وهو يتعلق بعلم اللغة.

ومن جهة الهيئات والصيغ الواردة على المفردات الدالة على المعاني المختلفة، وهو من علم التصريف.

---

(١)البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ٣٢٤.

ومن جهة رد الفروع المأخوذة من الأصول إليها وهو من علم الاشتقاق.

وأما بحسب التركيب فمن وجوه أربعة:

الأول:باعتبار كيفية التراكيب بحسب الإعراب ومقابله من حيث إنها مؤدية أصل المعنى،وهو ما دل عليه المركب بحسب الوضع، وذلك متعلق بعلم النحو.

الثاني:باعتبار كيفية التركيب من جهة إفادته معنى المعنى أعني: لازم أصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تراكيب البلغاء، وهو الذي يتكلف بإبراز محاسنه علم المعاني.

الثالث:باعتبار طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدلالة وحقائقها ومراتبها، وباعتبار الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه، وهو ما يتعلق بعلم البيان.

والرابع:باعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية والاستحسان ومقابله،وهو يتعلق بعلم البديع »[(١)] .

وأخيراً فهذا كلامٌ لابن تيمية-رحمه الله- هو كالتلخيص لما سبق بيانه من أركان السياق،فقد قال:«وتختلف دلالته(أي الكلام)تارة بحسب اللفظ المفرد،وتارة بحسب التأليف،وكثير من وجوه اختلافه قد لا يبين بنفس اللفظ،بل يرجع فيه إلى قصد المتكلم،وقد يظهر قصده بدلالة الحال»[(٢)] .

---

(١)البرهان في علوم القرآن ٢/١٧٣-١٧٤.

(٢)الفتاوى الكبرى ٣/٢٠٨.

المطلب الثاني:أنواع السياق.

قال صاحب كتاب(دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم):«السياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد،كما أنه قد يقتصر على آية واحدة،ويضاف إليها،وقد يكون له امتداد في السورة كلها،بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه،وقد يطلق على القرآن بأجمعه،ويضاف إليه،بمعنى أن هناك:سياق آية،وسياق النص،وسياق السورة،والسياق القرآني؛فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى»[(١)].وهذا تفصيلها:

النوع الأول: سياق الآية

وفي هذا النوع يكون النظر فيما يكون الغرض في الآية،فإذا كان هناك خلاف في معنى آية،فإننا ننظر في السياق،كما إذا حصل لفظ مشترك لا يتبين إلا من سياق الآية.

مثال ذلك:لفظ الإحصان الذي يطلق على الإسلام،والعفاف،والحرية،والتزويج[(٢)]،ويتحدد أيها المعني بالسياق:

ففي قوله تعالى:﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾(النساء ٢٥) المراد بالإحصان هنا التزوج،لدلالة السياق.

قال الشنقيطي-رحمه الله-:«قوله تعالى:﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ ﴾الآية، أي:فإذا تزوجن،وقول من قال من العلماء:إن المراد بالإحصان في قوله:﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ الإسلام خلاف الظاهر من سياق الآية؛لأن سياق الآية في الفتيات المؤمنات حيث قال:﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً ﴾(النساء ٢٥).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية ما نصه:والأظهر-والله أعلم-:أن المراد بالإحصان ها هنا التزويج؛لأن سياق الآية يدل عليه حيث يقول سبحانه وتعالى:﴿ وَمَن

---

(١)دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم ص٨٨.

(٢)انظر أضواء البيان ١/٢٧٩-٢٨٠.

لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾(النساء ٢٥)،والله أعلم،والآية الكريمة سياقها في الفتيات المؤمنات،فتعين أن المراد بقوله:﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾،أي:تزوجن كما فسره ابن عباس وغيره ا.هـ محل الغرض منه بلفظه»[(١)]،فقد اتفق ابن كثير والشنقيطي-رحمهما الله-على تحديد المعنى بدلالة سياق الآية.

النوع الثاني:سياق النص

وهو المقطع المتحد في الغرض ،ويتبين هذا كثيراً في سياق القصص،فيكون الترجيح أحياناً بناءً على سياق النص.

مثال ذلك:في قول الله تعالى:﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾(البروج ١٣).

يقول النحاس-رحمه الله-:«في معناه قولان،قال ابن زيد:يبتدىء خلق الخلق،ثم يعيدهم يوم القيامة،وعن ابن عباس:يبدىء العذاب في الدنيا،ثم يعيده عليهم في الآخرة.

قال أبو جعفر:وهذا أشبه بالمعنى؛لأن **سياق القصة** أنهم أحرقوا في الدنيا،ولهم عذاب جهنم»[(٢)].

وقد يتعين المحذوف،بناءً على سياق النص كذلك.

مثاله:قال أبو شامة-رحمه الله-[(٣)] في قوله تعالى :﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾(هود ٨٢):«أي:عالي مدائن قوم لوط،ولم يتقدم لها ذكر،ولكن علم ذلك من سياق القصة»[(٤)].

---

(١)أضواء البيان ١/٢٨٠،وانظر تفسير ابن كثير ٢/٢٦٢.

(٢)إعراب القرآن للنحاس ٥/١٩٤.

(٣)هو:عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي،يلقب بأبي شامة،لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر،ولد سنة(٥٩٩هـ)،نحوي أصولي ،أكمل القراءات على شيخه السخاوي،له كتاب الأصول من الأصول ومفردات القراء وغيرها كثير،مات سنة(٦٦٥هـ)،انظر معرفة القراء الكبار ٢/٦٧٣،بغية الوعاة ٢/٧٧-٧٨.

(٤)إبراز المعاني في القراءات السبع ٢/٥٥٠.

وفي سياق النص يتبين وجه الصواب من أقوال العلماء،وذلك حين يكون السياق مبيناً عدم صحة قول،ومبيناً صواب غيره.

مثال ذلك:قال الشنقيطي-رحمه الله-:«قد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن من أنواع البيان التي تضمنها أن يقول بعض العلماء في الآية قولا،ويكون في نفس الآية قرينة تدل على عدم صحة ذلك القول...ومن أمثلته قول بعض أهل العلم:إن أزواجه ﷺ لا يدخلن في أهل بيته في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(الأحزاب ٣٣)،فإن **قرينة السياق** صريحة في دخولهن؛لأن الله تعالى قال:﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ﴾(الأحزاب ٢٨)،ثم قال في نفس خطابه لهن:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾،ثم قال بعده:﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾(الأحزاب ٣٤)»[1]،فقد استند الشنقيطي إلى سياق النص؛لأنه كان في أزواج النبي ﷺ ،فالسابق للآية فيهن ،واللاحق كذلك،فوجب أن يدخلن في الآية،والله أعلم.

النوع الثالث:سياق السورة

لقد نظر العلماء في سياق السور،وبحثوا عن الغرض الرئيس الذي تدور عليه السورة،وفي الدراسة التطبيقية،سنقدم-بإذن الله- دراسة في أول كل سورة نبين فيه أغراضها وسياقها.

ومن الأمثلة التي تبين أهمية دراسة سياق السورة ما يلي:

١-لقد بحث ابن القيم-رحمه الله-وجه مناسبة الأمثال التي وردت في سورة التحريم لسياقها،فإن الله أورد فيها شأن امرأة نوح وامرأة لوط،فيقول-رحمه الله-:«في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة،فإنها سيقت في ذكر أزواج النبي

(١)أضواء البيان ٦/٥٧٦-٥٧٧.

ﷺ والتحذير من تظاهرهن عليه،وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله ﷺ ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله ﷺ ،كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما»[(١)] .

٢-مثال آخر:لقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-وجه المناسبة بين إيراد حقوق النبي ﷺ،وحقوق أهل بيته في سورة الأحزاب،وبين ذكر غزوة الأحزاب في السورة وهي مناسبة خفية إلا إذا عرفنا سياق السورة.

فيقول-رحمه الله-عن سورة الأحزاب:«وهى سورة تضمنت ذكر هذه الغزاة التي نصر الله فيها عبده،واعز فيها جنده المؤمنين،وهزم الأحزاب الذين تحزبوا عليه وحده بغير قتال،بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوهم.ذكر فيها خصائص رسول الله وحقوقه وحرمته وحرمة أهل بيته،لما كان هو القلب الذي نصره الله فيها بغير قتال»[(٢)] .

فقد تبين من سياق السورة وجه المناسبات التي قد تكون غير واضحة.

النوع الرابع:سياق القرآن

ويكون الكلام في هذا على مقاصد القرآن والمعاني المأمومة فيه.

قال صاحب دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم:«أما السياق القرآني،فإننا نقصد به أمرين:

١-الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن،إلى جانب النظم الإعجازي،والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته.

٢-الآيات والمواضع التي تتشابه في موضوعها،مع اختلاف يسير في طريقة سردها وترتيب كلماتها لمناسبة المقام،ولحكمة بلاغية تتصل بأغراض السورة»[(٣)] .

ويتبين هذا من عدة أوجه:

الوجه الأول:استقراء وحصر مقاصد القرآن العامة،وبيان المعنى على ضوء ذلك.

---

(١)الأمثال في القرآن ص ٥٧.

(٢)مجموع الفتاوى ٤٣٣/٢٨.

(٣)دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم ص٨٨-٨٩.

مثال ذلك:ما جاء في السنة من اعتبار سورة الفاتحة أعظم سورة في كتاب الله،وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن،وهذا إنما يكون بالنظر لمعاني هاتين السورتين بالنسبة لمعاني القرآن،ويأتي بيان هذه الأمثلة في المبحث الثالث-بإذن الله-في مطلب:أصل القول بالسياق من سنة المصطفى ﷺ.(١)

الوجه الثاني:استقراء اطراد لفظ في معنى في القرآن يجعله مرجحاً في إرادة ذلك المعنى حال الخلاف.

قال ابن تيمية-رحمه الله-:«إذا كان في وجوب شيء نزاع بين العلماء،ولفظ الشارع قد اطرد في معنى، لم يجز أن ينقض الأصل المعروف من كلام الله ورسوله بقول فيه نزاع بين العلماء»(٢).

مثال ذلك:في قول الله تعالى:﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾(النور ٣)،يرفض الزمخشري-رحمه الله-أن يكون معنى النكاح الوطء ،ويبين المعنى الصحيح ،معتمداً على سياق القرآن.

يقول-رحمه الله-:«قيل المراد بالنكاح الوطء،وليس بقول؛لأمرين،أحدهما:أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم ترد إلا في معنى العقد.والثاني:فساد المعنى وأداؤه إلى قولك:الزاني لا يزني إلا بزانية والزانية لا يزني بها إلا زان»(٣).

قال الشنقيطي-رحمه الله-:«ومن أنواع البيان المذكورة في هذا الكتاب المبارك الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن،فغلبته فيه دليل على عدم خروجه من معنى الآية،ومثاله قوله تعالى:﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾(المجادلة٢١) فقد قال بعض العلماء :إن المراد بهذه الغلبة:الغلبة بالحجة والبيان،والغالب في القرآن هو استعمال الغلبة في الغلبة بالسيف والسنان،وذلك دليل

---

(١)انظر ص ٥٧-٥٩.

(٢)مجموع الفتاوى ٣٥/٧.

(٣)الكشاف ٢٠٧/٣.

واضح على دخول تلك الآية في الغلبة؛لأن خير ما يبين به القرآن .فمن ذلك قوله تعالى:﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ﴾(آل عمران ١٢)وقوله:﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾(النساء ٧٤)،وقوله:﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾(الأنفال ٦٥) وقوله:﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(الأنفال ٦٦)،وقوله:﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾(الروم ١-٤) إلى غير ذلك من الآيات»[(١)].

الوجه الثالث:استقراء أسلوبٍ له أكثر من معنى،لكنه اطرد في القرآن على معنى،فيكون ذلك مرجحاً عند التنازع.

مثال ذلك،يقول الشنقيطي-رحمه الله-:«كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير،يراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة،نحو قوله تعالى:﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾(إبراهيم ١٠)،وقوله:﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾(الأنعام ١٦٤)،وإن زعم بعض العلماء:أن هذا استفهام إنكار؛لأن استقراء القرآن دل على أن الاستفهام المتعلق بالربوبية استفهام تقرير،وليس استفهام إنكار؛لأنهم لا ينكرون الربوبية»[(٢)].

الوجه الرابع:استقراء معنى من المعاني المقصودة في القرآن،وإجراء التفسير على ضوئه.

---

(١)أضواء البيان ١/١٥.

(٢)أضواء البيان ٣/٣٧٦،وقد دلل-رحمه الله-على هذا بآيات كثيرة قبل كلامه الذي نقلناه.

مثاله:اختلف العلماء هل كانت النخلة التي أُمرت مريم-عليها السلام-بهزها مثمرة أو غير مثمرة؟وذلك في قوله تعالى:﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾(مريم ٢٥).

وقد رجح الشنقيطي-رحمه الله-كونها غير مثمرة بدلالة سياق القرآن،فقال:«والذي يفهم من **سياق القرآن** أن الله أنبت لها ذلك الرطب على سبيل خرق العادة،وأجرى لها ذلك النهر على سبيل خرق العادة،ولم يكن الرطب والنهر موجودين قبل ذلك،سواء قلنا إن الجذع كان يابسا،أو نخلة غير مثمرة إلا أن الله أنبت فيه الثمر وجعله رطبا جنيا،ووجه دلالة السياق على ذلك،أن قوله تعالى:﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾(مريم ٢٦) يدل على أن عينها إنما تقر في ذلك الوقت بالأمور الخارقة للعادة؛لأنها هي التي تبين براءتها مما اتهموها به،فوجود هذه الخوارق من تفجير النهر،وإنبات الرطب،وكلام المولود، تطمئن إليه نفسها وتزول به عنها الريبة،وبذلك يكون قرة عين لها؛لأن مجرد الأكل والشرب مع بقاء التهمة- التي تمنت بسببها أن تكون قد ماتت من قبل وكانت نسيا منسيا- لم يكن قرة لعينها في ذلك الوقت،كما هو ظاهر،وخرق الله لها العادة بتفجير الماء،وإنبات الرطب،وكلام المولود لا غرابة فيه،وقد نص الله جل وعلا في آل عمران على خرقه لها العادة في قوله:﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾(آل عمران ٣٧) قال العلماء كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء،وفاكهة الشتاء في الصيف،وإجراء النهر، وإنبات الرطب، ليس أغرب من هذا المذكور في سورة آل عمران»[(١)]،والله أعلم.

---

(١)أضواء البيان ٤/٢٧٠.

المبحث الثالث: أصل القول بالسياق

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: أصل القول بالسياق من سنة النبي ﷺ

المطلب الثاني: ما ورد من الصحابة ﷺ عليهم من اعتبار السياق

المطلب الأول:أصل القول بالسياق من سنة النبي ﷺ.

والمقصود بهذا المطلب بيان أصالة القول بالسياق وهل هي دلالة معتبرة شرعاً،وهل لها أصل في سنة النبي ﷺ؟.

لقد ورد استعمال دلالة السياق في السنّة،وإليك من الأمثلة ما يثبت ذلك:

المثال الأول:قال صاحب رسالة دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير مستدلاً على استعمال السياق من السنة:«قول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها لما سألته عن قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠﴾(المؤمنون ٦٠)،فقالت :هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟قال:"لا يا بنت الصديق،ولكنهم الذين يصومون،ويصلون ،ويتصدقون،وهم يخافون ألا يقبل منهم،أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون".

وهذا مثال من السنة واضح في استعمال اللاحق من الآيات،في معرفة المعنى للجملة المفسرة،ورجع فيه النبي ﷺ إلى السياق ليحلّ المشكل في الأذهان..وهذا أوضح دليل من السنة على استعمال السياق فيما وصلت إليه»[(١)].

وفي الأمثلة التالية-بإذن الله- من استعمال السياق ما هو مثل هذا المثال أو أوضح منه.

المثال الثاني:إن من أصرح الأدلة في نظري في بيان تأصيل السياق هو ما جاء في حديث موسى عليه السلام الطويل مع الخضر وفيه قول النبي ﷺ:"فكان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً"[(٢)].

ووجه ذلك:أن الله قال في سورة الكهف في الموضع الأول عن الحوت الذي حمله موسى وفتاه:﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا

---

(١)دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير،دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير،ص ٨٧.والحديث رواه الترمذي في تفسير سورة المؤمنون،٣٠٦/٥،برقم(٣١٧٥)،وابن ماجة في كتاب الزهد ،باب التوقي على العمل ١٤٠٤/٢،برقم(٤١٩٨)،والحاكم في المستدرك ٤٢٧/٢،برقم(٣٤٨٦).

(٢)صحيح البخاري،كتاب العلم،باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله،٥٩/١،برقم(١٢٢)،صحيح مسلم،كتاب الفضائل،باب فضائل الخضر،١٨٤٧/٤،برقم(٢٣٨٠).

﴿(الكهف ٦١)وقال في الموضع الثاني :﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿(الكهف ٦٣)فالقصة واحدة ،ولكن الوصف لذلك الحوت اختلف ففي الأولى كان:﴿ سَرَبًا ﴾،وهو وصفٌ للحوت الذي انسل ودخل البحر،وفي الثانية كان:﴿ عَجَبًا ﴾؛لأنه بيان لحال موسى وفتاه عليهما السلام والذي بين ذلك هو السياق.

المثال الثالث: عنِ البَرَاءِ بنِ عازِب رضي الله عنهما، قال: قال:النبيُّ ﷺ :"إذا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ،ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقَكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قلِ:اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ،وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ،رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ،لا مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إلاَّ إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فإنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ،وَاجْعَلْهن آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ به" قال فرددتها على النبي ﷺ ،فلما بلغت:"اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت"، قلت: ورسولك قال:"لا بنبيك الذي أرسلت".رواه البخاري ومسلم[(١)] .

فإن النبي ﷺ قد رد على البراء رضي الله عنه تصرفه في اللفظ حين أبدل لفظ النبي بالرسول،وللعلماء توجيه لهذا،وقد استوعب الحافظ ابن حجر أقوالهم في الفتح.

قال-رحمه الله-:«قوله:وبرسولك الذي أرسلت قال:"لا وبنبيك الذي أرسلت" في رواية جرير عن منصور،فقال:"قل وبنبيك".

قال القرطبي تبعا لغيره:هذا حجة لمن لم يجز نقل الحديث بالمعنى،وهو الصحيح من مذهب مالك؛فإن لفظ النبوة والرسالة مختلفان في أصل الوضع،فإن النبوة من النبأ وهو الخبر،فالنبي في العرف هو المنبأ من جهة الله بأمر يقتضي تكليفا،وإن أمر بتبليغه إلى غيره فهو رسول،وإلا فهو نبي غير رسول،وعلى هذا فكل رسول نبي بلا عكس،فإن النبي والرسول اشتركا في أمر عام وهو النبأ وافترقا في الرسالة،فإذا قلت:فلان رسول تضمن أنه نبي رسول،وإذا قلت:فلان نبي لم يستلزم أنه رسول،فأراد ﷺ أن يجمع بينهما في اللفظ

---

(١)صحيح البخاري،كتاب الوضوء،باب فضل من بات على وضوء،١/٩٨،برقم(٢٤٧)،صحيح مسلم،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع،٤/٢٠٨١،برقم(٢٧١٠).

لاجتماعهما فيه،حتى يفهم من كل واحد منهما من حيث النطق ما وضع له،وليخرج عما يكون شبه التكرار في اللفظ من غير فائدة؛فإنه إذا قال:ورسولك فقد فهم منه أنه أرسله،فإذا قال:الذي أرسلت صار كالحشو الذي لا فائدة فيه،بخلاف قوله:"ونبيك الذي أرسلت"فلا تكرار فيه لا متحققا ولا متوهما انتهى كلامه.

وقوله:صار كالحشو متعقب؛لثبوته في أفصح الكلام،كقوله تعالى:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾(إبراهيم ٤)﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ﴾(المزمل ١٥)﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ﴾(الفتح ٢٨)،ومن غير هذا اللفظ:﴿يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ﴾(ق ٤١) إلى غير ذلك فالأولى حذف هذا الكلام الأخير والاقتصار على قوله:"ونبيك الذي أرسلت" في هذا المقام أفيد من قوله:ورسولك الذي أرسلت،لما ذكر.

والذي ذكره في الفرق بين الرسول والنبي مقيد بالرسول البشرى،وإلا فإطلاق الرسول كما في اللفظ هنا يتناول الملك كجبريل مثلا،فيظهر لذلك فائدة أخرى وهي تعين البشرى دون الملك،فيخلص الكلام من اللبس.

وأما الاستدلال به على منع الرواية بالمعنى ففيه نظر؛لأن شرط الرواية بالمعنى أن يتفق اللفظان في المعنى المذكور،وقد تقرر أن النبي والرسول متغايران لفظا ومعنى،فلا يتم الاحتجاج بذلك..وأولى ما قيل في الحكمة في رده ﷺ لمن قال الرسول بدل النبي أن ألفاظ الأذكار توقيفية،ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس،فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به،وهذا اختيار المازري،قال:فيقتصر فيه على اللفظ الوارد بحروفه،وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف»[(١)].

وبما ذكره الحافظ-رحمه الله-يتبين أن رد النبي ﷺ لتصرف البراء ليس لأنه أتى بكلام كالحشو،لثبوت هذا الأسلوب في أفصح الكلام،وبهذا يتبين أن هذا الأسلوب من الكلام لم يكن هو المناسب للسياق الذي ورد فيه الحديث بخصوصه،لما ذكره العلماء من التعليل،ولما زاده الحافظ أيضاً من التعليل،ولا يعارض ما ذكرنا هنا أن تكون الأذكار

---

(١)فتح الباري ١١/١١٢،وانظر عمدة القارئ ٢٢/٢٨٣،الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج ٦/٦٥.

توقيفية؛لأن ما نحن بصدده هو التماس المعاني،والنظر في مناسبة الألفاظ للسياق،كما هو الشأن في القرآن المقطوع بتوقيفه،والله أعلم.

المثال الرابع:عنِ ابنِ عَبَّاس رضي الله تعالى عنهما قال وَجَدَ النبيُّ ﷺ شاةً مَيِّتَةً أعْطِيَتْها مَوْلاَةٌ لِمَيْمُونَةَ مِنَ الصَّدَقَةِ قال النبيُّ ﷺ:"هَلاَّ انْتَفَعْتُمْ بِجِلْدِهَا" قالوا:إنَّهَا مَيْتَةٌ قال:"إنَّمَا حَرُمَ أكْلُهَا"وهذا الحديث في الصحيحين[(١)] ،ولكن وقع في مسلم في بعض طرقه زيادة:" هلا أخذتم إهابها فدبغتموه فانتفعتم به"،ومدار هذه الزيادة على سفيان بن عيينة.

قال ابن عبد البر-رحمه الله-:«ولم يذكر مالك في هذا الحديث الدباغ ،وتابعه على ذلك معمر ويونس، وهو الصحيح فيه عن ابن شهاب، وبه كان يفتي. وقد روى يحيى بن أيوب عن عقيل،وبقية عن الزبيدي جميعاً:عن الزهري في هذا الحديث ذكر الدباغ، وليسا بحجة ..وذكر الدباغ محفوظ في حديث بن عباس من وجوه من غير طريق بن شهاب منها حديث بن وعلة وغيره »[(٢)]

وحديث ابن وعلة الذي ذكره ابن عبد البر هو ما رواه مسلم في صحيحه:عن زيد بن أسلم أن عبد الرحمن بن وعلة أخبره عن عبد الله بن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:"إذا دبغ الإهاب فقد طهر"[(٣)]

لكن حديث ابن وعلة هذا لا يظهر منه أنه نفس حديث ميمونة،وغاية ما فيه إثبات الدباغ من حديث آخر،فتبقى مسألة الانتفاع بجلد الميتة قبل الدباغ لا اعتراض عليها من حديث شاة ميمونة ،كما كان يفتي به الزهري الراوي للحديث،وأما الحكم الثابت للدباغ ،فقد يكون ثبت بعد ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:«فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال في شاة ميمونة:"هلا أخذتم إهابها فانتفعتم به"قالوا: إنها ميتة قال:"إنما حرم أكلها"،وليس في البخاري ذكر الدباغ،ولم يذكره عامة أصحاب الزهري عنه،ولكن ذكره

---

(١)صحيح البخاري،كتاب الزكاة،باب الصدقة على موالي أزواج النبي ﷺ ،٥٦٢/١،برقم (١٤٩٢)،وصحيح مسلم،كتاب الحيض،باب طهارة جلود الميتة بالدباغ ٢٧٦/١،برقم (٣٦٣).

(٢)الاستذكار ٢٩٩/٥،وانظر عمدة القارئ ٨٩/٩.

(٣)صحيح مسلم،كتاب الحيض ،باب طهارة جلود الميتة بالدباغ،٢٧٧/١،برقم(٣٦٦).

ابن عيينة ورواه مسلم في صحيحه،وقد طعن الإمام أحمد في ذلك،وأشار إلى غلط ابن عيينة فيه،وذكر أن الزهري وغيره كانوا يبيحون الانتفاع بجلود الميتة بلا دباغ؛لأجل هذا الحديث»[(١)].

وقال ابن حجر-رحمه الله-:«زاد مسلم من طريق بن عيينة:"هلا أخذتم إهابها فدبغتموه فانتفعتم به"،وأخرج مسلم أيضا من طريق بن عيينة أيضا عن عمرو بن دينار عن عطاء عن بن عباس:نحوه،قال:"ألا أخذوا إهابها فدبغوه فانتفعوا به"،وله شاهد من حديث بن عمر، أخرجه الدارقطني وقال:حسن»[(٢)]

وهذا الشاهد هو ما أخرجه الدارقطني في سننه:«عن بن عمر قال: قال رسول ﷺ :"أيما إهاب دبغ فقد طهر" إسناد حسن»[(٣)]

وليس في هذا الشاهد أنه في حديث ميمونة ،بل هو شاهد لطهارة الجلد بعد الدباغ،وليس الإشكال في ذلك.

ثم قال ابن حجر-رحمه الله-:«ويؤخذ منه جواز تخصيص الكتاب بالسنة؛لأن لفظ القرآن: ﴿حُرِّمَت عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾(المائدة ٢) وهو شامل لجميع أجزائها في كل حال فخصت السنة ذلك بالأكل»[(٤)]

والذي يظهر لي -والله أعلم-:هو أنه ليس في الحديث تخصيص لما في القرآن،بل إن القرآن لم يفد إلا تحريم أكل الميتة،ولم يحرم جميع أجزائها،وذلك من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول:أن النبي ﷺ بين للصحابة جواز الانتفاع بجلد الميتة بما في القرآن من تحريمها،وكان جوابه ﷺ بصيغة الحصر "إنما"،قاصراً التحريم على الأكل.

الوجه الثاني:أن سياق القرآن ظاهر في هذا ،فإن الآيات التي أخذ منها التحريم كانت في سياق المحرمات من المطعومات المأكولات،فقد قال سبحانه في سورة البقرة

---

(١)دقائق التفسير ١٢/٢،مجموع الفتاوى ١٠١/٢١.

(٢)فتح الباري ٦٥٨/٩.

(٣)سنن الدارقطني،كتاب الطهارة،باب الدباغ،٤٨/١ ،برقم(٢٤).

(٤)فتح الباري ٦٥٨/٩.

:﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾(البقرة ١٧٣)،وقال في سورة المائدة(آية ٢):﴿حُرِّمَت عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾،وقال في سورة الأنعام(آية ١٤٥):﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾،وقال في سورة النحل(آية ١١٥):﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

الوجه الثالث:ما سبق بيانه من أن الدباغ لم يثبت وروده في حديث شاة ميمونة،وإنما كان في أحاديث أخر،والظاهر أنه كان بعده،وعليه فالانتفاع بجلد الميتة كان في ظاهر القرآن مباحاً من غير دباغ،وهو ما كان يفتي به الزهري الراوي لحديث ميمونة رضي الله عنها.

وبهذا يكون هذا الحديث من أوضح الأدلة على النظر لدلالة السياق،ويكون قوله ﷺ:"إنما حرم أكلها" تصحيحاً لفهم الصحابة رضوان الله عليهم الذين فهموا العموم،لا تخصيصاً للعموم،ونظير هذا ما يأتي-بإذن الله-في المثال الخامس.

المثال الخامس: قول الله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾(الأنعام ٨٢).

وقد ثبت في الصحيحين[(١)]:أن الصحابة رضوان الله عليهم شقت عليهم هذه الآية لما نزلت،لما فهموه من تعميم حكم الظلم على كل معصية،وأن مطلق الظلم يفقد الأمن المطلق.

عنْ عَبْدِ الله ابن مسعود ﷺ قال: لَمَّا نَزَلَت:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾،قُلْنَا يا رسُولَ الله:أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ ،قال:"لَيْسَ كَما تَقُولُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إلى قَوْلِ لُقْمَانَ لابِنِهِ:﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾(لقمان ١٣).

قال ابن القيم-رحمه الله-:«وأنكر(أي النبي ﷺ) على من فهم من قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾(الأنعام ٨٢) أنه ظلم النفس بالمعاصي،وبين أنه الشرك ،وذكر قول لقمان لابنه:﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾(لقمان ١٣)،مع أن سياق اللفظ عند إعطائه حقه من التأمل يبين ذلك؛فإن الله سبحانه لم يقل:و لم يظلموا أنفسهم ،بل قال:﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾،ولبس الشيء بالشيء تغطيته به وإحاطته به من جميع جهاته،ولا يغطي الإيمان ويحيط به ويلبسه إلا الكفر،ومن هذا قوله تعالى:﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾(البقرة ٨١)؛فإن الخطيئة لا تحيط بالمؤمن أبدا فإن إيمانه يمنعه من إحاطة الخطيئة به،ومع أن سياق قوله:﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾(الأنعام ٨١)،ثم حكم

---

(١)صحيح البخاري،كتاب الأنبياء،باب قول الله تعالى:﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾،١٢٢٦/٣،برقم (٣١٨١)،صحيح مسلم،كتاب الإيمان ،باب صدق الإيمان وإخلاصه ١١٤/١،برقم (١٢٤)

الله أعدل حكم وأصدقه أن من آمن و لم يلبس إيمانه بظلم فهو أحق بالأمن والهدى فدل على أن الظلم:الشرك»[(١)].

ومقصود ابن القيم بهذا الأخير، هو أن الآية السابقة للآية محل البحث كانت في الشرك الأكبر،وكانت هذه معقبة لها فكانت متصلةً بها ومن معناها فهي أخص بيان حكم الشرك الأكبر،وابن القيم بهذا ينظر إلى سياق الآيات،وفي الوجه الأول ينظر إلى سياق الآية،وليس المعنى هنا أن الآية كانت عامةً فخصصها النبي ﷺ،بل الآية باقية على عمومها،فإن كل ظلم يقابله حصته من فقد الأمن،والذي يفقد الأمن المطلق هو الشرك،فكان التخصيص لفهم الصحابة رضوان الله عليهم،لا تخصيصاً لعموم الآية.

قال ابن القيم-رحمه الله-:«فلما أشكل عليهم المراد بالظلم،وظنوا أن ظلم النفس داخل فيه وأن من ظلم نفسه أي ظلم كان لا يكون آمنا، أجابهم ﷺ بأن الظلم الرافع للأمن والهداية على الإطلاق هو الشرك،وهذا والله الجواب الذي يشفي العليل، ويروي الغليل؛فإن الظلم المطلق التام هو الشرك الذي هو وضع العبادة في غير موضعها، والأمن والهدى المطلق هو الأمن في الدنيا والآخرة والهدى إلى الصراط المستقيم،فالظلم المطلق التام مانع من الأمن والهدى المطلق،ولا يمنع ذلك أن يكون مطلق الظلم مانعا من مطلق الأمن ومطلق الهدى فتأمله،فالمطلق للمطلق والحصة للحصة»[(٢)].والله أعلم.

المثال السادس:لقد جعل رسول الله ﷺ سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن،في أحاديث كثيرة منها ما رواه مسلم في صحيحه،عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ:"احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن" فحشد من حشد،فخرج رسول الله ﷺ فقرأ:﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾(الإخلاص ١)ثم دخل فقال بعضنا لبعض: إني أُرى هذا خبرٌ جاءه من السماء،فذاك الذي أدخله ،ثم خرج نبي الله ﷺ فقال:"إني قلت لكم إني سأقرأ عليكم ثلث القرآن،ألا وإنها تعدل ثلث القرآن"[(٣)].

---

(١)إعلام الموقعين ٤٣٤/١،وقد ذكر ابن القيم-رحمه الله-كثيراً من الأمثلة على تصحيح النبي ﷺ لما فهمه الصحابة من بعض النصوص.

(٢)الصواعق المرسلة ١٠٥٧/٣-١٠٥٨،وانظر مجموع الفتاوى ٨١/٧-٨٢.

(٣)صحيح مسلم،كتاب صلاة المسافرين،باب فضل قراءة قل هو الله أحد،٥٥٧/١،برقم(٨١٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:«...بقي الكلام في كـــون:﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾(الإخلاص ١) تعدل ثلث القرآن،ما وجه ذلك؟...فقد قيل فيه وجوه أحسنها-والله أعلم-الجواب المنقول عن الإمام أبي العباس بن سريج،فعن أبي الوليد القرشي أنّه سأل أبا العباس بن سريج عن معنى قوله ﷺ:"قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن"فقال :معنـــاه أنزل القرآن على ثلاثة أقسام:ثلث منها الأحكام،وثلث منها وعد ووعيـــد،وثلث منـــها الأسماء والصفات وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات »[(١)].

فالنظر هنا إلى سياق هذه السورة،ومقارنته بسياق القرآن،وقد كان لهذه الســـورة ثلث المعنى الذي تنقسم إليه معاني القرآن.

المثال السابع:ومن ذلك ما ورد في فضل سورة الفاتحة كقوله ﷺ لسعد بن المعلّى: "لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد"...ثم قال لـــه"نعـــم ،:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾:هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته"[(٢)].

قال ابن كثير-رحمه الله-:«واستدلوا بهذا الحديث وأمثاله على تفاضـــل بعـــض الآيات والسور على بعض،كما هو المحكي عن كثير من العلماء»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:«والقول بأن كلام الله بعضه أفضل مـــن بعض هو القول المأثور عن السلف،وهو الذي عليه أئمة الفقهاء من الطوائـــف الأربعـــة وغيرهم.»[(٤)].

إن هذا التفضيل لبعض الآيات أو السور على بعض إنما هو بـــالنظر إلى معانيهـــا وألفاظها بالنسبة لمعاني القرآن إجمالاً،وهذا ما نسميه دلالة السياق الذي ينظر به إلى الآية أو السورة بنفسها وما تشتمل عليه من المعاني،ومقارنته بمجمل معاني القرآن ومقاصده.

---

(١)مجموع الفتاوى١٧/١٠٣

(٢)صحيح البخاري،كتاب التفسير،باب ما جاء في فاتحة الكتاب،٣/١٨٩،برقم(٤٤٧٤).

(٣)تفسير ابن كثير ١/١٠٥

(٤)مجموع الفتاوى ١٧/١٣

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله:«قد علم أن تفاضل القرآن وغيره من كلام الله ليس باعتبار نسبته إلى المتكلم،فإنه سبحانه واحد ،ولكن باعتبار معانيه الـــتي يـــتكلم بها،وباعتبار ألفاظه المبينة لمعانيه»[(١)] .

(١)مجموع الفتاوى ١٢٩/١٧

المطلب الثاني: ما ورد عن الصحابة من اعتبار دلالة السياق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:«وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنّة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ،فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ،ولما لهم من الفهم التام ،والعلم الصحيح،والعمل الصالح.»(١)

ولقد اعتنى الصحابة بدلالة السياق ففسروا بمقتضاها القرآن الكريم وفزعوا إليها في بيان ما اشتبه من المعاني ومن أمثلته ذلك:

المثال الأول:«عن عروة سألت عائشة رضي الله عنها،فقلت لها:أرأيت قول الله تعالى:﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾(البقرة ١٥٨) فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة،فقالت عائشة: بئسما قلت يا بن أختي،إنها لو كانت على ما أولتها عليه كانت فلا جناح عليه أن لا يتطوف بهما،ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشلل،وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة،فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ،فقالوا:يا:رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية،فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾(البقرة ١٥٨) قالت عائشة:ثم قد سن رسول الله ﷺ الطواف بهما،فليس لأحد أن يدع الطواف بهما»(٢).

قال ابن حجر –رحمه الله-:«ومحل جواب عائشة:أن الآية ساكتة عن الوجوب وعدمه، مصرحة برفع الإثم عن الفاعل،وأما المباح فيحتاج إلى رفع الإثم عن التارك،والحكمة في التعبير بذلك مطابقة جواب السائلين؛لأنهم توهموا من كونهم كانوا يفعلون ذلك في الجاهلية:أنه لا يستمر في الإسلام،فخرج الجواب مطابقا لسؤالهم.وأما الوجوب فيستفاد من دليل آخر،ولا مانع أن يكون الفعل واجبا ويعتقد إنسان امتناع

---

(١)مجموع الفتاوى ٣٦٤/١٣

(٢)صحيح البخاري،كتاب الحج،باب وجوب الصفا والمروة،٥٩٢/٢،برقم (١٥٦١)،مسلم في الصحيح،كتاب الحج،باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به،٩٢٨/٢،برقم(١٢٧٧).

إيقاعه على صفة مخصوصة،فيقال له:لا جناح عليك في ذلك،ولا يستلزم ذلك نفي الوجوب،ولا يلزم من نفي الإثم عن الفاعل نفي الإثم عن التارك،فلو كان المراد مطلق الإباحة لنفي الإثم عن التارك»[(١)].

فيتبين من الحديث،على ما بينه الحافظ-رحمه الله-أن أم المؤمنين رضي الله عنها قد استندت في جوابها لابن أختها،على أمرين:

الأول:السياق اللغوي،فإن سياق الآية لم يكن ليساعد عروة فيما ذهب إليه؛وذلك أن هذا التركيب في الآية لا يدل على الإباحة،وإنما كان التركيب الذي يدل على الإباحة ما ذكرته عائشة-رضي الله عنها-،وهو قولها:« لو كانت على ما أولتها عليه كانت فلا جناح عليه أن لا يتطوف بهما».

الأمر الثاني:سبب النزول وهو صريح في أن الآية سيقت مساق رفع الحرج عما كان في نفوس القوم،وقصد نفي الحرج لا يستلزم نفي الوجوب،والله أعلم.

المثال الثاني: أن رجلاً سأل على بن أبي طالب رضي الله عنه،فقال:يا أمير المؤمنين أرأيت قوله تعالى:﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾:(النساء:١٤١) وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون؟قال له علي رضي الله عنه أدنه!ثم قال: ﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾(النساء:١٤١) يوم القيامة.وكذا كان قول ابن عباس[(٢)].

وهنا قد جعل الصحابيان رضي الله عنهما هذا الظهور في يوم القيامة،واستندا إلى سياق الآية مما تقدم المسئول عنه.

المثال الثالث:ومن ذلك ما رواه ابن جرير-رحمه الله-عن حبر الأمة عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-حينما سأله نافع بن الأزرق فقال :«يا أعمى البصر ،أعمى القلب،تزعم أن قوماً يخرجون من النار،وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ

---

(١)فتح الباري ٣/٤٩٩.

(٢)جامع البيان ٧/٦٠٩-٦١٠.

مِنْهَا ﴾(المائدة٣٧)؟فقال ابن عباس رضي الله عنهما:ويحك اقرأ ما فوقها هذه للكفار.»[(١)].

إن هذا التفسير الذي فسره ابن عباس-رضي الله عنهما-إنما كان بالنظر إلى السياق؛لأن الآية التي قبلها،هي قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾(المائدة٣٦)،والله أعلم.

المثال الرابع:«عن ابن عمر رضي الله عنهما،قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب:"لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"،فأدرك بعضهم العصر في الطريق،فقال بعضهم:لا نصلي حتى نأتيها،وقال بعضهم:بل نصلي لم يرد منا ذلك،فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم»هذا لفظ البخاري[(٢)].

وأما لفظ مسلم:«فعن عبد الله،قال:نادى فينا رسول الله ﷺ يوم انصرف عن الأحزاب:"أن لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة"،فتخوف ناس فوت الوقت،فصلوا دون بني قريظة.وقال آخرون:لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله ﷺ وإن فاتنا الوقت،قال فما عنف واحدا من الفريقين»[(٣)].

قال النووي-رحمه الله-:«أما جمعهم بين الروايتين في كونها الظهر والعصر، فمحمول على أن هذا الأمر كان بعد دخول وقت الظهر،وقد صلى الظهر بالمدينة بعضهم دون بعض،فقيل للذين لم يصلوا الظهر:لا تصلوا الظهر إلا في بني قريظة،وللذين صلوا بالمدينة:لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة،ويحتمل أنه قيل للجميع:ولا تصلوا العصر ولا

---

(١)جامع البيان ٨/٤٠٧.

(٢)صحيح البخاري،كتاب المغازي،باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم،٤/١٥١٠،برقم (٣٨٩٣).

(٣)صحيح مسلم ،كتاب الجهاد والسير،باب المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين المتعارضين،٣/١٣٩١،برقم (١٧٧٠).

الظهر إلا في بني قريظة،ويحتمل أنه قيل للذين ذهبوا أولا:لا تصلوا الظهر إلا في بني قريظة ،وللذين ذهبوا بعدهم:لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة،والله أعلم.

وأما اختلاف الصحابة ﷺ في المبادرة بالصلاة عند ضيق وقتها وتأخيرها،فسببه أن أدلة الشرع تعارضت عندهم،بأن الصلاة مأمور بها في الوقت مع أن المفهوم من قول النبي ﷺ:لا يصلين أحد الظهر أو العصر إلا في بني قريظة،المبادرة بالذهاب إليهم، وأن لا يشتغل عنه بشيء،لا أن تأخير الصلاة مقصود في نفسه، من حيث إنه تأخير،فأخذ بعض الصحابة بهذا المفهوم،نظرا إلى المعنى لا إلى اللفظ،فصلوا حين خافوا فوت الوقت،وأخذ آخرون بظاهر اللفظ وحقيقته فأخروها،ولم يعنف النبي ﷺ واحدا من الفريقين؛لأنهم مجتهدون»[(١)].

وقال ابن تيمية-رحمه الله-:« فالأولون تمسكوا بعموم الخطاب،فجعلوا صورة الفوات داخله في العموم،والآخرون كان معهم من الدليل ما يوجب خروج هذه الصورة عن العموم؛فإن المقصود المبادرة إلى القوم،وهي مسألة اختلف فيها الفقهاء اختلافا مشهورا،هل يخص العموم بالقياس؟ومع هذا فالذين صلوا في الطريق كانوا أصوب»[(٢)].

فالصحابة ﷺ اختلفوا هنا،فالذين فهموا أن المقصود المبادرة إلى القوم،إنما فهموا ذلك من السياق،وذلك من أوجه:

أحدها:أن معرفتهم بحال المتكلم تجعلهم يقطعون بأن ليس له قصد إلا المبادرة،وذلك أنه لا يظن أن يكون من المقاصد التي يمكن أن يؤمها ﷺ صلاة القوم في بني قريظة بذاتها.

الثاني:ما يعلمونه من حال الشريعة،فإن الصلاة على وقتها أمرٌ مطلوب،قد عارض ما يفهم من الظاهر،فكان أحد الموجهات لهذا الظاهر والمبينات لما يراد منه.

الثالث:الحال التي كان عليها القوم؛فإنهم كانوا في حال حرب،وبنوا قريظة قد نقضوا العهد،والرسول ﷺ يستنفرهم لقتالهم،فهذا يُفهم منه البدار والمعاجلة للقوم،والله أعلم،وقريب من هذا ما يأتي في المثال الخامس:

---

(١)شرح صحيح مسلم ١٢/٣٤٠-٣٤١.

(٢)مجموع الفتاوى ٢٠/٢٥٢،وانظر زاد المعاد ١٣١-١٣٣.

المثال الخامس:عن عائشة رضي الله عنها:أن بعض أزواج النبي ﷺ قلن للنبي ﷺ أينا أسرع بك لحوقا قال أطولكن يدا فأخذوا قصبة يذرعونها فكانت سودة أطولهن يدا فعلمنا بعد أنما كانت طول يدها الصدقة وكانت أسرعنا لحوقا به وكانت تحب الصدقة»،هذا لفظ البخاري[(١)].

وأما لفظ مسلم:فعن عائشة أم المؤمنين قالت:قال رسول الله ﷺ:"أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا"،قالت:فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا،قالت:فكانت أطولنا يدا زينب؛لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق»[(٢)].

قال النووي-رحمه الله-:«معنى الحديث:أنهن ظنن أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية،وهي الجارحة،فكن يذرعن أيديهن بقصبة،فكانت سودة أطولهن جارحة،وكانت زينب أطولهن يدا في الصدقة وفعل الخير،فماتت زينب أولهن،فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود،قال أهل اللغة يقال:فلان طويل اليد وطويل الباع إذا كان سمحا جوادا،وضده قصير اليد والباع وجد الأنامل،وفيه معجزة باهرة لرسول الله ﷺ ومنقبة ظاهرة لزينب،ووقع هذا الحديث في كتاب الزكاة من البخاري بلفظ متعقد يوهم أن أسرعهن لحاقا سودة،وهذا الوهم باطل بالإجماع»[(٣)].

قال العيني-رحمه الله-[(٤)]:«وفيه أنه لما كان السؤال عن آجال مقدرة لا تعلم إلاَّ بالوحي أجابهن ﷺ بلفظ غير صريح،وأحالهن على ما لا يتبين إلاَّ بآخره،وساغ ذلك لكونه ليس من الأحكام التكليفية»[(٥)].

---

(١)صحيح البخاري،كتاب الزكاة،باب فضل صدقة الشحيح الصحيح،٤٣٨/١،برقم (١٤٢٠).

(٢)صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة ﷺ،باب من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها،١٩٠٧/٤،برقم (٢٤٥٢).

(٣)شرح صحيح مسلم ٢٤١/١٦.

(٤)محمود بن أحمد العنتابي(بد الدين العيني)،ولد سنة(٧٦٢هـ)،كان إماماً عارفاً بالعربية،ودرّس الحديث بالمؤيدية،له مصنفات منها عمدة القارئ شرح صحيح البخاري،وشرح معاني الآثار،وطبقات الحنفية،وغيرها،كان بينه وبين ابن حجر منافسة،مات سنة(٨٥٥هـ)،انظر بغية الوعاة ٢٧٥/٢،

(٥)عمدة القارئ ٢٨٣/٨.

وما ذكره العيني هنا غير متجه؛لأنه لا تظهر المناسبة في ربط اللفظ غير الصريح بالآجال المقدرة،ثم إنه لا حرج في الإخبار عن الآجال باللفظ الصريح،فقد أخبر ﷺ ابنته فاطمة -رضي الله عنها- أنها أول أهله به لحوقاً بصريح اللفظ[(١)].

وعليه فالذي يظهر لي-والله أعلم-هو أنه ﷺ لم يعمد إلى اللفظ الصريح؛لأنه أراد أن يبين فضيلة لزينب-رضي الله عنها-يؤتسى بها،وهي الصدقة من عمل اليد،مع بيانه الأسرع لحوقا به من أزواجه.

وما قصده ﷺ من أن طول اليد مرادٌ به الصدقة،بين من السياق،وذلك أنه لم يكن ﷺ ليؤم هذا المعنى الظاهر لطول اليد،وليس له غرض في هذا الوصف الذي علق به الحكم،وطول اليد الظاهر معلومٌ أنه كان من نصيب سودة-رضي الله عنها-،فلو لم يكن الوصف مؤثراً في الحكم لصرح باسمها كما صرح لفاطمة-رضي الله عنها-،وتأثير هذا الوصف إنما هو في معناه الحسن الذي يدل عليه،كما هو معلومٌ من لغة العرب،لا أن يستعمل في الدلالة على تعيين شخص من غير حاجة،والله أعلم.

قال ابن حجر-رحمه الله-:«وقال المهلب:في الحديث دلالة على أن الحكم للمعاني لا للألفاظ؛لأن النسوة فهمن من طول اليد الجارحة،وإنما المراد بالطول كثرة الصدقة،وما قاله لا يمكن اطراده في جميع الأحوال،والله أعلم»[(٢)].

المثال السادس:«عن ابن عباس:أن قدامة بن مظعون شرب الخمر بالبحرين،فشهد عليه،ثم سئل فأقر أنه شربه،فقال له عمر بن الخطاب:ما حملك على ذلك؟فقال لأن الله يقول:﴿**لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ**﴾(المائدة ٩٣)،وأنا منهم،أي:من المهاجرين الأولين،ومن أهل بدر وأهل أحد،فقال للقوم أجيبوا الرجل،فسكتوا،فقال لابن عباس:أجب،فقال:إنما أنزلها عذرا لمن شربها من الماضين قبل أن تحرم وأنزل:﴿**إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ**

---

(١)صحيح البخاري،كتاب المناقب،باب علامات النبوة في الإسلام،٢/٥٣٥،برقم(٣٦٢٤)،صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة،باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام،٤/١٩٠٤،برقم(٢٤٥٠).

(٢)فتح الباري ٣/٣٣٨.

﴿وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾(المائدة ٩٠) حجة على الباقين،ثم سأل من عنده عن الحد فيها فقال يحيى بن أبي طالب:إنه إذا شرب هذى وإذا هذى افترى فاجلدوه ثمانين»[(١)].

قال ابن القيم-رحمه الله-:«وفهم قدامة بن مظعون من قوله تعالى:﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾(المائدة ٩٣) رفع الجناح عن الخمر،حتى بين له عمر أنه لا يتناول الخمر،ولو تأمل **سياق** الآية لفهم المراد منها؛فإنه إنما رفع الجناح عنهم فيما طعموه متقين له فيه،وذلك إنما يكون باجتناب ما حرمه الله من المطاعم،فالآية لا تتناول المحرم بوجه ما»[(٢)].

وقد استدل ابن عباس-رضي الله عنهما-بالسياق المتقدم للآية،فقد جاءت الآية التي تأولها قدامة ﷺ في سياق تحريم الخمر،وهي الآية التسعون التي استدل بها ابن عباس-رضي الله عنهما-،والله أعلم.

---

(١)سنن النسائي الكبرى،كتاب الحد في الخمر،باب إقامة الحد على من شرب الخمر على التأويل،٢٥٣/٣،سنن الدارقطني ١٦٦/٣،السنن الكبرى للبيهقي ٣١٥/٨،المستدرك على الصحيحين ٤١٧/٤.

(٢)إعلام الموقعين ٤٣٥/١.

المبحث الرابع: عناية العلماء بالسياق وأهميته

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: عناية العلماء بالسياق

المطلب الثاني: أهمية السياق

المطلب الأول: عناية العلماء بالسياق.

لقد اعتنى العلماء بالسياق ويتضح اهتمامهم هذا بأمور:

الأمر الأول: صريح كلامهم الذي يحثّون به على العناية بالسياق واعتباره في التفسير.ونحن نسوق هنا بعض أقوالهم التي تبين المقصود:

قال الجويني رحمه الله(٤٧٨هـ):«المعاني يتعلق معظمها بفهم النظم والسياق»[(١)].

وقال العز بن عبد السلام-رحمه الله-:«**السياق** مرشد إلى تبين المجملات وترجيح المحتملات وتقرير الواضحات،وكل ذلك بعرف الاستعمال،فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحا،وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذما،فما كان مدحا بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذما واستهزاء وتهكما بعرف الاستعمال.مثاله:﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ (الدخان ٤٩)،أي الذليل المهان لوقوع ذلك في سياق الذم»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله(٧٢٨هـ):«فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه .وما يحف به من القرائن اللفظية الحالية»[(٣)].

وقال أيضاً:«فمن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها ،وعرف مقصود القرآن :تبين له المراد،وعرف الهدى والرسالة،وعرف السداد من الانحراف،والاعوجاج»[(٤)].

وقال ابن جزي-رحمه الله-(٧٤١هـ)في بيان وجوه الترجيح:«أن يشهد بصحة القول سياق الكلام،ويدل عليه ما قبله وما بعده»[(٥)].

وقال ابن القيم-رحمه الله-(٧٥١هـ):«السياق يرشد إلى تبيين المجمل ،وتعيين المحتمل ،والقطع بعدم احتمال غير مراد المتكلم،وتخصيص العام وتقييد المطلق،وتنوع

---

(١)البرهان في أصول الفقه ٢/٨٧٠.

(٢)الإمام في بيان أدلة الأحكام ١/١٥٩-١٦٠.

(٣)مجموع الفتاوى ٦/١١٤

(٤)مجموع الفتاوى١٥/٩٤

(٥)التسهيل لعلوم التنزيل ١/١٥.

الدلالة.وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ،فمن أهمله غلط في نظره ،وغالط في مناظرته»[(١)] .

وقال الزركشي-رحمه الله-(٧٩٤هـ):«واعلم أن القرآن قسمان،أحدهما:ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره،وقسم: لم يرد»،ثم قال:«الثاني ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين،وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب،ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق،وهذا يعتني به الراغب كثيرا في كتاب المفردات،فيذكر قيدا زائدا على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ لأنه اقتنصه من السياق»[(٢)] .

وقال السعدي-رحمه الله-(١٣٧٦) في مقدمته لتفسيره:«وقد كثرت تفاسير الأئمة-رحمهم الله-لكتاب الله،فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود،ومن مختصر يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية،بقطع النظر عن المراد،وكان الذي ينبغي في ذلك،أن يجعل المعنى هو المقصود واللفظ وسيلة إليه،فينظر في سياق الكلام،وما سيق لأجله ويقابل بينه وبين نظيره،في موضع آخر ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم عالمهم وجاهلهم وحضريهم وبدويهم،فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه»[(٣)] .

الأمر الثاني:اهتمامهم بأسباب النزول،وقد تقدم كلامهم على اعتباره في التفسير[(٤)] .

الأمر الثالث:اهتمام العلماء بعلم المناسبات.

قال الزركشي-رحمه الله-:«النوع الثاني معرفة المناسبات بين الآيات،وقد أفرده بالتصنيف الأستاذ أبو جعفر بن الزبير شيخ الشيخ أبي حيان،وتفسير الإمام فخر الدين فيه

---

(١)بدائع الفوائد ٤/١٣١٤.

(٢)البرهان في علوم القرآن ٢/١٧٢.

(٣)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٩-١٠)

(٤)انظر ص ٣٥-٣٦.

شيء كثير من ذلك،واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول،ويعرف به قدر القائل فيما يقول،والمناسبة في اللغة المقاربة..وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض،فيقوى بذلك الارتباط،ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء»[(١)].

وطريق التوصل إلى هذا هو النظر في السياق،والله أعلم.

الأمر الرابع:اهتمام العلماء بتوجيه القراءات،و«توجيه القراءات هو في جوهره بحث لغوي خالص،بل هو من أدق بحوث اللغة.ولذلك لم يتصدر للبحث فيه إلا شيوخ علم اللغة»[(٢)]،ومعلومٌ أن اللغة ركن من أركان السياق.

الأمر الخامس:اهتمام العلماء بتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

ويأتي البحث فيه-بإذن الله-في الدراسة التطبيقية.

الأمر السادس:اهتمام العلماء بالوجوه والنظائر.

قال ابن تيمية-رحمه الله-:«الأسماء المشتركة في اللفظ هي من المتشابه،وبعض المتواطئة أيضا من المتشابه،ويسميها أهل التفسير:الوجوه والنظائر،وصنفوا كتب الوجوه والنظائر،فالوجوه في الأسماء المشتركة،والنظائر في الأسماء المتواطئة»[(٣)].

ومعرفة هذا المتشابه إنما يكون بدلالة السياق،والله أعلم.

---

(١)البرهان في علوم القرآن ١/٣٥-٣٦.

(٢)التناسب البياني في القرآن،لأحمد أبو زيد ص ٣٩.

(٣)مجموع الفتاوى ١٣/٢٧٦.

المطلب الثاني:أهمية السياق

لقد بينت المباحث السابقة جزءً لا بأس به من أهمية السياق،ولكن لعل من أبرز الأوجه التي تزيد في بيان أهميته ما يلي:

١-أنه قد تتوقف معرفة المراد على دلالة السياق.

قال الزركشي رحمه الله:«دلالة السياق فإنها ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد،وتخصيص العام،وتقييد المطلق،وتنويع الدلالة،وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم،فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته ،وانظر في قوله تعالى :﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾(الدخان ٤٩)كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير»[(١)].

مثاله:

قال ابن قيم الجوزية –رحمه الله-:«وقد قال عمر بن الخطاب للصحابة:ما تقولون في:﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾(النصر ١)السورة،قالوا:أمر الله نبيه إذا فتح عليه أن يستغفره،فقال لابن عباس:ما تقول أنت؟ قال :هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه،فقال ما أعلم منها غير ما تعلم»[(٢)].

وهذا من أدق الفهم وألطفه ولا يدركه كل أحد،فإنه سبحانه لم يعلق الاستغفار بعمله،بل علقه بما يحدثه هو سبحانه من نعمة فتحه على رسوله ودخول الناس في دينه،وهذا ليس بسبب للاستغفار،فعلم أن سبب الاستغفار غيره،وهو حضور الأجل الذي من تمام نعمة الله على عبده توفيقه للتوبة النصوح والاستغفار بين يديه،ليلقى ربه طاهرا مطهرا من كل ذنب،فيقدم عليه مسرورا راضيا مرضيا عنه،ويدل عليه أيضا قوله:﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾(النصر ٣)،وهو ﷺ كان يسبح بحمده دائما،فعلم أن

---

(١)البرهان في علوم القرآن ٢/٢٠٠-٢٠١ .

(٢)صحيح البخاري،كتاب التفسير،باب قوله:﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾(النصر ٣)،الفتح ٨/٦٠٦،برقم (٤٩٧٠).

المأمور به من ذلك التسبيح بعد الفتح ودخول الناس في هذا الدين أمر أكبر من ذلك المتقدم،وذلك مقدمة بين يدي انتقاله إلى الرفيق الأعلى،وأنه قد بقيت عليه من عبودية التسبيح والاستغفار التي ترقيه إلى ذلك المقام بقية،فأمره بتوفيتها،ويدل عليه أيضا أنه سبحانه شرع التوبة والاستغفار في خواتم الأعمال،فشرعها في خاتمة الحج[(١)]،وقيام الليل[(٢)]،وكان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثا[(٣)]،وشرع للمتوضئ بعد كمال وضوئه أن يقول:"اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين"[(٤)]،فعلم أن التوبة مشروعة عقيب الأعمال الصالحة،فأمر رسوله بالاستغفار عقيب توفيته ما عليه من تبليغ الرسالة والجهاد في سبيله،حين دخل الناس في دينه أفواجا،فكأن التبليغ عبادة قد أكملها وأداها،فشرع له الاستغفار عقيبها»[(٥)]،والله أعلم.

٢-أنه يدل على صحة التفسير.

ومن أمثلته:في تفسير قوله تعالى:﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾(المطففين ٢٣)،يقول ابن كثير-رحمه الله-:«قيل معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد .وقيل معناه :﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾إلى الله

---

(١)وهو قوله تعالى:﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾(البقرة ١٩٩-٢٠٢).

(٢)وهو قوله تعالى:﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾(الذاريات ١٧-١٨).

(٣)أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ثوبان ﷺ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة،باب استحباب الذكر بعد الصلاة ،وبيان صفته،١/٤١٤،برقم (٥٩١).

(٤)أخرجه الترمذي في سننه من حديث عمر بن الخطاب ﷺ،باب فيما يقال بعد الوضوء،١/٥٩،برقم(٥٥).

(٥)إعلام الموقعين ١/٤٣٦-٤٣٧.

عز وجل .وهذا مقابلة لما وصف به أولئك الفجار:قال تعالى:﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾(المطففين ١٥)،فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم»[(١)]،فهذا ابن كثير نظر إلى سياق الكلام في سابقه تصحيحاً لهذا التفسير،وليس هذا من الترجيح بين الأقوال،كما سيأتي في الفائدة التالية،بل الآية هنا تحمل على المعنيين ولكن قد شهد لأحدهما السياق فكان من أدلة صحة هذا القول،ولا ما نع من حمل الآية على المعنيين الصحيحين كما هو معلوم[(٢)]،والله أعلم.

٣-ويعين السياق في الترجيح عند الاختلاف.

مثاله:قال ابن جرير -رحمه الله-:«القول في تأويل قوله تعالى:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾(البقرة ١١٨) ..قال بعضهم:عنى بذلك النصارى..وقال آخرون: بل عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله ﷺ ..وقال آخرون:بل عنى بذلك مشركي العرب..وأولى هذه الأقوال بالصحة والصواب قول القائل:إن الله تعالى عنى بقوله:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾النصارى دون غيرهم لأن ذلك في سياق خبر الله عنهم وعن افترائهم عليه وادعائهم له ولدا»[(٣)].

مثال آخر:في قول الله تعالى:﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾(الأنفال ٢٢) يقول ابن جرير-رحمه الله-:«واختلف فيمن عني بهذه الآية

---

(١)تفسير القرآن العظيم ٣٥٢/٨،وانظر جامع البيان ٢١٣/٢٤،وقد اقتصر على القول الأول،ولا يلزم من الاقتصار على القول الأول إنكار رؤية الله سبحانه؛فإنها ثابتة بأدلة كالجبال الرواسي،بل غايته ما هنالك هو عدم إثبات الرؤية من هذا الدليل بعينه،وانظر تفسير السعدي ص ٨٤٧،وقد حمل الآية على المعنيين.والله أعلم.

(٢) انظر في تقرير هذه القاعدة:مجموع الفتاوى ١٥/١١-١٢، ١٥،أضواء البيان ٢٠/١، قواعد التفسير ٨٠٧/٢.

(٣)جامع البيان ٤٧٣/٢-٤٧٥.

فقال بعضهم عني بها نفر من المشركين..وقال آخرون عني بها المنافقون...وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال بقول ابن عباس، وأنه عني بهذه الآية مشركو قريش؛لأنها في سياق الخبر عنهم»[(١)].

٤-والسياق مهم في بيان المناسبات.

ومن أمثلته:قول الله تعالى في سورة القصص:﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾(القصص ٧١، ٧٢)،فقد ختمت الآية الأولى بقوله:﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾،والثانية بقوله:﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

يقول أبو جعفر ابن الزبير-رحمه الله-:«والجواب...:أن قوله تعالى في الآية الأولى:﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾مناسب للمدرك ليلاً من ضربي ما يعتبر به من المسموعات والمبصرات،إذ الليل حائل دون المبصرات،وإنما تدرك فيه المسموعات ؛لأن ظلمة الليل غير مانعة من إدراكها،فجيء بما يناسب،وجيء مع ذكر النهار بما يناسب أيضاً،فقيل:﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؛لأن المبصرات تدرك نهاراً ولا تدرك ليلاً،فجيء مع كل بما يناسب والله أعلم»[(٢)].

٥-والسياق مهم في بيان المتشابه اللفظي في القرآن.

وأمثلة هذا في الدراسة التطبيقية-بإذن الله تعالى-.

---

(١)جامع البيان ١١/١٠٠-١٠٢.

(٢)ملاك التأويل ٢/٩١٠-٩١١.

٦-يعين السياق على تحديد معنى اللفظ المشترك[(١)]،سواءٌ كان المعنيان المشتركان في اللفظ متضادين،أو كانا غير متضادين.

مثال المتضادين:في قول الله تعالى:﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧﴾(التكوير ١٧)يقول ابن جرير-رحمه الله-:«واختلف أهل التأويل في قوله:﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧﴾،فقال بعضهم عنى بقوله إذا عسعس إذا أدبر...وقال آخرون:عنى بقوله:﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾:إذا أقبل بظلامه...وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول من قال:معنى ذلك إذا أدبر وذلك لقوله:﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾(التكوير ١٨)فدل بذلك على أن القسم بالليل مدبرا وبالنهار مقبلا»[(٢)]،فابن جرير-رحمه الله-اختار أحد المعنيين استدلالاً بالسياق،ولكن قد خالف ابن كثير ابن جرير في الاختيار،لاختلافه معه في تحديد السياق.

قال -رحمه الله-:«وعندي أن المراد بقوله:﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾:إذا أقبل،وإن كان يصح استعماله في الإدبار أيضاً،لكن الإقبال ها هنا أنسب،كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل،وبالفجر وضيائه إذا أشرق،كما قال تعالى:﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾(الليل ١، ٢)،وقال تعالى:﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾(الضحى ١، ٢)،وقال تعالى:﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾(الأنعام ٩٦)،وغير ذلك من الآيات»[(٣)].

ومثال غير المتضاد:الخلاف في من هو العافي في قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰ فَمَنۡ

---

(١)ومقصودي بالمشترك هنا:ما احتمل لفظه معنيان فأكثر.انظر الصاحبي ص ٣٢٧.

(٢)جامع البيان ٢٤/١٥٩-١٦١.

(٣)تفسير ابن كثير ٨/٣٣٨، ولا مانع من حمل الآية على المعنيين،وكلاهما ورد القرآن،وانظر ما سبق في الفقرة الثانية ص ٧٢،وانظر قواعد التفسير ٢/٨٠٠، ٨٢٢. والله أعلم.

عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾(البقرة ١٧٨).

قال ابن العربي-رحمه الله-:«قال مالك تفسيره:من أعطي من أخيه شيئا من العقل فليتبعه بالمعروف،فعلى هذا الخطاب للولي،قيل له:إن أعطاك أخوك القاتل الدية المعروفة فاقبل ذلك منه واتبعه،وقال أصحاب الشافعي:تفسيره إذا أسقط الولي القصاص،وعين له من الواجبين له الدية،فاتبعه على ذلك أيها الجاني على هذا المعروف،وأد إليه بإحسان.

وهذا يدور على حرف، وهو معرفة تفسير العفو،وله في اللغة خمسة موارد:

الأول:العطاء، يقال: جاد بالمال عفوا صفوا، أي: مبذولا من غير عوض.

الثاني:الإسقاط،ونحوه:﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾(البقرة ٢٨٦)..

الثالث:الكثرة،ومنه قوله تعالى:﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾(الأعراف ٩٥) أي:كثروا..

الرابع:الذهاب،ومنه قوله:عفت الديار. الخامس:الطلب،يقال:عفيته واعتفيته..

وإذا كان مشتركا بين هذه المعاني المتعددة وجب عرضها على مساق الآية ومقتضى الأدلة»[(١)].

٧-يعين السياق على بيان المحذوف.

قال العز بن عبد السلام-رحمه الله-:«ولا يحذفون ما لا دليل عليه،وإذا دار المحذوف بين أمرين قدر أحسنهما لفظا ومعنى،والسياق مرشد إليه،فيقدر في كل موضع أحسن ما يليق به»[(٢)].

مثاله:في قول الله تعالى:﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾(مريم ١٨) يقول أبو السعود-رحمه الله-[(٣)]:«﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ أي تتقي الله تعالى

---

(١)أحكام القرآن لابن العربي ١/٩٦-٩٧.

(٢)الإمام في بيان أدلة الأحكام ١/٢٠٤.

(٣)هو:محمد بن محمد العمادي،ولد سنة(٨٩٦هـ)،قرأ على أبيه،له التفسير المشهور:إرشاد العقل السليم،مات سنة(٩٨٢هـ)،انظر طبقات الداودي ص ٣٩٨.

وتبالي بالاستعاذة به،وجواب الشرط محذوف،ثقة بدلالة السياق عليه،أي:فإني عائذة به أو فتعوذ بتعوذي أو فلا تتعرض لي»[(١)].

٨-يعين السياق على تحديد زمن النزول.

مثاله:في قول الله تعالى:﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾(البقرة ١٩٤)يقول ابن جرير الطبري-رحمه الله-:«اختلف أهل التأويل فيما نزل فيه قوله:﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾،فقال بعضهم:...هذا ونحوه نزل بمكة والمسلمون يومئذ قليل وليس لهم سلطان يقهر المشركين،وكان المشركون يتعاطونهم بالشتم والأذى، فأمر الله المسلمين من يجازي منهم أن يجازي بمثل ما أوتي إليه أو يصبر أو يعفو فهو أمثل،فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأعز الله سلطانه،أمر المسلمين أن ينتهوا في مظالمهم إلى سلطانهم وأن لا يعدو بعضهم على بعض كأهل الجاهلية.

وقال آخرون:بل معنى ذلك فمن قاتلكم أيها المؤمنون من المشركين فقاتلوهم كما قاتلوكم،وقالوا:نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ بالمدينة وبعد عمرة القضية...

وأشبه التأويلين بما دل عليه ظاهر الآية الذي حكي عن مجاهد[وهو القول الثاني]؛لأن الآيات قبلها إنما هي أمر من الله للمؤمنين بجهاد عدوهم على صفة،وذلك قوله:﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾(البقرة ١٩٠)،والآيات بعدها،وقوله:﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾إنما هو في سياق الآيات التي فيها الأمر بالقتال والجهاد،والله جل ثناؤه إنما فرض القتال على المؤمنين بعد الهجرة،فمعلوم بذلك أن قوله:﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ مدني لا مكي،إذ كان فرض قتال المشركين لم يكن وجب على المؤمنين بمكة»[(٢)].

٩-يعين السياق على معرفة النسخ من عدمه.

---

(١)إرشاد العقل السليم ٥/٢٦٠.

(٢)جامع البيان ٣/٣٠٩-٣١١.

مثاله:في قول الله تعالى:﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾(البقرة ٢٢٩)ردّ ابن جرير الطبري-رحمه الله- دعوى نسخ هذه الآية بآية النساء وهو قوله تعالى:﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾(النساء ٢٠)ردّ ذلك من وجهين،الأول:وجود الإجماع على جواز أخذ الفدية من المفتدية،والوجه الثاني:اختلاف سياق الآيتين.

قال-رحمه الله-:«فأما ما قاله بكر بن عبد الله من أن هذا الحكم في جميع الآية منسوخ بقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾فقول لا معنى له فنتشاغل بالإبانة عن خطئه لمعنيين:

أحدهما:إجماع الجميع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المسلمين على تخطئته،وإجازة أخذ الفدية من المفتدية نفسها لزوجها،وفي ذلك الكفاية عن الاستشهاد على خطئه بغيره.

والآخر:أن الآية التي في سورة النساء إنما حرم الله فيها على زوج المرأة أن يأخذ منها شيئا مما آتاها،بأن أراد الرجل استبدال زوج بزوج،من غير أن يكون هنالك خوف من المسلمين عليهما بمقام أحدهما على صاحبه أن لا يقيما حدود الله ولا نشوز من المرأة على الرجل،وإذا كان الأمر كذلك فقد بينا أن أخذ الزوج من امرأته مالا على وجه الإكراه لها والإضرار بها حتى تعطيه شيئا من مالها على فراقها حرام،ولو كان ذلك حبة فضة فصاعدا،وأما الآية التي في سورة البقرة فإنها إنما دلت على إباحة الله تعالى ذكره له أخذ الفدية منها،في حال الخوف عليهما أن لا يقيما حدود الله،بنشوز المرأة وطلبها فراق الرجل ورغبته فيها،فالأمر الذي أذن به للزوج في أخذ الفدية من المرأة في سورة البقرة ضد الأمر الذي نهى من أجله عن أخذ الفدية في سورة النساء،كما الحظر في سورة النساء غير الطلاق والإباحة في سورة البقرة،فإنما يجوز في الحكمين أن يقال أحدهما ناسخ إذا اتفقت معاني المحكوم فيه ثم خولف بين الأحكام فيه باختلاف الأوقات والأزمنة،وأما

اختلاف الأحكام باختلاف معاني المحكوم فيه في حال واحدة ووقت واحد فذلك هو الحكمة البالغة،والمفهوم في العقل والفطرة،وهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل»[(١)].

١٠-أثر السياق في القراءات.

ويظهر ذلك في الترجيح بين القراءات،وفي تضعيف القراءة أو ردها:

أ-أثر السياق في الترجيح بين معاني القراءات.

مثاله:في قول الله تعالى:﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾(البقرة ١٠)،قال ابن عطية-رحمه الله-[(٢)]:«قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر:﴿يُكذّبون﴾ بضم الياء وتشديد الذال،وقرأ الباقون بفتح الياء وتخفيف الذال[(٣)]... والقراءة بالتخفيف يؤيدها أن سياق الآيات إنما هي إخبار بكذبهم»[(٤)].

ب-أثر السياق في تضعيف القراءة أو ردها.

قال ابن كثير-رحمه الله-:«قرأ بعضهم:﴿قال ومن كفر فأُمتِّعه قليلا﴾الآية(البقرة ١٢٦)[(٥)]،جعله من تمام دعاء إبراهيم،وهي قراءة شاذة مخالفة للقراء السبعة،وتركيب السياق يأبى معناها-والله أعلم-فإن الضمير في قال راجع إلى الله تعالى في قراءة الجمهور،والسياق يقتضيه، وعلى هذه القراءة الشاذة يكون الضمير في قال عائدا على إبراهيم،وهذا خلاف نظم الكلام، والله سبحانه هو العلام»[(٦)].

١١-أثر السياق في بيان الأصح من سبب النزول.

---

(١)جامع البيان ٤/١٦٢-١٦٣.

(٢)هو:عبد الحق بن غالب بن عبد الرحيم بن عطية الغرناطي،ولد سنة(٤٨١هـ)،كان فقيها محدثاً مفسرا،ولي القضاء،مات سنة (٥٤٦هـ)وقيل غيرها،انظر الديباج المذهب ص ٢٧٥،بغية الوعاة ٢/٧٣-٧٤.

(٣)وانظر السبعة لابن مجاهد ص ١٤٣.

(٤)المحرر الوجيز ١/٩٢-٩٣.

(٥)وانظر إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ١/٦٢.

(٦)تفسير ابن كثير ١/٤٣٠.

مثاله:في قول الله تعالى:﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾(النساء ٦٥)،يقول ابن جرير-رحمه الله-:«اختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية وفيمن نزلت، فقال بعضهم:نزلت في الزبير بن العوام وخصم له من الأنصار اختصما إلى النبي ﷺ في بعض الأمور...،وقال آخرون:بل نزلت هذه الآية في المنافق واليهودي اللذين وصف الله صفتهما في قوله:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾(النساء ٦٠)...قال أبو جعفر:وهذا القول أعني قول من قال عني به المحتكمان إلى الطاغوت اللذان وصف الله شأنهما في قوله:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾أولى بالصواب؛لأن قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾في سياق قصة الذين ابتدأ الله الخبر عنهم بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾،ولا دلالة تدل على انقطاع قصتهم،فإلحاق بعض ذلك ببعض ما لم تأت دلالة على انقطاعه أولى ،فإن ظن ظان أن في الذي روي عن الزبير من قصته وقصة الأنصاري في شراج الحرة ،وقول من قال في خبرهما:فنزلت:﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ما ينبئ عن انقطاع حكم هذه الآية وقصتها من قصة الآيات قبلها،فإنه غير مستحيل أن تكون الآية نزلت في حصة المحتكمين إلى الطاغوت،ويكون فيها بيان ما احتكم فيه الزبير وصاحبه الأنصاري؛إذ كانت الآية دالة على ذلك،وإذ كان ذلك غير مستحيل كان إلحاق معنى بعض ذلك ببعض أولى،ما دام الكلام متسقة معانيه على سياق واحد إلا أن تأتي دلالة على انقطاع بعض ذلك من بعض فيعدل به عن معنى ما قبله»[1].

(١)جامع البيان ٧/٢٠١-٢٠٥.

١٢-يعين السياق على تحديد أسلوب الكلام،حين يخالف ظاهره المقصود به،وذلك حين يأتي التعبير بالماضي والمقصود المضارع،أو العكس،وحين يكون الأسلوب ظاهره الخبر والمقصود به الإنشاء،وهكذا،على أن الاختلاف له غرض في بيان المعنى.

مثاله:في قول الله تعالى:﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾(البقرة ٢٢٨): وقوله تعالى:﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾(البقرة ٢٣٣)،الأسلوب أسلوب خبر،لكن المراد من ذلك الأمر،والمرشد هو السياق،لكنه كان على الخبر تأكيداً،فكانت الصيغة مقصودةً.

قال الزركشي-رحمه الله-عن هاتين الآيتين:«السياق يدل على أن الله تعالى أمر بذلك،لا أنه خبر وإلا لزم الخلف في الخبر»[(١)].

١٣-يعين السياق في بيان سبب التقديم،فأحد أسباب التقديم ما دل عليه السياق.

مثاله:قال الزركشي-رحمه الله-في المقتضى التاسع من مقتضيات تقديم ما قدم والمعنى عليه:«التاسع سبق ما يقتضى تقديمه،وهو دلالة السياق،كقوله تعالى:﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾(النحل ٦)،لما كان إسراحها،وهي خماص وإراحتها وهي بطان قدم الإراحة؛لأن الجمال بها حينئذ أفخر.

وقوله:﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(الأنبياء ٩١)؛لأن السياق في ذكر مريم في قوله:﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾(الأنبياء ٩١)،ولذلك قدم الابن في غير هذا المكان،قال تعالى:﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾(المؤمنون ٥٠).

وقوله:﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾(الأنبياء ٧٩)،فإنه قدم الحكم مع أن العلم لا بد من سبقه للحكم،ولكن لما كان السياق في الحكم قدمه،قال تعالى:﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝٧٨﴾(الأنبياء ٧٨)»[(٢)].

---

(١)البرهان في علوم القرآن ٢/٣٢٠.

(٢)البرهان في علوم القرآن ٣/٢٦٢،وانظر الكشاف ٤/٢٢٥-٢٢٦.

١٤-يعين السياق في الرد على الفرق الضالة المخالفة في العقيدة.

مثال ذلك:في قول الله تعالى:﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾(النساء ٧٨).

تنازع فيها كثير من مثبتي القدر ونفاته،فكان منهم من قال:الأفعال كلها من الله لقوله:﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾،ومنهم قال:الحسنة من الله والسيئة من نفسك لقوله:﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾،وقد أبطل ابن تيمية-رحمه الله- هذين القولين وقرر العقيدة الصحيحة،ووظف السياق توظيفاً حكيماً في تقرير ذلك،فإنه:

أولاً:بيّن أن لغة القران قد ورد فيها استعمال لفظ الحسنة في الطاعات وفي النعم،وأما السيئة فوردت بمعنى المعصية وبمعنى المصيبة.

وثانياً:قرر أن الوارد في الآيتين محل البحث إنما هو النعم والمصائب،مستدلا على ذلك بما في ألفاظ الآية:﴿ مَّآ أَصَابَكَ ﴾فإنه من فعل غيرك بك،وبين نظيره من الألفاظ التي أتت بمثل هذا المعنى:كلفظ(مسك) ونحوه،ثم بين أن اللفظ الذي يبين الطاعة والمعصية هو لفظ :(جاء) كقوله تعالى:﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾(الأنعام ١٦٠).

وثالثاً:قرر هذا المعنى الصحيح من خلال سياق النص،فإن الآية وردت في سياق الحظ على الجهاد وذم المتخلفين عنه،فذكر سبحانه ما يصيب المؤمنين من المصيبة فيه وتارة من فضل الله.

ورابعاً:زاد الأمر تأكيداً بالنظر إلى سياق القرآن،فأورد نظير هذا المعنى في القرآن في قصة موسى عليه السلام وفرعون،وما ورد كذلك في سورة يس[(١)].

١٥-يدل السياق على التخصيص.

مثاله:قال الزركشي-رحمه الله-:«مسألة هل يترك العموم لأجل السياق؟يخرج من

(١) انظر مجموع الفتاوى ٨/١١٠-١١٣،وانظر إرشاد العقل السليم ٤/١٣٩.

كلام الشافعي في هذه المسألة قولان،فإنه تردد قوله في الأمة الحامل إذا طلقها بائناً،هل يجب لها النفقة أم لا؟ على قولين:

أحدهما:نعم لعموم قوله تعالى:﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ﴾(الطلاق ٦).

والثاني:لا؛لأن سياق الآية يشعر بإرادة الحرائر،لقوله:﴿فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾(الطلاق ٦)،فضرب أجلا تعود المرأة بعد مضيه إلى الاستقلال بنفسها،والأمة لا تستقل،وأطلق الصيرفي جواز التخصيص بالسياق،ومثله بقوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾(آل عمران ١٧٣)،وكلام الشافعي في الرسالة يقتضيه،بل بوب على ذلك بابا،فقال:باب الذي يبين سياقه معناه،وذكر قوله تعالى:﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾(الأعراف ١٦٣)،فإن السياق أرشد إلى أن المراد أهلها،وهو قوله:﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾(الأعراف ١٦٣).

وقال الشيخ تقي الدين في شرح الإلمام:نص بعض أكابر الأصوليين على أن العموم يخص بالقرائن،قال:ويشهد له مخاطبات الناس بعضهم بعضا،حيث يقطعون في بعض المخاطبات بعدم العموم بناء على القرينة،والشرع يخاطب الناس بحسب تعارفهم...قال:ولا يشتبه عليك التخصيص بالقرائن بالتخصيص بالسبب كما اشتبه على كثير من الناس،فإن التخصيص بالسبب غير مختار،فإن السبب وإن كان خاصا فلا يمتنع أن يورد لفظ عام يتناوله وغيره،كما في قوله:﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾(المائدة ٣٨)،ولا ينتهض السبب بمجرده قرينة لرفع هذا،بخلاف السياق،فإن به يقع التبيين والتعيين،أما التبيين ففي المجملات،وأما التعيين ففي المحتملات،وعليك باعتبار هذه في ألفاظ الكتاب والسنة والمحاورات تجد منه ما لا يمكنك حصره قبل اعتباره انتهى»[(١)].

(١)البحر المحيط للزركشي ٢/٥١١.

وقال الشوكاني-رحمه الله-:«والحق أن دلالة السياق إن قامت مقام القرائن القوية المقتضية لتعيين المراد،كان المخصص هو ما اشتملت عليه من ذلك،وان لم يكن السياق بهذه المترلة ولا أفاد هذا المفاد فليس بمخصص»[(١)].

والصحيح أن ما عقب به الشوكاني-رحمه الله-متعقب،وذلك أن قصد ابن دقيق العيد هو أن السياق يبين غرض المتكلم ومراده فلا يبقى هناك منازعة في شيء،وأما التخصيص بالسبب فإنه مخالف لهذا تماماً،وذلك أن قصد المتكلم في كلامه إلى العموم دليل على أنه لم يرد القصر على السبب.

يبين هذا قول ابن دقيق-رحمه الله-في شرحه لعمدة الأحكام،حيث يقول:«ويجب أن تتنبه للفرق بين دلالة السياق والقرائن الدالة على تخصيص العام وعلى مراد المتكلم،وبين مجرد ورود العام على سبب،ولا تجريها مجرىً واحداً،فإن مجرد ورود العام على السبب لا يقتضي التخصيص به،كقوله:﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾(المائدة ٣٨)بسبب سرقة رداء صفوان.وأنه لا يقتضي التخصيص به بالضرورة والإجماع.أما السياق والقرائن فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه،وهي المرشدة إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات،فاضبط هذه القاعدة،فإنها مفيدة في مواضع لا تحصى»[(٢)]،والله أعلم.

---

(١)إرشاد الفحول ١/٢٧٥.

(٢)إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ٢/٢١.

الفصل الثاني: المتشابه اللفظي في القرآن.

وتحته أربعة مباحث

المبحث الأول: تعريف المتشابه، والمتشابه اللفظي، لغة واصطلاحاً وفي القرآن.

المبحث الثاني: أنواع المتشابه اللفظي في القرآن.

المبحث الثالث: أهمية علم المتشابه وفوائده.

المبحث الرابع: دراسة في كتب المتشابه اللفظي من حيث عنايتها بدلالة السياق.

المبحث الأول: تعريف المتشابه، والمتشابه اللفظي، لغة واصطلاحاً وفي القرآن.

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المتشابه لغة.

المطلب الثاني: أنواع المتشابه في القرآن.

المطلب الثالث: تعريف المتشابه اصطلاحاً.

المطلب الرابع: تعريف المتشابه اللفظي في القرآن

المطلب الأول: تعريف المتشابه لغة .

قال الجوهري رحمه الله(٣٩٣):«شِبه وشَبَه،لغتان بمعنىً...والمشتبهات من الأمور:المشكلات والمتشابهات:المتماثلات»[(١)] .

وقال ابن فارس رحمه الله(٣٩٥):«الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً.يقال شِبه وشَبَه وشَبيه.والشبَه من الجوهر:الذي يشبه الذهب .والمشبهات من الأمور:المشكلات.واشتبه الأمران إذا أشكلا»[(٢)] .

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله(٤٢٥):«الشبه والشبه والشبيه:حقيقتهما في المماثلة من جهة الكيفية كاللون والطعم،وكالعدالة والظلم،والشبهة :هو أن لا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنىً ،قال:﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾(البقرة ٢٥) أي يشبه بعضه بعضاً لوناً لا طعماً وحقيقةً...والمتشابه في القرآن:ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره،إما من حيث اللفظ ،أومن حيث المعني »[(٣)] .

وقال ابن منظور رحمه الله (ت٧١١):«الشبه،والشبه،والشبيه:المثل ،والجمع أشباه وأشبه الشيء الشيء:ماثله ...والمشتبهات من الأمور:المشكلات ،والمتشابهات:المتماثلات...وأمور مشتبهة ومشبهة:مشكلة يشبه بعضها بعضاً...المتشابه :ما لم يُتلقّ معناه من لفظه»[(٤)] .

قال محمد بن أبي بكر الرازي-رحمه الله-(٧٢١):«شِبْهٌ وشَبَهٌ لغتان بمعنى،يقال:هذا شِبْهُه أي شبيه وبينهما شَبَهٌ بالتحريك،والجمع مُشَابِهُ على غير قياس ...والشُّبْهةُ الالتباس،والمُشْتَبِهاتُ من الأمور المشكلات،والمُتَشَابِهاتُ المتماثلات،وتَشَبَّهَ فلان بكذا،والتَّشْبِيهُ التمثيل،وأشْبَهَ فلانا وشابَهَهُ،واشْتَبَهَ عليه الشيء،والشَّبَهُ»[(٥)] .

---

(١)الصحاح ١٦٣٢/٢-١٦٣٣

(٢)معجم مقاييس اللغة٢٤٣/٣

(٣)مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٤٣-٤٤٥

(٤)لسان العرب ٢٣/٧-٢٥

(٥)مختار الصحاح ١٣٨/١.

وقال الفيروز آبادي-رحمه الله-(٨١٨هـ):«وشابهه وأشبهه:ماثله...وتشابها واشتبها:أشبه كلُ منهما الآخر حتى التبسا»[(١)].

إنه وبالتأمل في التعريف اللغوي للمتشابه يظهر أنّ هذه المادة تدور على أصل التماثل ،وما المشكلات من الأمور ،والمشتبهات ،وكذا ما يعرف بالشبهة إلا معنًى من معاني التماثل،حيث لا تشتبه الأمور إلا بوجود تماثل أو بعض تماثل بين المشبَّه والمشبّه به،إما تماثل عام،أو تماثل نسبي إضافي،وهو ما يكون متشابهاً على أحدٍ دون أحد.

قال ابن قتيبة-رحمه الله-[(٢)]:«ثم قد يقال لكل ما غمض ودق :متشابه وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره،ألا ترى أنه قد قيل للحروف المقطعة في أوائل السور:متشابه،وليس الشك فيها والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها والتباسها بها»[(٣)].

وعندي أن أصل التماثل لا يزال ملحوظاً في كل ما يقال فيه متشابه،وإنما يكون القصور من الناظر في إدراك وجه التشابه،فالحروف المقطعة التي ذكرها ابن قتيبة مثلاً وجه التشابه فيها:أنها حروف تشبه الحروف التي ننطق بها،فوقع الإشكال في معناها مع مشابهتها ما ننطق به،مما نعلم معناه،والله أعلم.

---

(١)القاموس المحيط ٢٩٩/٤

(٢)هو:عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري،ولد سنة(٢١٣هـ)،نزيل بغداد،كان رأساً في اللغة،له تصانيف كثيرة منها معاني القرآن،مختلف الحديث،دلائل النبوة،مات سنة(٢٧٦هـ)،انظر سير أعلام النبلاء ٢٩٦/١٣،بغية الوعاة ٦٣/٢.

(٣)تأويل مشكل القرآن ص ١٠٢.

المطلب الثاني:أنواع المتشابه في القرآن.

لقد وصف الله تعالى«القرآن بأنه محكم،وبأنه متشابه،وبأن بعضه محكم وبعضه متشابه»[(١)].

فالأول:قوله تعالى:﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾(يونس ١)،وقوله تعالى:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾(هود ١).

والثاني:قوله تعالى في سورة الزمر(آية ٢٣):﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾،فقد وصف القرآن كله بأنه متشابه.

والثالث:قوله تعالى في آل عمران(آية ٧):﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾،فقد وصف بعض آيات القرآن بالمتشابه،وبعضها بالمحكم.

«فالإحكام الذي وصف به جميع القرآن هو:الإتقان والجودة في اللفظ والمعنى،فألفاظ القرآن كله في أكمل البيان،والفصاحة والبلاغة،ومعانيه أكمل المعاني،وأجلها،وأنفعها للخلق حيث تتضمن كمال الصدق في الأخبار وكمال الرشد والعدل في الأحكام كما قال تعالى:﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ ﴾(الأنعام ١١٥).

---

(١)تقريب التدمرية لابن عثيمين ضمن مجموع فتاواه ٤/١٨٤.

والتشابه الذي وصف به جميع القرآن هو تشابه القرآن في الكمال والإتقان،والائتلاف،فلا يناقض بعضه بعضاً في الأحكام،ولا يكذب بعضه بعضاً في الأخبار»[(١)].

قال النحاس-رحمه الله-:«المعنى:أنه يشبه بعضه بعضا في الحكمة والحق،كما قال جل وعز:﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾(النساء ٨٢) »[(٢)].

وقال البغوي-رحمه الله-[(٣)]:«﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا اختلاف»[(٤)].

وأما وصف بعض القرآن بأنه محكم وبعضه بأنه متشابه،كما في آية آل عمران،فقد اختلف العلماء في معنى المحكم والمتشابه في الآية اختلافاً كثيراً تبعاً لاختلافهم في الوقف والوصل في الآية.

قال ابن جرير-رحمه الله-:«اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك،وهل الراسخون معطوفون على اسم الله،بمعنى إيجاب العلم لهم بتأويل المتشابه،أو هم مستأنفٌ ذكرهم بمعنى الخبر عنهم أنهم يقولون:آمنا بالمتشابه،وصدقنا أن علم ذلك لا يعلمه إلا الله؟فقال بعضهم: معنى ذلك وما يعلم تأويل ذلك إلا الله وحده منفرداً بعلمه،وأما الراسخون في العلم فإنهم ابتدئ الخبر عنهم بأنهم يقولون آمنا بالمتشابه والمحكم،وأن جميع ذلك من عند الله...وقال آخرون:بل معنى ذلك وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم،وهم مع علمهم بذلك ورسوخهم في العلم:﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾»[(٥)].

---

(١)السابق ٤/١٨٤.

(٢)معاني القرآن ٦/١٦٨.

(٣)هو:الحسين بن مسعود بن محمد البغوي الشافعي،كان إماماً في التفسير والحديث والفقه،له معالم التنزيل في التفسير وشرح السنة وغيرها،مات سنة(٥١٦هـ)وقد جاوز الثمانين،انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٤٣٩-٤٤٣،طبقات المفسرين للداوودي ١/١٥٧-١٥٩.

(٤)معالم التنزيل ٤/٦٦،وانظر جامع البيان ٢٠/١٩٠،مجموع الفتاوى ١٤/٤٠٧.

(٥)جامع البيان ٥/٢١٧-٢٢٠،وانظر تفسير ابن كثير ٢/١٠-١١.

وعلى القول بأن الراسخين في العلم معطوفون على لفظ الجلالة،فإن معنى التأويل يكون التفسير،أي أن الراسخين في العلم يعلمون تفسير المتشابه.

وأما على القول بأن الوقف على لفظ الجلالة،وأن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله،فإن معنى التأويل:هو مآل الشيء وحقيقته،ولا يصح أن يكون بمعنى التفسير؛لأنه ما من شيء في كتاب الله إلا ويلزم معرفة معناه،حتى لا يكون الله خاطبنا بما لا نعقل معناه.

قال ابن تيمية-رحمه الله-:«والمقصود هنا:أنه لا يجوز أن يكون الله أنزل كلاما لا معنى له،و لا يجوز أن يكون الرسول ﷺ وجميع الأمة لا يعلمون معناه،كما يقول ذلك من يقوله من المتأخرين،وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ،سواء كان مع هذا تأويل القرآن لا يعلمه الراسخون،أو كان للتأويل معنيان يعلمون أحدهما ولا يعلمون الآخر»[(١)].

وقال:«من جعل الصواب قول من جعل الوقف عند قوله:﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾وجعل التأويل بمعنى التفسير،فهذا خطأ قطعاً»[(٢)].

وأما معنى المحكم والمتشابه في هذه الآية ففيه أقوال كثيرة:

١-فقيل:المحكم ما استقل بنفسه و لم يحتج إلى بيان،والمتشابه ما احتاج إلى بيان.

٢-وقيل:المتشابه الحروف المقطعة في أول السور.

٣-وقيل:المحكم ما أحكم الله من الحلال والحرام،والمتشابه ما اشتبهت معانيه.

٤-وقيل:المحكم ما أحكم الله من قصص الأمم،والمتشابه ما اشتبهت ألفاظه منها.

٥-وقيل:المحكم ما لم يحتمل من التأويل غير وجه،والمتشابه ما احتمل وجوهاً.

٦-وقيل:المحكم ما يؤمن به ويعمل به،والمتشابه ما يؤمن به ولا يعمل به.

٧-أن المتشابه آيات الصفات.

٨-وقيل:المحكم ما علم العلماء تأويله،والمتشابه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل مما استأثر الله بعلمه[(٣)].

---

(١)مجموع الفتاوى ١٧/٣٩٠،وانظر جامع البيان ٥/١٩٩-٢٠٠.

(٢)السابق ١٧/٤٠٠.

(٣)انظر جامع البيان ٥/١٩٢-٢٠٠،مجموع الفتاوى ١٧/٤١٧-٤٢٣.

مما سبق وعلمناه من معنى التشابه العام،ومما ذكرناه هنا من أقوال العلماء في معنى المتشابه في آية آل عمران،يتبين لنا أن المتشابه له ثلاث معان:

أحدهما:التشابه في الإتقان والإحكام،وهذا التشابه العام،وعلاقة هذا بالمعنى اللغوي ظاهرة،فإن هنا تماثلاً وتشابهاً والجامع هو الإتقان.

الثاني:التشابه بمعنى الخفاء واللبس العام،وهذا يمثله القول الأخير من أقوال العلماء في آية آل عمران،وذلك أن ما استأثر الله بعلمه من حقائق المغيبات كنعيم الجنة وعذاب النار وغيرها خفاؤه عام.

وعلاقة هذا بالمعنى اللغوي تحتاج إلى بيان،وذلك أن ما أخبر الله به من المغيبات،كالذي «أخبر الله به عن نفسه،وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ متشابهة تشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا،كما أخبر عن نفسه أنه حي،عليم،قدير،سميع،بصير،ونحو ذلك،ونحن نعلم أن ما دلت عليه هذه الأسماء من الصفات ليس مماثلاً في الحقيقة لما للمخلوق منها،فحقيقتها لا يعلم معناها إلا الله،كما نعلم أن في الجنة لحماً،ولبناً،وعسلاً،وماءً،وخمراً،ونحو ذلك،ولكن ليس حقيقة ذلك من جنس ما في الدنيا،وحينئذ لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى.

والإخبار عن الغائب لا يفهم إن لم يعبر عنه بالأسماء المعلومة معانيها في الشاهد،ويعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد،مع العلم بالفارق المميز،وأن ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما يعلم في الشاهد»[(١)].

الثالث:التشابه بمعنى الخفاء واللبس النسبي الإضافي،وهذا الخفاء هو على بعض الناس دون بعض،والأقوال السبعة الأولى من أقوال العلماء في معنى المتشابه في آية آل عمران هي من هذا.

وأما علاقة هذا بالمعنى اللغوي،فكالذي قبله،وذلك أن هذا الخفاء ناتج عن المماثلة،فبسبب المماثلة كان الخفاء،لكنها مماثلة نسبية إضافية،فقد يتماثل عند شخص مالا يتماثل عند غيره.

---

(١)تقريب التدمرية ضمن مجموع فتاوى الشيخ ٤/١٩٠-١٩١.

ومعلوم أن الخفاء النسبي الإضافي غير محصور الأفراد،ولهذا قال ابن كثير-رحمه الله-:«يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب،أي:بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد،ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم،فمن رد ما أشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى،ومن عكس انعكس،ولهذا قال تعالى:﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه،﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ أي:تحتمل دلالتها موافقة المحكم،وقد تحتمل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد»[(١)].

ثم قال:«وأما هاهنا(أي آية آل عمران) فالمتشابه هو الذي يقابل المحكم وأحسن ما قيل فيه هو الذي قدمنا،وهو الذي نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار-رحمه الله-حيث قال:﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ فهن حجة الرب،وعصمة العباد،ودفع الخصوم والباطل،ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه.

قال:والمتشابهات في الصدق ليس لهن تصريف وتحريف وتأويل،ابتلى الله فيهن العباد،كما ابتلاهم في الحلال والحرام ألّا يصرفن إلى الباطل،ولا يحرفن عن الحق،ولهذا قال الله تعالى:﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾أي إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة ويترلوه عليها؛لاحتمال لفظه لما يصرفونه،فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه؛لأنه دافع لهم وحجة عليهم،ولهذا قال الله تعالى:﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾أي الإضلال لأتباعهم إيهاما لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن،وهو حجة عليهم لا لهم،كما لو أحتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله،وكلمته ألقاها إلى مريم،وتركوا الاحتجاج بقوله:﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾(الزخرف ٥٩)،وبقوله:﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾(آل عمران

(١)تفسير ابن كثير ٢/٦.

٥٩)،وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله وعبد ورسول من رسل الله»[(١)].

إن هذا الذي ذكره ابن كثير-رحمه الله-حسنٌ،وهو يفيد أن المذموم إنما هو تطلب الفتنة في المتشابه لا تطلب معنى المتشابه،وهذا حقٌ،لكنه على قراءة الوصل وحدها،فهو يبين حقيقة التشابه النسبي الإضافي،ولا يبين المعنى على اعتبار القراءة الأخرى.

قال الشنقيطي-رحمه الله-:«وقال بعض العلماء:والتحقيق في هذا المقام أن الذين قالوا هي عاطفة جعلوا معنى التأويل التفسير وفهم المعنى،كما قال النبي ﷺ:"اللهم علمه التأويل" أي التفسير وفهم معاني القرآن،والراسخون يفهمون ما خوطبوا به وإن لم يحيطوا علما بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه،والذين قالوا هي استئنافية جعلوا معنى التأويل حقيقة ما يؤول إليه الأمر،وذلك لا يعلمه إلا الله،وهو تفصيل جيد،ولكنه يشكل عليه أمران:

الأول:قول ابن عباس-رضي الله عنهما-:التفسير على أربعة أنحاء،تفسير لا يعذر أحد في فهمه،وتفسير تعرفه العرب من لغاتها،وتفسير يعلمه العلماء،وتفسير لا يعلمه إلا الله،فهذا تصريح من ابن عباس أن هذا الذي لا يعلمه إلا الله بمعنى التفسير لا ما تؤول إليه حقيقة الأمر،وقوله هذا ينافي التفصيل المذكور.

الثاني:أن الحروف المقطعة في أوائل السور لا يعلم المراد بها إلا الله؛إذ لم يقم دليل على شيء معين أنه هو المراد بها من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا من لغة العرب،فالجزم بأن معناها كذا على التعيين تحكم بلا دليل»[(٢)].

إن ما ذكره الشنقيطي-رحمه الله- من الاعتراض مجاب عنه.

أما الاعتراض الأول:فقد اختلفت الرواية فيه عن ابن عباس-رضي الله عنهما-ففي الدر المنثور:«أخرج ابن المنذر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال:تفسير القرآن على أربعة وجوه،تفسير يعلمه العلماء،وتفسير لا يعذر الناس بجهالته من حلال أو حرام،وتفسير تعرفه العرب بلغتها،وتفسير لا يعلم تأويله إلا الله من ادعى علمه فهو

---

(١)تفسير ابن كثير ٢/٧-٨.

(٢)أضواء البيان ١/٢٣٧-٢٣٨،وأثر ابن عباس-رضي الله عنهما- هذا أخرجه ابن جرير في تفسيره ١/٧٠.

كاذب»[(١)] .ففي هذه الرواية التصريح بأن الذي لا يعلمه إلا الله إنما هو ما تؤول إليه حقيقة الأمر.

ولهذا فقد قال ابن تيمية-رحمه الله-بعد أن ساق كلام ابن عباس-رضي الله عنهما-السابق:«وهذا القول يجمع القولين،ويبين أن العلماء يعلمون من تفسيره ما لا يعلمه غيرهم،وأن فيه ما لا يعلمه إلا الله،فأما من جعل الصواب قول من جعل الوقف عند قوله:﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾وجعل التأويل بمعنى التفسير،فهذا خطأ قطعاً»[(٢)] .

أما الاعتراض الثاني من الشنقيطي-رحمه الله-:فمجاب عنه بأن عدم الجزم بمعنىً للحروف المقطعة لا يعني أنه ليس لها معنى،ولا يعني أن أحداً لم يصب معناها،فشأنها شأن كل ما وقع الخلاف فيه.

وبعد هذا البيان فإننا نستطيع-بإذن الله-أن ننتقل مطمئنين إلى المطلب التالي،وهو تعريف المتشابه اصطلاحاً،بعد أن عرفنا أنواعه في القرآن،وقد تبين لنا مفهوم المتشابه في القرآن بعد إحاطتنا بأنواعه،والله أعلم.

---

(١)الدر المنثور ٢/١٥١-١٥٢،وانظر تفسير السمرقندي ١/١٦٥.

(٢)مجموع الفتاوى ١٧/٤٠٠.

المطلب الثالث: تعريف المتشابه اصطلاحاً.

نستطيع أن نعرف المتشابه اصطلاحاً بالنظر إلى أنواعه الثلاثة السابقة،فإن التعريف يختلف باختلافها:

١-فإننا إذا نظرنا إلى التشابه العام للقرآن،وهو أنه يشبه بعضه بعضاً في الإتقان والحسن،فإننا نستطيع أن نعرفه اصطلاحاً بأنه:

تماثل القرآن في الكمال والإتقان،والائتلاف،فلا يناقض بعضه بعضاً في الأحكام،ولا يكذب بعضه بعضاً في الأخبار.

٢-وإذا نظرنا إلى التشابه بمعنى الخفاء واللبس العام،فإننا نستطيع تعريفه بأنه:

اشتراك ألفاظ ومعاني ما يذكر من المغيبات مع ما نعلمه من ألفاظ ومعاني أسماء تلك المسميات،مع اختلافٍ في الحقائق لا ندركه.

٣-وأما إذا نظرنا إلى التشابه بمعنى الخفاء واللبس النسبي الإضافي،فإن تعريفه يختلف باختلاف القول الذي قيل في معنى المتشابه،ولسنا بحاجة إلى تتبع تلك الأقوال.

لكننا قد علمنا أن المتشابه اللفظي-الذي هو موضوع البحث-هو أحد الأقوال التي قيلت في المراد بالمتشابه في آية آل عمران،فهو من المتشابه النسبي الإضافي،وهو ما نحتاج إلى تعريفه،وهذا ما سيكون في المطلب التالي-بإذن الله-.

المطلب الرابع: تعريف المتشابه اللفظي في القرآن.

لقد حدد العلماء مفهوم المتشابه اللفظي،ولم أجدهم عرفوه على ما جرى من تعريف الحدود المتعارف عليه،ولهذا فإننا سنستعرض أقوالهم في تحديدهم لمفهومه حتى يتبين لنا التعريف المختار،وسنبدأ ذلك-بإذن الله-بالمتقدم فالذي يليه وهكذا.

إن أول ما يطالعنا في ذلك النص الذي يسوقه ابن جرير-رحمه الله-عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[(١)] في تعيينه المراد بالمتشابه في آية آل عمران،فقد حدد المتشابه بما نسميه الآن بالمتشابه اللفظي،فيقول:«وقال آخرون:معنى المحكم ما أحكم الله فيه من آي القرآن وقصص الأمم ورسلهم الذين أرسلوا إليهم،ففصله ببيان ذلك لمحمد وأمته.

والمتشابه هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور،فقصة باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني،وقصة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني.

ذكر من قال ذلك:حدثني يونس قال أخبرنا بن وهب قال:قال ابن زيد وقرأ:﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾(هود ١)قال:وذكر حديث رسول الله في أربع وعشرين آية منها(أي من سورة هود)وحديث نوح في أربع وعشرين آية منها،ثم قال:﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾(هود ٤٩)،ثم ذكر:﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾(هود ٥٠)،فقرأ حتى بلغ:﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾(هود ٥٢)،ثم مضى ثم ذكر صالحا وإبراهيم ولوطا وشعيباً وفرغ من ذلك،وهذا يقينٌ،ذلك يقين:﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾.

قال:والمتشابه ذكر موسى في أمكنة كثيرة وهو متشابه،وهو كله معنى واحدٌ،وهو متشابه:﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا﴾(المؤمنون ٢٧) ﴿ٱحۡمِلۡ فِيهَا﴾(هود ٤٠)،﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ﴾(القصص ٣٢)﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ﴾(النمل ١٢)،﴿حَيَّةٌ تَسۡعَىٰ﴾(طه ٢٠) ﴿ثُعۡبَانٌ مُّبِينٌ﴾(الأعراف ١٠٧، الشعراء ٣٢).

---

(١)هو:عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني،صاحب قرآن وتفسير،له كتاب في التفسير وفي الناسخ والمنسوخ،مات سنة(١٨٢هـ).انظر،الفهرست لابن النديم ص ٣١٥،سير أعلام النبلاء ٣٤٩/٨.

قال:ثم ذكر هودا في عشر آيات منها،وصالحا في ثماني آيات منها،وإبراهيم في ثماني آيات أخرى،ولوطا في ثماني آيات منها،وشعيباً في ثلاث عشرة آية،وموسى في أربع آيات،كل هذا يقضي بين الأنبياء وبين قومهم في هذه السورة،فانتهى ذلك إلى مائة آية من سورة هود،ثم قال:﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ۝١٠٠﴾(هود ١٠٠).

وقال:في المتشابه من القرآن من يرد الله به البلاء والضلالة يقول:ما شأن هذا لا يكون هكذا وما شأن هذا لا يكون هكذا؟»[(١)].

لقد نبه ابن أسلم-رحمه الله-إلى المتشابه اللفظي،وذكر نوعاً واحداً منه وهو الإبدال في المفردات،فهو بذلك يمثل فيدلل بما ذكر على ما غبر.

ولمزيدٍ من الإيضاح لمفهوم المتشابه اللفظي فإني أسوق أقوال أصحاب الكتب المصنفة في توجيهه،فهم أولى من يسعى في بيانه:

لقد ذكر الخطيب الإسكافي-رحمه الله-سبب تصنيفه لمصنفه بأنه مذ كان يقرئ القرآن كانت تدعوه دواع قوية،يبعثها نظرٌ وروية«في الآيات المتكررة،بالكلمات المتفقة والمختلفة،وحروفها المتشابهة المتعلقة والمنحرفة،تطلباً لعلامات ترفع لبس إشكالها،وتخص الكلمة بآيتها دون أشكالها»[(٢)].

إن الذي يظهر من كلام الخطيب السابق أنه يقصد بتصنيفه بيان المتكرر مع اختلاف الألفاظ،لا المتكرر الذي لم تختلف ألفاظه،وقوله:«بالكلمات المتفقة والمختلفة»أي أن الآيات المتشابهة يكون فيها من الكلمات متفق ومختلف،يؤكد ذلك أنه قال بعد ذلك:«ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقاناً،وصار لمبهم المتشابه وتكرار المتكرر تبياناً»[(٣)]،وهذا هو المتشابه عنده،وقد صرح-رحمه الله-بذلك في أول البقرة،فقال:«الآية الحادية عشرة في هذه السورة مفارقة للآي التي شرطنا الفرق بينها وبين ما خالفها بلفظ

---

(١)جامع البيان ٥/١٩٧-١٩٨.

(٢)درة التنزيل ١/٢١٧-٢١٨،ولم يتبين لي قصده بالحروف المتعلقة والمنحرفة.

(٣)السابق ١/٢١٨-٢١٩.

يسير من الآية التي بإزائها غير أنها مثلها في التكرار،والحاجة إلى ذكر الفائدة في إعادتها،وهي قوله تعالى:﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾(البقرة ١٣٤)»[(١)] فقد تكررت هذه الآية نفسها في الآية(١٤١)،وهو بكلامه هذا كأنه يبين سبب مخالفته شرطه،علماً بأنه خالفه في مكررٍ غير هذا[(٢)]،ويتبين من هذا أن المتشابه عند المصنف هو المكرر مع التغاير،والله أعلم.

وأما الكرماني-رحمه الله-فقال في مقدمة كتابه:«فإن هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة،ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان ،أو تقديم أو تأخير،أو إبدال حرف مكان حرف،أو غير ذلك مما يوجب اختلافاً بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان،وأبين ما السبب في تكرارها ،والفائدة في إعادتها،وما الموجب للزيادة والنقصان،والتقديم والتأخير والإبدال،وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى،وهل كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا؟»[(٣)].

يتضح من كلام الكرماني السابق أن المتشابه عنده هو المكرر المختلف في ألفاظه،ولم يحصر أسباب الاختلاف،بل مثل ثم جعل الباب مفتوحاً بعد ذلك.

ومما ينبغي التنبيه إليه:أن الكرماني لا يعد كل اختلاف تشابها،بل المتشابه عنده هو ما كثر اللبس فيه،وإن كان هو لا يقتصر في توجيهه على المتشابه فقط،يقول عند سورة الأحزاب:«وذهب بعض القراء إلى أنه ليس في هذه السورة ما يذكر من المتشابه،وبعضهم أورد فيه كلمات وليس في ذلك كثير تشابه،بل قد يلتبس على الحافظ القليل البضاعة،وعلى الصبي القليل التجارب،فأوردتها إذ لم تخل من فائدة،وذكرت مع بعضها علامة يستعين بها المبتدئ في تلاوته»[(٤)].

---

(١)درة التنزيل ٢٨٨/١.

(٢)انظر السابق ١٢٣٧/٣-١٢٤٦/٣،١٣١٤، ١٣١٩/٣-١٣٢٧، ١٣٢٨/٣، ١٣٦٨/٣.

(٣)البرهان في توجيه متشابه القرآن ص ١٩-٢٠.

(٤)البرهان في توجيه متشابه القرآن ص ١٥٥،هذا مع أن البرهان من أكثر المصنفات التي استوعبت.

وأما أبو جعفر ابن الزبير-رحمه الله-فقد سمى كتابه:"ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل" فسماه متشابه اللفظ،وقد بين في مقدمته مفهومه لهذا الفن بقوله:«وإن من مغفلات مصنفي أئمتنا-رضي الله عنهم-في خدمة علومه،وتدبر منظومه الجليل ومفهومه،توجيه ما تكرر من آياته لفظاً أو اختلف بتقديم أو تأخير وبعض زيادة في التعبير»[(١)].

لقد ذكر ابن الزبير أنه يتناول المكرر الذي لا يختلف«وقد تابع ابن الزبير الإسكافي في إيراده لهذا الضرب،إلا أنه جعله شرطاً للكتاب خلافاً لسلفه»[(٢)]،وهذا المكرر غير المختلف قسيمٌ عنده للمكرر المختلف.

وقد ذكر ابن جماعة-رحمه الله-في مقدمة كتابه كشف المعاني سبب تأليفه كتابه بأنه:«ربما لهج بعض فضلاء الحاضرين بمسائل حسنة غريبة،وسأل عن مناسبات ألفاظها لمعانيها العجيبة..من اختلاف ألفاظ معان مكررة ،وتنويع عبارات فنونه المحررة،ومن تقديم وتأخير ،وزيادة ونقصان،وبديع وبيان،وبسيط واختصار،وتعويض حروف بحروف أغيار»[(٣)]،فكان غرضه بيان الأسرار البلاغية للأسئلة الواردة،ومن هذه الأسرار ما يتعلق بالمتشابه،فالكتاب يشمل المتشابه وغيره.

وقال الأنصاري-رحمه الله-:«فهذا مختصر في ذكر آيات القرآن المتشابهات،والمختلفة بزيادة،أو تقديم،أو إبدال حرف بآخر،وغير ذلك مع بيان سبب الاختلاف،وفي ذكر غير المختلفة مع بيان سبب تكراره،وفي ذكر أنموذج من أسئلة القرآن العزيز وأجوبتها،صريحاً أو إشارةً»[(٤)].

لقد حدد الأنصاري ما قصده في كتابه في ثلاثة أمور:

الأول:المتشابه،وهو عنده المكرر المختلف.

الثاني:المكرر غير المختلف.

---

(١)ملاك التأويل ١/١٤٤-١٤٥.

(٢)المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند ابن الزبير ص ٢١.

(٣)كشف المعاني ص ٨٦.

(٤)فتح الرحمن ص ١٣٧-١٣٨.

الثالث:ما يحتاج إلى بيان من غير ذلك،ولهذا فقد سمى كتابه"فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن"ليشمل كل هذه الأمور.

وقد حدد مفهوم المتشابه أيضاً بعض من ألف في علوم القرآن:

يقول الزركشي-رحمه الله-:«وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة،ويكثر في إيراد القصص والأنباء»[(١)]

وليس مقصود الزركشي رحمه الله قصر المتشابه على القصص القرآني؛لأنه جعله كثيراً فيه لا قاصراً عليه،والأمثلة التي مثل بها-رحمه الله- تدل على ذلك،والتشابه اللفظي واقع أيضاً في غير القصص وقد تكلم العلماء عليه.

ولعلنا بعد أن اتضح مفهوم المتشابه اللفظي،نستطيع أن نعرفه اصطلاحاً بتعريفٍ يجري على ما هو المعروف من شرطي الجمع والمنع اللازمان للتعريف.

فأعرّفُه اصطلاحاً:بأنه الآيات المتكررة في موضوع واحد متقارب المعنى مع اختلاف في لفظها أو نظمها أو كليهما.

وإنما قلنا:إنها متقاربة المعنى؛لأن التغاير بينها في اللفظ أو النظم يلزم منه تغاير في المعنى،والتغاير في اللفظ يشمل كل تغاير في الحركة والحرف والكلمة،والتغاير في النظم يشمل كل تصرف في بناء الجملة أو الجمل،والله أعلم.

---

(١)البرهان في علوم القرآن ١/١١٢،ونحوه السيوطي ،انظر الإتقان ٢/٩٩٥-٩٩٦، معترك الأقران ١/٦٦.

المبحث الثاني: أنواع المتشابه اللفظي في القرآن.

المبحث الثاني:أنواع المتشابه اللفظي في القرآن.

إن تصور أنواع المتشابه هو في حقيقته تصورٌ للأسس العلمية التي يقوم عليها المتشابه اللفظي في القرآن،ولقد حرصت على إرجاع هذه الأنواع لأصولها العلمية،التي تبنى عليها،لعلمي أن النظر في أنواع المتشابه بهذا الاعتبار هو أول مفاتيح توجيهه.

كما تتبين لنا أهميته إذا علمنا بأن التصنيف في المتشابه اللفظي إلى أنواع كان في وقت مبكرٍ جداً،وقد كان من البديهي أن يحاول العلماء-وهم أمام هذا الكتر الضخم منه في كتاب الله تعالى-إرجاعه إلى أنواعه،ذلك أننا نجد محاولةً قديمةً جداً لابن المنادي-رحمه الله-[(١)] في كتابه (متشابه القرآن العظيم)،بل لعلنا نقول:إن هذه المحاولة كانت قبل هذا بكثير؛لأن ابن المنادي قد اجتمع عنده ثلاثة كتب في المتشابه كما يقول،أحدها لخلف بن هشام أحد القراء العشرة[(٢)]،والآخران لمؤلفين مجهولين،فنظر فيها ثم قسم المتشابه لأنواعه،وفي كلامه ما يشير إلى أن ذلك كان امتداداً لجهد من سبقه،حيث يقول:«فأجمع-حين أشرفت على ذلك-فيه الرأي أن أخلط بعض كتبهم ببعض،وأستل منها لبابها،فأقسمه تسعة أقسام»[(٣)].

ولم تستوعب هذه الأقسام جميع أنواع المتشابه،بل ولم تسر على نظام واحد ،فقد كان القسمان الأولان أقرب إلى الأمثلة منهما إلى التقسيم،وهذا حال البداية دائماً،ثم إننا نجد جهداً آخر،وطريقة أخرى في التقسيم عند ابن الجوزي-رحمه الله-[(٤)]،فقد جعل المتشابه في ثلاثة أنواع فقط،أحدها:إبدال كلمة بكلمة أو حرف بحرف،الثاني:الزيادة

---

(١)هو:أحمد بن جعفر بن محمد بن المنادي،مقرئ جليل أخذ عن اليزيدي وغيره،له تصانيف كثيرة،مات قبل سنة(٣٢٠هـ)كما قال الداودي،وعند غيره سنة (٣٣٦هـ)وفي السير مولده سنة(٢٥٧هـ)تقريباً.انظر طبقات المفسرين ٣٣/١،الوافي بالوفيات ٢٩٠/٦،السير ٣٦١/١٥.

(٢)خلف بن هشام بن ثعلب البزّار،أحد القراء العشرة،روى عن حمزة،ولد سنة (١٥٠هـ)،ومات سنة (٢٢٩هـ).انظر معرفة القراء الكبار ٢٠٨/١،السير ٥٧٦/١٠.

(٣)متشابه القرآن العظيم ص ٦٢-٦٣.

(٤)هو:أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي،اشتهر بالوعظ له تصانيف كثيرة،له في التفسير زاد المسير،خاض في التأويل عفا الله عنه،مات سنة (٥٩٧هـ).انظر الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٩/٣ السير ٣٦٥/٢١.

والنقصان في الحروف والكلمات،الثالث:التقديم والتأخير،وضرب لها أمثلة كثيرةً،دون أن يعنى بتوجيهها،وهذا بالطبع تقسيم ناقص وإن كان معظم المتشابه يرجع إليه كما يظهر ذلك من الأمثلة الكثيرة التي مثل بها ابن الجوزي[(١)].

و لبدر الدين الزركشي-رحمه الله- تقسيم مشهور في كتابه البرهان[(٢)]،فقد قسمها إلى ثمانية أقسام،إلا أنه أيضاً فرق بين ما اتفق،فالأول عنده :ما يكون على نظم وفي آخر على عكسه،والثالث عنده:التقديم والتأخير،وهو عين الأول،ولهذا فقد قال :«وهو قريب من الأول»[(٣)]،وترك أنواعاً لم يذكرها وليست تدخل تحت ما ذكره،على أنه -رحمه الله- قد عني بتوجيه بعضها،كما أنه تعرض للمتشابه في مواضع أخرى من كتابه،تحت أنواعٍ أخرى من علوم القرآن،غير نوع المتشابه[(٤)].

وقد استوعب د.رشيد الحمداوي[(٥)] -فيما يظهر لي-تقسيمات من سبقه،وتحاشى ما فيها من التكرار،وأضاف إليها ما أغفلت،وضرب لذلك الأمثلة،على أنني أضيف بعض ما أغفله،كما أنني أخالفه في بعض التقسيم،والمتحصل عندي من أنواع المتشابه عشرة أنواع،تحت بعضها أقسام،ضربت لكلها الأمثلة،على أن يكون المثال الأول من المتشابه عموماً والمثال الثاني والثالث من متشابه القصة خاصةً -ما استطعت لذلك سبيلاً-،هذا مع أنه قد يكون في الآية مثالاً لأكثر من نوع.وإليك هذه الأنواع:

النوع الأول:التشابه بالتقديم والتأخير ويندرج تحت ذلك أربعة أقسام:

١-تقديم كلمة وتأخيرها:

مثاله قول الله تعالى في سورة القصص (آية:٢٠):﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾،وفي يس (٢٠)قال:﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾.

---

(١)انظر فنون الأفنان ص ٤٢٠-٤٧٧.

(٢)انظر البرهان في علوم القرآن ١/١١١-١٥٥.

(٣)البرهان ١/١٢٠.

(٤)انظر مثلاً البرهان ٣/٢١٦، ٢٨٤.

(٥)المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند أبي جعفر بن الزبير ص ٣٥-٤٨.

ومن متشابه القصة:قال تعالى في البقرة (آية٦٢):﴿ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾،وفي الحج (آية١٧) قال تعالى :﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾.

وقال تعالى في الأعراف(آية ١٢٢):﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾،وفي الشعراء (آية ٤٨):﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾،وأما طه فقال:﴿بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾.

٢-تقديم جملة وتأخيرها:

مثاله،قال في الأنعام (آية١٠٢):﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾،وفي غافر (آية٦٢) قال:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ﴾.

ومن متشابه القصة:قول الله تعالى في البقرة(آية٥٨) :﴿ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾،وفي الأعراف(آية١٦١)قال:﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾.

٣-الاختلاف في ترتيب بعض المتعاطفات:

مثاله قال تعالى في سورة المعارج (الآيات١١، ١٢):﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾﴾،بينما كان الترتيب في سورة عبس (الآيات٣٤-٣٦) عكس ذلك،فقال تعالى:﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾.

٤-تقديم الضمير وتأخيره:

مثاله:قول الله تعالى في البقرة (آية ١٧٣):﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ ﴾،بينما كانت في المائدة (آية ٣)،وفي الأنعام (آية ١٤٦)،وفي النحل (آية ١٧٥):﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾.

وقول الله تعالى في آل عمران(آية١٢٦):﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾،وفي الأنفال (آية ١٠):﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾.

وقول الله تعالى في النحل (آية ١٤):﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾،بينما قال في فاطر(آية ١٢):﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾.

إن هذا النوع بأقسامه كما هو ظاهر يرجع إلى باب التقديم والتأخير،واتصاله بالجملة أو بالجمل،وهو باب له شأنه عند العرب.

قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني [(١)] -رحمه الله-:«هو باب كثير الفوائد ،جم المحاسن ،واسع التصرف،بعيد الغاية ،لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعة،ويفضي بك إلى لطيفة...واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام.قال صاحب الكتاب:(كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى،وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم) [(٢)] ...وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال:"إنه قدم للعناية،ولأن ذكره أهم"،من غير أن يُذْكر، من أين كانت تلك العناية؟وبم كان أهم ؟» [(٣)] .

ويزيد السهيلي [(٤)] الأمر بياناً في تعليقه على كلام سيبويه في التقديم -رحم الله الجميع-إذ يقول عن كلام سيبويه:«وهو كلام مجمل يحتاج إلى بسط وتبيين ،فيقال :متى يكون أحد الشيء أحقَّ بالتقديم ويكون المتكلم ببيانه أعنى؟.

---

(١)هو :عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ،شيخ العربية،أخذ النحو عن ابن أخت أبي علي الفارسي،كان شافعياً،أشعرياً،ورعاً ديناً،له:دلائل الإعجاز،وأسرر البلاغة وغيرها توفي سنة:(٤٧١هـ)وقيل (٤٧٤هـ).انظر بغية الوعاة ١٠٦/٢،سير أعلام النبلاء ٤٣٢/١٨.

(٢)الكتاب ٣٤/١.

(٣)دلائل الإعجاز ص ١٠٦-١٠٨،بتصرف يسير.

(٤)هو:أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي ولد سنة(٥٠٨هـ)كان مكفوفاً،له:الروض الأنف،ونتائج الفكر وغيرها،مات سنة(٥٨١هـ).انظر وفيات الأعيان ١٤٣/٣،الوافي بالوفيات ١٧٠/١٨.

والجواب:أن هذا أصل يجب الاعتناء به،لعظم منفعته في كتاب الله تعالى ،وحديث رسول الله ﷺ،إذ لا بد من الوقوف على الحكمة في تقديم ما قدم وتأخير ما أخر... وليس شيء من ذلك يخلوا عن فائدة وحكمة... وما تقدم من الكلام فتقديمه في اللسان على حسب تقدم المعاني في الجنان،والمعاني تتقدم بأحد خمسة أشياء:١-إما بالزمان،٢-وإما بالطبع،٣-وإما بالرتبة،٤- وإما بالسبب،٥-وإما بالفضل والكمال.فإذا سبق معنىً من المعاني إلى الخَلَد والفكر بأحد هذه الأسباب الخمسة،أو بأكثرها ،سبق اللفظ الدال على ذلك المعنى السابق،وكان ترتُّب الألفاظ بحسب ذلك.نعم وربما كان ترتب الألفاظ بحسب الخفة والثقل لا بحسب المعنى»[(١)] .وهذا الأخير سبب سادس من أسباب التقديم ،ولكنه سبب لفظي كما ترى،ولهذا فإن المصنف لم يرضه للقرآن سبباً منفرداً؛فإنه بعد أن ضرب له مثلاً بتقديم الجن على الإنس،قال:«وأما في القرآن فلحكمة أخرى سوى هذه قدم الجن على الإنس في الأكثر والأغلب»[(٢)] .

إن هذه الأسباب التي حصر بها الإمام السهيلي-رحمه الله-أسباب التقديم،هي مفاتيح وقواعد من قواعد العلم يلج بها من أراد التماس المعاني الدقيقة لأسباب التقديم،لكن لا تنحصر أسباب التقديم بها[(٣)] .

قال د.محمد أبو موسى :«ويعد التقديم مظهراً من مظاهر كثيرة تمثل قدرات إبانة أو طاقات تعبيرية يديرها المتكلم اللقن إدارة حية وواعية،فيسخرها تسخيراً منضبطاً للبوح بأفكاره،وألوان أحاسيسه،ومختلف خواطره،ومواقع الكلمات من الجملة عظيمة المرونة

---

(١)نتائج الفكر ٢٦٦-٢٦٧ بتصرف يسير.

(٢)نتائج الفكر ٢٦٧.

(٣)وقد قال الزركشي :"ومقتضياته كثيرة ،قد يسر الله منها خمسا وعشرين"،ولقد ساق ابن القيم -رحمه الله- كلام السهيلي بتمامه في كتاب بدائع الفوائد،ودرس أمثلته،وأضاف من أسرار التقديم بما فتح الله عليه،واستدرك على السهيلي بعض ذلك ،فانظره في البدائع ١/٥٧-٧٥.والبلاغيون يدرسون التقديم في المسند إليه،وفي المسند، وفي المتعلقات،وفي تقديم بعض المعمولات على بعض.انظر دلائل الإعجاز ١٠٦-١٤٥،المطول٢٥٢-٢٨١ ،٣٥٣-٣٦١ ،٣٧٢-٣٨١،بغية الإيضاح ١/٩٠-١٠٩ ،١٦١-١٧٦،١٦٣-١٨٥،دلالات التراكيب ١٧٠-١٨٥،خصائص التراكيب ٢٢٠-٢٤١، ٣١١-٣١٧ ،٣٦٤-٣٧٣.

كما هي شديدة الحساسية،وأي تغيير فيها يحدث تغييرات جوهرية في تشكيل المعاني،وألوان الحس،وظلال النفس.

تدرك هذا في مثل تلك الأمثلة المؤلفة في مثل قولهم :زيد جاءني،وجاءني زيد،تقول زيد جاءني ،إذا أردت أن تفيد فوق الإخبار بالمجيء ضرباً من الاهتمام بزيد،والحفاوة بأمره،وتوكيد تلك الحقيقة لسامعك لأهميتها ،أو لأنه على حال لا يتوقع مجيء زيد،وما شابه ذلك من تلك الألوان النفسية التي يبوح بها تقديم المسند إليه.

فإذا قلت :جاءني زيد ،انقطع هذا الفيض من الهواجس والخواطر وكان كلاماً مرسلاً ،يجري في سياق خال من تلك النبضات التي جرى فيها السياق الأول»[(١)] .

قلت:وكلامه إنما هو في الكلام عموماً،ولله تعالى في كلامه المثل الأعلى،ثم إن غرض الاهتمام والذي ضرب له الأستاذ مثالاً بتقديم المسند إليه قد التمس له أوجهاً عدة،هي ضروبٌ من ضروب الاهتمام،وهو بالتماسه لهذه الأوجه يسعى في بيان وجه الاهتمام ومحط العناية كما ذكر عبد القاهر،وقد يكون وجه الاهتمام جميعها أو بعضها أو غيرها،ولهذا فإنه قد جعل الباب مفتوحاً لغير هذه الضروب،والذي يحدد ذلك هو السياق في كل نصٍ بحسبه،وهذا محل درسه تحليل النصوص،من الدراسة التطبيقية.والله أعلم.

ولكن ثمت مسألة مهمة تتعلق بهذا النوع،وهي مسألة التقديم لمراعاة الفاصلة[(٢)] ،والتي يسميها بعضهم سجعاً.

وقد تكلم الناس في هذه المسألة حتى كانوا طرفي نقيض،فأفرط بعضهم،«حتى إن ابن الأثير لم يجد حرجاً في تغيير السبك،ومخالفة الأصل في ترتيب الألفاظ من أجل حسن النظم السجعي،فقال رداً على الزمخشري،الذي ذهب إلى أن تقديم المفعول للاختصاص في قوله تعالى :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾،قال ابن الأثير :(فإنه لم يقدم المفعول فيه للاختصاص،وإنما قدم لمكان نظم الكلام،لأنه لو قال :نعبدك ونستعينك لم يكن له من الحسن ما لقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾.ألا ترى أنه

---

(١)دلالات التراكيب ص ١٧٠.

(٢)"وهي كلمة آخر الآية"البرهان ٥٣/١ ،وانظر الإتقان ٩٤٠/٢.

تقدم قوله تعالى :﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾،فجاء بعد ذلك قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾،وذلك لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النون،ولو قال :نعبدك ونستعينك لذهبت تلك الحلاوة وزال الحسن)»[(١)] .

وممن ينسب له نفي السجع في القرآن الباقلاني[(٢)] ولكن هل هذا حقيقة قوله فعلاً؟

يقول د.محمد أبو موسى:«إن السجع الذي ينكر الباقلاني وقوعه في القرآن هو بحق غير واقع في القرآن،لأن السجع عند الباقلاني ما كان (متكلفاً يتبع المعنى فيه اللفظ)وهذا ليس في القرآن منه شيء وأيضاً(ما كان مستجلباً لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى)وهذا ليس في القرآن منه شيء...ويسمي الباقلاني هذا النظام الذي يسميه المخالفون سجعاً يسميه هو فاصلة،وهو كلام لم يتفرد به الباقلاني،لأن إطلاق السجع على آيات القرآن ليس مقبولاً عند الجمهور ،بل هناك من يكره وصف الكلام بالسجع-فضلاً عن القرآن-وذلك لأنه من أوصاف الكهانة»[(٣)] .

---

(١)من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية ص ٥-٦،وانظر كلام الزمخشري في الكشاف ١٣/١،وكلام ابن الأثير في المثل السائر ٢١٢/٢.

(٢)هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني،ولد سنة ٣٣٨هـ،إليه انتهت رئاسة المالكية في وقته،مات في ذي القعدة سنة ٤٠٣هـ.انظر سير أعلام النبلاء ١٩٠/١٧-١٩٣،وفيات الأعيان ١٦٩/٤.

(٣)الإعجاز البلاغي ص١٩٥،وانظر كلام الباقلاني في إعجاز القرآن ص٧٧،وكان من أوصاف الكهانة للحديث الذي رواه البخاري في كتاب الطب،باب الكهانة الفتح ٢٢٦/١٠برقم:(٥٧٥٨) ومسلم كتاب القسامة ،باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ وشبه العمد على عاقلة الجاني ص ٦٩٧ برقم (١٦٨١):"أن رسول الله ﷺ قضى في الجنين يقتل في بطن أمه بغرّة: عبد أو وليدة.فقال الذي قضى عليه رسول الله ﷺ :كيف أغرم ما لا أكل ولا شرب ولا نطق ولا استهل،ومثل ذلك يطل.فقال رسول الله ﷺ:إنما هذا من إخوان الكهان"،هذا أحد ألفاظ البخاري ،وفي مسلم زيادة:"من أجل سجعه الذي سجع"،وفي رواية أخرى :"أسجعٌ كسجع الأعراب".قال ابن عبد البر-رحمه الله-:"وقد زعم قوم أن في هذا الحديث ما يدل على كراهية التسجيع.إنما كره رسول الله ﷺ تسجيع الهذلي في هذا الحديث؛لأنه كلام اعترض به صاحبه على رسول الله ﷺ،اعتراض منكر ،وهذا لا يحل لمسلم أن يفعله"،التمهيد ٤٨٨/٦،ثم ساق ابن عبد البر عدة أقوال من أقوال النبي ﷺ فيها سجع،انظر التمهيد ٤٨٩/٦-٤٩٠ ،وقال بعدها:"ومثل هذا كثير ،وفيه دليل على أن

وينسب كذلك للرماني[(١)]،ومن قوله:«والفواصل بلاغة والأسجاع عيب،وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها»[(٢)].

قال د.أبو موسى:«ومذهب الباقلاني الأشعري لم يخرج عن مذهب الرماني المعتزلي في هذه المسألة شيئاً»[(٣)]،«وهذا السجع الذي أثبته المعتزلة يدركه الباقلاني ويعلم أنه على بنية السجع ومثاله،ولكنه لا يسميه سجعاً،يقول :(قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعاً)وذلك لأن اللفظ فيه تابع للمعنى»[(٤)]،والسجع عنده كما سبق يتبع المعنى فيه اللفظ.

والذي يظهر بعد هذا -والعلم عند الله-:أننا وإن وجدنا بعض المتشابه،يظهر فيه مراعاة الفواصل،إلا أننا لا نعتقد أن هذه المراعاة هي المستقلة بالغرض،بل لا بد من أن يكون هناك غرض معنويٌ؛للأسباب التالية:

١-«أن من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين،فيجعل مفيداً في بعض الكلام ،وغير مفيد في بعض،وأن يعلل تارة بالعناية ،وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب ،حتى تطرد لهذا قوافيه ولذاك سجعه»[(٥)]،هذا قول عبد القاهر في كلام الناس،فكيف الشأن في كلام الله تعالى؟!.

حسن السجع حسن،وقبيحه قبيح ،كسائر الكلام المنظوم والمنثور".التمهيد ٤٩١/٦.وقال ابن حجر -رحمه الله-:"وقد تمسك به من كره السجع في الكلام،فليس على إطلاقه،بل المكروه منه ما يقع مع التكلف في معرض مدافعة الحق،وأما ما يقع عفواً بلا تكلف في الأمور المباحة فجائز".الفتح ٢٢٩/١٠.وانظر شرح مسلم للنووي١٩١/١١.

(١)هو :أبو الحسن،علي بن عيسى الرماني،كان معتزلياً فيه تشيع ،أخذ عن الزجاج وابن دريد،له مصنفات في التفسير والنحو واللغة والاعتزال،مات سنة(٣٨٤أو٣٨٢هـ).انظر وفيات الأعيان ٢٩٩/٣،السير ٥٣٣/١٦.

(٢)ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٩٧،وفي المطبوع:عجيب بدل عيب وهو خطأ،ومن نقل كلام الرماني من الأقدمين نقلها :عيب .كما في البرهان في علوم القرآن ٥٤/١.الإتقان ٩٤٢/٢.

(٣)الإعجاز البلاغي ص ١٩٧

(٤)الإعجاز البلاغي ص ١٩٦-١٩٧.وانظر كلام الباقلاني في إعجاز القرآن ص ٧٧.

(٥)دلائل الإعجاز ص ١١٠.

٢-أننا نجد من المتشابه بالتقديم والتأخير ما يكون منه فاصلة قد ظهر فيه مراعاة الفواصل،ومنه ما يكون غير فاصلة أصلاً،بل يكون التقديم والتأخير في أثناء الآية،فهل نقول إن ما حصل فاصلة،فهو لأجل التناسب اللفظي،وما لم يكن فاصلة نبحث له عن سبب معنوي؟ونكون قد تناقضنا حين ذلك،أو أن نقول :إنه عديم الفائدة،وهذا ما لا يحل لمسلمٍ أن يقوله أبداً.

مثال ذلك:تقدم ذكر خلق الأرض على السماء في سورة طه (آية٤)،فقال تعالى :﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤﴾،في حين أن آياتٍ كثيرةٍ تقدم فيها ذكر خلق السماء على الأرض[1]،فهل نقول إن الذي في سورة طه من أجل مراعاة الفواصل؛لأن قبلها:﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ ﴿تَخْشَىٰ﴾،وبعدها:﴿ٱسْتَوَىٰ﴾،﴿ٱلثَّرَىٰ﴾،وهكذا،ثم لا نبحث عن سبب معنوي لذلك؟.

في حين أننا نجد أن الأرض تقدمت على السماء و لم تكن فاصلة،مثاله :قول الله تعالى في سورة يونس (آية ٦١):﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾،وشبيهتها في سورة سبأ(آية ٣) على الأصل من تقدم السماوات.قال تعالى:﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

٣-أننا نجد الآية قد تقدم فيها لفظٌ،ومناسبة تقدمه للفاصلة ظاهرةٌ،لكننا في المقابل نجد أن تقدم هذا اللفظ في آية شبيهة ليس مقصوداً به مراعاة الفاصلة؛لأن الفواصل ليست على وفقه،وهنا هل نكتفي في الموضع المتوافق مع الفواصل بالإحالة على هذا السبب اللفظي فقط،بينما نبحث عن سبب معنوي للتقديم في الموضع الذي لم يتوافق مع الفواصل،أو نتركه غفلاً دون سبب لفظي ولا معنوي وهذا ما لا يكون؟!.

---

(١)مثل الآيات في:البقرة (١٦٤)،ق (٣٨)،الطور (٣٦)،إلى غير ذلك.

مثال ذلك :لقد كان أكثر آيات القرآن تقدم ذكر السماء أو السماوات على الأرض[(١)] ،ولقد تقدم ذكر الأرض على السماء في سورة إبراهيم (آية ٣٨)قال تعالى:﴿ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾،وهي هنا قد وقعت فاصلة؛لأن الفواصل بعدها:﴿ ٱلدُّعَآءَ ﴾،﴿ دُعَآءً ﴾.

لكن شبيهة هذه الآية في سورة آل عمران (آية ٥)قول الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝ ﴾، لم تقع فاصلة ؛لأن الفواصل قبلها:﴿ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾،﴿ ٱنتِقَامٍ ﴾،وبعدها الفواصل:﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾،﴿ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

٤-إنني أظن أن من يعمد إلى التعليل برعاية الفواصل،إنما يعمد إليها مضطراً حين لا يجد مسوغاً معنوياً لتوجيه المتشابه،ذلك أننا نجد أن الخطيب الإسكافي مثلاً ،وهو من أشهر من كتب في توجيه المتشابه اللفظي، يبحث عن الأسرار المعنوية لهذا المتشابه،ثم نجده أحياناً أخرى يلجأ إلى الاقتصار بالتوجيه لمناسبة الفواصل،وفي أحيانٍ أخرى حين لا يكون التقديم والتأخير فواصل آيات يعمد إلى أن لغة العرب واسعة في التقديم والتأخير،وفي حالةٍ رابعةٍ ينص على أنه لا بد من فائدة لكل تقديم وتأخير علمها من علمها وجهلها من جهلها[(٢)] .

٥-أننا نجد توجهاتٍ معنوية مقبولةٍ لما قيل له:إنه مما قصد به مراعاة الفاصلة،ونحن وإن كنا لا نجزم بصواب تلك التوجيهات؛لأنها محل اجتهاد،إلا أنها قد صدرت من علماء لم يكتفوا بالقول بمراعاة الفاصلة.وهذه التوجيهات تراها—بإذن الله- في الدراسة التطبيقية.

النوع الثاني:تشابه بالإبدال،ويندرج تحت ذلك قسمان:

١-إبدال حرف بآخر:

---

(١)قال صاحب كتاب من أسرار المغايرة ص ١١:" نجد ما يربوا على مائتي موضع تقدمت فيها السماء على الأرض...وتقدمت الأرض على السماء في ثلاثة عشر موضعاً ليس من بينها سوى موضعين وقعت السماء فيهما فاصلة.وموضع واحد وقعت فيه موطئة للفاصلة".

(٢)هذا ما تجده بأمثلته —بإذن الله-في المبحث الرابع من هذا الفصل.

مثاله في سورة الرعد (آية ٢) قال الله تعالى :﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾،فقد أبدل حرف الجر اللام ب(إلى) في سورة لقمان (آية ٢٩) فقال تعالى :﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

ومن متشابه القصة،قول الله تعالى في البقرة (آية ٥٨):﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾،فقد أبدل حرف العطف الفاء بحرف العطف الواو في الأعراف (آية ١٦١)فقال تعالى:﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾.

وأيضاً قول الله تعالى في الأعراف (آية ١٢٤):﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾،فقد أبدل حرف الجر الباء باللام في طه (آية ٧١)،والشعراء (آية ٤٩) فقال تعالى :﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾.

وهذا النوع من المتشابه ينبني على معرفة معاني الحروف،سواءٌ كانت حروف جر أو عطف.

قال ابن تيمية-رحمه الله-:« والعرب تضمن الفعل معنى الفعل وتعديه تعديته،ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض،كما يقولون في قوله:﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾(ص ٢٤)،أي:مع نعاجه، و:﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾(آل عمران ٥٢، الصف ١٤)،أي:مع الله ونحو ذلك.والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها إلى نعاجه،وكذلك قوله:﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾(الإسراء ٧٣)،ضمن معنى يزيغونك ويصدونك،وكذلك قوله:﴿وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾(الأنبياء ٧٧)

ضمن معنى نجيناه وخلصناه، وكذلك قوله:﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾(الإنسان ٩) ضمن يروى بها ونظائره كثيرة»[(١)].

قال الزركشي –رحمه الله-:«والبحث عن معاني الحروف مما يحتاج إليه المفسر ؛لاختلاف مدلولها،ولهذا توزع الكلام على حسب مواقعها،وترجح استعمالها في بعض المحال على بعض،بحسب مقتضى الحال»[(٢)].

ولهذا سيكون النظر فيها كل موطن بحسبه.

٢-إبدال كلمة بكلمة:

مثاله قول الله تعالى في سورة البقرة (آية ١٧٠):﴿ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾،فقد أبدل كلمة:﴿أَلْفَيْنَا﴾في البقرة،بكلمة:﴿وَجَدْنَا﴾في لقمان (آية ٢١)فقال تعالى:﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾.

ومن متشابه القصة قول الله تعالى في البقرة (آية ٤٩):﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾،فقد أبدل الفعل:﴿يُذَبِّحُون﴾ بالفعل:﴿يُقَتِّلُون﴾في سورة الأعراف (آية ١٤١)،فقال تعالى:﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾.

ومن متشابه القصة أيضاً قول الله تعالى في البقرة(آية ٥٨):﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾،وفي سورة الأعراف(آية ١٦١) قال تعالى:﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾.

---

(١)مجموع الفتاوى ٣٤٢/١٣.

(٢)البرهان في علوم القرآن ١٧٥/٤.

ومن الأمثلة السابقة نرى أن إبدال كلمة بكلمة على قسمين،قسم يكون فيه إبدال كلمة بكلمة أخرى غير مقاربة لها في المعنى كما في المثال الأخير،وقد يكون الإبدال لتقارب ما بين اللفظين من المعنى،كما في المثالين الأولين،وهذا القسم الثاني من الإبدال هو ما يسمى بالمترادف،وللعلماء فيه قولان:

القول الأول:القول بالترادف وبأنه من أسرار اللغة وثرائها.

القول الثاني:المنع من الترادف.

ولسنا هنا بصدد بسط هذه المسألة إلا بالقدر الذي يساعدنا على بيان ما نحن فيه ،ومن ثمَّ الصدور من هذا بالرأي المختار،والذي يترتب عليه النظر في كل ما جاء من المتشابه على هذه الشاكلة.

وقد لخص لنا ابن فارس -رحمه الله-هذه المسألة في كتابه الصاحبي في باب الأسماء كيف تقع على المسميات، حيث قال:«ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو: السيف والمهند والحسام.والذي نقوله في هذا:إن الاسم واحد وهو السيف وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى، وقد خالف في ذلك قوم فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إلى معنىً واحد وذلك قولنا: سيف وعضب ومهند.وقال آخرون ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر، قالوا: وكذلك الأفعال .نحو :مضى وذهب وانطلق وقعد وجلس ...وبهذا نقول ،وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب[(١)] واحتج أصحاب المقالة الأولى بأنه : لو كان لكل لفظة معنىً غير معنى الأخرى لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير عبارته»، ثم أجاب عن هذا الإشكال فقال :«ولسنا نقول : إن اللفظتين مختلفتان، فيلزمنا ما قالوه .وإنما نقول :إن في كل واحدة منهما معنىً ليس في الأخرى »[(٢)] .

ولعلنا هنا نسجل بعض الوقفات في هذه المسألة، ثم نبين الرأي المختار بعد ذلك :

---

(١)هو :أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم،إمام النحو،ولد سنة(٢٠٠هـ)،ثقة متواضع،له مصنفات منها "القراءات"و"معاني القرآن"،مات سنة(٢٩١هـ)قد أصم.انظر بغية الوعاة ٣٩٦/١، سير أعلام النبلاء ٥/١٤.

(٢)الصاحبي ص ٩٧-٩٩.

الوقفة الأولى :يظهر من الكلام السابق لابن فارس -رحمه الله-أنه ممن ينصر القول بمنع الترادف، وقد سبقه إلى هذا شيخه ثعلب(ت:٢٩١هـ)-كما صرح بذلك ابن فارس(ت ٣٩٥هـ)-وشيخ شيخه ابن الأعرابي[١] (ت:٢٣١هـ) ومثلهم أبو بكر الأنباري[٢] (ت:٣٢٨هـ).

ولكن الملاحظ أن كل هؤلاء الأئمة قد ورد عنهم ذكر بعض الألفاظ المترادفة ،وتجويز رواية الشعر بالمعنى كما فعل ابن الأعرابي[٣] ،بل قد ألف ابن فارس وابن الأنباري في الأضداد ،والاعتراف بالأضداد اعتراف بالترادف ؛لأن اللفظ الذي له ضد يكون رديفاً للشيء وضده.[٤]

الوقفة الثانية:أننا نجد أن بعض من اشتهر عنه القول بالترادف يعللون هذه المترادفات بالمعاني التي جعلتها تدل على تلك المسميات كما قد ذكر ابن جني -رحمه الله-أمثلة كثيرة لما هو عنده مما يتلاقى في المعاني على اختلاف الأصول والمباني وعللها بعللها[٥] ، وكما ذكر ذلك عن شيخه أبي علي الفارسي[٦] ،وهو ممن يقول بالترادف من مثل تعليله تسمية:سحاب من سَحَب؛لأنه يسحب أهدابه،وتسميته:حَبيٌّ من حبا يحبو،وكأن السحاب من ثقله يحبو حبواً.[٧] .

---

(١)محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي مولاهم النسابه،ولد سنة(١٥٠هـ)صاحب سنّة،له مصنفات كثيرة،انتهى إليه علم اللغة والحفظ،مات سنة(٢٣١هـ)وقيل غيرها.انظر بغية الوعاة ١٠٥/١،سير أعلام النبلاء ٦٨٧/١٠.

(٢)أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري النحوي،ولد سنة(٢٧١هـ)صاحب تصانيف،منها غريب الحديث،شرح الكافي،مات سنة(٣٢٨،وقيل٣٢٧هـ).انظر وفيات الأعيان ٣٤١/٤،السير ٢٧٤/١٥.

(٣) انظر الخصائص ٤٦٩/٢،وانظر الترادف في القرآن ص ٣٨.

(٤) انظر الترادف في القرآن الكريم ص٤٢، ٤٣.

(٥)انظر الخصائص ١٢٠/٢-١٢٣.

(٦)هو :أبو علي ،الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الفسوي،إمام النحو،اتصل بسيف الدولة،وله مصنفات كثيرة منها"الحجة للقراء السبعة"و"الإيضاح"و"الإيضاح"،وكان فيه اعتزال،مات سنة (٣٧٧هـ).انظر بغية الوعاة ٤٩٦/١ سير أعلام النبلاء ٣٧٩/١٦.

(٧)انظر الخصائص ١٢٨/٢.

ولم ينكر ابن سيده-رحمه الله-[(١)] وهو ممن ينصر القول بالترادف أن يكون لبعض الألفاظ المترادفة معان تستقل بها،بل غاية ما ذهب إليه أن وعد بأن يطلعنا على ألفاظ مترادفة لا زيادة معنى في واحد منها دون الأخرى،وقد مثل لذلك بقوله:ضربتك وما ضربت إلا إياك ونحوه ولا شك أن هذا ليس مما نحن فيه كما أنه منازعٌ فيما ذهب إليه من ذلك[(٢)].

وبهذا يظهر لنا أن ما يعلل به هؤلاء المثبتون هو عين ما يقول به أولئك المنكرون!

وعليه فلعل فصل القول في ذلك ما قاله عز الدين بن جماعة-رحمه الله-إذ يقول :«والحاصل أن من جعلها مترادفة ينظر إلى اتحاد دلالتها على الذات ، ومن يمنع ينظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى ؛فهي تشبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات »[(٣)].

قال ابن تيمية-رحمه الله-:«فإن الترادف في اللغة قليل،وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم،وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدى جميع معناه،بل يكون فيه تقريب لمعناه،وهذا من أسباب إعجاز القرآن»[(٤)]

ولما تقرر هنا:فإننا سوف نبحث في الفروق المعنوية بين هذه الألفاظ بالنظر المعجمي أولاً،ثم بعد ذلك نبحث عن السر في اختصاص كل موضع بما اختص به من اللفظ،وهذه مهمة السياق،وكل ذلك تراه-بإذن الله-في الدراسة التطبيقية.

٣-إبدال جملة بجملة،وقد يكون ذلك في خاتمة الآية وقد يكون في أثنائها :

مثال ما كان في خاتمة الآية:قول الله تعالى في سورة إبراهيم عليه السلام(آية ٣٤)﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾،وفي سورة النحل

---

(١)هو:أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي الضرير،يضرب بذكائه المثل،إمام في اللغة،له كتاب "المحكم والمحيط الأعظم"و"المخصص"،حط عليه السهيلي لعثرات في كتابه المحكم،واعتُذِرَ له بأنه لم يكن من أهل الفقه،مات سنة (٤٥٨هـ).انظر سير أعلام النبلاء ١٨/١٤٤،وفيات الأعيان ٣/٣٣٠.

(٢)انظر المخصص ١٣/٢٦٠.

(٣)نقله عنه السيوطي في المزهر ١/٤٠٥ ،وانظر الترادف في القرآن الكريم ص ٥٢.وكلام ابن فارس السابق يصب في هذا،ونحوه في الفروق ص ١٣.

(٤)مجموع الفتاوى ١٣/٣٤١،وانظر شرح ابن عثيمين لمقدمة التفسير لابن تيمية ص٥٧-٦٢.

(آية١٨)قال تعالى:﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

ومثالٌ من متشابه القصة: قول الله تعالى في سورة النمل (آية ١٠):﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾،وفي سورة القصص (آية ٣١) أبدلت خاتمة الآية،فقال تعالى :﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾.

ومن متشابه القصة وهو إبدال في أثناء الآية:قول الله تعالى في سورة الأعراف (آية ١٢٣):﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾،وفي طه(آية ٧١) بقوله تعالى :﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾،وكذا في الشعراء (آية ٤٩) بقوله:﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾. فأبدل قوله :﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾في الأعراف بقوله تعالى :﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾في السورتين:طه والشعراء.

وليس لهذا القسم أصل يرجع إليه،وإنما يكون النظر فيه في كل موضع بحسبه.

النوع الثالث:تشابه بالإثبات والحذف(الزيادة والنقصان)،ويندرج تحت ذلك ثلاثة أقسام:

١-ما يشتبه بإثبات حرف وحذفه:

مثاله:قول الله تعالى في سورة هود عليه السلام (آية ٧٧):﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾،وزاد حرف:﴿أن﴾ في سورة العنكبوت (آية ٣٣)فقال تعالى :﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾.

ومن متشابه القصة:قول الله تعالى في سورة الأعراف (آية ١١٤):﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾،وزاد في الشعراء(آية ٤٢) حرف:﴿إِذًا﴾،فقال تعالى :﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

ومثال آخر قول الله تعالى في البقرة (آية ٤٩):﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾.وفي إبراهيم عليه السلام (آية ٦)زيادة حرف:(واو) فقال تعالى:﴿إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾

٢-ما يشتبه بإثبات كلمة وحذفها:

مثال ذلك:قول الله تعالى في سورة البقرة (آية ١٩٣):﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾،وزاد في الأنفال(آية ٣٩) كلمة:﴿كُلُّهُۥ﴾، فقال تعالى :﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾.

ومن متشابه القصة:قول الله تعالى في سورة الأعراف (آية ١١٠):﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾،وزاد في الشعراء كلمة:﴿بِسِحْرِهِۦ﴾،فقال تعالى :﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

ومثال آخر:قول الله تعالى في سورة طه (٧٧):﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾،وفي الشعراء (آية ٥٢) قال تعالى:﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ

بِعِبَادِيَ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾،وزاد في الدخان (آية ٢٣) كلمة:﴿لَيْلاً﴾.،فقال تعالى:﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

٣-ما يشتبه بإثبات أكثر من كلمة وحذفها.

مثال ذلك:قول الله تعالى في سورة الحج (آية ٢٢):﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾،وفي سورة السجدة (آية ٢٠) حذف قوله:﴿مِنْ غَمٍّ﴾ فقال تعالى :﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾.

ومن متشابه القصة:قول الله تعالى في سورة الأعراف (آية ١٣٥):﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾،ففيها زيادة القيد :﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ عما في الزخرف (آية ٥٠)إذ يقول الله تعالى :﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

ومن متشابه القصة أيضاً:ما أثبته الله من زيادة التعليل في إرجاع الله موسى عليه السلام لأمه في سورة القصص(آية ١٣) عن المذكور في طه (آية ٤٠)،فقال في القصص:﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾،وقال في طه:﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾.

وهذا النوع بأقسامه متصل باللفظ كما ترى.على أنه قد يكون الأمر فيه متعلقاً بالجمل كما في المثال الأخير من القسم الأول،والنظر فيه سيكون في كل موطن بحسبه.

النوع الرابع:ما يشتبه بالجمع والإفراد .

مثاله:قول الله تعالى في سورة المؤمنون (آية ٩)﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾،وفي المعارج (آية ٣٤)أفرد،فقال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

ومثال آخر:قول الله تعالى في البقرة (آية ٨٠):﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾،وفي آل عمران (آية ٢٤) قال تعالى:﴿قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾.

ولم أر للعلماء في هذا ضابطاً ،أو أصلاً يكون عليه المعول إلا النظر في سياق الآيات،وما يقتضيه الحال في كل موطن[(١)] ،مع ما يضاف لذلك مما تؤديه هيئة الكلمة.

النوع الخامس:ما يشتبه بالتذكير والتأنيث.

مثاله:قول الله تعالى في سورة الأنعام (٩٠):﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾،وفي التكوير (آية ٢٧) ذكَّر فقال تعالى :﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

وقول الله تعالى في سورة هود في قصة صالح عليه السلام (آية ٦٧):﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾،وفي نفس السورة في قصة شعيب عليه السلام (آية ٩٤)قال تعالى :﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾،فقد أضاف تاء التأنيث للفعل في قصة شعيب عليه السلام،والفاعل واحد،والحاجز بين الفعل والفاعل في الموضعين واحد:﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾.

والكلام في هذا النوع من وجهين:

الوجه الأول:في جواز ذلك إعراباً،وبعض العلماء يكتفي في التوجيه على بيان جواز هذا الوجه،وسنده من لغة العرب[(٢)] .

---

(١)لقد ذكر الزركشي كثيراً من أمثلة هذا النوع في كتابه البرهان في علوم القرآن مع توجيهها،ولم يسلك في ذلك أصلاً معلوماً غير الذي ذكرت.انظر البرهان ٤/٦-٢٢.

(٢)انظر في توجيه المثال الثاني ملاك التأويل ٢/٦٦٠-٦٦١،في حين لم يكتف الإسكافي رحمه الله بهذا الوجه،انظر درة التنزيل ٢/٧٦٤-٧٦٥.

الوجه الثاني:النظر في المعنى المترتب على هذا التغاير،وهذا يبينه السياق.والله أعلم.

النوع السادس:ما يشتبه بالتعريف والتنكير.

مثال ذلك:قول الله تعالى في البقرة (آية ١٢٦) على التنكير:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾،وفي سورة إبراهيم عليه السلام(آية ٣٥) عرّف فقال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾.

ومن متشابه القصة:قول الله تعالى في سورة البقرة (آية ٦١):﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾،فقد عرّف:﴿ٱلْحَقِّ﴾،وفي آل عمران (آية ١١٢) نكّر فقال تعالى :﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

والنظر في هذا النوع متصل باللفظ،وقد التمس العلماء أسباب التعريف والتنكير، وساق الزركشي رحمه الله أسباباً عدة للتعريف والتنكير وضرب الأمثلة،ثم قال:«هذه الأمور إنما تعلم من القرائن والسياق»[(١)].وعلى هذه القاعدة سيكون النظر بإذن الله.

النوع السابع:ما يشتبه بالإظهار والإضمار ويندرج تحت ذلك قسمان:

١-وضع المظهر موضع المضمر :

مثاله:قول الله تعالى في سورة يونس (آية ٦٠):﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾،وفي سورة غافر (آية ٦١)أظهر فقال تعالى :﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

ومن متشابه القصة قول الله تعالى في سورة البقرة (آية ٥٩):﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا

---

(١)البرهان ٤/٩٣،وانظر بحثه لهذه القاعدة وأمثلتها ٤/٨٧-٩٣.

كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾،ففيها أظهر فقال:﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾،وقول الله تعالى في سورة الأعراف (آية ١٦٢):﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾،وهو إضمار كما ترى:﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾.

ومثال آخر أظهر الفاعل في سورة الأعراف (آية ١٢٤)،فقال تعالى:﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾،وفي سورتي طه (آية ٧١)،والشعراء (آية ٤٩) أضمر فقال تعالى :﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾.

قال الزركشي رحمه الله:«واعلم أن الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة ،وأصل المحدث عنه كذلك.والأصل أنه إذا ذكر ثانياً أن يذكر مضمراً للاستغناء عنه بالظاهر السابق»[(١)].فإذا كان الأصل هنا هو الإضمار،فالسؤال إذاً:لماذا عدل عنه إلى الإظهار؟.

والجواب أن هذا يحدده السياق ،وقد ذكر الزركشي رحمه الله سبعة عشر سبباً لهذا العدول بأمثلة مختلفة يكون النظر فيها للسياق[(٢)].ولكي تتبين دلالة السياق على معاني الإظهار،فإنه لا بد من النظر ابتداءً في دلالة هذا الاسم الظاهر وقبل كل شيء.

قال د.محمد أبو موسى-حفظه الله-:«أما وضع المظهر موضع المضمر فإنه يشير إلى معان قد يكون بعضها من خصوص دلالة الاسم الظاهر الذي أوثر وضعه موضع المضمر»[(٣)]،وأوثر وضعه كذلك موضع أي مظهرٍ آخر،ففي قوله تعالى مثلاً:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾(الأنعام)

---

(١)البرهان ٢/٤٨٤.

(٢)البرهان ٢/٤٨٥-٤٩٩.

(٣)خصائص التراكيب ص ٢٤٤.

كان «القياس (أنهم لا يفلحون)،ولو ذكر الظاهر لقال:(لا يفلح المفترون)،أو(الكاذبون) لكن صرح بالظلم تنبيهاً على أن علة عدم الفلاح الظلم»[(١)]،وقد يكون لعلة أخرى أيضاً.

وإذ قد تبين أصل مسألة وضع المظهر موضع المضمر،فإن الشأن في المتشابه وتوجيهه أدق وأعمق،والسبب:هو أن المتشابه له نظر خاص لأننا أمام موضعين خولف في أحدهما الأصل و لم تكن المخالفة في الآخر،فيلزمنا مع البحث في سر العدول عن الأصل البحث في سر بقاء الموضع الذي بقي على الأصل، ولماذا لم يعدل فيه كما عدل في نظيره؟،ولسنا أمام موضع واحدٍ نبحث فيه عن سر العدول فقط.

٢-الاختلاف في الضمائر:

مثاله:قول الله تعالى في سورة الأنبياء (آية٤٤):﴿بَل مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾،فكان الفعل مسنداً لناء الفاعلين الدال على العظمة،وفي سورة الزخرف(آية ٢٩)كان مسنداً لتاء الفاعل،فقال تعالى :﴿بَل مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾﴾.

ومثاله من متشابه القصة:قول الله تعالى في البقرة (آية ٥٥)،على أسلوب الخطاب:﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾،وقال تعالى في سورة النساء (آية ١٥٣)بأسلوب الغيبة:﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾.

ومثال آخر في سورة طه (آية ٤٠)كان كلام الله لموسى عليه السلام على أسلوب الخطاب فقال تعالى:﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾،وفي القصص (آية ١٣)كان على أسلوب الغائب ،فقال تعالى :﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾.

لقد درس البلاغيون التغاير في الضمائر بما سموه الالتفات،وهو عند جمهورهم:الانتقال في الكلام من أحد طرق الكلام الثلاثة-التكلم والخطاب والغيبة- إلى

---

(١)البرهان في علوم القرآن ٢/٤٩٣.

آخر بعد التعبير بالأول.وقول ثان أنه ما عُبِّرَ به بأحد الأساليب وحقه التعبير بغيره[(١)].وللالتفات فائدةٌ هي ضربة لازب لا تتخلف،وهو أن فيه تطرية للكلام وتنشيطاً للسامع وإثارة له في تلقي ما يسمع حين ينتقل من أسلوب إلى آخر،وأما الفوائد المعنوية فإنها «تختلف من أسلوب إلى أسلوب ولا يمكن أن نضبطها ونحدد مزاياها،والمهم في إدراكها هو حسن التأني،وصدق النظر والوعي بسياق الكلام ونوع المعنى»[(٢)]،وكذا جعل الزركشي له فوائد عامة وهو ما ذكر من تنشيط السامع،وفوائد خاصةً تختلف باختلاف محالّه ومواقع الكلام فيه[(٣)].

إن كلام البلاغيين في الالتفات إنما هو في النص الواحد ،أو في الكلام الواحد،والمتشابه مختلف عن هذا،صحيحٌ أن الآيات تتحدث فيه عن موضوع واحد ومعنى متقارب،إلا أنه يبقى أن التغاير فيه إنما هو بين موضعين مختلفين كما في الأمثلة السابقة،ولهذا فإني لا أستطيع أن أجرؤ على القول: بأن تغاير الضمائر في المتشابه هو من الالتفات،على أنك ترى عدولاً في الكلام حين تقارن بين الموضعين،وبعض البلاغيين يتوسع في الالتفات فيجعله في كل عدول في أسلوب الكلام حتى في الأفعال[(٤)]،وبعضهم يقرّب من الالتفات أموراً أخرى من الانتقالات من خطاب الواحد والاثنين والجمع إلى آخر منها[(٥)].

وأما ما ذكره العلماء من فائدة الالتفات العامة وهي التنشيط والتطرية فإني أظن أن لا وجود لها في المتشابه ؛لأن العدول لم يكن في نص واحد أو موضع واحد،ولكن يبقى جزء تلك الفائدة العامة وهو: إثارة التساؤل والاهتمام في البحث عن سر التغاير في

---

(١)انظر المطول ص ٢٨٦-٢٨٧،الطراز ١٣٢/٢،بغية الإيضاح ١١٤/١-١١٥،والقول الثاني تشتهر نسبته للسكاكي كما في المصادر السابقة.قال د.محمد أبو موسى:"والواقع أن المذهب المنسوب إلى السكاكي هو طريقة الزمخشري وارتضاها السكاكي وسار عليها".البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ٤٤٣.

(٢)خصائص التراكيب ص ٢٥٩بتصرف يسير.

(٣)البرهان في علوم القرآن ٣٢٦/٣.

(٤) وهو قول العلوي.انظر الطراز ١٣٢/٢.

(٥)انظر البرهان في علوم القرآن ٢٣٤/٣-٢٣٧.

الضمائر مع اتحاد الموضوع وتقارب المعنى بين النصين،وأما الفوائد الخاصة فإني سوف أتلمسها–بإذن الله–مهتدياً بهدي العلماء في تقريرهم لتلك الفوائد في بحثهم للالتفات.

النوع الثامن:الاختلاف بتغيير الصيغة الصرفية،وله عدة صور وقد ورد متشابه القصة على بعض هذه الصور ،ومن هذه الصور:

١–الإدغام والفك:

مثاله:في سورة النساء(آية ١١٥)بترك الإدغام:﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾،وبتركه كذلك في الأنفال(آية ١٣):﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾،وفي الحشر(آية ٤) بالإدغام:﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾.

وفي الأنعام(آية٤٢):﴿لَعَلَّهُم يَتَضَرَّعُونَ﴾بالفك،وفي الأعراف(آية ٩٤)بالإدغام:﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾.

قال ابن تيمية–رحمه الله–:«فزيادة اللفظ لزيادة المعنى،وقوة اللفظ لقوة المعنى»[(١)].وهنا لا زيادة في اللفظ،وإنما النظر في قوة المعنى أفي الإدغام أو في الفك؟

٢–التضعيف وعدمه:

مثاله–وهو من متشابه القصة– قول الله تعالى في سورة البقرة (آية ٤٩): ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾،ولم يضعف الفعل في سورة الأعراف (آية ١٤١):فقال تعالى:﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم﴾.

وقول الله تعالى في سورة البقرة (آية ٥٧) بترك التضعيف:﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾،وكذا في الأعراف (آية ١٦٠)قول الله تعالى:﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾،وفي طه (آية ٨٠) بالتضعيف فقال تعالى :﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾.

---

(١)الفتاوى ٥٣٧/١٦،وانظر الخصائص ١٥٢/٢-١٥٥.

ولا ريب أن المعنى يختلف باختلاف التصريف بالتضعيف من عدمه؛فإن صيغة :(فعّل)كما في هذه الأمثلة تفيد في الغالب التكثير، ولها معانٍ أخر، قال ابن الحاجب رحمه الله :«وفعّل للتكثير غالباً»[(١)] ، وأما صيغة :(أفعل)فإنها تفيد في الغالب التعدية ولها معانٍ أخر قال ابن الحاجب[(٢)] :«وأفعل للتعدية غالباً»[(٣)] .

قال سيبويه-رحمه الله-:«تقول :كَسَرْتُها وقَطَعْتُها،فإذا أردت كثرة العمل قلت :كَسَّرْتُه،وقَطَّعْتُه،ومَزَّقْتُه...واعلم أن التخفيف في هذا جائز كله عربي ،إلا أن فعَّلت إدخالها هاهنا ليتبين الكثير»،وأوضح السيرافي هذا:«يريد أن التخفيف قد يجوز أن يراد به القليل والكثير،فإذا شددت دللت على الكثير»[(٤)] .

٣-المجرد والمزيد:

مثاله قول الله تعالى في سورة البقرة (آية ٣٨):﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾،وفي طه (آية ١٢٣) قول الله تعالى :﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾.

ومن متشابه القصة:قول الله تعالى في سورة الأعراف(١١٢):﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾،وفي الشعراء(٣٧)قول الله تعالى:﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾.

فهنا زيادة في بنية الكلمة،ويترتب عليها زيادة في المعنى،والسياق يبين اختصاص كلٍ بما اختص به.

---

(١)الشافية في علم التصريف ص ٢٠.

(٢)هو:عثمان بن عمر بن الحاجب،نحوي أصولي فقيه،أخذ بعض القراءات على الشاطبي،وسمع من البوصيري،له الشافية والكافية وشرحها،وغيرها،مات سنة(٦٤٠هـ)،انظر الديباج المذهب ص ٢٨٩،البغية ص ١٣٤.

(٣)الشافية ص ١٩.

(٤)الكتاب ٦٤/٤ ،وقول السيرافي في الحاشية،وانظر الكتاب ٥٥/٤-٥٨ ،والسيرافي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه ص ١٦٦.

قال الزركشي-رحمه الله-:«واعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه؛فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً؛لأن الألفاظ أدلة على المعاني؛فإذا زيد في الألفاظ وجب زيادة في المعنى ضرورة»[(١)].

٤- الماضي والمضارع:

مثاله:جاء الفعل على صيغة المضارع في قول الله تعالى في سورة الحجر (آية ١٢):﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾﴾،وفي الشعراء (آية ٢٠٠)جاء الفعل على صيغة الماضي ،فقال تعالى :﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾﴾.

ومن المعلوم أن لكل نوع من الأفعال معناه،ويبقى النظر في السبب الذي جعل كل موضع يختص بما اختص به،وهذا ما يحدده السياق.

٥-ما يشتبه بالبناء للفاعل والبناء لما لم يسم فاعله:

مثاله من متشابه القصة:قول الله تعالى في سورة البقرة (آية ٥٨):﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾،فجاء الفعل بالبناء للفاعل،وفي الأعراف (آية ١٦١)جاء الفعل بالبناء لما لم يسم فاعله،فقال تعالى : ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾.

٦-ما يشتبه بالبناء على جمع السلامة والتكسير:

مثاله-وهو من متشابه القصة-:قول الله تعالى في سورة البقرة (آية ٥٨):﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾،على صيغة جمع التكسير ،وفي الأعراف (آية ١٦١) على صيغة جمع السلامة،فقال تعالى :﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾.

ومثال آخر:قول الله تعالى في سورة البقرة (آية ٦١):﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾،فقد جاء الجمع جمع مذكر سالم،وفي آل عمران (آية ١١٢) جاء جمع تكسير ،فقال تعالى:﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

---

(١)البرهان في علوم القرآن ٣/٣٤.

وهذا يرجع إلى التفريق بين جموع القلة والكثرة[(١)]،وقد يرجع إلى دلالة جمع السلامة ودلالة جمع التكسير،وفي الدراسة التطبيقية بيان ذلك-بإذن الله-.

النوع التاسع:ما يشتبه بالإجمال والتفصيل.

مثاله-وهو من متشابه القصة-:ذكر الله عدة المواعدة لموسى عليه السلام في البقرة (آية ٥١) مجملة،فقال تعالى:﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾،وبتفصيل العدة في الأعراف (آية ١٤٢)،فقال تعالى :﴿۞ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾.

﴿۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾(البقرة:٦٠)

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ (الأعراف:١٦٠).

فقد كانت آية البقرة مجملة فقد ذكر فيها آخر الأمر وهو استسقاء موسى عليه السلام ،وأما الأعراف فقد ذكر فيها أول الآمر وآخره،فقد ذكر استسقاء قوم موسى موسى عليه السلام،واستسقاؤه هو لقومه،المفهوم من استجابة الله لهم وسقيهم.

ولعل القول في توجيه هذا النوع من المتشابه يتم بالنظر للسياق الذي ورد فيه اللفظ المجمل،والسياق الذي ورد فيه اللفظ المفصل،كما سيتبين بعد-بإذن الله-في التوجيه.

---

(١)انظر في قاعدة الجموع الكتاب ٣/٤٩٠.

النوع العاشر:الاختلاف بالإضافة وعدمها.

مثاله:قول الله تعالى في سورة الحجر(آية ٣٥):﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾،فجاءت الآية خلية من الإضافة،وفي سورة ص (آية ٧٨) جاءت بالإضافة ،فقال تعالى:﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾.

ومثال آخر:قول الله تعالى في سورة طه(آية ١٣٠):﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾،فجاءت بالإضافة ،وفي سورة ق(آية ٣٩) جاءت الآية بالإطلاق ،فقال تعالى :﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾.

المبحث الثالث :أهمية علم المتشابه وفوائده.

وتحته مطلبان:

المطلب الأول:أهمية علم المتشابه اللفظي.

المطلب الثاني :فوائده.

المطلب الأول:أهمية علم المتشابه اللفظي.

لقد سبق وبينا أنواع المتشابه في القرآن،وبينا موقع المتشابه اللفظي من ذلك[(١)]،ولا شك أن لدراسة المتشابه بأنواعه أهمية بالغة،ولكن ليس الحديث هنا إلا عن أهمية المتشابه اللفظي؛لأنه هو موضوع البحث،وعليه يكون الاقتصار،وقد تبين أن أهمية علم المتشابه اللفظي تظهر في الأمور التالية:

أولاً:أنه ضربٌ من التفسير لكلام الله ،فهو بهذا يكتسب أهميته كما يكتسب التفسير أهميته.

ثانياً:كما تظهر أهمية هذا العلم العظيم علم المتشابه اللفظي في أنّه يظهر إعجاز القرآن الكريم ببلاغته النافذة التي عجز عنها أرباب البلاغة ،دالاً بذلك على صدق نبوة نبينا محمد ﷺ القائل:"ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر،وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة"رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة[(٢)].

ثالثاً:تتجلى أهمية علم المتشابه حين يتبين أن موقعه من دراسة كتاب الله موقع الغارب من السنام،ذلك أن أحوال النظر في بلاغة الكلام عموماً ثلاثة،وقد كان للنظر في بلاغة المتشابه من ذلك أدقها وأعمقها،والسبب هو:أن النظر فيه نظرٌ في الكلام الذي يشاركه في معناه غيره من الكلام،وببيان هذه الأحوال الثلاثة يظهر ذلك:

الحال الأولى:النظر في المفردات.

«والنظر في ملاءمة الكلمة لموقعها ووضع كل نوع من الألفاظ موضعه نظر قديم يرجع إلى ملاحظات الجاهليين في تحليل الشعر وتقويمه،فالنابغة حين يخاطب حسان في أبياته المشهورة:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرقٍ ... فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

---

(١)انظر ص ٨٨-٩٥ .

(٢)صحيح البخاري،كتاب فضائل القرآن،باب كيف نزل الوحي،٣/٣٣٦،برقم(٤٩٨١)،وصحيح مسلم،كتاب الإيمان،باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته،١/١٣٤،برقم(١٥٢).

ويقول له:لقد قلت "الجفنات"فقللت العدد،ولو قلت:"الجفان"لكان أكثر،وقلت:"يلمعن في الضحى"ولو قلت:"يبرقن بالدجى"لكان أبلغ في المديح؛لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً،وقلت:"يقطرن من نجدة دما"فدللت على قلة القتل.ولو قلت:"يجرين" لكن أكثر لانصباب الدم،وفخرت بمن ولدت و لم تفخر بمن ولدك،إنما يدرس ملاءمة المفردات،ووضع الكلمات موضعها،وينظر في اختيارها وفي أحوالها في الجمع والإفراد،وهذا درس في صميم مطابقة الكلمة لما يقتضيه مقامها الذي هو لب البلاغة»[(١)] .

وبهذا يظهر صواب ما ذكرناه من لزوم الدقة في نظر المتشابه،فإذا كان هذا حال أهل اللسان في تذوقهم للكلام،حين يرفضون استعمال اللفظ الشبيه؛لأنه لا يناسب المقام،فكيف يكون الحال إذا كان يلزم الناقد أن ينظر في الكلام وشبيهه ويبين الفضل في كلٍ،وليس له أن يرفض بعضها ولا أن يفضل بعضها على بعض؟!،فالمهمة هنا أصعب.

ومن المعلوم أن نقد النابغة السابق لم يكن لأن حسان ﷺ استعمل ألفاظاً مهجورةً،أو هزيلةً في ذاتها،بل لأنها لم تصب مواقعها من السياق،وقد تكون هذه المفردات التي جرى عليها النقد هي الصالحة دون سواها في سياقٍ آخر،«وهل تجد أحداً يقول: (هذه اللفظة فصيحة)،إلا وهو يعتبر مكانها من النظم»[(٢)] ،«فلو كانت الكلمة إذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ،وإذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها،دون أن يكون السبب في ذلك حالٌ لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم،لما اختلف بها الحال،ولكانت إما أن تحسن أبداً،أو لا تحسن أبداً»[(٣)] .

ثم إننا نرى أن دراسة المتشابه والسعي في توجيهه بالنظر لدلالة السياق،أكبر مؤكدٍ لهذه القواعد من قواعد العلم؛لأننا نرى فيه اللفظة المفردة وقرينتها قد حلت كل واحدةٍ في سياقها، لم يجز أن ينب بعضها عن بعض،و لم يقتصر على بعضها دون بعض.

ومن المتشابه أنواع يكون أول النظر فيها النظر في المفردة إما من حيث مادتها كإبدال كلمة بكلمة،أو من حيث هيئتها كالجمع والإفراد،واختلاف صيغ الأفعال.

---

(١)البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ١٢٩.

(٢)دلائل الإعجاز ص ٤٤.

(٣)السابق ص ٤٨.

الحال الثانية:النظر في صوغ الجملة ودلالات اختلاف الصوغ فيها.

إن الألفاظ المفردة لا تتبين فضيلتها إلا بالنظر في موقعها من الجملة،ولقد«كان النظر في صياغة الجملة ودلالات اختلاف الصوغ فيها موضع اهتمام البلاغيين والنحاة»[(١)].

قال الخطابي-رحمه الله-[(٢)]:«وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة :لفظ حامل،ومعنى به قائم،ورباط لها ناظم.وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه،ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه،وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها،والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها "[(٣)].

قال عبد القاهر-رحمه الله-:«اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو،وتعمل على قوانينه وأصوله»[(٤)].

إن كلام الإمامين هنا متقارب،ومن أنواع المتشابه ما يكون مفتاح النظر فيه النظر في أحوال الجملة،كنوع التقديم والتأخير مثلاً.

الحال الثالثة :النظر في الجمل.

قد نقول:إن النظر في المتشابه بجملته هو نظر في الجمل ،حصيلته المقارنة بينها وإظهار التمايز والفروق في المعاني،على أنه قد يكون النظر في الجمل على سَنَنِ النظر في الجملة،كالنظر في تقديم بعض الجمل على بعض،وكالفصل والوصل،وكالإبدال في آخر

---

(١)البلاغة القرآنية ص ١٣٢.

(٢)هو:حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي،وبعضهم يقول:أحمد،ولد سنة (٣١٩هـ)،وهو من ولد زيد بن الخطاب،له معالم السنن،غريب الحديث،العزلة،وغيرها،مات سنة(٣٨٨هـ)وقيل(٣٨٦هـ)،انظر سير أعلام النبلاء ١٧/٢٣-٢٨،بغية الوعاة ١/٥٤٦-٥٤٧.

(٣)رسالة في إعجاز القرآن للخطابي ضمن ثلاث رسائل ص ٢٧.

(٤)دلائل الإعجاز ص ٨١.

الآيات،والنظر في ذلك يكون في وجه مناسبة تلك التراكيب لمعنى الآية.وقد سبقت أمثلة ذلك في أنواع المتشابه اللفظي[(١)].

رابعاً:وتظهر أهمية علم المتشابه في صعوبة مأخذه.

وبيان ذلك أنه يكون للمتشابه في أحايين نظرٌ خاصٌ في تطبيق قواعد العلم؛لأن المتشابه يحتم على دارسه النظر في الشيء وعكسه في المعاني المتفقة لا المتضادة وهذا مكمن الصعوبة،مثال ذلك:

١-من أنواع المتشابه:التشابه بالتقديم والتأخير،وباب التقديم بابٌ مهمٌ من أبواب العلم،وقد سبق بيان أهميته في مبحث أنواع المتشابه اللفظي[(٢)]،ولكن أهمية هذا الباب أي باب التقديم تتجلى في دراسة المتشابه اللفظي أكثر من غيره؛وذلك من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول:هو أن الدارس للمتشابه اللفظي سيقابله سؤالٌ ملحٌ:وهو لماذا هذا الاختلاف الظاهر في تقديم بعض الألفاظ على بعض،ثم يعكس هذا الترتيب في موضع آخر،والآيات موضوعها واحد؟.

الوجه الثاني:أن الناظر في المتشابه لا بد أن يبين سر التقديم في الشيء،وسر التقديم في عكسه،وهذا أصعب من أن يكون النظر واحداً.

الوجه الثالث:أن علم المتشابه وتوجيهه يقرر قول عبد القاهر السابق في أنواع المتشابه اللفظي:«وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال:"إنه قدم للعناية،ولأن ذكره أهم"،من غير أن يُذْكر، من أين كانت تلك العناية؟وبم كان أهم ؟»[(٣)]،فإنه يظهر بدراسة المتشابه تمام صواب ذلك؛لأنه لو اكتفى أن يقول:إنه قدم في هذا الموضع للأهمية،ثم قال في الموضع الآخر:إنه قدم للأهمية،والموضعان متعاكسان والموضوع واحد،لكان هذا تناقضاً ما لم يبين وجه التقديم في هذا ووجهه في هذا.

٢-من أنواع المتشابه:وضع المظهر موضع المضمر،وقد تبين لنا قبل:أن الأصل هو إعادة المسمى مضمراً،وإذا عدل عن ذلك فإنما هو لسبب يبينه السياق،لكن الشأن في

---

(١)انظر ص ١٠٤، ١٠٦.

(٢)انظر ص ١٠٥.

(٣)دلائل الإعجاز ص ١٠٨.

المتشابه وتوجيهه أدق وأعمق،والسبب:هو أن المتشابه له نظر خاص لأننا أمام موضعين خولف في أحدهما الأصل و لم تكن المخالفة في الآخر،ولسنا أمام موضع واحدٍ نبحث فيه عن سبب العدول فينتهي الأمر،وذلك أنه يلزمنا أيضاً بيان السر في بقاء الموضع الذي بقي على الأصل، ولماذا لم يعدل فيه كما عدل في نظيره؟.

خامساً:تظهر أهمية علم المتشابه اللفظي بما تراه-بإذن الله-من فوائده في المطلب التالي.

المطلب الثاني:فوائد علم المتشابه اللفظي.

١-من أعظم فوائد هذا العلم أنه يدل على صدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم،وذلك حيين تتجلى الصور البلاغية البديعة والمعاني السامية العظيمة ،مطوية في ثنايا المتشابه اللفظي ،تلقنها العرب الأوائل وعقلوها،وما حاولوا قطّ معارضته أو محاولة الإتيان بمثله أو بعضه،بل قد ركبوا لذلك الصعب و لم يلجئوا إلى معارضته وهي الأسهل لو كان لهم إلى ذلك سبيلاً.

وقد ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني أوجه عجز العرب عن معارضة القرآن،فقال:«والذي يدل على أنهم كانوا عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن أنه تحداهم إليه حتى طال التحدي وجعله دالاً على صدق نبوته ،وتضمن أحكامه استباحة دمائهم وأموالهم وسبي ذريتهم.فلو كانوا يقدرون على تكذيبه لفعلوا وتوصلوا إلى تخليص أنفسهم وأهليهم وأموالهم من حكمه بأمرٍ قريب هو عادتهم في لسانهم ومألوف خطابهم ،وكان ذلك يغنيهم عن تكلف القتال وإكثار المراء والجدال،وعن الجلاء عن الأوطان ،وعن تسليم الأهل والذرية للسبي...ويمكن أن يقال :إنهم لو كانوا قادرين على معارضته والإتيان بمثل ما أتى به، لم يجز أن يتفق منهم ترك المعارضة وهم على ما هم عليه من الذرابة والسلاقة[(١)] والمعرفة بوجوه الفصاحة،وهو يستطيل عليهم بأنهم عاجزون عن مباراته ...ولو كان هذا القبيل مما يقدر عليه البشر لوجب في ذلك أمر آخر :وهو أنه لو كان مقدوراً للعباد لكان قد اتفق إلى وقت مبعثه من هذا القبيل ما كان يمكنهم أن يعارضوه به»[(٢)] .

٢-وقد ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني-رحمه الله-في كتابه الانتصار وجهاً من أوجه إعجاز التكرار في القصص القرآني،مفاد هذا الوجه:أن العرب لم تستطع أن تأتي بمثل هذا المكرر الصحيح المعنى الذي ليس عليه اعتراض،ولا سبيل لها أن تقول للنبي ﷺ:إن المعنى الذي ذكرته من القصة قد ذهبت بلفظه،فلا يمكن لنا أن نأتي بمثله،وذلك أن المكرر

---

(١)الذرابة:هي الحدة في اللسان،انظر لسان العرب ٣٨٥/١،النهاية في غريب الحديث ١٥٦/٢.وأما السلاقة:فهي رفع الصوت في المخاصمة،انظر اللسان ١٥٩/١٠.

(٢)إعجاز القرآن ص ٣٥-٣٩

قد أبطل حجتهم،بإعادته المعنى بلفظ آخر بليغٍ كنظيره،فتبين بهذا أن الإتيان بمثله لم يكن مستطاعاً إلا من مترله[(١)].

وهذا الوجه الذي ذكره الباقلاني حاصلٌ ومستفادٌ من تكرار القصص،ولكنه لم يكن هو الغرض من تكرارها،فالاستدلال بمثل هذا ألصق بدلالة الإشارة،وأما الغرض الأساس من تكرار هذه القصص فهو ما تبينه الفائدة الثالثة.

٣-قال ابن تيمية-رحمه الله-:«وقد ذكر الله هذه القصة(أي قصة موسى عليه السلام) في عدة مواضع من القرآن،يتبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعا غير النوع الآخر...وليس في القرآن تكرار أصلا،وأما ما ذكره بعض الناس من أنه كرر القصص مع إمكان الاكتفاء بالواحدة ،وكان الحكمة فيه:أن وفود العرب كانت ترد على رسول الله ﷺ فيقرؤهم المسلمون شيئاً من القرآن فيكون ذلك كافياً،وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلو لم تكن الآيات والقصص مثناة متكررة لوقعت قصة موسى عليه السلام إلى قوم وقصة عيسى عليه السلام إلى قوم وقصة نوح عليه السلام إلى قوم،فأراد الله أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض،وأن يلقيها إلى كل سمع.فهذا كلام من لم يقدر القرآن قدره»[(٢)].

ولقد كان المتشابه وارداً في كل موضع بما يحقق غرض الاعتبار والاستدلال الذي ذكره ابن تيمية،بل لا تتحقق أنواع الاستدلال والاعتبار إلا بهذا التغاير،وإلا لكان نوعاً واحداً،ولصدق عليه أنه مكرر.

٤-ومن الفائدة السابقة،تتفرع هذه الفائدة:وهي أن من فوائد علم المتشابه أنّه يرد على أهل الزيغ والضلال الذين يشككون في القرآن ويزعمون أن المتشابه ما هو إلا تكرار يغني بعضه عن بعض،فعلم المتشابه يردّ عليهم بعكس ما يقولون وذلك بإظهاره عظمة القرآن،وبلاغته في متشابهه،وما يظهره من وجه الحكمة في كل موضع.

---

(١)انظر الانتصار للقرآن ٢/٨٠٣.

(٢)مجموع الفتاوى ١٩/١٦٧-١٦٩.

٥-وكذا نستفيد أن المتشابه ضرب من التكرار،وفي هذا التكرار تثبيت للنبي ﷺ،قال الله تعالى:﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾(هود ١٢٠).

٦-أن في معرفة المتشابه وصولاً إلى مقصد القرآن الأعظم وهو حصول العضة والاعتبار؛ذلك أن المتشابه فنٌّ من فنون القصص القرآني،كما قال الله تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾(يوسف ١١١).

٧-يتبن لنا من دراسة المتشابه اللفظي أنّه باب واسع من أبواب التأمل في آيات الله التي حثّ عليها العليم الخبير بقوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾(النساء ٨٢).وبقوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾(محمد ٢٤).

٨-أن علم المتشابه اللفظي يساعد على إتقان حفظ القرآن.

ولقد كانت معرفة العلماء بهذا الغرض من معرفة المتشابه قديمة،حيث صنفوا في المتشابه قصداً لهذا الغرض.

قال ابن المنادي-رحمه الله-(٣٣٦هـ):«أما الأنواع المرجوة منافعها في تقوية حفظ الحافظ ،والمجربة معاونتها لإدراب المتحفظ فقد قدمنا ذكرها،وذكر شواهدها المأثورة فيها،ولم يبق إلا النوع الذي استحدثه فريق من القراء ولقبوه "المتشابه"وإنما حملهم على وضعهم إياه للقرأة رداً من سوء الحفظ،وحداهم كون القرآن ذا قصص،وتقديم وتأخير كثير،ترداد أنبائه ومواعظه،وتكرار أخبار من سلف من الأنبياء والمهلكين الأشقياء،يأتي بعضه بكلام متساوي الأبنية والمعاني على تفريق ذلك في آي القرآن وسوره،قد يجيء حرف غير هذا الضرب ،فيأتي بالواو مرة وبالفاء مرة،وآخر يأتي بالإدغام

تارة وبالبيان تارة،وأسماء متماثلة،فاستحبوا أن يجمعوا من حروف متشابه القرآن ما إذا حفظ منع من الغلط»[(١)] .

وهذه المصنفات التي ذكرها ابن المنادي ليست في توجيه المتشابه،ولكن الغرض منها الجمع للحفظ،ولا شك أن إكمال هذا الجمع بتوجيهه إتمام لإتقان الحفظ،وهو أمرٌ مجربٌ،وحال ذلك من هذا الوجه حال معرفة الإعراب الذي يقي من الغلط.

٩-يظهر جلياً بدراسة علم المتشابه اللفظي عناية علماء الإسلام بالقرآن وإظهار فنونه وعلومه ،والذب عنه.

١٠-أنّ مما يزيد الإيمان حين يتأمل القارئ لكتاب الله الآيات المتشابهة والتي يُظنُّ أن معناها واحد فإذا هي ضرب من ضروب البلاغة،قد عجز عنه الفصحاء،وانقطع دونه البلغاء .

١١-من فوائده عونه في الكشف عن السياق،هذا مع أن السياق يطلب له إلا أنه يعين هو أيضاً في تحديده،أو تأكيده،وهذا يظهر-بإذن الله- في الدراسة التطبيقية،والله أعلم.

١٢-من فوائد علم المتشابه أنه يظهر فيه القول الفصل في بعض المسائل التي اختلف فيها أهل العلم،ومن هذه المسائل:

المسألة الأولى:الخلاف في التقديم لمراعاة الفاصلة،فإن علم المتشابه يقطع بأن الاقتصار على مراعاة الفاصلة قاصر عن الوفاء بالصواب،وذلك من وجهين:

الوجه الأول: أننا نجد من المتشابه بالتقديم والتأخير ما يكون منه فاصلة قد ظهر فيه مراعاة الفواصل في كلا الموضعين المتشابهين،ومنه ما يكون غير فاصلة أصلاً،بل يكون التقديم والتأخير في أثناء الآية،فإن قلنا:إن ما حصل فاصلة فهو لأجل مراعاتها،وما لم يحصل فاصلة نبحث له عن سبب معنوي،كنا قد فرقنا بين المتماثلات.

وإن قلنا:إن المتشابه بالتقديم والتأخير الذي لم يقع فاصلة عديم الفائدة،كنا قد قلنا خلفاً من الكلام،نتره عنه كلام الله،ونحسن الظن بالمسلمين أن يقولوه.

---

(١)متشابه القرآن العظيم ص ٥٩.

الوجه الثاني:وهو أبلغ من الذي قبله،أننا نجد أحياناً أنه قد يتسنى لنا أن نقول:إن التقديم في هذه الآية وقع فاصلة،وذلك لأنه على وفق الفواصل السابقة واللاحقة،فإذا أردنا أن نوجه الموضع المشابه له لم نستطع أن نقول مثل ذلك؛لأن الفواصل لم تكن على ذلك،وهنا إن اكتفينا في الموضع المتوافق مع الفواصل بالإحالة على هذا السبب اللفظي فقط،وتركنا الآخر دون توجيه،كنا قد علمنا أننا لم نصب؛لأننا أحلنا على سبب لم ينتظم الموضعين.

وإن بحثنا عن سبب معنوي للموضع الذي لم يتوافق مع الفواصل،كنا قد فرقنا بين المتماثلات،وكان ذلك دليلاً لنا على اعتبار السبب المعنوي،وأن السبب اللفظي لا يستقل بالأمر.

ولقد ذكرنا أمثلةً لهذين الوجهين في أنواع المتشابه اللفظي في نوع التشابه بالتقديم والتأخير[(١)].

المسألة الثانية:إن المتشابه اللفظي يبين لنا القول الفصل في خلاف العلماء في تضعيف الفعل إذا أفاد التعدية هل يفيد التكثير أو يكون مقتصراً على إفادة التعدية؟.

وذلك أن الفعل إذا ضعّف ولم يفد التعدية،فإن إفادته للتكثير ظاهرة،لكن إذا أفاد التعدية،فهل نقتصر على هذه الفائدة،فنعتبر أن ما أفاده من التعدية هو غرضه،ليس هناك غرضٌ سواه،أو نضمّ إليها فائدة التكثير؟.

وكنا قد علمنا فيما سبق-في النوع الثامن من أنواع المتشابه اللفظي[(٢)] -أن،صيغة :(فعّل) تفيد في الغالب التكثير، ولها معانٍ أخر،وأما صيغة :(أفعل)فإنها تفيد في الغالب التعدية ولها معانٍ أخر.

قال ابن عاشور-رحمه الله- وهو يرجح إفادة التضعيف:«وأنا أرى أن استفادة معنى التكثير في حال استعمال المضعف للتعدية أمر من مستتبعات الكلام حاصل من قرينة

---

(١)انظر ص ١٠٣، ١٠٥.

(٢)انظر ص ١٢٦.

عدول المتكلم البليغ عن المهموز.الذي هو خفيف إلى المضعف الذي هو ثقيل،فذلك العدول قرينة على المراد وكذلك الجمع بينهما"[(١)].

وهو يقصد في كلامه السابق أهل اللسان،بل يقصد تحديداً الزمخشري-رحمه الله- في جمعه في خطبة كلامه بين أنزل ونزل،فعدول المتكلم البليغ عنده عن المهموز إلى المضعف قرينة،والجمع بينهما كفعل الزمخشري قرينة.

إن دراسة المتشابه تقرر ما قرره ابن عاشور-رحمه الله-بأبلغ مما ذهب إليه،وذلك من أربعة أوجه:

الوجه الأول:أنه إذا كان عدول المتكلم البليغ عن الأصل في التعدية،والذي هو خفيف إلى المضعف الثقيل قرينة على إرادة التكثير،فكيف به إذا تكلم به في آية مضعفاً،وفي شبيهتها غير مضعف؟!،وفي المتشابه من هذا كثير،وقد ضربنا لذلك أمثلة في النوع الثامن من مبحث أنواع المتشابه اللفظي،ووجهنا ذلك في الدراسة التطبيقية[(٢)].

الوجه الثاني:أن كلام الله لا يرد عليه ما يرد على كلام الناس من احتمال عدم القصد،لا سيما والزمخشري ليس من أهل الطبع الأوائل الذين يؤمون عادةً مثل ذلك.

الوجه الثالث: لم يكن كلام الزمخشري في أمرٍ واحد،فعبارته:«الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً،ونزله على حسب المصالح منجماً»[(٣)].

قال ابن عاشور-رحمه الله-:«قال المحققون من شراحه:جمع بين أنزل ونزل لما في نزل من الدلالة على التكثير،الذي يناسب ما أراده العلامة من التدريج والتنجيم»[(٤)].فالأمر الذي أراده بأنزل غير الذي أراده بنزّل،وأما المتشابه فالموضوع واحد.

الوجه الرابع:ما يبينه السياق في توجيه المتشابه -بإذن الله -في الدراسة التطبيقية من إرادة التكثير،في الموضع المضعف،ولا يقال إن هذا استدلال في محل النزاع،والسبب:هو

---

(١)التحرير والتنوير ١/١١.

(٢)انظر ص ١٢٥-١٢٨.

(٣)الكشاف ١/٦.

(٤)التحرير والتنوير ١/١١.

أننا لسنا نقرر سياق التكثير بهذا اللفظ المضعف،بل السياق متقرر بغير ذلك،وإنما أتى اللفظ المضعف على وفقه[(١)].

المسألة الثالثة:إذا وردت صيغة جمع القلة معرفة بالألف واللام أو بالإضافة فهل تبقى دلالتها على القلة،بأن لا يتعدى العدد العشرة أو التسعة على الخلاف المعروف[(٢)]،أو أنها تكتسب العموم فلا تبقى دلالتها على هذا العدد المحصور؟،ولذلك فما مدى اعتبار قول بعض النحويين والمفسرين:«جيء فيه بجمع القلة موضع جمع الكثرة» في المواضع الذي أتت فيه صيغة جمع القلة دالة على الكثرة؟.

لقد تبين بما قررناه في الدراسة التطبيقية[(٣)] أن لجموع السلامة أصل معنىً ترجع إليه،وذلك أنها تفيد أمرين:

أحدها:إفادة القلة،وهذه القلة قد قررنا هناك أنها مطرحة بما أفاده التعريف من العموم المفيد للكثرة،وهو قول أهل التحقيق من علماء الأصول.

الثاني:أن جمع السلامة يفيد القصد إلى تعيين آحاد المجموع،والمخبر معتمد على كل واحد منهم في الإخبار،وهذا يفيده سلامة لفظ بناء الواحد في جمع السلامة،وقد تم بسط المسألة هناك.

وقد أفادنا المتشابه صواب هذا الذي قرره العلماء،وذلك أنه حين يرد موضعان متشابهان في أحدهما صيغة جمع قلة معرف،وفي الآخر صيغة جمع كثرة ،والموضوع واحد،فإننا إن قلنا:إن جمع القلة المعرف باقٍ على إفادته القلة كنا قد ناقضنا بين الموضعين،وإن قلنا إنه إنما أفاد الكثرة بالتعريف،كنا قد وافقنا أهل التحقيق،وهو المطلوب.

ولكن ثمت مهمة أخرى للمتشابه،وهي بيان السبب الذي لأجله اختلفت الصيغة،وقد تقرر في دراسة المتشابه هناك بالرجوع إلى دلالة السياق:ما ذكره العلماء من معنى القصد إلى تعيين آحاد المعدود في جمع السلامة،والله أعلم.

---

(١)انظر ص ١٨٧-١٨٨ من هذه الرسالة.

(٢)انظر البحر المحيط في أصول الفقه ٩٢/٣.

(٣)انظر ص ٢١٧-٢١٩ من هذه الرسالة.

المبحث الرابع: دراسة في كتب المتشابه اللفظي من حيث عنايتها بدلالة السياق.

تمهيد

إن المقصود في هذا المبحث ،وكما هو ظاهر من عنوانه ،إنما هو النظر في كتب المتشابه من حيث عنايتها بدلالة السياق في التوجيه،وهذه الكتب التي سوف نتناولها-بإذن الله-خمسة كتب هي المشهورة في هذا الفن،وهي كما يلي على الترتيب الزمني:

درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي،البرهان في متشابه القرآن للكرماني،ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل لأبي جعفر ابن الزبير،كشف المعاني في المتشابه المثاني لبدر الدين بن جماعة،فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبي يحيى زكريا الأنصاري .

ولما كان الغرض هو دراسة هذه الكتب من حيث عنايتها بالسياق،فإننا سوف نقتصر في هذه الدراسة على ما يبين هذا الغرض،ولن نتوسع فيما سوى ذلك.

وأما كيف تكون هذه الدراسة؟ فإنها سوف تسعى إلى تحديد مسالك التوجيه عند هؤلاء المصنفين،ومن خلال ذلك سوف ننظر-بإذن الله-في أمرين:

الأول:النظر في عناية هؤلاء المصنفين بدلالة السياق من صريح كلامهم.

الثاني:النظر في هذه المسالك نفسها،التي هي-بعبارة أخرى-: الأصول التي يسير عليها المصنف في التوجيه،ومدى علاقتها وارتباطها بدلالة السياق،هل هي السياق نفسه؟،أم أنها سارت في طريقه فقصرت عن بلوغه؟أم أنها قد جانبته ونبت عنه؟،وهذا مهم جداً ؛لأنه لا يلزم من المصنفين أن ينصوا على استعمالهم لدلالة السياق في كل توجيه،وإن كانت قد تكون هي المسلك المعتمد في بعض تلك المسالك.

كل ذلك يتبين –بإذن الله- بعد الدراسة لهذه المسالك.

درة التنزيل وغرة التأويل

إن أول الكتب التي سوف ندرسها-بإذن الله- هو كتاب درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي،وهو أول المصنفات في ذلك ،كما أنه من أوعبها وأبسطها،وبالطبع فالنقد والتقييم الذي يكون لمسالك هذا الإمام،هو نقد وتقييم لمن بعده ممن يشركه في هذه المسالك.ويكون لكل من انفرد بمسلك ما ينفرد به من النقد والتقييم.

وأما مؤلفه،فهو:الخطيب الإسكافي[(١)].

وفي مقدمة المؤلف عبارات مهمة تبين لنا سبب تأليفه هذا الكتاب،وتبين لنا تقييمه للجهد المبذول قبله في هذا المجال.

أما السبب فيتلخص بما يلي:

١-أنه ما زال تدعوه دواع قوية إلى كشف أسباب التغاير بين الآيات المتشابهة.

٢-قاده هذا السبب إلى البحث في كتب المتقدمين،فلم يجد ما يشفيه،فكان هذا من دواعيه.ومن هذا يتبين تلخيصه للعمل قبله.

٣-وسبب ثالث ما رامه من الرد على الطاعنين الملحدين.

وأما طريقته في الترتيب فهي على ترتيب المصحف،وأما طريقته في التوجيه فلم يكشف عنها،بل جعلها عين التطبيق[(٢)]،فلعل شروعنا في إيضاح مسالكه يبينها،والله أعلم.

مسالك الخطيب الإسكافي وأصوله في توجيه المتشابه:

المسلك الأول:التوجيه بدلالة السياق،سواء كان سياق السورة أو الآية أو الآيات.

مثاله:في سورة الأنبياء (٩١) يقول تعالى:﴿**وَٱلَّتِىٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ** ﴿٩١﴾﴾.وفي التحريم(آية ١٢)قال تعالى:﴿**وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ**

---

(١)وأما مؤلفه،فهو:محمد بن عبد الله،الملقب بالخطيب الأصبهاني الرازي الإسكافي(نسبة إلى صناعة الأحذية ،وقيل كل صناعة.انظر اللسان ٩/١٥٧-١٥٨)،كان صاحباً للوزير ابن عباد،وسيرته لا يُعْلَمُ عنها إلا القليل،مات سنة(٤٢٠هـ)، انظر في ترجمته معجم الأدباء ٥/٣٥٢،بغية الوعاة ١/١٤٩.

(٢)انظر مقدمة المؤلف ١/٢١٥-٢٢١.

بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾،فإنه أضاف النفخ في الأنبياء إلى جملة مريم:﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا﴾،وفي التحريم أضاف النفخ إلى فرجها:﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ﴾.

ولقد علل –رحمه الله–سبب ذلك بالنظر إلى السياق،فقال:«لما كان القصد في سورة الأنبياء إلى الإخبار عن حال مريم وابنها،وأنهما جعلا آية للناس،وكان النفخ فيها مما جعلها حاملاً ،والحامل صفةً للجملة(أي لمريم كلها لا لبعضها)...فلما كان القصد التعجب من حاليهما،وأنها بالنفخ صارت حاملاً ردّ الضمير إلى جملتها ،إذ كان النفخ في فرجها نفخاً فيها أوجب القصد إلى وصفها بعد النفخ بصفةٍ ترجع إلى جملتها دون بعضها...وأما قوله في التحريم:﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ فلما لم يكن القصد فيه إلى التعجب من حالها بالحمل عن النفخ وولادتها لا عن اقتراب فحل، لم يكن ثمّ من القصد إلى وصف جملتها بغير الصفة التي كانت عليها قبلها ما كان في الآية الأولى،فجاء اللفظ على أصله،والمعنى:نفخنا في فرجها،**ولم يُسَقِ الكلام إلى ما سيق** في سورة الأنبياء من وصف حالها بعد النفخ،فاختلفا لذلك»[(١)]،فهذا نظر واضح للسياق،قولاً وعملاً،والله أعلم[(٢)].

المسلك الثاني:التوجيه بالاعتماد على كلام بعض المفسرين.

مثال ذلك:قول الله تعالى في سورة هود في قصة صالح عليه السلام (آية ٦٧):﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾،وفي نفس السورة في قصة شعيب عليه السلام (آية ٩٤)قال تعالى :﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾.فقد أضاف تاء التأنيث للفعل في قصة شعيب دون الأخرى،والفاعل واحد،والحاجز بين الفعل والفاعل في الموضعين واحد:﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ

---

(١)درة التنزيل ٢/٩١٢-٩١٣.

(٢)انظر أمثلةً أخرى الدرة ١/٢٩٨، ١/٢٧٠-٢٧٧، ٢/٩٦١، ٢/٩٦٩، ٣/١١٤٥.

﴾،فقد ذكر –رحمه الله– :أن العذاب الذي أصاب قوم شعيب عليه السلام ورد بثلاثة ألفاظ:﴿ ٱلرَّجۡفَةُ﴾(الأعراف:٩١)،:﴿ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾(هود:٩٤):﴿ ٱلظُّلَّةِۚ ﴾(الشعراء:١٨٩).

قال :«وفي التفسير أن هذه الثلاث جمعت لإهلاكهم واحدة بعد أخرى...فلما اجتمعت ثلاثة أشياء مؤنثة الألفاظ في العبارة عن العذاب الذي أهلكوا به غلب التأنيث في هذا المكان على المكان الذي لم تتوال فيه هذه المؤنثات»[(١)].

إن التوجيه بالنظر لكلام بعض المفسرين في الآية، فيه نظر من أصله،والسبب:هو أنه قد يكون ما ذهب إليه هؤلاء المفسرون مرجوحاً أو باطلاً،وبالتالي فإن ما يترتب عليه من التوجيه يكون كذلك.فكيف إذا كان هذا التفسير معتمداً على الإسرائيليات،كما هنا؟

يزيد ذلك تأكيداً أن ما ذكره من أن هذه المؤنثات توالت في شأن قوم شعيب عليه السلام ولم تتوال في شأن قوم صالح عليه السلام منقوض،فقد جاء اللفظ الأول في الأعراف (آية ٧٨)،والثاني في هود عليه السلام(آية ٦٧) والعنكبوت(آية ٤٠)مثل ما في قصة شعيب عليه السلام تماماً،وسمي عذابهم في سورة فصلت (آية ١٣) :﴿ صَٰعِقَةٗ ﴾،وكذا في الآية (١٧):﴿ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ﴾،وهو لفظ مؤنث،وفي سورة الحاقة (آية ٥) سمى الله عذابهم أيضاً بلفظ مؤنث فقال تعالى:﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾، وهذا يضعف الوجه الذي ذهب إليه الخطيب –رحمه الله–.

وقد بينا أن هذا المسلك غير مرضي من أصله،وسبب ذلك،وبينا أن سبره ومقارنته لمواضع المتشابه لم تكن موفقة وقد تبين سبب ذلك أيضاً.

وأما إذا غضضنا النظر عن صواب هذا المسلك،وغضضنا النظر أيضاً عن مدى توفيق المصنف في سبره من عدمه،فإن المصنف قد نظر إلى سياق القصة في جميع مواضعها،إلا أنه لم ينظر إليها إلا باعتبار التوافق في الألفاظ فقط،ولم يتعد ذلك لينظر ما وراءه من المعنى،وهو بهذا يكون قد سار في الطريق ولكنه لم يتمه!.والله أعلم.

---

(١)درة التنزيل ٧٦٦/٢-٧٦٧.وانظر تفسير ابن جرير ٣٢٢/١٠-١٧،٣٢٤/٦٣٧-٦٤٠،فقد ذكر آثاراً عن خروجهم أولاً للظلة ثم هلاكهم تحتها،وليس فيه ترتيب الثلاث تباعاً كما ذكره الخطيب،ولكن ذكر ذلك ابن الجوزي عن المفسرين انظر زاد المسير ١٥٤/٤.

المسلك الثالث:التوجيه بناءً على ترتيب النزول.

مثال ذلك:عند توجيهه للآيتين المتشابهتين،الآية (١٠٩)من سورة الأعراف، والآية (٣٤) من سورة الشعراء،فقد نُسِبَ القول في الأعراف إلى الملأ فقال تعالى:﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾،بينما نُسِبَ في الشعراء إلى فرعون فقال تعالى:﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

قال الإسكافي –رحمه الله-:«فإن قال قائل :فكيف اختصت سورة الأعراف بحكاية ما قال الملأ،وسورة الشعراء بما قال فرعون؟.

قيل:إن أول من ردّ قول موسى عليه السلام فرعون ،ثم مالأه عليه ملؤه...وسورة الشعراء مكية كسورة الأعراف،وترتيب الاقتصاص يقتضي أن تكون قبلها،وفي الثانية(أي الأعراف)أخبر عما أداه عنه ملؤه إلى الناس»[(١)].

إن المصنف بهذا يجعل ما قيل أولاً هو قول فرعون،ويجعله في السورة التي نزلت أولاً عنده وهي الشعراء،وقول الملأ هو الثاني في الترتيب،ويجعله في السورة التي نزلت ثانياً وهي الأعراف.

وهذا التوجيه الذي وجه به الخطيب –رحمه الله- ضعيف من وجوه:

الوجه الأول:أننا لا نجده يستدل لسبق الشعراء في النزول إلا بأن ترتيب الاقتصاص يقتضي ذلك،وهذا استدلال في محل النزاع،حيث أصبح ما يطلب له الدليل هو الدليل بعينه.

الوجه الثاني:إن لمعترضٍ أن يقول :إن مسلك مراعاة ترتيب الاقتصاص ليس أولى من مسلك مراعاة ترتيب السور،والمسلكان هنا يتعارضان!.

الوجه الثالث:ما تراه –بإذن الله- من توجيه هذا الموضع بخلاف ما وجه به الإسكافي –رحمه الله-[(٢)].

---

(١)درة التنزيل ٢/٦٤٩.

(٢)انظر ص ٢٦٦-٢٦٧.

مثال ثان :قال –رحمه الله-:"إضمار آل لوط في الأعراف حيث قال:﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم﴾(الآية ٨٢) ،وإظهاره في سورة النمل لما قال:﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ﴾(الآية ٥٦)،فالجواب عنه أن يقال :إن السورتين مكيتان وموجب هذا الإظهار والإضمار أن يكون ما جاء فيه الإظهار نازلاً قبل ما جاء فيه الإضمار،فلما أظهر في الآية المترلة قبلُ اعتمد في القصة التي هي عند ذكرهم على الإضمار الذي أصله أن يكون بعد تقدم الذكر."[(١)] .

ويرد على هذا مثل ما ورد على المثال الذي قبله تماماً في الوجهين الأولين.

على أنني لا أعترض على التعليل بترتيب الترول؛لأن معرفة المكي والمدني ومرحلة الترول هي جزء من دلالة السياق،لكن لا يكون التعليل بذلك مجرداً،ما لم يكن المعنى المبني على معرفة مرحلة الترول هو الذي حتم ذلك.والله أعلم.

المسلك الرابع:التوجيه بناءً على ترتيب المصحف.

مثاله:في قوله تعالى:﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ٦٤﴾(الأعراف ٦٤).وقوله تعالى:﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣﴾(يونس ٧٣).اختصت الأعراف بقوله:﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾،و ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾،واختصت يونس بقوله:﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ﴾،و ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾،فعلل ذلك بأن لفظ (أنجى) هو الأصل،وكذلك لفظ(الذي)،والسورتان عنده مكيتان،وإنما السبب عنده أنه «لما كرر هذا الذكر كان العدول إلى اللفظين الآخرين الذين

---

(١)الدرة ٢/٦٣٥-٦٣٦؛ولأن هذا المسلك أصل عند الإسكافي فإنه يحدد المتقدم من المتشابه أحياناً بما يفيده نص الآية،دون أن يطلقه كما الأمثلة الآنفة،لكنه مع هذا لا يتعدى ذلك إلى بيان سبب اختصاص كل موضع بما اختص به،وهو المقصود في توجيه المتشابه،وغيره وسيلة إليه،انظر مثالاً لذلك ١/٣٨٤-٣٨٦.

هما بمعناهما»[(١)]،وحين لم يذكر أن الأعراف هي الأولى نزولاً،فلم يبق إلا أن يكون المقصود بالأولية أولية ترتيب المصحف،وهو مسلك كما ترى مخالفٌ للذي قبله،وكما لم أعترض على الذي قبله ،فإني هنا لا أعترض على التعليل بالتقدم في ترتيب المصحف،لكنه لا يكون تعليلاً مجرداً،حتى يقرن بالمعنى الذي أوجب ذلك ،فيكون مردّه بهذا إلى معرفة السياق الذي جاءت هذه الألفاظ على وفقه،والله أعلم[(٢)].

المسلك الخامس:التوجيه بناءً على قاعدته التي قعدها:(القرآن يقصد اقتصاص المعاني لا الألفاظ).

مثاله في توجيه الآيتين المتشابهتين بالتقديم والتأخير، وهما قول الله تعالى في البقرة (آية٥٨) :﴿ **وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ** ﴾،وقول الله تعالى في الأعراف(آية١٦١)قال:﴿ **وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا** ﴾.

قال –رحمه الله-:«والجواب عن ذلك مما يحتاج إليه في مواضع في القرآن في مثل هذه الآية التي قصدنا الفرق بين مختلفاتها وهو :أن ما أخبر الله تعالى به من قصة موسى عليه السلام وبني إسرائيل وسائر الأنبياء-صلوات الله عليهم-وما حكاه من قولهم وقوله-عز وجل-لهم لم يقصد إلى حكاية الألفاظ بأعيانها،وإنما قصد إلى اقتصاص معانيها...ومن قصد حكاية المعنى كان مخيراً بأن يؤديه بأي لفظ أراد،وكيف شاء من تقديم وتأخير بحرف لا يدل على الترتيب كالواو»[(٣)].

ولم يزد في توجيه هذا المتشابه على هذا،والكل يوافقه على أن القرآن لم يقصد حكاية الألفاظ بأعيانها،ولا غبار على ذلك،ولكن الاعتراض هو في اتكائه على ما عبر عنه باقتصاص المعاني!

إن الذي حدا بالمصنف إلى مثل هذا القول-والله أعلم-،هو حرصه على الدفاع عن كتاب الله ضد الطاعنين،وهو غرضٌ حسن،لكن لا بد أن يكون على الوجه الحسن.

---

(١)درة التنزيل ٢/٦١٠.

(٢)انظر أمثلةً أخرى لذلك ١/٣١٠-١،٣١٢/٣١٦-٣١٩، ١/٣٦٠-٣٦٥.

(٣)درة التنزيل ١/٢٣٨،وانظر أمثلة أخرى ٢/٨٨٩-٨٩٢، ٢/٩٧٥-٩٧٨.

وإن مما يبين ضعف ما ذهب إليه المصنف هنا،وأن هذا القول الذي قاله لم يتمكن من نفسه فضل تمكن،هو أنه قد خالفه مخالفة صريحة،بل بعد ذلك بقليل،حين أراد توجيه الآيات المتشابهات بالتقديم والتأخير في البقرة (آيـــة ٦٢):﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾،وفي المائدة (آية ٦٩):﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾،وفي الحج (آيـــة ١٧):﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾.

قال:«للسائل أن يسأل فيقول :هل في اختلاف هذه الآيات بتقديم الفرق وتأخيرها ،ورفع (الصابئين) في آية ونصبها في أخرى غرض يقتضي ذلك ؟.

فالجواب أن يقال:إذا أورد الحكيم –تقدست أسماؤه–آية على لفظة مخصوصـــة ثم أعادها في موضع آخر من القرآن،وقد غير فيها لفظة عما كانت عليه في الأولى فلا بد من حكمة هناك تطلب،وإن أدركتموها فقد ظفرتم،وإن لم تدركوها فليس لأنـــه لا حكمـــة هناك،بل جهلتم.»[(١)]،ثم سجل ما رآه من أسباب لهذا المتشابه.

المسلك السادس:التوجيه ببعض دلائل السياق،دون أن يصل إلى الغاية من ذلك.

مثاله:في توجيهه لسبب اختصاص البقرة بلفظ (الخطايا)،في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ (البقرة ٥٨).واختصاص الأعراف بلفظ (الخطيئات) في قوله تعـــالى:﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ (الأعراف ١٦١).علل ذلك بأن الخطايا أصلها جمع كثرة والفعـــل فيها مسند إلى الله فناسب ذلك كرم الكريم،وأما الأعراف فلم يسند فيها الفعـــل إلى الله

---

(١)الدرة ١/٢٥٠-٢٥١،وانظر مثالاً آخر ٣/١٠٨٣-١٠٨٥.

فكان جمع قلة،وهذا التعليل حسن مقبول،وقد علل به أيضاً زيادة قوله:﴿ رَغَدًا ﴾في البقرة،لكنه هذا التعليل على حسنه ناقص،إذ يلزم بيان سبب إسناد الفعل إلى الله في البقرة،بينما لم يسند في الأعراف،وبمعرفة ذلك يتبين وجه جمع القلة والكثرة،بل وسائر متشابه الآيتين،وهذا ما تجده-بإذن الله في توجيه الآيتين في موضعه[(١)]،والله أعلم.

المسلك السابع:توجيه المصنف وفق مذهبه النحْوي.

مثاله:في الآيتين السابقتين علل سبب حذف الواو في قوله تعالى:﴿ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ في الأعراف بسبب نحويٍ غامض،وبيانه:أن مذهب البصريين-الذي هو مذهب المصنف كما يصرح به-يأبى أن يكون الفاعل جملة،وعليه فقوله في الأعراف:﴿ ٱسْكُنُوا﴾ لا يكون نائب فاعل،بل نائب الفاعل لفظ مفردٌ هو "القول"،وبهذا فإن:﴿ ٱسْكُنُوا﴾لا تتعلق بالفعل الذي قبله حكماً ،بل متصلة به لفظاً،ولما كان جواب:﴿ ٱسْكُنُوا﴾هو قوله:﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ﴾والجواب في حكم الابتداء فهو منفصل،كان لا بد في الدلالة على انفصاله من فصل ما أصله أن يتعلق به،وهو قوله:﴿ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.[(٢)]

إن هذا المسلك في حقيقته ليس بتوجيه،ومع هذا فلنا هاتان الملاحظتان:

أحدهما:لقد كان يلزم المصنف قبل كل شيء أن يبين صواب المذهب النحوي الذي يقول به من غير هذا المثال،ثم يبين وجه تواؤم الآية معه.

الثانية:أنه لو فعل ذلك،وهو لم يفعله،فإنه كان يلزمه بيان السبب الذي لأجله أتى هذا الأسلوب من أساسه،والله أعلم.

الثالثة:أن الأصل في النحو هو القرآن،ولا عكس.

---

(١)وانظر مثالاً آخر لذلك ١/٢٤٣،وانظر ص ٢١١-٢٢١ في توجيه الآيتين.

(٢)انظر الدرة ١/٢٣٩-٢٤٢.

المسلك الثامن:التوجيه باعتبار التشاكل اللفظي.

والمقصود أن يكون ذلك من غير نظر إلى المعنى ،بل بسبب مناسبة اللفظ للفظ لأي اعتبار لفظي كان،سواء كان الاعتبار دوران لفظة في السورة استدعت تخصيص تلك السورة بذلك اللفظ،أو كان السبب ما يقال من مراعاة الفواصل،أو غير ذلك.

مثاله:في سورة الحج (آية ٦٢) يقول الله تعالى:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾،وفي سورة لقمان (آية ٣٠)يقول تعالى:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾،زادت الحج تأكيداً عن لقمان،وهو قوله:﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾،فزيادة:﴿هُوَ﴾أفادت التأكيد،وأما سبب ذلك،فإن المصنف-رحمه الله-يجعله بسبب من وجود المؤكدات قبل هذا الموضع وبعده،فقال:«فلما ترادفت التوكيدات في هذا الموضع،وجاء بعده خبر بين خبرين أكدا،وهو:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ وقوله:﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾،اقتضت إشباهه مثله...وليس كذلك ما جاء في سورة لقمان؛لأنه لم يتقدمه التوكيدات التي تستتبع أمثالها كما تقدمت الأولى»[(١)].

إنني لا أعترض على هذا المسلك إلا إذا اقتصر الموجه في التوجيه عليه،وأما إن جعله خطوة أولى تقوده إلى الغرض،فهذا هو عين المطلوب،ذلك أن الذي ينبغي هو أن يسأل من يتصدى لتوجيه المتشابه عن سر هذا التشاكل،وعن سبب اختصاص هذه السورة بهذا اللفظ وتلك بالآخر،وعن سبب كثرة ورود لفظٍ في سورة،وورود شبيهه بكثرة في سورة أخرى،ومن كل ذلك ينطلق إلى التوجيه السليم؛لأن ذلك ينتظمه أمر واحد هو الذي دعا إلى التشاكل،وسيتبين-بإذن الله-لهذا مزيد إيضاح في الدراسة التطبيقية،والله أعلم.

---

(١)الدرة ٩٣٠-٩٣١،وانظر أمثلة أخرى ٢/٦٦٦-٦٦٧، ٢/٦٨٧-٦٨٩.

البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان

مؤلفه،هو:محمود بن حمزة الكرماني[(١)].

له مع كتابه هذا كتابان في التفسير ذكرهما في مقدمته للبرهان،أحدهما "لباب التفسير"والثاني "غرائب التفسير وعجائب التأويل"،وذكر هو عن كتابه الثاني هذا أنه مشتمل على أكثر مباحث البرهان،بينما ذم العلماء هذا الكتاب الثاني له.

قال السيوطي-رحمه الله-:«ضمنه أقوالاً-ذكرت في معاني الآيات-منكرة،لا يحل الاعتماد عليها ولا ذكرها إلا للتحذير منها»[(٢)]،وقد ذكروا أمثلة منه تبين صواب ما ذكر السيوطي،وقد نأخذ من هذا أن المصنف جامعٌ جريء،والمتأمل في كتابه البرهان يجد ذلك؛فإن الكتاب على صغر حجمه قد وجه كثيراً من المتشابه،بمسالك غير مرضية أحياناً،بل ومتناقضة أحياناً أخرى،وسيأتي-بإذن الله-بيان ذلك.

وقد«سار الكرماني على منهج الخطيب الإسكافي في ترتيب كتابه،بل إنه أفاد كثيراً مما في درة التنزيل،واختصر جل ما فيها دون أن يصرح بذلك»[(٣)].

مسالك الكرماني وأصوله في توجيه المتشابه:

المسلك الأول:التوجيه بأدنى ملابسة.

ومقصودي بهذا أن الكرماني-رحمه الله-يوجه أحيانا بأي ملمح يراه في الآية أو الآيات،وهذا الملمح يكون أحيانا غير مناسب للتوجيه،وأحياناً لا يظهر لنا مع شدة اختصاره وجه ذلك الملمح.

---

(١)هو:محمود بن حمزة بن نصر الكرماني،لم يعرف تأريخ ولادته،ولكن قالوا:إنه كان في حدود الخمسمائة،ولم يفارق وطنه،وأخيراً فإن العلماء لم يحددوا وفاة المصنف تحديداً دقيقاً،بل قالوا:إنها بعد الخمسمائة،انظر ترجمته في بغية الوعاة ٢/٢٧٧،معجم الأدباء ٥/٤٨٨-٤٨٩.

(٢)الإتقان في النوع التاسع والسبعين ٢/١٢٢٥،وانظر كشف الظنون ١/٤٣٢، ٢/١١٢٦، أبجد العلوم ٢/١٨٢.

(٣)من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن ص ٢١.

مثاله:في البقرة (آية ٥٨) قال تعالى :﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾،وفي الأعراف (آية ١٦١) يقول تعالى:﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

يقول –رحمه الله-:«وفي هذه السورة (أي البقرة)﴿ خَطَٰيَٰكُم ﴾ بالإجماع(إي إجماع القراء)،وفي الأعراف:﴿ خَطِيٓـَٰٔتِكُم ﴾مختلف[1]؛لأن خطايا صيغة جمع الكثير،ومغفرتها أليق بالآية لإسناد الفعل إلى نفسه سبحانه،وفي هذه السورة:﴿ وَسَنَزِيد ﴾ بواو،وفي الأعراف:﴿ سَنَزِيد ﴾بغير واو؛لأن اتصالها هنا أشد لاتفاق اللفظين.واختلفا في الأعراف فكان اللائق به:﴿ سَنَزِيد ﴾فحذف الواو ليكون استئنافاً»[2].

الذي يظهر أنه يقصد باتفاق اللفظين اتفاق القراءة،وبالاختلاف اختلاف القراءة،ومعلومٌ أن هذا لا يصح أن يكون طريقاً من طرق التوجيه؛لأن معنى ذلك أن وجود الواو في البقرة إنما كان لمراعاة اتفاق القراء،وأن حذف الواو في الأعراف إنما كان لمراعاة الاختلاف بين القراء،والله أعلم بالصواب.

مثال ثان:في تعليله للمتشابه بين قوله تعالى في سورة يونس (آية ٣٨):﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾،وبين قوله تعالى في سورة هود(آية ١٣):﴿ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾.

يقول في تعليل ذلك:«لأن ما في هذه السورة (أي يونس)تقديره بسورة مثل سورة يونس،فالمضاف محذوف في السورتين وأصله"مثل سورة" وما في هود إشارة إلى ما تقدمها من أول الفاتحة إلى هود وهي عشر سور»[3].

---

(١)؛لأن فيه مع هذه القراءة قراءة أخرى توافق البقرة،وسيأتي بحث ذلك –بإذن الله–في الدراسة التطبيقية.

(٢)البرهان في متشابه القرآن ص ١٢٣-١٢٤.

(٣)البرهان في متشابه القرآن ص ٢١٥.

إننا لن نناقش مسألة التوجيه بترتيب المصحف،وقد بينت الرأي فيها في دراسة الكتاب الذي قبله،لكن مع ذلك فالذي يذهب إليه المصنف معارض فيه من وجه واضح،وهو أن أكثر السور العشر التي قبل هود إنما هي سور مدنية،وهذا يكفي !.

وقد يستغرب الناظر في مثل هذا الكلام كيف يفوت المصنف مثل ذلك؟،والذي يظهر لي أنه لم يفته؛لأنه قال في أول توجيه البقرة وهو يقرر القول بترتيب السور:«وذهب جماعة من المفسرين إلى أن قوله تعالى في سورة هود:﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾معناه مثل البقرة إلى سورة هود وهي العاشرة،ومعلوم أن سورة هود مكية ،وأن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة :مدنيات نزلن بعدها»[(١)] ،إن المصنف بهذا يحتكم إلى كلام المفسرين في تقرير القول بترتيب المصحف،وهذا طريق من طرق الاستدلال ضعيف للغاية،ويدل على ضعفه أيضاً أنه هو إنما يرى أن سورة هود هي الحادية عشرة لا العاشرة؛لأنه قال قبل ذلك بقليل:«أول القرآن الفاتحة ثم سورة البقرة ثم سورة آل عمران على هذا الترتيب إلى الناس»[(٢)] ،وبهذا يتبين أيضاً ضعف توجيهه لمتشابه هود.

ومع هذا فقد اضطرب المصنف مرةً أخرى في تحديد العدد المتحدى به،وذلك في توجيه المتشابه الذي بعده،فقد قال:«قول الله تعالى:﴿وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾(يونس ٣٨)في هذه السورة وكذا في هود(آية ١٣).وفي البقرة:﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾(البقرة ٢٣)؛لأنه لما زاد في السور زاد في المدعوين،ولهذا قال في سبحان:﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾(الإسراء ٨٨)؛لأنه مقترن بقوله:﴿بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾(الإسراء ٨٨) والمراد به كله»[(٣)] .إن المفهوم من كلام المصنف السابق أن المدعوين المتحدين في الإسراء أكثر،فكان كثرة السور المتحدى به وهو القرآن كله،يليها هود والتحدي بعشر سور،والمتحدون من استطاعوا،ومثلها يونس مع أنه ذكر فيها أن التحدي بيونس وحدها

---

(١)البرهان في متشابه القرآن ص ١١٥.

(٢)السابق ص ١١٤-١١٥.

(٣)البرهان في متشابه القرآن ص ٢١٥-٢١٦.

لا بها وبما قبلها،والمفهوم كذلك أن البقرة أقل عدداً في المتحدين؛لأنه قال:﴿ شُهَدَآءَكُم﴾،وعليه فالتحدي يكون في البقرة وحدها،فيكون لا فرق بينها وبين يونس،ومع ذلك حصلت المغايرة!.

وقد ناقض المصنف المفهوم من كلامه هذا أيضاً في أول البقرة،فقال:«قوله تعالى:﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾(البقرة ٢٣)بزيادة﴿ مِّن﴾في هذه السورة ،وفي غيرها:﴿ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾،؛لأن من تدل على التبعيض ،ولما كانت هذه السورة سنام القرآن وأوله بعد الفاتحة:حسن دخول﴿ مِّن﴾فيها ليعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن من أوله إلى آخره،وغيرها من السور لو دخلها ﴿ مِّن﴾ لكان التحدي واقعاً على بعض السور دون بعض،ولم يكن ذلك بالسهل»[(١)] ،وأنت تعلم أنه قرر أن التحدي في تلك السور كان ببعض دون بعض،وبالبقرة بها دون غيرها ،فتبين لنا بهذا أن هذا أصل الترتيب على فرض صوابه لم يتمكن من نفس المؤلف.

ولقد كان هذا التوجيه من المصنف يبين لنا ما ذكرناه من تكلف المصنف،وربطه للتوجيه بأدنى ملمح يلوح ولو لم يكن له أدنى صواب[(٢)] ،والله أعلم.

المسلك الثاني:التوجيه بتوصيف الحال.

وهذا المسلك لم أره عند الخطيب،وإنما خطه الكرماني –رحمه الله–،ومقصود هذا المسلك :أن المصنف يقتصر في توجيهه على بيان الحال اللازمة للآيات الموجهة،أو بيان بعض حالها،وهو في حقيقته ليس توجيهاً،وفي الأمثلة بيان ذلك.

مثاله:في قول الله تعالى في آل عمران(آية ١٣٦):﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ

---

(١)السابق ص ١١٧-١١٨.

(٢)وانظر أمثلة أخرى ص (١٢٥)آية البقرة(٦١) وآل عمران (٢١)(١٨١) والنساء(١٥٥)،و ص (١٢٦) آية البقرة(٦٢) والمائدة ٦٩)والحج(١٧)،وص (٢٦٣) آية طه(٥٣)والزخرف (١٠)،و ص (٢٨٧) آية النمل (١٢) والقصص (٣٢)وغيرها كثير.

﴿١٣٦﴾،والمشتبهة بقوله تعالى في العنكبوت (آية ٥٨):﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

قال-رحمه الله- في توجيه الآيتين:«قال تعالى:﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾بزيادة الواو ههنا(أي في آل عمران).وفي العنكبوت بغير واو؛لأن الاتصال في هذه السورة بما قبلها أكثر من غيرها وتقديره:ونعم أجر العاملين المغفرة والجنات والخلود»[1].

إن من المعلوم أن الواو تفيد الاتصال،ولكن ما سبب هذا الاتصال؟لم يبينه المصنف،فكان عمله هذا أشبه بتحديد نوع المتشابه من توجيهه،والله أعلم.

مثاله آخر:يقول-رحمه الله-:«قوله تعالى:﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾(الأعراف ١١٠)في هذه السورة(أي الأعراف)،وفي الشعراء:﴿مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾(الشعراء ٣٥) بزيادة:﴿بِسِحْرِهِۦ﴾؛لأن الآية الأولى من هذه السورة بنيت على الاختصار ولا كذلك في الآية الثانية،ولأن لفظ الساحر يدل على السحر»[2].

إن المصنف هنا لم يزد على أن بين أن آية الأعراف أخصر وهذا صحيح،لكنه ليس توجيها،ثم بين أن لفظ الساحر يدل على السحر بمعنى أنه ليس هناك تناقض بين الآيتين،وهذا صحيح أيضاً ،لكنه ليس بتوجيه كذلك،والله أعلم.

المسلك الثالث:الاعتماد على السياق في التوجيه.

مثاله:يقول المؤلف-رحمه الله-:«قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(الأنفال ٧٢) في هذه السورة (أي الأنفال)

---

(١)السابق ص ١٥١.

(٢)السابق ص ١٩٦-١٩٧،وانظر مثالاً آخر ص ١٩٧ التشابه بين الآية (١١٢)من آل عمران،والآية (٣٧) من سورة الشعراء،حيث وجه موضع الشعراء بموافقة رسم المصحف!.

بتقديم:أموالهم وأنفسهم،وفي براءة بتقديم:في سبيل الله؛لأن في هذه السورة تقدم ذكر المال والفداء والغنيمة في قوله:﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾(الأنفال ٦٧) و﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾(الأنفال ٦٨)أي من الفداء ،﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾،فقدم ذكر المال.

وفي براءة تقدم ذكر الجهاد في سبيل الله وهو قوله:﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾(التوبة ١٦)وقوله:﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(التوبة ١٩)،فقدم ذكر الجهاد»[(١)].

المسلك الرابع:التوجيه اعتماداً على ترتيب سور المصحف.

والمصنف يرى أن ترتيب السور توقيفي صرح بهذا في أول بحثه سورة البقرة[(٢)].

مثال ذلك:قال-رحمه الله-:«قول الله تبارك وتعالى:﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾(الأنعام ٥) وفي الشعراء:﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ﴾(الشعراء ٦).؛لأن سورة الأنعام متقدمة فقيد التكذيب بقوله:﴿بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ثم قال:﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾على التمام،وذكر في الشعراء:﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ﴾ مطلقاً؛لأن تقييده في هذه السورة(أي الأنعام)يدل عليه،ثم اقتصر على "السين"هناك(أي في الشعراء)بدل سوف ليتفق اللفظان فيه على الاختصار»[(٣)]،وقد سبق الكلام على هذا المسلك في دراسة الكتاب الأول.

---

(١)السابق ص ٢٠٥،وانظر أمثلة أخرى ص ١٩٥، ٢١٣، ٢٦٨، ٢٧٠-٣٤٣،٢٧١.

(٢)انظر البرهان في متشابه القرآن ص ١١٤-١١٥.

(٣)البرهان في متشابه القرآن ص ١٦٤،وهو مختصر كلام الإسكافي،انظر ٢/٤٧٨-٤٧٩،وانظر أمثلة أخرى في البرهان ص ١٩١-١٩٢، ٢٦١،٢٠٠، ٣٢٤.

المسلك الخامس:التوجيه باعتبار التشاكل اللفظي.

وهذا غالب في توجيهه،ومنه قوله بمراعاة الفواصل.

مثاله:يقول-رحمه الله-:«قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ في طه(١١) ،وفي النمل(آية ٨):﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾،وفي القصص(آية ٣٠): ﴿أَتَىٰهَا﴾؛لأن "أتى"و"جاء"بمعنى واحد،لكن لكثرة دور لفظ الإتيان في طه نحو:﴿فَأْتِيَاهُ﴾(طه ٤٧)،﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾(طه ٥٨)،﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾(طه ٦٠)،﴿ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا﴾(طه ٦٤)،﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾(طه ٦٩).ولفظ"جاء" في النمل أكثر نحو:﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ﴾(النمل ١٣)،﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾(النمل ٢٢)،﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾(النمل ٣٦) ،وألحق القصص بـ"طه"لقرب ما بينهما»[1] .

(١)السابق ص ٢٦٢-٢٦٣،وانظر ص ١٦٠، ١٩٣، ٢٢٣.

ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل

مؤلفه:الإمام الحافظ أحمد بن إبراهيم بن الزبير[(١)].

لقد كان الباعث للمؤلف على التأليف في هذا الباب أنه عنده : باب لم يقرعه ممن تقدم وسلف ،ومن حذا حذوهم ممن أتى بعدهم وخلف،إلا ما ورده من كتاب الخطيب الإسكافي درة التنزيل وغرة التأويل.[(٢)]

ولقد كان-رحمه الله-محتفياً بكتاب الإسكافي،فهو عنده كتاب«قرع به مغلق هذا الباب ،وأتى في هذا المقصد بصفو من التوجيهات لباب»[(٣)].

وقد اعتمد رحمه الله عين ما ذكره الخطيب من الآيات واستدرك ما أغفله منها[(٤)]،ولكنه مع تلك الحفاوة بكتاب الخطيب قد خطّ لنفسه منهجاً حسناً،إذ يقول:«من غير أن أقف في أكثر ذلك على كلامه ،إلا بعد إبدائي ما يلهمه الله سبحانه وإتمامه،ولا ناقلاً- إلا في الشاذ النادر-كلام أحدٍ من أرباب المعاني»[(٥)]،إنما اعتمد-كما يقول- على ما يلقيه فكره إلى ذكره ،فيلقيه ترجمان فهمه على قلمه[(٦)].

---

(١)هو:الإمام الحافظ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي،استقر في غرناطة وولي قضاء المناكح وإمامة جامعها،كان محدثاً نحوياً أصولياً مقرئاً مفسراً ،وكان أماراً بالمعروف نهاءً عن المنكر،جرت له أمور مع الملوك صبر فيها على التضييق والحبس،له تعليق على كتاب سيبويه،وله سبيل الرشاد في فضل الجهاد،والبرهان في تناسب سور القرآن،وغيرها ،مات سنة (٧٠٨هـ). انظر ترجمته في بغية الوعاة ١/٢٩١-٢٩٢،مقدمة محقق ملاك التأويل،وفيها ترجمة موسعة ص ٦١-١٠٢.

(٢)انظر ملاك التأويل ١/١٤٦.

(٣)نفس المصدر ١/١٤٦.

(٤)انظر نفس المصدر ١/١٤٦-١٤٧،وقد حصر محقق كتاب ملاك التأويل مجموع آيات الدرة بثلاث وسبعين ومائتي آية (٢٧٣)،وملاك التأويل بسبع وسبعين وثلاثمائة(٣٧٧)،ليكون مجموع المغفل مائة وأربع آيات (١٠٤) انظر مقدمة المحقق ١/١١٣.

(٥)نفس المصدر ١/١٤٧.

(٦)انظر نفس المصدر والصفحة.

وهو بهذا المنهج كأنه يريد أن لا يتأثر بتوجيهات غيره،حتى يعمل فكره في التأمل والتدبر،ويظهر ذلك جلياً في توجيهاته التي انفرد بها عن غيره،وقد أزال-رحمه الله-ما قد يفهمه بعضهم من أن ذلك جرأة على كتاب الله،فقال عن نفسه مبعداً هذا الوهم ،ومذكراً بنعمة الله عليه :«ومحرزاً بفضل الله من عيون آلات العلوم ما به قوام المفهوم،عائذاً بالله سبحانه من سوء الوعي ،والقول في مثل هذا المقصد العلي بالرأي ،فقد ملأ المسامع وعمر الأفكار قوله ﷺ :"من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"»[(١)] .

وبعد هذه التوطئة اليسيرة؛فإنه يجمل بنا أن نسعى إلى التعرف على مسالك ابن الزبير –رحمه الله-في توجيهه للمتشابه،ومدى رعايته للتوجيه بالنظر لدلالة السياق،ولعلنا فيما يلي نتتبع ذلك ونضرب الأمثلة عليه،وبالله التوفيق.

مسالك ابن الزبير وأصوله في توجيه المتشابه:

المسلك الأول:التوجيه باعتبار ترتيب الآيات في السورة الواحدة.

مثال ذلك:قول الله تعالى في سورة هود في قصة صالح عليه السلام (آية ٦٧):﴿**وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ** ﴿٦٧﴾﴾،وفي نفس السورة في قصة شعيب عليه السلام (آية ٩٤)قال تعالى:﴿**وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ**﴾فقد أثبت تاء التأنيث في قصة شعيب عليه السلام،وحذفها في قصة صالح عليه السلام،والفاعل واحد،والحاجز بين الفعل والفاعل في الموضعين واحد:﴿**ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ**﴾.

قال –رحمه الله-:«فالحذف والإثبات هنا جائزان والحذف أحسن ،فجاء الفعل في الآية الأُولى على الأَولى،ثم ورد في ورد قصة شعيب عليه السلام وهي الثانية بإثبات علامة التأنيث على الوجه الثاني،جمعاً بين الوجهين إذ الآيتان في سورة واحدة وتقدمها الأولى على ما ينبغي ،والله أعلم»[(٢)] .

---

(١)ملاك التأويل ١/١٤٨،والحديث أخرجه الترمذي في سننه،كتاب تفسير القرآن،باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه،برقم (٢٩٥٢).

(٢)ملاك التأويل ٢/٦٦١

إن ترتيب الآيات في السور لا خلاف فيه،لكن التوجيه بهذه الطريقة لا يعطي أي قدر للمعنى،وهو نقص في التوجيه،بل هو قصور عن بلوغ التوجيه.

المسلك الثاني:التوجيه باعتبار ترتيب السور في المصحف.

وقد أكثر ابن الزبير من التوجيه باعتبار هذا الأصل،ومن أظهر ما يدل على اهتمامه بهذا المسلك واعتنائه به تأليفه في هذا الضرب،فقد ألف كتابه:"البرهان في تناسب سور القرآن".وقد أكثر من هذا المسلك في كتابه ملاك التأويل،حتى قال أحد الباحثين:«والمتأمل في ملاك التأويل يجد أن هذا المسلك من أكثر مسالك التوجيه تردداً فيه،فهو لا يفتأ عن الإشارة إليه في كثير من المواضع،ولم أر فيمن تقدمه أو جاء بعده من أهل التوجيه من اعتمد هذا المسلك،فقد تفرد به عن غيره،وهو ما يجعله محلاً للمناقشة،إذ اطراده في نظر ابن الزبير لا يجعله وجهاً معتمداً،لا سيما وأنه يعتمده لتوجيه اختصاص كل سورة بما ورد فيها،وقد يكون لذلك وجه من أوجه التناسب أولى بالاعتماد منه،والله أعلم»[(١)].

إن ما ذكره الباحث من تفرد ابن الزبير بهذا المسلك،هي نتيجة لم يصب فيها،لما علمته من سلوك هذا المسلك ممن تقدمه،ولما يأتي في سلوك من بعده-بإذن الله.

وأما ما ذكره من دعوته لنقاش هذه المسألة،فهو أمر حسن،وقد بينت فيما تقدم ما ارتأيته في هذه المسألة،ولكني أضيف هنا:أن الذي يظهر لي أن أبا جعفر-رحمه الله- لم يتمكن هذا المسلك من نفسه حق التمكن،وأنه قد يكون مفزعاً له حين لا يتبين له سبب معنوي لتوجيه المتشابه،لا سيما وهو يحدوه الرد على الطاعنين،يدل لذلك ما تراه من المثال التالي:الذي يتبين فيه انتقاض هذا الأصل على أبي جعفر.ففي قوله تعالى:﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ** ﴿٦٤﴾﴾(الأعراف ٦٤)تشابه مع قوله تعالى:﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ**

---

(١)المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند أبي جعفر ابن الزبير ص ١٤٦.

ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ (يونس ٧٣)،وذلك أنه قال في الأعراف: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾،و ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾،وفي يونس ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾،و﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾.

يقول ابن الزبير-رحمه الله-:«والجواب عن هذين السؤالين،والله أعلم:أنا قد وضحنا في كتاب البرهان أن ترتيب السور أصل مراعى وترتيب الآي في هذا الحكم أولى وأبين ،وإذا تقرر هذا فاعلم أيضاً أن لفظ الذي وما تصرف منه للمثنى والمجموع أصل في الموصلات إذ لا يخرج لفظ الذي عن الموصولية،أما مَنْ فإنها تخرج إلى الاستفهام والشرط وغيرها،والأصل في النقل أيضاً يكون بالهمزة،وأما النقل بالتضعيف والباء وغيرها فثان عن الأصل...فإذا قرر ما ذكرناه فنقول:إن سورة الأعراف ورد فيها قوله:﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾،كل منهما على الأصل في نقل الفعل وفي الموصول،فقيل:﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾،وقيل:﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾،وورد ذلك في سورة يونس على ما هو ثان عن الأصل في النقل وفي الموصول مراعاةً للترتيب،ولا يمكن العكس على هذا»[(١)].

إن ما ذكره منتقض بما ورد في قصة موسى عليه السلام،ففي البقرة(آية ٤٩) ﴿نَّجَّيْنَٰكُم﴾،والأعراف(١٤١): ﴿أَنجَيْنَٰكُم﴾،وفي إبراهيم (آية ٦):﴿أَنجَىٰكُم﴾،فقد ورد ما هو ثانٍ عنده متقدماً على ما هو الأصل،ولهذا فقد كان ابن الزبير يراعي في توجيهه هناك المعنى،حيث وجه بدلالة السياق،وهو ما تراه-بإذن الله-في الدراسة التطبيقية[(٢)].

وأما قاعدة ابن الزبير التي مشى عليها في هذا المسلك،فإنها:أنه يُجري أحد المتشابهين على أنه الأصل والثاني هو الفرع،فإذا تقدم الأصل كان تقدمه كافٍ في التوجيه،فالأخص إذا تقدم كان تقدمه هو الأصل فكان هذا كافٍ في التوجيه،وما كان على اللغة المشهورة فتقدمه كذلك كافٍ في التوجيه،وما لا تعمل فيه من الأفعال

---

(١)ملاك التأويل ١/٥٣٠-٥٣١.

(٢)انظر ص ١٨٧-١٨٨.

كذلك،وكذا الإجمال إذا تقدم،والناقص إذا تقدم على الزائد،والضمير إذا عاد على اللفظ فتقدم على العائد على المعنى[(١)]،ولا يخفى ضعف هذا المسلك بهذا الاعتبار؛لأنه ما من شيء يعده أصلاً إلا وينازع فيه،كما أنه ومع التسليم فلا وجه ظاهر في تقدم ما هو أصل،إذا لم يكن هناك سند من المعنى،وهو منتقض عليه وقد ضربنا مثالاً لذلك،والله أعلم.

المسلك الثالث:التوجيه بدلالة السياق.

وهذا المسلك معتبرٌ عند ابن الزبير،وله حضورٌ كبير في كتابه،والمصنف-رحمه الله- ينظر لسياق الآية والآيات والسورة،ويستعين بمعرفة المكي من المدني في تقرير السياق،ويستعرض أحياناً موضوع السورة وغرضها الذي تدور عليه،فيطيل في إيراد الآيات التي تدل على ذلك.

مثال ذلك:قال الله تعالى:﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(المائدة ٦)،وقال تعالى:﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾(النحل ٨١)،فقد اختلفت خاتمة الآيتين:﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾،وفي النحل:﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.

يقول ابن الزبير-رحمه الله-:«والجواب -والله أعلم-:أن آية المائدة خطاب للمؤمنين بما يجب عليهم من الطهارة لصلاتهم وتعليم لهم كيفية عملهم في ذلك وإنعام عليهم برخصة التيمم إذا عدموا الماء ،وكل هذا مستوجب للشكر لله سبحانه فقيل في ختام هذه الآية:﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾،وأما آية النحل فإن السورة كلها مكية إلا آيات من آخرها،وغالب حالها أنها خطاب لكفار قريش ومن كان مثلهم»،ثم أطال -رحمه الله-في تقرير خطاب النحل ،وأنه للكفار،وأنها تمتن عليهم ليدخلوا في الإسلام،ثم قال:«فهذا أوضح تناسب والسورة مكية.وأما المائدة فلم يقع قبلها خطاب لغير المؤمنين ولا ما قصد به سواهم ولم يخاطبوا باسم الإيمان إلا وإسلامهم حاصل،ثم علموا طهارتهم

---

(١)انظر أمثلة ذلك على التوالي ملاك التأويل ١/٥٦٥، ٢/٨٢١، ١/١٩٠-١٩١، ١/٥٤٩، ١/٣٤٤، ١/٣٠٢.

بعد بيان ما أحل لهم وحرم عليهم،ثم أعقب تعليمهم برخصة التيمم عند تعذر الماء،فناسب ذلك رجاء إنعامه عليهم بهدايتهم للشكر،فقيل:﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾»[(١)].

لكن يلاحظ على ابن الزبير أنه مع حفاوته بالسياق،فإنه أحياناً بعد أن يسلك هذا المسلك يتخلى عنه فجأة من غير سبب،وهو أمرٌ مستغرب.

مثاله:في قوله تعالى:﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم﴾(البقرة ٤٩)،والأعراف(آية ١٤١)قال تعالى:﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم﴾يعلل ابن الزبير-رحمه الله- فيقول:«فلما كان موضع تعداد نعم وآلاء ذكروا بها ليزدجروا عن المخالفة والعناد ناسبه التضعيف لإثباته بالكثرة، ولو قيل هنا :وإذ أنجيناكم لما أنبأ بذلك ولا ناسب المقصود مما ذكر، وأيضاً فان التضعيف في : ﴿نَجَّيْنَاكُم﴾ يناسب التضعيف الوارد بعده في قوله : ﴿يُذَبِّحُونَ﴾، ولم يكن لفظ :أنجيناكم غير مضاعف ليناسب»[(٢)].

لقد علل-رحمه الله-بما يدل عليه السياق،لكنه لما علل في نفس الآية اختصاص البقرة بقوله تعالى:﴿يُذَبِّحُونَ﴾،والأعراف بقوله:﴿يُقَتِّلُونَ﴾،تخلى عن دلالة السياق فقال:«الذبح منبئ عن القتل وصفته وأما اسم القتل فلا يفهم إلا إعدام الحياة..فعبر أولاً بما يوفي المقصود من الإخبار بالقتل مع إحراز الإيجاز،إذ لو ذكر القتل وأتبع بالصفة لما كان إيجازاً،فعدل إلى ما يحصل عنه المقصود مع إيجاز فقيل:﴿يُذَبِّحُونَ﴾،وعبر في سورة الأعراف بالقتل؛لأنه أوجز من لفظ:﴿يُذَبِّحُونَ﴾؛لأجل التضعيف إذ لفظ:﴿يُذَبِّحُونَ﴾أثقل لتضعيفه وقد حصلت صفة القتل في سورة البقرة فأحرز الإيجاز في الكل»[(٣)]،فهو يحيل في كلامه السابق على ترتيب المصحف،وقد بينا ضعف الاقتصار على

---

(١)السابق ١/٣٧٣-٣٧٤،وانظر أمثلة أخرى السابق ١/٢٠٥-١،١/٢٠٧،١/٢٣٤،٢-٤٠٦/٤٠٧،٢-٦٦٤/٦٦٥، ٢/٩٠٤-٢،٩٠٧/١١٣٥-١١٣٦.

(٢)انظر ملاك التأويل ١/١٩٩.

(٣)السابق ١/١٩٩-٢٠٠.

هذا المسلك وحده في التوجيه،ولو قال:إن ذكر الذبح في البقرة هو المناسب لسياقها لما يبينه من عظيم النعمة عليهم في خلاصهم من شدة ما هم فيه،لكان أولى،كما أنه لا إيجاز في ذكر القتل وصفته!والله أعلم.

المسلك الرابع:التوجيه بإظهار المناسبات بين السور.

وأعني هنا المناسبات المعنوية،وهذا المسلك علاقته بالذي قبله عموم وخصوص مطلق،فالسياق أعم مطلقاً من المناسبات بين السور،وهي أحد أفراد السياق،ولم أر أحداً من أهل التوجيه سلك هذا المسلك غيره-رحمه الله-.

مثاله:يقول-رحمه الله-:«قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ﴾(غافر ٧).وفي سورة الشورى (آية ٥):﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾.للسائل أن يسأل عن الوجه في تخصيص سؤال الاستغفار للمؤمنين في الأولى وتعميمه في الثانية؟.

والجواب،والله أعلم:أن ذلك جار بحسب المناسبة،ولما تقدم في الآية الأولى فيما ختمت به سورة الزمر من ذكر المتقين في قوله تعالى:﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾(الزمر ٧٣).،وقول الملائكة لهم عند دخول الجنة :﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾(الزمر ٧٣).وقول الداخلين عند دخولها:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾(الزمر ٧٤)إلى ختام السورة ،ثم تبع ذلك قوله تعالى في سورة المؤمن(آية ٣):﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾،ناسب هذا استغفار الملائكة للمتصفين بصفات المذكورين،ويشهد لهذا ما ورد بعده من قوله تعالى مخبراً عن ملائكته بقولهم داعين:﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾(غافر ٧)...وأما سورة الشورى فتقدمها قوله تعالى في خاتمة سورة السجدة(فصلت ٥٢):﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾،إلى قوله:﴿أَلَآ

﴿إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾(فصلت ٥٤)،ثم أتبع هذا في مطلع سورة الشورى(آية ٥)بقوله تعالى:﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾فناسب هذا استغفارهم لمن في الأرض لعظيم ما تقدم منهم مما أشار إليه قوله:﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾،فلولا حلمه تعالى لتعجل هلاكهم،فاستغفار الملائكة إبقاء سبحانه عليهم إذ لا يفوتونه،وقد يؤمن من سبقت له السعادة منهم»[(١)].

المسلك الخامس:التشاكل اللفظي والصوتي.

وله عند المصنف صور،منها التناسب في الطول والقصر،فيكون التعقيب الطويل بسببٍ من طول الآية،والقصير من قصر الآية،أو وجود المؤكدات في أحد المواضع وخلوها من الآخر،حتى يعمد أحياناً إلى عد الحروف،ومن الصور مراعاة الفواصل،ومنها أن يجعل سبب ورود اللفظ على هيئة معينة هو وروده على وفق ما يشاكله من تلك الهيئة،أو أن يناسب لفظ لفظاً آخر في صفة حروفه،وهكذا،وأمثلة هذا المسلك كثيرة جداً[(٢)].

وأحسن ما يقال في هذا المسلك:هو أنه لا يستقل بالتوجيه،بل لا بد من سبب معنوي يعود الأمر إليه،وأما الأسباب اللفظية فهي مفاتيح أولية يتوصل بها إلى القصد،والله أعلم.

---

(١)السابق ٢/٩٩٨-١٠٠٠،وانظر مثالاً آخر ٢/١٠٣١-١٠٣٣،والقول في عموم استغفار الملائكة في الشورى هو أحد القولين في الآية،والقول الثاني:أنها محمولة على الآية الأخرى فتكون للمؤمنين،انظر المحرر الوجيز ٤/٥٤٧،زاد المسير ٧/٢٧٢-٢٧٣.

(٢)انظر ملاك التأويل ١/٣٥٣، ١/٣٤٦، ١/٤١٢-٤١٣، ١/٥٦٧-٥٦٨، ٢/٧٢٠-٧٢١، ٢/٧٣٤-٧٣٥، ٢/٢،٧٤٩/٨٣٠، ٢/٩٧٤، ٢/١١١٩.

كشف المعاني في المتشابه المثاني

مؤلفه:بدر الدين محمد بن جماعة[(١)].

أما سبب تأليف الكتاب فقد ذكره المصنف في مقدمته،وأنه ناشئ عن أسئلة عن المتشابه عرضت في الدروس،ليس لها أجوبة في كتب التفسير المشهورة،فعزم على حلها بما يفتح الله عليه من المنقول وغير المنقول،لكن على وجه الاختصار[(٢)]،وكذا فعل فقد كان كتابه مختصراً،وأما طريقته التي سلكها فهي طريقة من تقدمه على ترتيب سور المصحف،وأما مسالكه فهو ما نحن بصدده الآن،وبها يتبين منهجه-بإذن الله-.

مسالك ابن جماعة وأصوله في توجيه المتشابه:

المسلك الأول:التوجيه بدلالة السياق.

مثاله:قال-رحمه الله-:«قوله تعالى:﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾(البقرة ١٧٣)،وفي المائدة(آية ٣)،والأنعام(آية ١٤٥)،والنحل(آية ١١٥):﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾.

جوابه:أن آية البقرة وردت في سياق المأكول،وحلّه وحرمته،فكان تقديم ضميره وتعلق الفعل به أهم.وآية المائدة وردت بعد تعظيم شعائر الله وأوامره،والأمر بتقواه،وكذا آية النحل بعد قوله:﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾(النحل ١١٤)،وكان تقديم اسمه أهم،وأيضاً فآية النحل والأنعام نزلتا بمكة،فكان تقديم ذكر الله بترك ذكر الأصنام على ذبائحهم أهم لما يجب من توحيده وإفراده بالتسمية على الذبائح،وآية البقرة نزلت بالمدينة على المؤمنين لبيان ما يحل لهم وما يحرم،فقدم الأهم فيه،والله أعلم»[(٣)].

---

(١)هو:محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة،يكنى ببدر الدين بن جماعة،ولد سنة(٦٣٩هـ)،كان أبوه من العلماء وله إخوة كذلك،فهو بيت علم نشأ فيه المصنف،ارتحل في طلب العلم،وتفقه ومهر في الفنون،ولي خطابة الجامع الأموي مع القضاء،له الكثير من المؤلفات التي تربوا على الأربعين مؤلفاً،انظر الوافي بالوفيات ٢٩٧/٣،شذرات الذهب ٦٩/٦ .

(٢)انظر مقدمة المؤلف ص ٨٥-٨٦.

(٣)كشف المعاني ص ١١٦.

لقد قرر-رحمه الله-السياق أحسن تقرير،وأكده بما بينه من مرحلة النزول[(١)].

مثال آخر:قال-رحمه الله-:«قوله تعالى:﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾(البقرة ٥٨).وفي الأعراف:﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾(الأعراف ١٦١).

جوابه:عن اختلاف ألفاظ الآيتين،وفائدة مناسبتهما مع قصد التنويع في الخطاب،أما آية البقرة فلما افتتح ذكر بني إسرائيل بذكر نعمه عليهم بقوله تعالى:﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾(البقرة ٤٠).ناسب ذلك نسبة القول إليه،وناسب قوله:﴿رَغَدًا﴾؛لأن النعم به أتم،وناسب تقديم:﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾،وناسب:﴿خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾؛لأنه جمع كثرة،وناسب الواو في:﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛لدلالتها على الجمع بينهما،وناسب الفاء في:﴿فَكُلُوا۟﴾؛لأن الأكل مترتب على الدخول،فناسب مجيئه.وأما آية الأعراف،فافتتحت بما فيه توبيخهم وهو قولهم:﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾(الأعراف ١٣٨)ثم اتخاذهم العجل،فناسب ذلك:﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾،وناسب ترك:﴿رَغَدًا﴾والسكنى لجامع الأكل،فقال:﴿وَكُلُوا۟﴾وناسب تقديم ذكر مغفرة الخطايا،وترك الواو في:﴿سَنَزِيد﴾»[(٢)].

وعندي أن كشف المعاني من أظهر كتب المتشابه التي اهتمت بالسياق،لكنه يقصر أحياناً عن تمام البيان،ومما يدل على أن بيانه يقصر أحياناً:أنه جعل ما اختصت به آية البقرة كله لمناسبة سياق النعم لكنه لم يبين وجه المناسبة لكل المتشابه؛لأنه لم يوضح مثلاً مناسبة

---

(١)انظر مثالاً آخر استند فيه إلى سبب النزول،السابق ص ١١٩مسألة(٥٣).

(٢)السابق ص ١٠٢-١٠٣،وانظر أيضاً ص ١١١ مسألة(٤٣)،ص ١٣٧ مسألة(٧٧)،ص ٣٠٠ مسألة (٣٣٥).

تقديم السجود على حط الذنوب للسياق،ثم إنه رحمه الله قد جعل الـذي في الأعـراف لمناسبة سياق عصيان بني إسرائيل،لكنه لم يبين وجه مناسبة المتشابه لما حدده من السياق.

وهو إذ يوجه بالمناسبة كما في كلامه السابق،فإنه لا يقصد التناسب اللفظي،بـل تناسب المعنى وهو يشير إلى السياق،كما هو واضح في توجيهه السابق[(١)].

المسلك الثاني:التوجيه بأمر خارج وليس له سند ظاهر من لفظ الآية.

مثاله:قال-رحمه الله-:«قوله تعالى:﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾(العنكبوت ٢٢).وفي حم عسق:﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾(الشورى ٣١).جوابه:أن الخطاب لقوم إبراهيم عليه السلام ،ومن في زمانهم من الكفار ،ومنهم نمرود الذي كان يعتقد أنه يصعد إلى السماء فقال تعالى:﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾للذين يعتقدون القـدرة على ذلك،فناسب ترك ذكره»[(٢)].إنه ليس للمصنف-رحمه الله-مستند في توجيهه هذا إلا ما هو من قبيل الإسرائيليات،وعليه فإنه لا بد من ثبوت الدليل في المعنى الذي يذهب إليه الموجه حتى يتبين صواب التوجيه.

المسلك الثالث:التوجيه بالتناسب اللفظي.

وهذا المسلك قليل عنده،وأبرزه القول بمراعاة الفاصلة.

مثاله:قال-رحمه الله-:«قوله تعالى:﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ﴾(الأنعام ٥٠)،وفي هود حذف:﴿لَكُم﴾.جوابه:أن آية هود تقدمها لكم عدة مرات،فاكتفى به تخفيفاً،ولم يتقدم هنا(أي في الأنعام)سوى مرة واحدة»[(٣)].

---

(١)انظر أمثلة أخرى في ذلك ص ١٦٣ مسألة(١١٥)،ص٢٠٨ مسألة(١٨٧)

(٢)السابق ص ٢٩٧-٢٩٨،وانظر أمثلة أخـرى ص ١١١ مسـألة(٤٢)،ص ٢٥٥ مسـألة(٢٦٣)،ص ٣٢٤ مسألة(٣٦٢).

(٣)كشف المعاني ص ١٦٨،وانظر ص ٢٥٧ مسألة(٢٦٦)،ص ١٩١ مسألة(١٦٤).

فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن

مؤلفه:أبو يحيى زكريا الأنصاري[(١)].

وهذا الكتاب كما يظهر من عنوانه ليس مختصاً بتوجيه المتشابه اللفظي،بل مقصود به الكشف عن الملتبس بما في ذلك المتشابه اللفظي،وكما هو صريحٌ في مقدمة المؤلف.

وهو كتابٌ مختصرٌ جداً يختصر كلام من سبقه،فكان من سماته أنه لا يتضح المقصود به أحياناً،كما هو الحال في البرهان،وهي من نتائج الاختصار،ولم أجد في هذا الكتاب شيئاً تميز به،فهو اختصارٌ للبرهان[(٢)]،ولهذا فلن أطيل في دراسته.

مسالك الأنصاري وأصوله في توجيه المتشابه:

المسلك الأول:التشاكل اللفظي.

مثاله:قال-رحمه الله-:«قوله:﴿ **فَأَنزَلْنَا** ﴾(البقرة ٥٩) عبر بدله في الأعراف بقوله:﴿ **فَأَرْسَلْنَا** ﴾(الأعراف ١٦٢)؛لأن لفظ الرسول والرسالة كثر ثمّ،فناسب التعبير بأرسلنا»[(٣)].

المسلك الثاني:التوجيه بأدنى ملابسة.

وقد بينا مقصودنا بهذا المسلك في دراسة البرهان[(٤)].

المسلك الثالث:التوجيه بترتيب المصحف[(٥)].

المسلك الرابع:التوجيه بدلالة السياق[(٦)]،والله أعلم.

---

(١)هو:زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري،حفظ القرآن صغيراً،التحق بالأزهر فحفظ ودرس كثيراً من متون العلم،عمّر وعمي آخر عمره،مات سنة(٩٢٦هـ)على خلاف في ذلك،انظر مقدمة محقق كتابه ص ١٧-٣٧.

(٢)انظر من بلاغة المتشابه اللفظي ص ٢٧.

(٣)فتح الرحمن ص ١٥٧،وانظر ص ٤١٧، ٤١٨، ٤٦٤.

(٤)انظر أمثلة ذلك عند الأنصاري ص ٢٦٢، ٢٦٣، ٤٢٤، ٤٦٤.

(٥)انظر أمثلة ذلك ص ١٥٨، ١٦٠، ٤١٧.

(٦)انظر أمثلة ذلك ص ١٦٧، ٢٣٤، ٣٠٢-٣٠٣، ٥٤٢.

القسم الثاني

الدراسة التطبيقية

على قصة موسى عليه السلام

تمهيد

لقد كانت الدراسة التطبيقية القسم الثاني من أقسام البحث حيث تقدمها القسم الأول الدراسة النظرية بفصليها،وهذا القسم التطبيقي هو لبُّ البحث وثمرته،ولم يكن خافياً عليّ صعوبة هذا السبيل ،كما انه لم يكن خافياً عليّ أنه طريقٌ دحضٌ مزلّة،أسأل الله المعونة والسداد.

ولقد اتبعت في هذا القسم المنهج التالي:

أولاً: قمت بحصر الآيات المتشابهة في قصة موسى عليه السلام في القران الكريم، وجعلتها مقاطع مرقمة لكل سورة أرقامها،مبتدئاً بإيراد السور ومقاطعها على ترتيب ورودها في المصحف،فابتدأت بالبقرة وما تشتبه معه من السور،ثم آل عمران وهكذا،وما سبق توجيهه من آيات السور المتأخرة في السور المتقدمة عليها أحيل إليه هناك،على ما هو المتبع في كتب توجيه المتشابه.

ثانياً:قدمت لكل سورة بمقدمة،أتلمس فيها سياق السورة العام،ثم سياق القصة الخاص،وملاءمته لسياقها العام،وقد أقتصر على سياق القصة الخاص دون العام في بعض السور التي وردت فيها القصة مختصرة ظاهرة السياق،وكل ذلك بالرجوع إلى كلام العلماء ،وكد الذهن بالتأمل المتكرر على حسب الطاقة والوسع والله المستعان،وكل السور المتأخر ورودها والمشاركة في المتشابه فإني أحيل على سياقها في مواضعها وهكذا.

ثالثاً:لقد أوردت آيات المقاطع بكمالها غير مقتصرٍ على موضع الشاهد منها، وعزوت كل آية برقمها لسورتها،كل ذلك حتى ينظر ويتأمل القارئ في معنى الآية كلها من سورتها؛لأهمية هذا في بيان دلالة السياق.

رابعاً:بينت مواضع التشابه من هذه المقاطع ابتداءً ونوع هذا التشابه،وهو مرتبط بمبحث أنواع المتشابه اللفظي في القران من قسم الدراسة النظرية،إذ كان من غرضي هناك أن أبحث في الأصول العلمية لهذا المتشابه.

خامساً:خاتمة ذلك وثمرته وهو بيان أثر السياق في توجيه المتشابه،ولا يخفي أن السداد في هذا التوجيه مرتبط بالتوفيق في تلمس السياق العام والخاص لكل سورة وقصة.كما لا يخفي أن هذا مما يحتاج إلى إعمال الذهن في البحث عن السر الذي جعل

كل سياق يختص بما يختص به من المتشابه،وإعمال الذهن في كلام العلماء في توجيه المتشابه وكلامهم في التفسير ومدى تساوقه مع السياق.

سادساً: القاعدة أن كل لفظ أتى في موضعه فهو المناسب لذلك الموضع لا ينوب غيره عنه،وعليه فقد ألزمت نفسي بتوجيه كل لفظ في محله.

سابعاً: لم أعرض للقراءات في المتشابه إلا ما ظننت أن له أثرا في التوجيه،أو كان محل إشكال رُمت إزالته.

وأخيراً فإليك البيان فيما أنت ناظر إليه بإذن الله من التطبيق،وبالله التوفيق.

سورة البقرة:

سورة البقرة مدنية بلا خلاف[(١)]،والسياق العام لهذه السورة هو«تقرير أصول العلم وقواعد الدين»[(٢)]،ولقد كانت هذه السورة من أوائل السور التي نزلت بالمدينة إن لم تكن أولها.

قال ابن حجر رحمه الله :«واتفقوا على أنها مدنية وأنها أول سورة أنزلت بها»[(٣)].

ولقد اعتنت السورة بمخاطبة جميع طوائف المجتمع المدني ومنهم طائفة بني إسرائيل،والملاحظ أن قصة موسى عليه السلام مع فرعون في هذه السورة قد وردت بسياقٍ ظاهرٍ فيه تعداد النعم والآلاء على بني إسرائيل كما يتبين ذلك بالأمور التالية:

الأمر الأول:أن أول آية في القصة التي أتت كالعنوان لذلك كانت صريحة في تحديد هذا السياق حيث يقول الله تعالى:﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾،ثم أكد هذا المعنى أيضا في الآية (٤٧) حيث قال سبحانه:﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾،وفي الآية (١٢٢) حيث قال سبحانه:﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢﴾.

الأمر الثاني:انه قد تكرر بعد إجمال النعم في أولها قوله سبحانه:﴿وإذْ﴾المشعر بظهور الامتنان وتعدده؛وذلك لأنها بمعنى :واذكروا إذ،فهي بمعنى التذكير بنعم الله عليهم ،وقد عدد عليهم في السورة كثيراً من نعمه عليهم مفصلة: منها نجاتهم من فرعون وهلاك

---

(١)انظر البرهان في علوم القران ١/١٨٧،وتفسير ابن كثير١/ ١٥٥.

(٢)مجموع الفتاوى ١٤/٤١،ولقد دلل رحمه الله على هذا السياق مستعرضاً أغراض السورة فانظره في الفتاوى ١٤/٤١-٤٧.

(٣)فتح الباري ٨/١٠،وانظر البرهان في علوم القرآن ١/١٩٤،الإتقان ١/٨٠-٨٢.

آل فرعون بالغرق مع رؤيتهم لذلك،وعفوه وتوبته عنهم في عبادتهم العجل،وبعثهم بعد موتهم عند طلبهم الرؤية،وتظليلهم بالغمام، وإنزال المن والسلوى إلى غيرها[(١)].

الأمر الثالث:ما يتبين بعد –إن شاء الله تعالى– من توجيه المتشابه في السورة حيث يظهر فيه مناسبة تلك الألفاظ لهذا السياق.

والسبب في تعداد النعم عليهم في هذه السورة،وتذكيرهم بما لله عليهم من الأيادي والفضل:هو دعوتهم إلى الدخول في هذا الدين،واتباع هذا النبي ﷺ،والتمسك بهذا الكتاب،والله أعلم بالصواب.

قال ابن القيم –رحمه الله–:«وأما قوله تعالى : ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾ (البقرة ٤٧)فإنما يذكرهم بنعمته على آبائهم،ولهذا يعددها عليهم واحدة واحدة ؛بأن أنجاهم من آل فرعون،وبأن فرق بهم البحر،وبان وعد موسى عليه السلام أربعين ليلةً فضلوا بعده،ثم تاب عليهم وعفا عنهم،وبأن ظلل عليهم الغمام،وأنزل عليهم المن والسلوى،إلى غير ذلك من نعمه التي يعددها عليهم ،وإنما كانت لأسلافهم وآبائهم،فأمرهم أن يذكروها ليدعوهم ذكرهم لها إلى طاعته والإيمان برسله،والتحذير من عقوبته بما عاقب به من لم يؤمن برسوله و لم ينقد لدينه وطاعته،فكانت نعمته على آبائهم نعمة منه عليهم تستدعي منهم شكراً،فكيف تجعلون مكان الشكر عليها كفركم برسولي،وتكذيبكم له،ومعاداتكم إياه،وهذا لا يدل على أن نعمته المطلقة التامة حاصلة لهم في حال كفرهم،والله أعلم»[(٢)].

وقال البقاعي–رحمه الله–:«المقصود من سياق قصص بني إسرائيل في البقرة الاستجلاب للإيمان بالتذكير بالنعم»[(٣)].

وممن صرح بظهور هذا السياق ابن الزبير الغرناطي –رحمه الله–في توجيهه قول الله تعالى:﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ﴾ (الآية:٥٨) من السورة، حيث قال:«فورد جمعها في

---

(١)انظر ملاك التأويل ١/١٩٩.

(٢)بدائع الفوائد ٢/٤٢٧.

(٣)نظم الدرر ٨/٧٠،بتصرف يسير.

البقرة مكسراً ليناسب ما بنيت عليه آيات البقرة من تعداد النعم والآلاء...فطابق الوارد في البقرة ما قصد من تكثير الآلاء والنعم.»[(١)]

وكذا صرح السيوطي رحمه الله بذلك في توجيهه للآية نفسها حيث قال :«ونكتته أن آية البقرة في معرض ذكر النعم عليهم»وفي توجيهه للفظ الإنزال في الآية : (٥٩) ﴿فَأَنزَلْنَا﴾قال :«فناسب سياق ذكر النعمة في البقرة ذلك.»[(٢)]

(١) ملاك التأويل ٢٠٧/١،وانظر أيضاً ٢٠٥/١، ٢٠٨/١.

(٢)الإتقان ٩٩٧/٢.

المقطع الأول

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾(البقرة:٤٨)

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾(البقرة:١٢٣)

مواضع المتشابه ونوعه:

الموضع الأول: في الآية الأولى قدم ذكر الشفاعة على العدل،وفي الثانية العكس.

ونوع هذا الموضع تشابه بالتقديم والتأخير.

الموضع الثاني: في الآية الأولى نفى قبول الشفاعة،وفي الثانية نفى نفعها.

الموضع الثالث: في الآية الأولى نفى أخذ العدل،وفي الثانية نفى قبوله.

ونوع هذين الموضعين تشابه بالإبدال إبدال لفظ بلفظ،وفي كلا الموضعين ليس اللفظ المبدل بالذي يقال عنه إنه مرادف للمبدل عنه.وفي توجيه المتشابه يتبين-بإذن الله- السر في هذا الإبدال.

ولا بد أولاً من معرفة معنى لفظي الشفاعة والعدل والذي يدور عليهما متشابه الآيتين،حتى يظهر معنى التوجيه.

قال ابن جرير رحمه الله:«والشفاعة مصدر من قول الرجل شفع لي فلان إلى فلان شفاعة،وهو طلبه إليه في قضاء حاجته،وإنما قيل للشفيع شفيع وشافع؛لأنه ثنى المستشفع به فصار له شفعا،فكان ذو الحاجة قبل استشفاعه به في حاجته فردا فصار صاحبه له فيها شافعا،وطلبه فيه وفي حاجته شفاعة،ولذلك سمي الشفيع في الدار وفي الأرض شفيعا لمصير البائع به شفعا»[(١)].

(١)تفسير الطبري ١/٦٣٥-٦٣٦،وانظر معجم مقاييس اللغة ص ٥٣١.

قال القرطبي-رحمه الله-:« وقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٌ﴾ النفس الكافرة لا كل نفس»[(١)].

والإجماع هنا إجماع أهل السنة،وإلا فقد خالف في ذلك الوعيدية من المعتزلة والخوارج فنفوا الشفاعة للعصاة[(٢)].

وأما لفظ العدل فقد قال ابن جرير-رحمه الله-:«والعَدل في كلام العرب بفتح العين الفدية...وإنما قيل للفدية من الشيء والبدل منه عَدل لمعادلته إياه وهو من غير جنسه ومصيره له مثلا من وجه الجزاء لا من وجه المشابهة في الصورة والخلقة،كما قال جل ثناؤه:﴿وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٍ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآ﴾(الأنعام٧٠) بمعنى وان تفد كل فدية لا يؤخذ منها»[(٣)]

وهاتان الآيتان في شأن اليهود كما هو ظاهر السياق،ومعنى هذا أن الآيتين تقضيان على ما قد يرومه اليهود من الشفاعة من أنبيائهم وصالحيهم وهم كانوا أولاد الأنبياء.

قال ابن عاشور –رحمه الله-:«وقد كانت اليهود تتوهم أو تعتقد أن نسبتهم إلى الأنبياء وكرامة أجدادهم عند الله تعالى مما يجعلهم في أمن من عقابه على العصيان والتمرد ،كما هو شأن الأمم في إبان جهالتها وانحطاطها،وقد أشار لذلك قوله تعالى:﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ﴾(المائدة ١٨)»[(٤)].

---

(١)تفسير القرطبي ١/٢٥٨.وانظر تفسير ابن كثير ١/٢٥٩.

(٢)انظر الكشاف ١/١٤٠،فقد قرر عقيدة المعتزلة في هذه المسألة.

(٣)تفسير الطبري ١/٦٣٧-٦٣٩،وانظر المحرر الوجيز ج١/ص٢٩،زاد المسير ١/٧٧.

(٤)التحرير والتنوير ١/٤٨٦-٤٨٧،وانظر تفسير الطبري ١/٦٣٦،تفسير القرطبي ١/٢٥٩،الكشاف ١/١٣٩.

كما تقضي الآيتان على ما قد يتوهمه اليهود من الخلاص في بذل الفداء في يوم القيامة.ولم يبق إلا أن نعرف السبب في هذه الاختلافات بين الآيتين.وهذا من شأن السياق.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد اختلف العلماء في مرجع الضمير في قوله:﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾ ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾،هل هو راجع إلى النفس الأولى الجازية أو إلى النفس الثانية المجزي عنها؟.

وعلى القول بأنه راجع إلى النفس الأولى فالمعنى ظاهر في عدم قبول الشفاعة منها،وأما أخذ العدل منها فهو فيما لو أرادت أن تفدي عن النفس الثانية المجرمة،ثم هل هو فداءٌ تبذله من نفسها أو تأخذه من النفس المجرمة علّ شفاعتها تقبل فيها؟هذا ما سيتبين بعد بإذن الله.

وأما على القول بأنه راجع إلى النفس الثانية فالمعنى أنها لو جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها،كما لا يؤخذ منها فدية إن أرادت الفداء[(١)].

ولقد ذهب بعض الموجهين إلى أن الآية الأولى في النفس الأولى ،والآية الثانية في النفس الثانية،وأن سر تقديم الشفاعة في الآية الأولى هو أن الشافع يقدم شفاعته قبل بذل العدل عن النفس المشفوع لها،وأما تقديم العدل في الآية الثانية؛فلأن النفس المجرمة تقدم العدل أولاً لحاجتها إلى الشفاعة عند رده[(٢)].

وذهب بعضهم في توجيه متشابه الآيتين إلى:«أن من كان ميله إلى حب المال أشد من ميله إلى علو النفس فانه يقدم التمسك بالشافعين على إعطاء الفدية،ومن كان بالعكس يقدم الفدية على الشفاعة،ففائدة تغيير الترتيب الإشارة إلى هذين الصنفين»[(٣)]

---

(١)انظر الكشاف ١/١٤٠،إرشاد العقل السليم ١/٩٩،

(٢)انظر كشف المعاني ص ١٠٠،وتبعه الزركشي انظر البرهان ١/١٢٥،والسيوطي انظر الإتقان ٢/٩٩٦.

(٣)التفسير الكبير ٣/٥١.

والملاحظ أنه على كلا التوجيهين لم يتبين السر في اختصاص كل موضع بما اختص به،وعليه فإن التوجيه بهذا الاعتبار يكون ناقصاً،كما أن النفس لا تطمئن إليه حتى يتبين سر الاختصاص في كل موضع،وذلك بكشف مناسبته للسياق.

والذي يظهر-والله أعلم- هو أن الآية الأولى في النفس الأولى ،والثانية في النفس الثانية،لما سنبينه -بإذن الله-من دلالة السياق،وللوجهين التاليين من نفس نص الآيتين:

الوجه الأول:أنه قدم في الآية الأولى ذكر الشفاعة،وبلفظ القبول؛وذلك أن« المتبادر من نفي قبول الشفاعة أنها(أي النفس الأولى الشافعة) لو شفعت لم تقبل شفاعتها»[(١)] ،وليس المتبادر أن النفس الثانية لو أتت بشفيع لم يقبل منها.

الوجه الثاني:الظاهر من نص الآية الأولى هو أنها تتحدث عن النفس الأولى،فهي المحدث عنها في أول الآية:﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـٔٗا﴾،وإنما قلنا إن الآية الثانية في النفس الثانية وإن كانت تشترك معها في مطلعها،لما جاء في آخرها مما هو كالصريح في أنها للنفس الثانية،وهي قوله:﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾،فالنفع للنفس المجزية لا للنفس الجازية.

وأما السياق فإنه كذلك يدل على أن الآية الأولى في النفس الأولى،والآية الثانية في النفس الثانية،كما أنه يفسر لنا سر التغاير بين الآيتين.

وذلك أن الآية الأولى جاءت في أول قصة بني إسرائيل،وقد افتتح الله خطابه لهؤلاء اليهود المعاصرين للنبي ﷺ قبل هذه الآية بثماني آيات،والذي يظهر أن الخطاب كان معنياً به أحبارُ اليهود وعلماؤهم وأما العامة فكانوا تبعاً لهم،وقد افتتح هذا الخطاب بتذكيرهم بنعمة الله عليهم استجلاباً لهم للإيمان،ثم أمرهم بالوفاء بعهد الله.

قال ابن جرير-رحمه الله-:«وهو في هذا الموضع عهد الله ووصيته التي أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن يبينوا للناس أمر محمد ﷺ أنه رسول الله،وأنهم يجدونه مكتوباً عندهم أنه نبي الله،وأن يؤمنوا به وبما جاء به من عند الله»[(٢)] ،ثم أعقب ذلك بكشف

---

(١)روح المعاني ج٢/ص٢٥٢.

(٢)جامع البيان ١/٥٩٦.

بواطن هؤلاء الأحبار حيال هذا النبي ﷺ وهذا الدين،فقد أظهر لهم أولاً اطلاع الله،واطلاع رسوله ﷺ على ما يعلمونه من تصديق القرآن لما عندهم من الحق من نبوة محمد ﷺ وصفته،وحذرهم من أن يكونوا أول كافر به ،وعندهم من العلم ما ليس عند غيرهم.

ولقد سعى هذا الخطاب في قطع العوائق التي قد تعوق هؤلاء الأحبار عن اتباع النبي ﷺ ،وكان أعظم ذلك ما هم عليه من الرياسة،ولهذا فإنه بعد أن بين اطلاعه على ما عندهم،وحذرهم من الكفر به،نهاهم عن أن يشتروا بآيات الله هذا الثمن القليل ثمن الرياسة البخس.

قال ابن جرير-رحمه الله-:«فتأويل الآية إذن:لا تبيعوا ما آتيتكم من العلم بكتابي وآياته بثمن خسيس،وبيعهم إياه تركهم إبانة ما في كتابهم من أمر محمد ﷺ للناس،بثمن قليل،وهو رضاهم بالرياسة على أتباعهم من أهل ملتهم ودينهم.»[(١)] ،ثم حذرهم من أن تعميهم شهوة الرياسة فيلبسوا الحق بالباطل كما قد زعموا من نبوة محمدٍ ﷺ للأميين،أو أن يكتموا أمره ﷺ والخطاب بهذا يبين لهم اطّلاع الله على سرائرهم،وإطلاعه نبيه ﷺ على ذلك،وهم أول من يعلم ذلك،ولهذا فقد أمرهم بعد ذلك بالدخول في هذا الدين مع المصلين الراكعين والمزكين،ثم بين الخطاب بعد ذلك حقيقة أخرى من حقائقهم التي يتسترون وراءها وهو أنهم كانوا يأمرون أتباعهم بالتمسك بالتوراة،وهم ينسون حظهم منها في تركهم الامتثال لما تأمر به التوراة من اتباع النبي ﷺ،كما هو تفسير ابن عباس رضي الله عنه للآية[(٢)] ،ثم أمرهم بالاستعانة بالصبر والصلاة على قطع هذا العائق وهو حب الرياسة[(٣)] ،وأن هذه الوسيلة وهي الصبر والصلاة لا تستقيم إلا لمن أيقن ملاقاة ربه ورجوعه إليه،ثم أعاد تذكيرهم بنعمته عليهم وبما فضلهم به على العالمين،فإنه لا يحق لمن فضله الله بالعلم أن يستنكف له ويخالفه.

---

(١)جامع البيان بتصرف يسير ١/٦٠٤.

(٢)انظر جامع البيان ١/٦١٤.

(٣)انظر جامع البيان ١/٦١٧.

وبعد كل هذا تأتي الآية محل البحث،فتجتث آخر ما قد يبقى عند هؤلاء الأحبار من العوائق،فإنه بعد أن بين الله علمه بخبايا أمورهم،وحذرهم اتباع ذلك العائق الكبير حب الرياسة الذي أبعدهم عن الحق،فإنه لا بد أن تكون نفوسهم قد علمت ذنبها وإن لم تقر به،ولكن يبقى بعد ذلك عائق لا يقل عن الذي قبله وهو ما كانوا يتعلقون به من انتسابهم للأنبياء ورجائهم شفاعتهم،وهذا يجعلهم لا يستعظمون ذنوبهم وعصيانهم للنبي ﷺ ،ولهذا فلقد بادرت الآيات من أول القصة إلى نزع هذا العائق فكان المناسب أن يكون الحديث عن النفس الشافعة ،وبيان حالها لهؤلاء القوم حتى لا يبقى في نفوسهم أي تعلق بها،فقدم ذكر الشفاعة نافياً قبولها من الشافع،ثم ثنى بذكر العدل ونفى فائدته بلفظ الأخذ،وهو لفظ أعم من نفي القبول حتى يشمل العدل الذي قد تقدمه النفس الشافعة من مالها أو من مال المشفوع له بين يدي شفاعتها فيما لو ردت شفاعتها[(١)] .

وأما الآية الثانية فجاءت آخر آية في القصة،وقد سبقها آيات كثيرة تبين فضائح اليهود،وشدة عصيانهم،وقد يكون بين أول القصة وآخرها زمن طويل لم يستجب فيه اليهود فكان أن تغير الخطاب لهم ،وذلك أننا نجد في آخر القصة أن الخطاب قد توجه للنبي ﷺ بعدم الاكتراث بهم،وبأن هؤلاء اليهود لن يرضوا عن هذا النبي ﷺ حتى يتبع ملتهم،وحذره من اتباعهم،وفي هذا من إظهار العزة وعدم الاكتراث بهم ما فيه،ثم بين أن من أوتي التوراة حقاً هو من يتبعها ،ومن اتبعها لا بد أن يتبع النبي ﷺ لما فيها من الأمر باتباعه،وهؤلاء هم المؤمنون بالتوراة،ومن لم يؤمن بالنبي ﷺ لم يؤمن بالتوراة وأولئك هم الخاسرون[(٢)] ،وبهذا فإن الآيات في آخر القصة تنزع عن هؤلاء اليهود شرفهم الذي يحاولون الانتساب إليه وهو التوراة،مبينةً أن من لم يؤمن بالنبي ﷺ فلا حظ له بهذا الكتاب،ولهذا أعقب ذلك سبحانه بإعادة تذكيرهم بما من الله به عليهم من النعم ومن التفضيل الذي لا تحصل حقيقته إلا بالإيمان الذي قد تبين لهم شأنه.

وبعد ذلك تأتي الآية محل البحث،وهي تأتي وقد انكشفت للقوم حقيقة أنفسهم،ولهذا كان الحديث عنهم هم عن النفس الثانية المجرمة المجزي عنها ،وبأنها لن يقبل

---

(١)انظر روح المعاني ج١/ص٢٥٢.

(٢)انظر جامع البيان ٢/٤٩٥.

منها يوم القيامة الفداء؛لأنه لم يبق لهم بعد تعلق بالآباء،بل كأن هذه النفس قد عرفت جرمها فهي تريد الفداء بمالها،ولو كان شاقاً على هذه النفس اليهودية الجشعة،وفي هذا من التيئيس لهم وإقامة الحجة ما فيه،فكان البدء بنفي العدل هو المناسب وبلفظ القبول؛لأنها تقدمه عن نفسها من مالها،ثم عقب بنفي نفع الشفاعة و لم يعبر بالقبول ،والسر في ذلك والله أعلم هو شدة التيئيس لهم أيضاً حتى يعلموا أن لا سبيل للخلاص إلا بهذا الدين،وذلك أن في نفي نفع الشفاعة «ثبوت أصل الشفاعة في ذلك اليوم»[(١)] ،والمعنى أن الشفاعة نافعة في ذلك اليوم لكن ليس لكم،لما أنتم عليه من الكفر.

وبهذا يتبين سر اختصاص كل موضع بما اختص به،وسر تغاير الألفاظ،والله أعلم بالصواب.

---

(١)تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين ٢/٣٩.

المقطع الثاني

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ (البقرة ٤٩)

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ (الأعراف ١٤١)

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾ (إبراهيم ٦).

مواضع المتشابه ونوعه

١-**الموضع الأول**:لقد جاء الفعل في البقرة بصيغة:﴿نَجَّيْنَٰكُم﴾بينما كان في الأعراف بصيغة:﴿أَنجَيْنَٰكُم﴾وأما في إبراهيم عليه السلام فكانت صيغته :﴿أَنجَىٰكُم﴾.

ويظهر في هذا الموضع نوعان من التشابه:

النوع الأول:التضعيف في البقرة: ﴿نَجَّيْنَٰكُم﴾ولم يكن ذلك في الأعراف وإبراهيم عليه السلام.

النوع الثاني:إضافة الفعل إلى ضمير الفاعلين في البقرة وفي الأعراف وأما في إبراهيم عليه السلام فكان الفعل مضافاً لضمير الغيبة.

إن التضعيف في البقرة: ﴿نَجَّيْنَٰكُم﴾ دون الأعراف وإبراهيم عليه السلام،اختلافٌ في الصيغة الصرفية-كما سبق في أنواع المتشابه- وتقرر هناك أن التضعيف يفيد التكثير[(١)].

ولا إشكال في إفادة: (فعَّلْتُ) للتكثير إذا لم تكن للتعدية،أما إذا كانت للتعدية ففيه الخلاف،وهي هنا للتعدية.

---

(١)انظر ص ١٢٥-١٢٦.

قال ابن عاشور-رحمه الله-:«فأما إذا كان فعّل المضاعف للتعدية فان إفادته التكثير مختلف فيها ،والتحقيق أن المتكلم قد يعدل عن تعدية الفعل بالهمزة إلى تعديته بالتضعيف لقصد الدلالة على التكثير ؛لأن المضاعف قد عرف بتلك الدلالة في حالة كونه لازماً فقارنته تلك الدلالة عند استعماله للتعدية مقارنة تبعية...وأنا أرى أن استفادة معنى التكثير في حال استعمال المضعف للتعدية أمر من مستتبعات الكلام حاصل من قرينة عدول المتكلم البليغ عن المهموز .الذي هو خفيف إلى المضعف الذي هو ثقيل،فذلك العدول قرينة على المراد وكذلك الجمع بينهما»[(١)] .

ويؤيد ما قرره ابن عاشور-رحمه الله-ما نحن بصدده من المتشابه وذلك من وجهين:

الوجه الأول:انه إذا كان عدول المتكلم البليغ عن الأصل في التعدية،والذي هو خفيف إلى المضعف الثقيل قرينة على إرادة التكثير،فكيف به إذا تكلم به في آية مضعفاً،وفي شبيهتها غير مضعف؟!

الوجه الثاني:ما يبينه السياق في توجيه المتشابه -بإذن الله -من إرادة التكثير،في الموضع المضعف،ولا يقال إن هذا استدلال في محل النزاع،والسبب:هو أننا لسنا نقرر سياق التكثير بهذا اللفظ المضعف،بل قد تقرر السياق بغيره-كما سبق-،وأتى هذا اللفظ موافقاً لهذا السياق.على أننا قد نقول :إن كلا الأمرين يعضد الآخر ،فيكون من باب زيادة التقرير والتأكيد ولا مشاحة حينئذٍ.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد جاء العدول عن المهموز إلى المضعف في البقرة وحدها مع إفادته التعدية في هذا الموضع،بينما بقيت الأعراف وإبراهيم عليهما السلام على الأصل،وما هذا إلا لغرض شريف وهو إفادة الكثرة والمبالغة في البقرة على ما قد بيّناه من سياقها.

قال ابن الزبير-رحمه الله-:«فلما كان موضع تعداد نعم وآلاء ذكروا بها ليزدجروا عن المخالفة والعناد ناسبه التضعيف لإثباته بالكثرة، ولو قيل هنا :وإذ أنجيناكم لما أنبأ

---

(١)التحرير والتنوير ١/١١.

بذلك ولا ناسب المقصود مما ذكر، وأيضاً فان التضعيف في : ﴿ نَجَّيْنَٰكُم ﴾ يناسب التضعيف الوارد بعده في قوله : ﴿ يُذَبِّحُون ﴾، ولم يكن لفظ :أنجيناكم غير مضاعف ليناسب»[(١)] ،ولأجل هذا المعنى أيضاً أضاف الله الإنجاء لنفسه بضمير التعظيم[(٢)] .

وأما الأعراف فان هذه الصيغة:﴿ أَنجَيْنَٰكُم ﴾ محتملةٌ أن تكون من مقول الله لهم ،ويكون المقصود به اليهود الذين بين ظهراني مهاجر النبي ﷺ وهذا ما ذهب إليه ابن جرير رحمه الله[(٣)] .

والأقرب أن يكون هذا«امتناناً من الله اعترضه بين القصة وَعِدةِ موسى ﷺ انتقالاً من الخبر والعبرة إلى النعمة والمنة،فيكون الضمير ضمير تعظيم»[(٤)] ،ويعضد هذا قراءة ابن عامر:﴿ أَنجَىٰكُم ﴾،فهي من مقول موسى عليه السلام يذكرهم بنعمة الله عليهم[(٥)] .

وعلى هذا فلم يضعّف الفعل هنا؛لأن التذكير بالنعمة هنا مرادٌ به-والله أعلم- **التقريع والتأنيب** للقوم في إسراعهم في العصيان والكفر على ما سيأتي -بإذن الله- في سورة الأعراف من أن سياق القصة في السورة معنيٌ ببيان إسراع القوم في الكفر

---

(١)انظر ملاك التأويل ١٩٩/١.

(٢)وانه لمما يلاحظ هنا في كلام ابن الزبير-رحمه الله-انه قد زاد سبباً لفظياً لهذا التضعيف وهو مناسبته للتضعيف الآتي في﴿ يُذَبِّحُون ﴾،وليس من الحرج أن يكون هناك أكثر من نكتةٍ بلاغيةٍ؛لأن النكات البلاغية لا تتزاحم.على أننا لا نوافقه على هذا السبب اللفظي بالمأخذ الذي ذهب إليه، حيث جعل اختصاص البقرة بلفظ:﴿ يُذَبِّحُون ﴾هو سبقها في ترتيب المصحف وهذا أصل عنده،انظر على سبيل المثال ملاك التأويل ١٩٩/١-٢٠٠،ومحل درس هذا مبحث دراسة كتب المتشابه اللفظي،فانظره هناك،وأما الذي نظنه هنا فهو أن هذه الصيغة متساوقة متظافرة على ما يقتضيه السياق على ما سيتبين بإذن الله في توجيه قوله تعالى: ﴿ يُذَبِّحُون ﴾.والله أعلم.

(٣)جامع البيان ٤١٣/١٠.

(٤)انظر التحرير والتنوير ج٨٥/٩.

(٥)انظر التحرير والتنوير ج٨٤/٩-٨٥،روح المعاني ج٤٢/٩،العذب النمير ١٥٤٨/٤.

والعصيان،ولقد كان السياق القريب للآيات يدل على ذلك أيضاً، فلقد كان هذا التذكير بعد ذكر خلاص بني إسرائيل من فرعون مباشرة حين عصوا وطلبوا عبادة العجل بعد مجاوزتهم البحر،وبعد معاينتهم من الآيات والعبر على يد نبيهم عليه السلام ما يحق أن تذَّكَّر معها البهائم كما قال ابن جرير-رحمه الله- [(١)]،ولما كان التضعيف يدل على الكثرة والمبالغة كما سبق "ومن مقتضيات التكثير والمبالغة في الحدث،استغراق وقت أطول وأنه يفيد تلبثاً ومكثاً" [(٢)]،كان المناسب في التقريع والتأنيب على العصيان والإسراع في الكفر أن يُذكر الخلاص بلفظ الإنجاء الدال على السرعة في النجاة من تلك الأهوال والويلات،حتى لا يبقى في تصور الموعوظ في هذه اللحظة إلا تلك النعمة العظيمة فلا يبقى في نفسه حينها فضلٌ ولا حمدٌ لأحدٍ سوى المتفضل المنعم بها،فلا يحق له حينها أن يبتغي معبوداً سواه،ولهذا أيضاً كانت إضافة الفعل إلى ضمير العظمة تقريراً لهذا المعنى وتحقيقاً لقدر العبودية في نفس الموعوظ.والله أعلم.

أما سورة إبراهيم عليه السلام فان المعدد للنعم هو موسى عليه السلام وقد أمره الله بذلك كما هو السياق هناك في سورة إبراهيم عليه السلام،«ولما كانوا قد طال صبرهم جداً بما طال من بلائهم من فرعون على وجه لا يمكن في العادة خلاصهم منه،وان أمكن على بعد لم يكن إلا في أزمنة طوال جداً بتعب شديد،أشار إلى إسراعه بخلاصهم بالنسبة إليه لو جرى على مقتضى العادة جزاءً على طول صبرهم ،فعبر بالإفعال دون التفعيل» [(٣)]؛لأنه الأظهر في بيان النعمة والمنة في هذا الموضع والسياق.

وبهذا التوجيه نكون قد انتظمنا الموضع الأول بنوعيه والله أعلم.

٢-**الموضع الثاني**:جاء في البقرة﴿ **يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ**﴾،وفي الأعراف﴿**يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ**﴾،و في إبراهيم عليه السلام ،﴿**يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ**﴾.

---

(١)جامع البيان ١٠/٤٠٨.

(٢) بلاغة الكلمة ص٦٢.

(٣)نظم الدرر ١٠/٣٨٣.

وهنا يظهر نوعان من المتشابه:

النوع الأول:إبدال كلمة بكلمة ففي البقرة وإبراهيم عليهما السلام :﴿ **يُذَبِّحُون**﴾،﴿ **وَيُذَبِّحُونَ**﴾،وفي الأعراف : ﴿**يُقَتِّلُون**﴾.

النوع الثاني:زيادة حرف العطف في سورة إبراهيم عليه السلام ،قد ترتب عليه ما يعرف بقاعدة الفصل والوصل،فقد فصل في البقرة بين جملة:﴿ **يَسُومُونَكُم سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ** ﴾وجملة :﴿ **يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ**﴾ ،وفصل في الأعراف بين جملة:﴿ **يَسُومُونَكُم سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ** ﴾وجملة:﴿ **يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ**﴾،وأما في إبراهيم عليه السلام فقد وصل فقال : ﴿**وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ**﴾ .

والنظر في هذا الموضع ينبني على القول بالترادف من عدمه وقد سبق دراسته في القسم الثاني من النوع الثاني من أنواع المتشابه من الدراسة النظرية[(١)] ،كما ينبني على قاعدة الفصل والوصل،وإذا كنا قد قررنا أن لا ترادف،فإننا لابد أن نتساءل إذاً لماذا كان الفعل في البقرة وإبراهيم عليهما السلام : ﴿ **يُذَبِّحُون**﴾،﴿ **وَيُذَبِّحُونَ**﴾،بينما جاء في الأعراف بصيغة: ﴿**يُقَتِّلُون**﴾؟،ثم لماذا كان الوصل في سورة إبراهيم عليه السلام ،والفصل في البقرة والأعراف؟

إنه لا بد لنا أن ننظر بادئ ذي بدء في الفرق بين الصيغتين في اللغة،ثم بعد ذلك ما السر في إتيان كل صيغة في موضعها؟

يقول الراغب-رحمه الله-:«أصل الذبح:شق حلق الحيوانات...وقوله:﴿ **يُذَبِّحُون**﴾ (البقرة:٤٩) على التكثير أي يذبح بعضهم إثر بعض»[(٢)] ،«فالذبح منبئ عن القتل وصفته»[(٣)] .وأما القتل فهو أعم من ذلك ،قال الراغب «أصل القتل :إزالة الروح عن

---

(١)انظر ص ١١٤-١١٦.

(٢)المفردات ص ٣٢٦،وانظر معجم مقاييس اللغة ص ٣٩٢.

(٣)ملاك التأويل ١٩٩/١.

الجسد»[١] وقال في قوله تعالى:﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾(المائدة:٩٥):«فإنه ذكر لفظ القتل دون الذبح والذكاة؛إذ كان القتل أعم هذه الألفاظ تنبيهاً إلى أن تفويت روحه على جميع الوجوه محظور»[٢]،وأما ابن فارس-رحمه الله-فقال:«القاف والتاء واللام أصل يدل على إذلال وإماتة»[٣]،ونراه هنا يزيد قيداً وهو الإذلال المصاحب لإزالة الروح.

وأما الوصل والفصل فالقاعدة فيه معروفة،قال أبو حيان-رحمه الله-[٤]:«فحيث لم يؤت بالواو جعل الفعل تفسيراً لقوله:﴿يَسُومُونَكُمْ﴾،وحيث أتى بها دل على المغايرة،وان سوم العذاب كان بالتذبيح وبغيره»[٥].

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إنه بالرجوع إلى كل لفظ في سياقه فإننا نعلم أن سياق البقرة في تعداد النعم على بني إسرائيل يمتن الله بها عليهم،وعليه فتكون هذه النجاة فرداً من أفراد النعمة ذكّرهم الله بها بلفظ التذبيح مفسراً به سوم العذاب،ومن المعلوم أن المخاطبين في البقرة هم بنو إسرائيل الذين في عهد النبي ﷺ،وهم لم يحصل لهم سوم عذاب مباشر ولا تذبيح أبناء مباشر وإنما كان هذا لأسلافهم،والمنة على أسلافهم منة عليهم[٦]،فكان التذكير لهم ببيان سوم العذاب بما هو أبلغه وأشده وهو تذبيح الأبناء بشق حلوقهم،واستحياء النساء وبقائهن«تحت يد العدو يفعل بهن ما يشاء من الفاحشة والعار»[٧] والخدمة،حتى كان «غير

---

(١)المفردات ص ٦٥٥.

(٢)المفردات ص ٦٥٦.

(٣)معجم مقاييس اللغة ص ٨٧٤.

(٤)هو:محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي مولداً المصري داراً،إمام في النحو،سمع من أبي جعفر ابن الزبير،له البحر المحيط في التفسير،مات سنة(٧٤٥هـ)انظر طبقات الداوودي ص ٢٧٨.

(٥)البحر المحيط ٣٩٦/٥،وانظر معاني القران للنحاس، والتحرير والتنوير ٤٩٣/١،الكشاف ٥١٩/٢-٥٢٠،وزاد المسير ٧٨/١،حاشية الشهاب ٢٥١/١-٢٥٢.

(٦)انظر جامع البيان ٦٤٢/١.

(٧)دفع إيهام الاضطراب ص ١٨.

ذلك من العذاب لا يعتد به تجاه هذا»[(١)]،والاقتصار في التذكير بالنعمة على هذه الصورة الشنيعة وحدها دون ما يزاحمها مما هو أقل منها،ظاهر في أن النجاة من مثل هذا من أتم النعمة وأكمل الفضل،كل ذلك يستحث الله به مكامن نفوس القوم ويستجلبها إلى الإيمان وطاعة الرحمن،ولقد كان السياق القريب أيضاً يقطع بأن المقصود هو قصر النجاة على هذه الصورة الشنيعة وحدها،فلقد ذكر سياق الآيات بعدها تمام النعمة بنجاتهم من فرعون ومن صنوف عذابه بغرقه تحت نظرهم معتبراً ذلك فرداً آخر من أفراد النعمة غير الذي قبله على ما بنيت عليه سورة البقرة من تعداد النعم،ولقد كان ذلك باللفظ المناسب لذلك المقام وهو لفظ الإنجاء الدال على السرعة في النجاة ،بل وبما لم يعهده البشر،فقال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾(الآية ٥٠)والله أعلم.

وأما سورة الأعراف فقد **كان الأمر فيها تذكيراً لبني إسرائيل بنعمة الخلاص من الفناء الذي كان يرومه لهم فرعون وقومه**،فكان لفظ التقتيل وهو اللفظ الأعم الشامل لجميع أنواع القتل،هو اللفظ المناسب،إذ المقصود بيان خلاص القوم من الاستئصال والفناء؛فانه لو بقي الحال على ما كان يرصده العدو لهم لفنيت بنوا إسرائيل،ولقد بين الله هذا الرصد من هذا العدو العنيد في هذه السورة قبل دلك فقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ۝١٢٧﴾(الآية ١٢٧)وانظر كيف قال العدوُّ: ﴿سَنُقَتِّلُ﴾ باللفظ الأعم إذ كان قصدهم الإفناء لا صورة من العذاب يوقعونها بالقوم المستضعفين،وهذا التهديد من فرعون كان بعد ظهور أمر موسى عليه السلام وقد سبقه تقتيلٌ لبني إسرائيل،يدل عليه قولهم لنبيهم عليه السلام بعده بآية: ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾(الآية ١٢٩)،والذي يظهر-والله أعلم-أن هذا

(١)التحرير والتنوير ١/٤٩٣.

التقتيل الأول لم يكن عاماً لجميع الأبناء؛لأنه لم يُقصد به الفناء،بل كان مقصوداً به تقليل بني إسرائيل حتى يبقوا تحت القهر والخدمة،ولا يكون لهم شوكة يخشى منها القوم على ملكهم،قال القاسمي-رحمه الله-في قوله تعالى:﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾(القصص ٤):"وذلك إماتة لرجالهم،وتقليلاً لعددهم،كيلا يكثروا فينازعوه الملك"[(١)]،وهذا هو ما كان يحذره فرعون وقومه في قوله تعالى:﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾(القصص ٦)[(٢)]،وإن مما يدل على أنه لم يكن عامّاً بقاء هارون عليه السلام و لم يذكر القرآن حيلة في تخليصه من القتل كما ذكر في موسى عليه السلام،كما أن فرعون قد ترك موسى عليه السلام فلم يقتله بعد طلب امرأته ذلك ،ولو كان الشأن عنده عامّاً لم يرجع عن ذلك لقول آسية رضي الله عنها.[(٣)]

---

(١)محاسن التأويل ٤١٦/٥،وانظر تيسير الكريم الرحمن ص ٥٦١.

(٢)انظر محاسن التأويل ٤١٦/٥،وتيسير الكريم الرحمن ص ٥٦١.

(٣)ويؤيد هذا ما جاء في حديث الفتون الطويل عن ابن عباس رضي الله عنه وفيه:أن فرعون تذاكر هو وجلساؤه يوماً ما وعد الله إبراهيم عليه السلام أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً،فأجمعوا أن يذبحوا كل مولود ذكر من بني إسرائيل ،فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم والصغار يموتون بالقتل،خافوا من أن تصير الخدمة إليهم،فخلصوا إلى أنهم يقتلون عاماً ويدعون عاماً ،فكان أن ولد هارون عليه السلام في العام الذي لا يقتلون فيه،وأما موسى عليه السلام فولد في العام الذي فيه القتل،وكان هذا من الفتون الذي كان على موسى عليه السلام،كما قال ابن عباس رضي الله عنه .أخرج هذا الأثر الطبري رحمه الله في تفسيره ٦٤/١٦-٦٩،والنسائي في الكبرى برقم (١١٣٢٦) ٣٩٦/٦-٤٠٦،وأبو يعلى في مسنده برقم (٢٦١٨) ١٠/٥-٢٩،وفي مجمع الزوائد برقم (١١١٦٦) ١٥٢/٧-١٦٥،وقال الهيثمي -رحمه الله-:رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد ،والقاسم بن أبي أيوب وهما ثقتان" مجمع الفوائد ١٦٥/٧،وقال ابن كثير -رحمه الله-بعد أن ساق حديث الفتون بطوله:"وهو موقوف من كلام ابن عباس رضي الله عنه ،وليس فيه مرفوع إلا قليل منه،وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنه مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره،والله أعلم ،وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضاً".تفسير القران العظيم ٢٩٣/٥،قلت:والذي يظهر أيضاً :أن بعضاً مما ذكره ابن عباس رضي الله عنه في حديث الفتون هو مما فهمه من القران.وقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره أثراً عن مجاهد،برقم (١٦٦٧٤) ٢٩٤٠/٩ فيه نحو ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه في سبب خلاص هارون عليه السلام ،وسبب الخوف على موسى عليه السلام.والله أعلم.

وأما بعد ظهور أمر موسى عليه السلام ورسالته فكان التهديد من فرعون عليه اللعنة تهديداً بالاستئصال والإفناء للأبناء،والقهر والإذلال للرجال والنساء،ولم يستطع بنوا إسرائيل الهجرة والنجاة من هذا الفناء،وترك البلاد لفرعون اللعين،والآيات في سورة الأعراف تقص علينا هذا الخبر،قال تعالى:﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾(الأعراف ١٣٤-١٣٥)،ولقد كانت معاجلة الله للقوم الظالمين بعد نكثهم العهد،رحمة بهؤلاء القوم المستضعفين،تبين ذلك الفاء المعقبة:﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾(الأعراف ١٣٦)،وكل ذلك يعلمه بنو إسرائيل ،وكل ذلك عاينه بنو إسرائيل،فكان التذكير في سورة الأعراف بذكر التقتيل،تذكيراً لبني إسرائيل **جميعهم** بنعمة الخلاص من الفناء والاستئصال،وكان أيضاً تقريعاً لهم على إسراعهم في الكفر والعصيان على ما يقرره سياق القصة في السورة،ولأجل هذا المعنى أيضاً كانت الآية بالفصل لا بالوصل ،ليكون سوم العذاب هو تقتيل الأبناء واستحياء النساء،ويكون الخلاص منه لا من غيره، وهو الخلاص من الاستئصال والفناء بعينه كما قد تقرر قبل والله أعلم.

وأما سورة إبراهيم عليه السلام فان موسى عليه السلام هو المخاطب لبني إسرائيل،وكان خطاباً لهم جميعاً يذكرهم بنعمة الله عليهم فالموضع موضع تعداد نعم وآلاء،فكان المناسب أن يذكرهم أولاً بإنجاء الله لهم مما قد وقع عليهم جميعهم وكابده جميعهم ولم تفلت منه نفسٌ منهم وهو سوم العذاب،نجاةً كانت على وجهٍ من السرعة والصفة لم تكن في معهودهم،ثم خص وأفرد بالذكر أفظعها وأشدها وهو تذبيح الأبناء واستحياء النساء بصفة التذبيح المؤذية،وهي وإن لم تكن وقعت على جميع بني إسرائيل إلا أن المظنون في كل نفس سليمة الطبع أن تتعاطف وتتداعى لمثل ذلك،ولاسيما إذا كانت الرابطة رابطة الإيمان ولهذا فلقد استحثهم بها نبي الله موسى عليه السلام دعوةً لهم إلى الإيمان وطاعة الرحمن.

وبهذا ننتظم الموضع الثاني بنوعيه،ويتم المقطع الثاني والله أعلم.

المقطع الثالث:

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ (البقرة ٥١)

﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ (الأعراف ١٤٢)

مواضع المتشابه ونوعه:

الموضع الأول: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا﴾ في البقرة، ﴿وَوَٰعَدْنَا﴾ في الأعراف.

ويظهر لك في هذا الموضع الأول نوع التشابه،وهو تشابهٌ بالزيادة والنقصان:ففي البقرة زيادة ﴿وَإِذْ﴾ عما في الأعراف.

أثر السياق في توجيه المتشابه

إن زيادة كلمة: ﴿وَإِذْ﴾ في البقرة ظاهرٌ مناسبتها لما سبق بيانه من سياقها-تعداد النعم على بني إسرائيل-،وقد كانت هذه المواعدة لموسى عليه السلام من جملة هذه النعم التي امتن الله بها عليهم إذ كان فيها تكليم الله سبحانه لموسى عليه السلام ،وإنزال التوراة عليه مكتوبة.ولم تأت هذه الزيادة في الأعراف؛لأن السياق لم يكن في تعداد النعم على بني إسرائيل،بل لبيان قصتهم مفصلة وما صحب ذلك من عصيانهم وتمردهم كما سبق بيانه.

الموضع الثاني: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ في البقرة، ﴿ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ في الأعراف.

ونوعه هنا تشابهٌ بالتفصيل والإجمال،ففي البقرة ذكر العدّة مجملة،بينما كانت في الأعراف مفصلة.ولا بد هنا من تحرير المعنى حتى يتبين أثر السياق في توجيه المتشابه،إذ قد اختلف العلماء في إعراب: ﴿أَرْبَعِينَ﴾ في البقرة،و﴿ثَلَٰثِينَ﴾ في الأعراف.

قال أبو حيان:«ونصب أربعين على المفعول الثاني لواعدنا على أنها هي الموعودة ،أو على حذف مضاف التقدير تمام أو انقضاء أربعين حذف وأقيم المضاف إليه مقامه فأعرب إعرابه قاله الأخفش»[(١)]

قال ابن جرير رحمه الله:«ومعنى ذلك وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة بتمامها فالأربعون ليلة كلها داخلة في الميعاد.وقد زعم بعض نحويي البصرة أن معناه وإذ واعدنا موسى انقضاء أربعين ليلة أي رأس الأربعين ومثل ذلك بقوله:﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾(يوسف ٨٢)،وبقولهم اليوم أربعون منذ خرج فلان واليوم يومان أي اليوم تمام يومين وتمام أربعين،وذلك خلاف ما جاءت به الرواية عن أهل التأويل وخلاف ظاهر التلاوة»[(٢)] .

وما قاله ابن جرير رحمه الله هو المتعين لما ذكره؛ولأنه ليس هناك أي معنى لتقدير مضاف محذوف.

وقد أعربها بعضهم ظرفاً،وليس المعنى عنده بأن المواعدة حصلت في الأربعين،بل المعنى واعدناه أمراً كائناً في الأربعين[(٣)] .فالأربعون أيضاً على هذا كلها ميعاد.

قال ابن عطية رحمه الله:«وكل المفسرين على أن الأربعين كلها ميعاد»[(٤)] .

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كانت مواعدة الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام مواعدة إكرام واصطفاء ،وهذا ظاهرٌ جداً في قراءة أبي عمرو ويعقوب وأبي جعفر بغير ألف:﴿ وَعَدْنَا ﴾[(٥)] ،ووعد الله

---

(١)البحر المحيط ٣٥٧/١،وانظر إعراب القران – النحاس٢٢٤/١،البيان في غريب إعراب القران ٨٢/١،البرهان في علوم القران ١٧٤/٣.

(٢)جامع البيان ٦٦٦/١ ،ونقل في ذلك آثاراً عن أبي العالية وابن إسحاق والسدي،ووجه ذلك:أن العدة على هذا القول تسعٌ وثلاثون ليلة فقط.

(٣)انظر روح المعاني ج١/ص٢٥٧، والتحرير والتنوير ٤٩٩/١.

(٤)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج١/ص١٤٢

(٥)انظر غاية الاختصار ٤٠٨/٢،والنشر في القراءات العشر ١٥٩/٢.والوعد هنا ظاهرٌ أنه في الخير،سواءٌ قلنا إن الوعد يكون في الخير والشر كما قال أبو علي الفارسي ،انظر الحجة ٥٦/٢،أو كان "الوعد يستعمل في الخير

لموسى عليه السلام وعد لقومه وإنعام عليهم، وامتنان أيضاً بنزول شريعة نبيهم في تلك الأيام لما فيه خيرهم وصلاحهم، على **أن هذه المواعدة هي بنفسها نعمة وامتنان**؛لأنه جعلها فرداً مستقلاً من أفراد النعم المعددة على بني إسرائيل في سورة البقرة،وجعل ما حصل في تلك الأيام من إنزال الكتاب والفرقان نعمةً أخرى،فقال سبحانه بعدها بآية:﴿ **وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴿٥٣﴾ ﴾(البقرة ٥٣)فكانت هذه فرداً من أفراد النعمة كما أن المواعدة فردٌ آخر من أفرادها على ما هو المعتاد من سياق البقرة في تعداد النعم بالتفصيل بذكر أفراد النعمة،ولقد ذكرهم موسى عليه السلام هذه النعمة في سورة طه فقال :﴿ **قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا** ﴾(طه ٨٦).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله- :«وأظهر الأقوال عندي في المراد بهذا الوعد الحسن:أنه وعدهم أن ينزل على نبيهم كتاباً فيه كل ما يحتاجون إليه من خير الدنيا والآخرة.وهذا الوعد الحسن المذكور هنا هو المذكور في قوله تعالى :﴿ **وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ** ﴾(طه ٨٠) »[(١)].وإذا تقرر بعد هذا أن هذه المواعدة كانت نعمة على بني إسرائيل،فالسؤال إذاً:ما السر في هذا الإجمال في البقرة؟.

وقد عُلِمَ مما سبق أن البقرة مقصود بها تعداد النعم،وعليه فلا بد أن يكون الإجمال في البقرة لمناسبة هذا السياق.

قال الزركشي رحمه الله:«فان قلت فلم ذكر في هذه السورة أعني الأعراف الثلاثين ثم العشر وقال في البقرة:﴿ **وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً** ﴾ولم يفصل العشر منها؟.

والشر إذا كانا مذكورين معه ،فإذا أسقطا قيل في الخير :الوعد والعدة ،وفي الشر الإيعاد والوعيد "الفريد في إعراب القران المجيد ١/٢٩٠.

(١)أضواء البيان ٤/٥٣٥.

والجواب-والله أعلم-:أنه قصد في الأعراف ذكر صفة المواعدة والإخبار عن كيفية وقوعها فذكرها على صفتها،وفي البقرة إنما ذكر الامتنان على بني إسرائيل بما أنعم به عليهم فذكر نعمه عليهم مجملة»[(١)].

قال البقاعي رحمه الله :«وأجمل الأربعين في البقرة ؛لأن المراد بذلك السياق تذكيرهم بالنعم الجسام والمتّ إليهم بالإحسان والإكرام ،ليكون ذلك أدعى إلى رجوعهم إلى الإيمان ،وأمكن في نزوعهم عن الكفر»[(٢)].

ولكن لم يبين الزركشي والبقاعي –رحمهما الله-في كلامهما السابق وجه مناسبة إجمال العدد في البقرة للتذكير بالنعم.

وحتى تتبين لنا هذه المناسبة؛فانه لا بد من بيان وجه النعمة في الإجمال،ووجه النعمة في ذلك-والله أعلم-هو أنه سبحانه وعد موسى عليه السلام أولاً ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر كما هو ظاهر آية الأعراف،ولم يفصل الأربعين في البقرة بل أجمل،ليكون التذكير في البقرة بنهاية الأمر على ما تمت به النعمة وكمل به الفضل على بني إسرائيل بتمام ذلك لنبيهم كليم الله عليه السلام،فكانت هذه الأربعون كلها ميعاداً كما سبق بيانه في إعرابها،وكلها نعمة،فكأن ذكرها مجملة بالعدد التام هو المناسب لمقام النعمة والله أعلم.

وأما ذكر أيام المواعدة على التفصيل في الأعراف فلم يذكر لنا الزركشي رحمه الله في كلامه السابق إلا:أنه قصد في الأعراف ذكر صفة المواعدة والإخبار عن كيفية وقوعها،ونحن نوافقه على هذا،لكنه لم يبين لنا لماذا قصد ذلك في الأعراف؟

والجواب عن هذا هو مهمة السياق،وبيان ذلك: أن الله ابتلى بني إسرائيل وفتنهم كما هي سنته الماضية سبحانه وتعالى في عباده قال جل من قائل:﴿ **الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣** ﴾(العنكبوت ١-٣)،ولقد بين الله فتنته لبني إسرائيل في شأن هذه المواعدة خاصةً وما حصل منهم من عبادة العجل في

---

(١)البرهان في علوم القران ٢/٤٧٩.

(٢)نظم الدرر ٨/٧٥،«والمتّ:توصل بقرابة ودالة يمت بها»تهذيب اللغة ١٤/٢٦٤.

سورة طه فقال: ﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ (طه ٨٣-٨٥) وسورة الأعراف معنية بذكر هذا التفصيل لهذا الابتلاء في مواقف متعددة والذي كانت نتيجته دائماً -وكما هو معلوم-العصيان والشدة والقسوة،فكان الشأن هنا أن الوعد بالثلاثين ليلة هو ما اطلعوا عليه من أمر نبيهم عليه السلام بادئ الأمر،ولم يعلموا ما أراده الله من إتمام الموعد ابتلاءً من الله لإيمانهم وإكراماً لنبيه بتمام الوعد له وإكراماً لهم لو صبروا، **فكان عصيانهم والله أعلم في هذه العشر بعد مضي الثلاثين**،قال ابن عباس رضي الله عنه :"قال موسى عليه السلام لقومه:إن ربي وعدني ثلاثين ليلة،فلما فصل إلى ربه زاده عشراً،فكانت فتنتهم في ذلك العشر"[(١)] ،وهذا ما قد فهمناه من تفسير الإمام مجاهد بن جبر لهذه الأيام:"ذو القعدة وعشر ذي الحجة ففي ذلك اختلفوا"[(٢)] ،وهو صريح قول قتادة[(٣)] .

قال ابن عطية -رحمه الله-:«فلما انتهي موسى عليه السلام وناجى ربه زاده في الأجل عشرا»[(٤)]

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-:«فذهب موسى عليه السلام إلى الميقات،وكان أولاً ثلاثين ،وقال لبني إسرائيل :إن الميقات ثلاثون فقط ؛لأنه ما كان يدري عن العشرة التي صار بها أربعين»[(٥)] ،ويدل لذلك سياق السورة نفسها قال تعالى :﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ

---

(١)زاد المسير ٣/٢٥٥.

(٢)جامع البيان ١٠/٤١٤.

(٣)جامع البيان ١٦/١٣٩.

(٤)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٤/ص٥٧.

(٥)العذب النمير ٤/١٥٥٢.

ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾(الأعراف ١٥٠)،قال الرازي رحمه الله :"وقال الحسن:وعد ربكم الذي وعدكم من الأربعين،وذلك ؛لأنهم قدروا أنه لما لم يأت على رأس الثلاثين ليلة ،فقد مات،وقال عطاء :أعجلتم سخط ربكم ؟وقال الكلبي:أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر من ربكم"[(١)] ،ولا تعارض هنا بين أقوال الأئمة الثلاثة فإن استعجالهم سخط الرب هو استعجالهم بعبادة العجل قبل أمرٍ من ربهم،وكان ذلك ؛لأنهم استبطؤوا عود موسى عليه السلام إليهم بعد الثلاثين التي كانوا ينتظرون عوده بعدها،فالأعراف بينت لنا سبب عصيانهم بذكر الأيام مفصلة.والله أعلم.

---

(١)التفسير الكبير ١٥/١٠-١١.وانظر جامع البيان ٤٥١/١٠،الكشاف ١٥٥/٢،الجامع لأحكام القران ١٨٣/٧،تفسير القرآن العظيم ٤٧٦/٣، التحرير والتنوير ١١٥/١١٤/٥.

المقطع الرابع:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾(البقرة ٥٥)

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ (النساء ١٥٣).

بين يدي المقطع:

لقد وقع الخلاف فيمن يكون هؤلاء الذين طلبوا الرؤية فصعقوا؟وفي وقت ذلك ؟.

فذهب بعض العلماء إلى أن المذكور في البقرة يفسره ما في الأعراف وهو قوله تعالى :﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ﴾(الأعراف ١٥٥).فتكون الرجفة المذكورة في الأعراف هي الصاعقة المذكورة في البقرة-والذي في النساء مثل الذي في البقرة-فعلى هذا يكون هؤلاء هم النقباء الذين اختارهم موسى عليه السلام لميقات الله للتوبة إليه مما فعل سفهاؤهم في عبادة العجل ،وقد طلبوا رؤية الله بعد أن انقضت مناجاة موسى عليه السلام لربه،ووقت ذلك على هذا بعد عبادة العجل.

وذهب بعض العلماء إلى أن الذي في البقرة غير الذي في الأعراف،وأن طلب هذه الرؤية كان بعد رجوع موسى عليه السلام من الميقات ومعه التوراة،وكان هذا رفضاً منهم للتوراة ما لم يروا الله جهرةً،ويكون الوقت هنا كذلك بعد عبادتهم للعجل[(١)].

ويشكل على هذين القولين كليهما آية النساء،فإن ظاهرها أن الصاعقة أخذتهم قبل عبادة العجل.

---

(١)انظر جامع البيان ١/٦٩٠-٦٩٨،تفسير القران العظيم لابن كثير ٢٦٧-٢٦٩،العذب النمير ١/٩٩-١٠١،٤/١٥٩١-١٥٩٥،تفسير القران الكريم لابن عثيمين ١/١٩١-١٩٢.

قال ابن جرير –رحمه الله–عن آية النساء:«ثم اتخذ هؤلاء الذين سألوا موسى عليه السلام ما سألوه–من رؤية ربهم جهرة ،بعد ما أحياهم الله فبعثهم من صعقتهم–العجل الذي كان السامري نبذ فيه ما نبذ من القبضة التي قبضها من أثر فرس جبريل عليه السلام ،إلهاً يعبدونه من دون الله»[(١)] .والبينات المذكورة في آية النساء على هذا هي «المعجزات التي أظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التوراة لأنها لم تنزل عليهم بعد»[(٢)] .وعلى ما هو ظاهر القصة في سورة النساء،فإن طلبهم رؤية الله جهرة كانت معصيةً أخرى غير معصيتهم في رفضهم التوراة،ويؤيد هذا أيضاً أنه ذكر في البقرة وفي النساء خبر إلزامهم بالتوراة برفع الجبل فوقهم بعد خبر الصاعقة،وفي الأعراف بعد خبر الرجفة،ليدل على أنهما معصيتان لا معصيةً واحدةً ،وأن إلزامهم بالتوراة كان برفع الجبل فوقهم لا بالصاعقة[(٣)] .والله أعلم.

مواضع المتشابه ونوعه:

الموضع الأول:في البقرة: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾،وفي النساء:﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾.

ويظهر هنا أن نوع هذا الموضع من المتشابه :تشابه باختلاف الضمائر ففي البقرة كان على الخطاب، وفي النساء كان على الغيبة.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كان سياق البقرة كما هو معلوم في تعداد النعم على بني إسرائيل،ولقد كانت آياتها على أسلوب الخطاب لهم،وهو المناسب؛لأنها في سياق تذكيرهم بالنعم،ودعوتهم للدخول في هذا الدين.

---

(١)جامع البيان ٦٤٢/٧.

(٢)إرشاد العقل السليم ٢٤٩/٢،وانظر جامع البيان ٦٤٣/٧،الجامع لأحكام القران ٦/٦،غير أن ابن جرير رحمه قد جعل من البينات الصاعقة وإحياؤهم بعدها،كما أنه يجعل هذه البينات مقررةً لهم بطلان عبادة العجل ؛لأنهم يرونه عياناً ،وتلك البينات أحالت رؤية الإله في الدنيا عياناً.

(٣)الآيات:البقرة (٦٣ ،٩٣)،النساء (١٥٤)،الأعراف (١٧١).

وأما سورة النساء فقد وردت القصة في سياق الترهيب والزجر لبني إسرائيل،وبيان حالهم لهذا النبي الكريم ﷺ ،فكان المناسب لهذا أن يكون الخطاب للنبي ﷺ ،وسيأتي بيان هذا السياق في سورة النساء بإذن الله،والله أعلم.

الموضع الثاني:في النساء زيادة:﴿ بِظُلْمِهِمْ ﴾ .

وفي هذا النوع كما يظهر زيادة كلمة في النساء لم ترد في البقرة،ولا شك أن هذه الزيادة هي التي يدور عليها توجيه المتشابه،ومن المتقرر أن المناسب للموضع الذي أتت فيه الزيادة هو زيادتها ،وفي الموضع الذي خلا منها هو حذفها،وعليه فلا يكفي أن يتم توجيه الموضع الذي أتت فيه الزيادة فحسب،بل لا بد من معرفة سبب الحذف في الموضع الآخر،وهذا ما سيبينه لنا السياق بإذن الله تعالى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كانت هذه الصاعقة لبني إسرائيل بسبب ظلمهم أنفسهم «وظلمهم أنفسهم كان مسألتهم موسى عليه السلام أن يريهم ربهم جهرة؛لأن ذلك مما لم يكن لهم مسألته»[(١)] ،ولقد كانوا يعلمون أن ذلك لم يكن لهم ؛ لأنهم قيدوا إيمانهم بالرؤية عصياناً منهم وتكبراً[(٢)] .

ولقد كانت سورة البقرة معنية بتذكير القوم بالنعمة استجلاباً لهم للإيمان؛ولقد صرحت سورة البقرة بذنبهم القبيح،وهو تقييدهم الإيمان بالرؤية ومساومتهم بذلك فلم يحتج إلى زيادة: ﴿ بِظُلْمِهِمْ ﴾،حيث قد ظهر ظلمهم من مجرد طلبهم ،والقوم يعلمون أن تلك الصاعقة قد وقعت بأسلافهم؛وكان المقصود هنا التذكير بنعمة البعث من هذا الصاعقة على هذا الذنب العظيم لا تذكيرهم بالذنب ونوعه،فقال تعالى معقباً لهذه الآية :﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾(البقرة ٥٦).

أما سورة النساء فقد افتتح الحديث عن بني إسرائيل في هذه السورة بهذه الآية التي تبين تعنتهم،حيث طلبوا من النبي الكريم ﷺ أن يترل عليهم كتاباً من السماء تعنتاً منهم

---

(١)جامع البيان ٦٤٢/٧.

(٢)انظر التحرير والتنوير ١٥/٤.

وعصياناً؛فكان سياق الحديث عنهم مقصوداً به-والله أعلم-زجرهم وترهيبهم ببيان العقوبات التي حلت بأسلافهم مع بيان أسباب ذلك،حتى يعلموا:أن من تلبس بتلك الذنوب فهو معرض لمثل تلك العقوبات،ولهذا كثر في هذه السورة ذكر العقوبات مقرونة بأسبابها،كما سيأتي ذلك-بإذن الله- في سياق سورة النساء،وعليه فلقد كان المناسب ذكر سبب العقوبة وهو الظلم ليجتنبوا كل ظلم حتى لا يحل بهم ما حل بأسلافهم،إذ كان سبب تلك الصاعقة للأسلاف ذلك السؤال الظالم،وسؤال هؤلاء الخلف نبينا ﷺ إنزال الكتاب من السماء من أظلم الظلم الذي يستحقون به العقوبة.

قال ابن عاشور -رحمه الله-:"واستطرد هنا ما لحقهم من جراء سؤالهم هذه الرؤية وما ترتب عليه فقال: :﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾،وهو ما حكاه تعالى في سورة البقرة بقوله:﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾،وكان ذلك إرهاباً لهم وزجراً،ولذلك قال :﴿ بِظُلْمِهِمْ ﴾،والظلم هو المحكي في سورة البقرة من امتناعهم من تصديق موسى عليه السلام إلى أن يروا الله جهرة"[1].والله أعلم.

(١)التحرير والتنوير ٤/١٥.

المقطع الخامس

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (البقرة ٥٧)

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ (الأعراف ١٦٠)

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ (طـه ٨٠-٨١).

بين يدي المقطع:

قد سبق وتقرر أن البقرة تخاطب اليهود المعاصرين للنبي ﷺ .

وأما الأعراف فهي تقص خبر بني إسرائيل وتسجل تأريخهم،وما يتبع ذلك من بيان عصيانهم.

وأما آيتا طه فقد قيل:إنه«إنشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي ﷺ على معنى أنه تعالى قد من عليهم بما فعل بآبائهم أصالة وبهم تبعاً»[(١)] .

وقيل وهو الصحيح-إن شاء الله-:إنها خطاب خاطب الله به بني إسرائيل بعد إنجاء الله لهم،«أي قلنا يا بني إسرائيل،وحذف القول كثير في القرآن»[(٢)] ،ويؤيد ذلك ما يلي:

أولاً:أن السياق قبلها وبعدها في شأن بني إسرائيل المحدث عنهم لا المعاصرين للنبي ﷺ،فكون هذه الآية متصلة لا معترضة أولى،فإن ما قبلها ظاهر أنها حكاية عن

---

(١)إرشاد العقل السليم ٣٢/٦.

(٢)الكشاف ٧٧/٣،وانظر جامع البيان ١٢٤/١٦.

أسلافهم،وما بعدها من قوله تعالى:﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ كذلك،ولهذا فالوجه هو الحكاية لا الإنشاء[(١)].

ثانياً:أن الآية الثانية المعقبة للأولى تقرر ذلك،فقد قال تعالى:﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾،فهذه توجيهات وأوامر لأولئك الذين قد منّ الله عليهم بما منّ لا للمعاصرين[(٢)].

والقصة في سورة طه متسلسلة على الترتيب الزمني،فإذا تبين هذا،وتقرر أن ما في سورة طه إنما هو خبر عن بني إسرائيل،فإن الذي يظهر-والله أعلم-هو أن هذا القول قيل لبني إسرائيل بعد نجاتهم من فرعون،وعلى هذا يكون إنزال المن والسلوى متقدماً لبني إسرائيل قبل التيه،فيكون كأنه ضيافة من ربهم لهم حين نجاتهم وقد كانوا بحاجة إلى الطعام[(٣)].

مواضع المتشابه ونوعه:

الموضع الأول: في البقرة:﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾، وفي الأعراف،﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾،وبحذف ذلك في طه.

وعليه فهنا نوعان من المتشابه:

أحدهما: اختلاف في الضمائر،هذا بين الموضعين في البقرة والأعراف،ففي البقرة على أسلوب الخطاب،وأما في الأعراف فكان على الغيبة.

---

(١)انظر إرشاد العقل السليم ٦/٣٢-٣٣.

(٢)وعلى هذا جمع من المفسرين انظر جامع البيان ١٦/١٢٤،الكشاف ٣/٧٧،المحرر الوجيز ج٤/٥٦،تفسير ابن كثير ٥/٣٠٨،إرشاد العقل السليم ٦/٣٢-٣٣،محاسن التأويل ٥/١١١.

(٣)قال ابن عطية -رحمه الله- عن موضع طه:«ظاهر هذه الآية أن هذا القول قيل لبني إسرائيل حينئذ عند حلول هذه النعم التي عدد الله تعالى عليهم وبين خروجهم من البحر وبين هذه المقالة مدة وحوادث ولكن يخص الله تعالى بالذكر ما يشاء من ذلك» المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٤/ص٥٥،ولا أرى أن ظاهر الكتاب يدل على أن هناك مدةً وحوادث قبل هذه المقولة.كما أن توجيه المتشابه سيزيد الأمر إيضاحاً-بإذن الله-.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد سبق أن ذكرنا في المقطع الرابع السبب في ورود آيات البقرة على أسلوب الخطاب،وذكرنا أن سياق البقرة في تعداد النعم على بني إسرائيل،فكانت آياتها على أسلوب الخطاب لهم؛لأنها في سياق تذكيرهم بالنعم،ودعوتهم للدخول في هذا الدين،فهذا هو المناسب لذلك.

أما الأعراف فكان على أسلوب الغيبة؛لأن سياقها يقص خبر بني إسرائيل ويسجل تأريخهم،مع ما يشعره أسلوب الغيبة أيضاً من الغضب عليهم،وعدم الاكتراث بهم،وسورة الأعراف تبين هذا دائماً في شأنهم.والله أعلم

والثاني:الحذف والذكر،فقد ذكر في البقرة والأعراف تظليل الغمام،وحذفه في طه.

وتظليل الغمام على ما يذكره المفسرون إنما كان في التيه.

قال البغوي –رحمه الله-:«﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾في التيه تقيكم حر الشمس،والغمام من الغم وأصله التغطية والستر سمي السحاب غماما لأنه يغطي وجه الشمس؛وذلك أنه لم يكن لهم في التيه كن يسترهم»[(١)].

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد ذكر تظليل الغمام في البقرة؛لأنه معدود من النعم وهذا ظاهر.

أما الأعراف فهي تقص تأريخ بني إسرائيل وما يتبع ذلك من قصص عصيانهم،فذكر تظليل الغمام من هذا،فهو تسجيل لتأريخهم،وبيانٌ لشدة عصيانهم كما تقصه علينا دائماً سورة الأعراف،وذلك من وجهين:

أحدهما:ما يلمح إليه ويذكر به ذكر تظليل الغمام من حال التيه،وحال التيه حال عصيان ونفور من بني إسرائيل.

الوجه الثاني:أن بني إسرائيل قد جحدوا هذه النعمة كما بين ذلك خاتمة الآية.

أما سورة طه فلم يذكر فيها تظليل الغمام؛لأنه-والله أعلم- لم يأت بعد كما قد تبين من قبل.

---

(١)تفسير البغوي١/٤٣.وانظر تفسير الطبري ١/٦٩٩، الكشاف ١/١٤٤ ،التفسير الكبير ٣/٨٢،تفسير ابن كثير ١/٢٧٠، الدر المنثور ١/١٧٠.

الموضع الثاني:في البقرة ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾،وفي الأعراف﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾،وفي طه ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾.

وفي هذا الموضع نوعان أيضاً من المتشابه:

النوع الأول:اختلافٌ بتغيير الصيغة الصرفية،فقد كان الفعل في البقرة والأعراف،على صيغة (أفعل): ﴿وَأَنزَلْنَا﴾،بينما كان الفعل في طه مضعفاً على صيغة(فعّل) :﴿وَنَزَّلْنَا﴾.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد سبق وبينا بأن صيغة (فعّل) تفيد المبالغة والتكثير غالباً[(١)].

قال أبو جعفر بن الزبير في توجيهه للآية الثالثة من سورة آل عمران:«إن لفظ نزّل يقتضي التكرار لأجل التضعيف»[(٢)]،والتكرار الذي ذكره ابن الزبير من لوازمه الكثرة.

وأما صيغة (أفعل)فإنها تفيد التعدية غالباً،وقد تفيد السرعة[(٣)]،ومن معاني هذه الصيغة الإجمال[(٤)]،والإجمال قد يكون من لوازمه السرعة.

ولهذا فإن اختصاص البقرة والأعراف بصيغة (أفعل) إنما هو لما تفيده من الإجمال.

وذلك أن البقرة تمتن على اليهود المعاصرين للنبي ﷺ بما أنعم الله به على أسلافهم،وقد أنعم الله على الأسلاف بالمن والسلوى طول أيامهم،ولم يسلبهم إياها،كما لم تقصر عليهم،وخلفهم يعلمون ذلك،ولهذا لم يكن للتضعيف غرض،بل كان الغرض ذكر هذه النعمة مجملة،مع ما يعطيه الإجمال من عمومه للزمان.

---

(١)انظر ص ١٢٥-١٢٦،و ص ١٨٦.

(٢)ملاك التأويل ٢٨٦/١.

(٣)انظر مبحث أنواع المتشابه،والمقطع الثاني من الدراسة التطبيقية.

(٤)كما في توجيه العلماء لسبب اختصاص التوراة والإنجيل بلفظ(أنزل)،انظر كشف المعاني ص ١٣١،ملاك التأويل ٢٨٦/١.

وأما الأعراف فإنها تسجل تأريخهم،والإجمال كما سبق يفيد اتصال النعمة عليهم،ويسجل عليهم العصيان والقساوة لهذه النعمة المتصلة،فلم يكن للتضعيف غرض.

وأما طه فإنه كما سبق امتنان من الله على اليهود بعد نجاتهم،وكان هذا أول أمرهم،ولهذا جاء بصيغة التضعيف التي تقتضي التكثير،ليمتن عليهم بهذه النعمة،وقد كانت وافرة سابغةً عليهم من أول أمرها،فظهر أنه سبحانه يمتن عليهم بما قد أسبغه عليهم في ذلك الوقت من جليل نعمته،وهو بهذا يدعوهم للإيمان وترك العصيان،ولهذا السبب اختلف التعقيب في سورة طه عما في البقرة والأعراف،كما سيأتي-بإذن الله-في الموضع الثالث.والله أعلم.

النوع الثاني:اختلاف في الضمائر،ففي البقرة وطه كان على أسلوب الخطاب،وأما في الأعراف فكان على الغيبة.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كان أسلوب الخطاب في البقرة؛لأنها تخاطب معاصري النبي ﷺ.

أما الأعراف فجاءت على الغيبة؛لأنها تقص خبر القوم.

وأما طه فجاءت على الخطاب؛لأنه خطاب من الله سبحانه،لقوم موسى عليه السلام كما سبق.

الموضع الثالث:اختلاف تعقيب الآيات بين موضعي البقرة والأعراف وبين موضع طه،فالتعقيب في البقرة والأعراف:﴿**كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ**﴾،وفي طه:﴿ **كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾**﴾.

ونوعه اختلاف بالإبدال.

ولا بد لكي يتبين لنا التوجيه أن نعرف المعنى .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله- عن آية البقرة:«﴿ **وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ**﴾هنا محذوف دل المقام عليه،والمعنى: ﴿ **كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ**

﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾أي:أنعمنا عليهم هذه النعم فقابلوا نعمنا بعدم الشكر،وارتكاب المعاصي، ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بتلك المعاصي التي قابلوا بها نعمنا﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾»[(١)].وآية الأعراف مثلها في المعنى.

وأما سورة طه فالمعنى فيها:أن الله يأمرهم بالأكل من رزقه،وينهاهم عن مجاوزة الحد فيه باستعماله في المعاصي،أو بترك شكره،أو بترك ما يجب لله فيه،وبين لهم أن ذلك يسبب لهم حلول غضبه،وأن من يحلل عليه غضب الله يهلك.[(٢)]

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد اتفق تعقيب آيتي البقرة والأعراف،وقد اتفقتا في بيان مآل القوم حيال نعمة ربهم وجزاء صنيعهم هذا،كما سبق بيانه في معنى الآيتين.ولكن لكل سورة مأخذ.

أما البقرة فكانت تخاطب معاصري النبي ﷺ وهي ببيانها النعمة على أسلافهم،وببيانها جزاءهم،تدعوهم للإيمان،وتحذرهم مثل صنيع أسلافهم،لكي لا يحل بهم مثل ما حل بأولئك،وهذا هو سياق البقرة كما سبق.

وأما الأعراف فهي تسجل تأريخهم،ومن ذلك بيان حالهم تجاه تلك النعم،وهذا التأريخ هو دائماً المسارعة في العصيان،كما سبق بيانه في معنى الآيتين.

وأما طه فلكونها خطاباً للناجين من بني إسرائيل في أول أمرهم واستقبالهم لهذه النعم،فلقد كان المناسب هو وعظهم وتحذيرهم من حلول العقوبة بهم إن لم يقوموا بحقها،وحثهم على التوبة والإنابة.والله أعلم.

---

(١)العذب النمير ١/١٠٦،وانظر جامع البيان ١/٧١١،الجامع لأحكام القرآن ١/٢٧٨.

(٢)انظر جامع البيان ١٦/١٢٥-١٢٦،تفسير ابن كثير ٥/٣٠٨،أضواء البيان ٤/٥٢٨.

المقطع السادس

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ (البقرة ٥٨)

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ (الأعراف ١٦١).

مواضع المتشابه ونوعه:

الموضع الأول:في البقرة ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾،وفي الأعراف ﴿وَإِذْ قِيل لَهُم﴾.

ونوعه اختلاف في الصيغة الصرفية،ففي البقرة بناءٌ للفاعل،فالفعل مسند إلى الله سبحانه،وبصيغة الجمع ،وفي الأعراف بناءٌ لما لم يسم فاعله.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد أسند الفعل في البقرة إلى الله،وبصيغة الجمع،«وصيغة الجمع للتعظيم»[(١)] ؛لأن هذا هو المناسب لسياق تعداد النعم فيها،والذي من غرضه دعوة اليهود الذين في عهد النبي ﷺ إلى الإيمان،فإن إسناد الفعل إلى الله فيه ببيان عنايته سبحانه بأسلافهم ومزيد فضله عليهم،وهذا ظاهرٌ جداً[(٢)] .

وأما الأعراف فقد بني الفعل لما لم يسم فاعله،«وإيراد الفعل هنا مبنياً للمفعول جرياً على سنن الكبرياء»[(٣)] ،المناسب لسياق الأعراف والذي هو معني ببيان سرعة القوم في الكفر وقساوتهم وعصيانهم في كل مرةٍ،ولهذا فقد جاء الفعل على الصيغة التي تشعر بالسخط عليهم وترك العناية بهم.والله أعلم.

الموضع الثاني:في البقرة ﴿ٱدْخُلُوا﴾،وفي الأعراف ﴿ٱسْكُنُوا﴾.

---

(١)العذب النمير ١/١٠٧.

(٢)انظر كشف المعاني ص ١٠٢.

(٣)روح المعاني ٩/٨٨.

ونوعه اختلاف في الإبدال،إبدال كلمة بكلمة.وليس هذا مما يسمى بالمترادف؛لأن «أمرهم بدخول القرية مغاير من حيث المعنى لأمرهم بسكناها وإن كان الأمر بدخولهم قد يشير بما نسق معه إلى سكناها لكن ليس نصاً بل ولا هو ظاهر»[(١)]،ولقد كان المذكور في البقرة هو أول الأمر وهو الدخول،والمذكور في الأعراف هو غاية الأمر ونهايته وهو السكنى،ولم يكن ذكر أول الأمر في البقرة هو المناسب؛لأنه أول الأمر على ما يقتضيه ترتيب المصحف[(٢)]؛وذلك أنه سيأتينا –بإذن الله– في بعض المواضع أن البقرة قد اختصت بآخر الأمر وليس بأوله وعكس ذلك في الأعراف،وعليه فيبقى النظر في توجيه السياق لهذا التخصيص بأول الأمر أو بنهايته.

الموضع الثالث:في البقرة ﴿فَكُلُوا﴾،وفي الأعراف ﴿وَكُلُوا﴾.

ونوعه اختلاف في الإبدال،إبدال حرف عطف بآخر.ومن المعلوم أن الفاء تفيد الترتيب والتعقيب بينما تفيد الواو مطلق الجمع.

الموضع الرابع:في البقرة ﴿رَغَدًا﴾، وبحذفها في الأعراف.

ونوعه اختلاف في الذكر والحذف،أو الزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه في هذه المواضع الثلاثة:

لقد أمر الله بني إسرائيل بدخول هذه القرية،والتي هي على الصحيح بيت المقدس.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي:«والتحقيق الذي عليه جمهور المفسرين أنها بيت المقدس ويدل عليه قوله في المائدة(آية ٢١):﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾هذه القرية»[(٣)]،فالأمر لهم بدخول هذه الأرض المقدسة هو أمرٌ لهم بالسكنى والاستقرار وكما هو صريح آية الأعراف،وكان هذا كما يقول المفسرون بعد

---

(١)ملاك التأويل ٢٠٤/١.

(٢)لم يذهب ابن الزبير في توجيهه لهذا الموضع إلا إلى أصله في اعتبار ترتيب المصحف بالإشارة دون أن يبين وجه ذلك بالدقة،على أن لنا مناقشة لأصله هذا في المبحث الرابع من الفصل الثاني.

(٣)العذب النمير ١٠٧/١.

التيه[(١)]،وعليه فالمذكور في البقرة هو أول الأمر على ما يعلمون هم من غايته،والمخاطبون في هذه السورة هم بنوا إسرائيل في عهد النبي ﷺ،وهذه السورة مدنية كما هو معلوم.

قال ابن كثير –رحمه الله-:«وهذه القصة شبيهة بالقصة المذكورة في سورة الأعراف،ولكن تلك مكية ،فلذلك كان الإخبار عنهم بضمير الغائب،لأن الله تعالى يقص ذلك على رسوله ﷺ عما فعل بهم ،وأما في هذه السورة ،وهي البقرة فإنها مدنية،فلهذا كان الخطاب فيها متوجهاً إليهم»[(٢)]،فإذا تبين هذا فالسؤال :لماذا ذكر في البقرة أول الأمر وهو الدخول،وعطف عليه الأكل بالفاء،وزيد فيه لفظ الرغد؟.

قال الإسكافي –رحمه الله-:«والأصل في ذلك أن كل فعل عطف عليه ما يتعلق به تعلق الجواب بالابتداء،وكان الأول مع الثاني بمعنى الشرط والجزاء ،فالأصل فيه عطف الثاني على الأول بالفاء دون الواو...فعطف "كلوا" على "ادخلوا" بالفاء لما كان وجود الأكل منها متعلقاً بدخولها ،فكأنه قال :إن دخلتموها أكلتم منها،فالدخول موصل إلى الأكل،والأكل متعلق وجوده بوجوده»[(٣)]،فالأكل كما يذكر الخطيب مرتب على الدخول ،ويبقى من معاني الفاء التعقيب،وهو أن الأكل يأتي عقب الدخول مباشرةً،وقد بقي على الخطيب –رحمه الله-أن يذكر سرّ اختصاص البقرة بهذا الذي اختصت به،وهذا هو ثمرة الأمر وزبدته.

إن سر اختصاص البقرة بما اختصت به:هو أن المناسب لسياق النعم والمناسب لاستجلاب القوم المخاطبين للإيمان هو أن يذكر الله منته على أسلافهم في أكمل صورها،وذلك بأن الله قد أولى أولئك الأسلاف من سابغ نعمه بأن وعدهم بالأرض المقدسة التي كانت لآبائهم،وبأنهم موعودون أيضاً بأنهم بمجرد دخولهم لها سيأكلون مباشرةً وبلا مهلة،وحيث إن ذكر الأكل عقب الدخول غير منبئ عن صفة هذا العيش

---

(١)انظر الجامع لأحكام القران ٢٧٨/١،تفسير ابن كثير ٢٧٧/١،العذب النمير ١٠٧/١.

(٢)تفسير ابن كثير ٢٨٣/١.ولقد سبق لنا توجيهٌ آخر لاختلاف الضمائر في المقطع الثالث،وهو لا يعارض ما ذكر ابن كثير رحمه الله.

(٣)درة التنزيل ٢٢٢/١.

والأكل كثرةً وقلةً،وزمانه طولاً وقصراً،فإنه قد زاد في هذا الموضع ذكر الرغد،«فبين أنهم يأكلون رغداً فيتهنّون لا يخافون الخروج»[(١)] .والله أعلم.

وأما الأعراف فقد ذكر فيها غاية الأمر ونهايته وهو السكنى وقد عطف عليه الأكل بالواو وحذف لفظ الرغد.

ولقد علمنا فيما تقدم أن الأعراف معنيةٌ بذكر تفاصيل قصة بني إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام،وما يظهر به دائماً عصيان هؤلاء القوم وشدة نفورهم،وكان المناسب لهذا أن يذكر غاية الأمر الذي هم مأمورون به وحقيقته،وذلك أن قوله:«﴿ٱسۡكُنُواْ﴾أمر من السكنى...وأن يتخذ ذلك البلد مسكناً»[(٢)] ،والبلد هو بيت المقدس،وهي الأرض المقدسة،وبهذا يتبين أن هذا الدخول مقصود به تحقيق أمرٍ شرعي وهو السكنى في الأرض المقدسة تحقيقاً للعبودية لله،فهذه السكنى عبادة لله،ودون تحقيقها ما قصته علينا سورة المائدة من وجوب قتال القوم الجبارين،وهو الجهاد في سبيل الله طاعةً لله،ومن المعلوم أنهم قد عصوا موسى ﷺ ولم يدخلوها،فحرمت عليهم أربعين سنةً لم يدخلوها إلا مع يوشع بن نون عليه السلام،ولم يكن للقوم خيار في تنفيذ الأمر أو ترك ذلك لأنه أمرٌ شرعيٌ مقصودٌ به تحقيق عبادةٍ شرعيةٍ،وهي السكنى في البلد المقدس،ولم يكن أمرهم بهذا الأمر-والله أعلم- هو الاستجابة لما طلبوه من نبيهم موسى ﷺ من متاع الدنيا[(٣)] ،بل كان هذا أمراً شرعياً كما أسلفت،وما وعدهم الله به في هذه الآية من نعم الدنيا المصاحبة للسكنى إنما هو من فضل الله عليهم،ترغيباً لهم وتقوية لقلوبهم حتى يستجيبوا لهذا الأمر الشرعي،وذلك أن الله تفضل عليهم وتكفل لهم بأمر الدنيا على أكمل ما يكون وأحسنه إذا هم أطاعوا وامتثلوا الأمر الشرعي الذي ليس لهم إلا امتثاله،فإن الله قد تكفل لهم مع سكناهم في هذه القرية

---

(١)جامع الرسائل ١/٢٩.

(٢)العذب النمير ٤/١٦٤٦.

(٣)الآتي في الآية(٦١)،وقد كان جواب موسى عليه السلام لهم فيه:﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾،وذلك أن جواب ما طلبوه من ذلك الأمر الدنيوي هو أن يهبطوا مصراً أي مصرٍ من الأمصار ؛لأن ما طلبوه لا تنبته إلا القرى والأمصار،وأما ما نحن بصدده فهو دخول مخصوص لقرية مخصوصة.انظر جامع البيان ٢/٢٥.

المقدسة بالأكل الدائم الذي لا ينقطع،يدل عليه «عطف كلوا على اسكنوا بالواو لمقارنتهما زماناً»[(١)] ،ولم يحتج أن يقول "رغداً"؛لأن الرغد متحققٌ في السكنى والأكل المقارن لذلك من أي مكان شاءوا،،ومع هذا فلم يستجيبوا لذلك كما هو معلوم،فتبين بذلك شدة عصيان القوم وقساوتهم الذي تبينه لنا سورة الأعراف دائماً.والله أعلم.

الموضع الخامس:في البقرة ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾،وعكسها في الأعراف ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾.

ونوعه اختلاف بالتقديم والتأخير في الجمل،ومن المعلوم أن الواو تفيد مطلق الجمع ولا تفيد الترتيب،وقد تقدم في مبحث أنواع المتشابه أن العرب تقدم ما هم ببيانه أهم وهم بشأنه أعنى ،والشأن هنا في المتشابه أدق كما سبق في مبحث أهمية المتشابه،وذلك أن أهمية التقديم لا بد أن تكون ملحوظة في الشيء وعكسه،فيبقى النظر في السياق حتى يتبين لنا وجه التقديم والتأخير-بإذن الله-.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كان السجود الذي أمر به بنوا إسرائيل سجود شكر على نعمة الفتح والنصر وردّ البلد المقدس إليهم[(٢)] ،ولما كان سياق البقرة في تعداد النعم كان المناسب -والله أعلم- البدء بذكر المناسب لهذا السياق وهو تقديم ذكر سجود الشكر لله على هذه النعمة على ذكر طلب حط الذنوب.

وأما الأعراف فإنه لما كان الغرض من سياقها بيان عصيان القوم وكثرة ذنوبهم كان المناسب تقديم ما يناسب هذا السياق،وهو طلب حط الذنوب على سجود الشكر[(٣)] .

---

(١)إرشاد العقل السليم ٢٨٣/٣،وانظر البرهان للكرماني ص١٢٣،ملاك التأويل ٢٠٤/١.

(٢)انظر تفسير ابن كثير ٢٧٧/١،العذب النمير ١٠٨/١.

(٣)انظر كشف المعاني ص ١٠٢-١٠٣،فانه جعل ما اختصت به آية البقرة كله لمناسبة سياق النعم لكنه لم يبين وجه مناسبة المتشابه لما حدده من السياق،ولئن كان وجه المناسبة ظاهراً في بعض متشابه الآية مثل نسبة القول في البقرة إلى الله،فانه غير واضح مثلاً في تقديم السجود على حط الذنوب ما لم يتم بيان وجهه،ثم انه رحمه الله قد جعل الذي في الأعراف لمناسبة سياق عصيان بني إسرائيل لكنه كان ينظر في ذلك إلى السياق القريب لا

الموضع السادس:في البقرة ﴿ خَطَٰيَٰكُمۡ ﴾،وفي الأعراف ﴿ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡ ﴾.

ونوعه اختلاف في الصيغة الصرفية،ففي البقرة جمع تكسير وفي الأعراف جمع إناث سالم،ومعلوم أن هذه الصيغة من جمع التكسير هي جمع كثرة،وجمع المؤنث السالم جمع قلة،كما أنه من المعلوم أن جمع القلة يدل على الثلاثة فما فوقها إلى العشرة،وجمع الكثرة يدل على ما فوق العشرة إلى غير نهاية [(١)]،ودلالة جمع القلة والكثرة على العدد إنما هو في حال التنكير اتفاقاً،لكن في حال كان الجمع معرفاً ففيه خلاف معروف.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-:«فالتحقيق ما حرره علماء الأصول في مبحث التخصيص من أن جموع القلة وجموع الكثرة لا يكون الفرق بينها ألبتة إلا في التنكير،أما في التعريف فإن الألف واللام تفيد العموم،والإضافة إلى المعارف تفيد العموم ،وما صار عاماً استحال أن يقال هو جمع قلة ؛لأن العموم يستغرق جميع الأفراد» [(٢)].

وقد«استدل للذي عليه أكثر العلماء،والصحيح عنهم،بقول النبي ﷺ في"السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"في التشهد،"فإنكم إذا قلتم ذلك:سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض"رواه البخاري ومسلم [(٣)] [(٤)] ».فقد اكتسب جمع المذكر السالم وهو من جموع القلة العموم بعد تعريفه كما هو نص الحديث.

وعلى هذا فإن دلالة الجموع المعرفة التي أصلها جموع قلة على العدد القليل الذي لا يتعدى العشرة غير وارد هنا،لكن يبقى سؤال وهو:إذا كان الجمعان متفقين على إفادة الكثرة فما السبب إذاً في التعبير بالصيغتين،وهلا كان الاكتفاء بأحدهما؟

إلى سياق القصة كله،ولا ضير فان السياق القريب جزء من سياق القصة كله،كما انه يقال فيه ما قيل في آية البقرة من أنه لم يبين وجه مناسبة المتشابه لما حدده من السياق.

(١)فإن جموع القلة من جمع التكسير لها أربعة أبنية:أَفْعُلٌ،أَفْعَالٌ،أَفْعِلَةٌ،فِعْلَةٌ،وما عداها فهو جمع كثرة غالباً،وأما جمعي السلامة فهما جمعا قلة.انظر أوضح المسالك ٤/٣٠٧-٣١٢،شرح ابن عقيل ٢/٣٨٥،البحر المحيط للزركشي ٣/٨٩.

(٢)العذب النمير ١/٩٦،وانظر البحر المحيط للزركشي ٣/٨٩-٩٥،شرح الكوكب المنير ٣/١٢٩-١٣٠.

(٣)صحيح البخاري،كتاب الصلاة،باب التشهد في الآخرة،حديث رقم(٨٣١).صحيح مسلم،كتاب الصلاة،باب التشهد في الصلاة،برقم (٤٠٢).

(٤)شرح الكوكب المنير ٣/١٣١.

إن هذا لا يتبين حتى يتبين لنا الأصل الذي يرجع إليه معنى الجمع السالم،والأصل الذي يرجع إليه معنى الجمع المكسر.

يقول السهيلي-رحمه الله-:«ومن حيث اختلفت معاني الجموع بالكثرة والقلة اختلفت ألفاظها.ولما كان الإخبار عن جمع ما لا يعقل يجري مجرى الجمّة[(١)] والأمة والثلة،لا يقصد به في الغالب إلا الأعيان المجتمعة على التخصيص،لا كل واحد منها على التعيين،كان الإخبار عنها بالفعل كالإخبار عن الأسماء المؤنثة،إذ الجمة والأمة وما هو في معنى ذلك أسماء مؤنثة،ولذلك قالوا في جموع ما لا يعقل:"الجمال ذهبت"،"الثياب بيعت"،و"الدور اشتريت"،وما أشبه ذلك؛إذ لا يتعين في قصد الضمير كل واحد منها في غالب الكلام ،والتفاهم بين الأنام.

ولما كان الإخبار عن جمع ما يعقل بخلاف ذلك،وكان كل واحد من الجمع فيه يتعين غالباً في القصد إليه والإشارة،وكان اجتماعهم في الغالب عن ملأ منهم وتدبير وأغراض عقلية،جُعلت لهم علامة تختص بهم تنبئ عن الجمع المعنوي كما هي في ذاتها جمع لفظي ،وهي "الواو"؛لأنها ضامّةٌ بين الشفتين وجامعة لهما،وكل محسوس يعبر به عن معقول فينبغي أن يكون مشاكلاً له،فما خلق الله تعالى الأجساد في صفاتها المحسوسة إلا مطابقة للأرواح في صفاتها المعقولة،ولا وضع الألفاظ في لسان آدم عليه السلام وذريته إلا موازنةً للمعاني التي هي أرواحها،فهذا سر "الواو" في اختصاصها بالجمع لمن يعقل»[(٢)] .

ثم قال-رحمه الله-في موضع آخر:«وسر المسألة أنك إذا جمعت وكان القصد إلى تعيين آحاد المجموع،والمخبر معتمد على كل واحد منهم في الإخبار،سلم لفظ بناء الواحد في الجمع كما سلم معناه في القصد إليه،فقلت:"فعلوا" أو"هم فاعلون" وأكثر ما يكون هذا فيمن [يعقل]...ولذلك جاءت جموع التكسير [مغيَّراً] فيها بناء الواحد،وجارية في الإعراب بالحركات مجرى الواحد حيث ضعف اعتمادهم على كل واحد بعينه،وصار الخبر كأنه عن الجنس الكثير الجاري في لفظه مجرى الواحد،ولذلك جمعوا ما قل فيه العدد من المؤنث جمع السلامة،وإن كان مما لا يعقل،كقولهم الثمرات والطلحات،إلا أنهم لم

---

(١)الجمّة:الجماعة الكثيرة،انظر مختار الصحاح ص ٤٧.

(٢)نتائج الفكر ص ١٠٨،وانظر بدائع الفوائد ١/١٤٤-١٤٥.

يجمعوا المذكر منه-وإن قل عدده-إلا جمع التكسير؛لأنهم في المؤنث لم يزيدوا غير "ألف" فرقاً بينه وبين الواحد،وأما "التاء"فقد كانت موجودة في الواحدة أو في وصفها؛فإن كثر جمعوه جمع تكسير كالمذكر»[(١)].

ومعلومٌ أن جمع السلامة جمع قلة وإمكان التعيين في القليل أمرٌ ظاهر،وعليه فهل يقال:إن التعيين هو نتاج القلة،أو هو نتاج السلامة في البناء؟الذي يظهر هو الثاني؛لأن الجمع القليل يأتي من الصيغ المعلومة من جموع التكسير،وهي صيغٌ لم يسلم فيها بناء الواحد،وليس مقصوداً بها التعيين،وعليه فإن صيغة الجمع السالم تفيد القلة وتفيد إرادة التعيين،ولا تلازم بين الأمرين،بمعنى أنه قد ينفرد أحدهما بالأمر دون الآخر.

وأما ما ذكره السهيلي-رحمه الله-عن جمع ما لا يعقل جمع السلامة،فإنه يريد أن يقول:إن جمع السلامة فيما لا يعقل لم يكن مقصوداً به تعيين آحاد المجموع،بل كانت سهولة العمل مسوغاً لجمعه جمع السلامة،وإن لم يكن مراداً به ما أريد بجمع السلامة من قصد التعيين،حيث لم يزد فيه إلا ألف على لفظ مفرده.

وعندي أن ما لا يعقل الذي جُمِع جمع سلامة وقد عُرِّف يخرجه تعريفه عن جموع القلة كما تقدم،ولكن يبقى قصد تعيين الآحاد غرضاً لا يعارض زوال معنى القلة،فيكون غير العاقل الذي جُمِع جمع سلامة وقد عرِّف معاملاً معاملة من يعقل من قصد التعيين في آحاده،ويتبين ذلك بثلاثة أمور:

أحدهما:أن القلة باتت غير مقصودة مع التعريف،فلا بد أن يبقى معنى التعيين،وهو معنى لا يزول بزوال معنى القلة.

الثاني:أن العدول في الكلام البليغ المراد به الكثرة عن الجمع الذي أصله لها إلى ما أصله جمع قلة،حين لا نرى هناك غرضاً لفظياً لهذا العدول،دلالة واضحةٌ على أن هناك قصد من وراء هذا العدول،وليس هناك إلا المعنى الثاني لجمع السلامة وهو قصد التعيين.

---

(١)نتائج الأفكار ص ١٥٢-١٥٣،وانظر بدائع الفوائد ١/١٩٣-١٩٤،وقد نقل كلام السهيلي بنصه،ومنه تم تصحيح ما بين المعقوفتين،فإنها في المطبوع من النتائج في الأولى:(يفعل)وفي الثانية:(معتبراً).

الثالث:وهو ما نحن بصدده من المتشابه،فإنه قد وردت صيغة جمع الكثرة وصيغة جمع القلة كلاهما معرفتان،في قصة واحدة،لكنهما في سياقين مختلفين،فيبعد أن لا يكون لهذه المغايرة أي غرض ،لا سيما وهذه المغايرة ليس لها أي غرض لفظي.

هذا فكيف إذا كان قصد التعيين هو المناسب للسياق الذي وردت فيه صيغة جمع السلامة،وهذا ما يبينه التوجيه بإذن الله تعالى،والله أعلم.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

قال أبو جعفر ابن الزبير:«ورد جمعها في البقرة مكسراً ليناسب ما بنيت عليه آيات البقرة من تعداد النعم والآلاء ...؛لأن جموع التكسير ما عدا الأربعة أبنية التي هي:أَفْعُلٌ،وأَفْعَالٌ،وأَفْعِلَةٌ،وفِعْلَةٌ إنما ترد في الغالب للكثرة ،فطابق الوارد في البقرة ما قصد من تكثير الآلاء والنعم،وأما الجمع بالألف والتاء فبابه القلة في الغالب أيضاً ما لم يقترن به ما يبين أن المراد به الكثرة ،فناسب ما ورد في الأعراف من حيث لم تبن آيها من قصد تعداد النعم على ما بنيت عليه آي البقرة،فجاء كل على ما يناسب والله أعلم»[(١)].

إن ما ذكره الإمام أبو جعفر ابن الزبير-رحمه الله-في توجيه آية البقرة ظاهرٌ ،وأما آية الأعراف فحقيقة الأمر أنه لم يوجها،وذلك أنه لم يبين لنا ما سر اختصاص الأعراف بجمع القلة،بل غاية ما ذهب إليه أن ذكر أن جمع الكثرة لم يأت في الأعراف؛لأنها لم تبن على تعداد النعم،ويفهم من كلامه السابق أنه يحصر مناسبة جمع الكثرة على سياق تعداد النعم،والصواب أنه غير محصور بذلك،كما أن آية الأعراف نفسها قد وردت فيها قراءة أخرى على صيغة جمع الكثرة[(٢)] ،وهذا ما يؤكد أنه لا بد من توجيه آية الأعراف.

وعليه فإنه لابد لنا من معرفة مناسبة جمع الكثرة لسياق الأعراف،كما يلزم معرفة مناسبة جمع القلة لسياقها كذلك،أو قل جمع السلامة وجمع التكسير.

أما قراءة جمع القلة وهي قراءة الجمهور،فوجه مناسبتها لسياق الأعراف هو ما علمته من بقاء القصد إلى تعيين آحاد المجموع،وذلك أن الأعراف تسوق الخبر عن مخاطبة

---

(١)ملاك التأويل ٢٠٧/١.

(٢)وهي قراءة أبي عمرو،وقرأ الجمهور بجمع السلامة المؤنث،انظر الإقناع في القراءات السبع ص ٤٠٣،النشر في القراءات العشر ٢٠٤/٢.

اليهود في عهد موسى عليه السلام،الذين طلب منهم الدخول إلى الأرض المقدسة،ووعدوا بما وعدوا به من غفران الذنوب والخطايا،وفي ورود جمع السلامة المعرّف فائدتان:

أحدهما:إفادة كثرة ذنوبهم،على ما يفيده التعريف،وهو المناسب لتقريعهم وتوبيخهم المبين لشدة عصيانهم،وهو سياق السورة.

الثاني:تذكيرهم بأعيان ذنوبهم التي يعرفونها على كثرتها،وفي تذكيرهم بأعيانها شدة التقريع لهم،وإظهار كثرة المعالجة لهم من ربهم،والتي يقابلها شدة عصيانهم،والله أعلم.

وأما قراءة جمع الكثرة فإنها لا تعارض القراءة الأخرى،وإنما كان في القراءة الأخرى وهي قراءة الجمهور زيادة فائدة،والله أعلم.

الموضع السابع:في البقرة ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾،وبحذف الواو في الأعراف ﴿سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

ونوعه تشابه بالذكر والحذف(الزيادة والنقصان).

أثر السياق في توجيه المتشابه:

قال أبو جعفر بن الزبير-رحمه الله-:«وأما زيادة واو العطف في قوله:﴿وَسَنَزِيدُ﴾في البقرة،فإنما جيء بها هنا لأن المتقدم قبل هذه الآية من لدن قوله سبحانه:﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾(البقرة٤٠)إنما هي آلاء ونعم كما تقدم عددت عليهم على التفصيل شيئاً بعد شيء ،فناسب ذلك عطف قضية الزيادة بالواو ليجري على ما تقدم من تعداد الآلاء وضروب الإنعام بالعفو عن الزلات والامتنان بضروب الإحسان،لهذا القصد من إحراز التعدد ورد:وستزيد هنا بالواو و لم يكن ليحصل ذلك لو لم ترد الواو هنا،وأما آية الأعراف فلم يرد قبلها ما ورد في سورة البقرة»[(١)].

وقد أصاب المحزّ أبو جعفر هنا كما أصابه في الذي قبله،ولكن بقي عليه -رحمه الله- مثل ما بقي في الذي قبله،وذلك أنه لم يوجه هنا موضع الأعراف إلا بمخالفتها

(١)ملاك التأويل ١/٢٠٧-٢٠٨ بتصرف يسير.

لموضع البقرة وهذا لا يكفي فلا بد من بيان مناسبة الوارد في الأعراف لسياقها؛وذلك أن ترك العطف في الأعراف يجعل جملة: ﴿ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾«استئناف مرتب على تقدير قول القائل:وما ذا بعد الغفران؟فقيل له :ستزيد المحسنين»[(١)] ،فالموعود به في الأعراف أمران كما في البقرة المغفرة والزيادة للمحسنين،لكن بناء هذه الجملة في الأعراف على الاستئناف لا يشعر بالاهتمام والإنعام الذي يشعره العطف الحاصل في البقرة،بل غاية ما في الأعراف هو ذكر الخبر عن بني إسرائيل في حصول زيادة الثواب لمن حقق الإحسان دون إظهار العناية وهذا هو المناسب لسياق الأعراف الذي يسجل تأريخهم،ويبين قلة الاكتراث بهم لعصيانهم وتمردهم.والله أعلم.

(١)الكشاف ٢/١٦٤،وانظر إرشاد العقل السليم ٣/٢٨٣،والعذب النمير ٤/١٦٥٠.

المقطع السابع

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾(البقرة ٥٩)

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ (الأعراف ١٦٢).

مواضع المتشابه ونوعه:

الموضع الأول:في الأعراف:﴿ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾،وبحذف:﴿مِنْهُم﴾ في البقرة.

نوعه تشابه بالزيادة والنقصان(الذكر والحذف).

وينطلق توجيه بعض الموجهين لهذا الموضع من أن آية البقرة تشعر بالتعميم،وأما آية الأعراف فإنها تفيد التخصيص والتمييز بدليل قوله:﴿مِنْهُم ﴾،ثم يختلفون بعد ذلك في توجيههم تبعاً لاختلاف الأصول التي اعتمدها كلٌ منهم في هذا الموضع،وليس من غرضنا هنا تتبع ذلك،فموضعه مبحث دراسة كتب المتشابه اللفظي،على أنهم أيضاً قد أجروا توجيه بقية متشابه الآية تبعاً لهذا المنطلق وتلك الأصول[(١)].

والذي يهمنا هنا هو أن ما يقولون به من التعميم في البقرة والتخصيص في الأعراف،هو الذي سننطلق منه-بإذن الله-في التوجيه،ولكن بالنظر إلى دلالة السياق.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

---

(١)فالإسكافي رحمه الله جعل اختصاص الأعراف بالتخصيص والتمييز إنما هو لأن أول القصة بني على ذلك؛لقوله تعالى:﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ ،وأما البقرة فلم يرد بها مثل ذلك،انظر درة التنزيل ١/٢٤٣-٢٤٥.وأما أبو جعفر بن الزبير فانه جعل ما في البقرة من التعميم مخصصاً بما في الأعراف تبعاً لما يقتضيه ترتيب المصحف وهو أصل مراعى عنده،انظر ملاك التأويل ١/٢٠٨-٢١١.وأما ابن جماعة رحمه الله فانه أحال في ذلك إلى السياق دون أن يبين كيف دل السياق على ذلك،انظر كشف المعاني ص ١٠٣-١٠٤.

لقد كان سياق البقرة في مخاطبة اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ ،يذكرهم الله سبحانه نعمته عليهم بذكر ما أنعم به سبحانه على أسلافهم،وكان مقصوداً بذلك كما سبق دعوتهم للإيمان،وهذه الآية التي معنا تقص مقابلة بني إسرائيل لأنعام الله عليهم المذكورة في الآية التي قبلها،من تمكينهم من الأرض المقدسة وما وعدوا به من الرغد في العيش،حيث قابلوا ذلك بالفسوق والعصيان،وبدلوا ما أمروا به،وذلك«أنهم أمروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول،وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها،والشكر على النعمة عندها والمبادرة إلى ذلك من المحبوب لله تعالى»[(١)] ،فبدلوا،كما في الحديث الذي رواه الشيخان[(٢)] عن أبي هريرة ﷺ،قال:قال رسول الله ﷺ:"قيل لبني إسرائيل : ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾فبدلوا،فدخلوا يزحفون على أستاههم ،وقالوا:حبةٌ في شعرة".فعاقبهم الله،ولما كانت هذه العقوبة في سياق البقرة تُقَصُّ على اليهود المعاصرين للنبي ﷺ دعوةً لهم للإيمان،**كان المقصود في البقرة بالقصد الأول العمل الذي سبب العقوبة،لا العامل الذي عمل**،فكان المناسب لذلك أن لا يقيد ما ظاهره فيها الإطلاق،وذلك أن قوله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾،مطلقاً هكذا يجعل النفس اليهودية المخاطبة بذلك تجتمع على النظر فقط إلى العمل المسبب للعقوبة،وهو تبديل هؤلاء الأسلاف الظلمة،ولو زيد: ﴿مِنۡهُمۡ ﴾هنا لانصرف جزء من اجتماع تلك النفس إلى النظر في حال الصنف الآخر المحسن الذي لم تحل به العقوبة،وهذا يضعف المقصود من استجلاب هؤلاء المخاطبين إلى الإيمان،كما أنه ليس لذكر أولئك المحسنين أي غرض هنا.

وأما الأعراف فكان سياقها يقص قصة القوم مفصلةً بذكر إحسان محسنهم،وإساءة مسيئهم،**فكان النظر إلى العامل هو القصد الأول فيها**،ولهذا فقد قص إحسان المحسنين في الآية (١٥٩) قبل هذه،وهي قوله تعالى:﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ

---

(١)تفسير ابن كثير ٢٧٨/١.

(٢)البخاري ،كتاب التفسير،باب قوله:﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾،برقم (٤٦٤١)،واللفظ له،ومسلم،كتاب التفسير،برقم (٣٠١٥).

يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾،فكان ورود زيادة: ﴿ مِنْهُم ﴾في الأعراف تبييناً لحال المحسنين وتسجيلاً للعصيان والقساوة على العاصين،كما هو سياقها المعلوم.والله أعلم

الموضع الثاني:في البقرة:﴿ فَأَنزَلْنَا ﴾،وفي الأعراف:﴿ فَأَرْسَلْنَا ﴾.

ونوعه تشابه بالإبدال،إبدال كلمة بكلمة،وليس لفظ الإنزال في الأصل مما يقال عنه إنه مرادف للإرسال،بل لكل من اللفظين معناه،ولكنهما قد اشتركا هنا في التعبير عن موضوع واحد،ولا بد من النظر أولاً في معنى كل لفظ قبل دخوله في سياقه.

أما لفظ الإنزال فقد قال فيه ابن فارس –رحمه الله-:«نزل:النون والزاء واللام كلمةٌ صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه...والنازلة:الشديدة من شدائد الدهر تترل،والترال في الحرب:أن يتنازل الفريقان»[(١)].

وقال الراغب –رحمه الله-:«الترول في الأصل هو انحطاط من علو»[(٢)].

فالترول فيه معنى الهبوط من علوّ ،وفيه معنى الشدة.

وأما لفظ الإرسال فقد قال فيه ابن فارس –رحمه الله-:«رسل،الراء والسين واللام أصل واحد مطرد منقاس ،يدل على الانبعاث والامتداد»[(٣)].

وقال الراغب–رحمه الله-:«أصل الرِّسْل:الانبعاث على التؤدة... والرَّسل من الإبل والغنم :ما يسترسل في السير ،يقال :جاءوا أرسالاً ،أي :متتابعين،والرِّسْل :اللبن الكثير المتتابع الدر »[(٤)].

والامتداد الذي ذكره ابن فارس قد يكون هو التتابع الذي ذكره الراغب،وقد يكون معناه الطول،فهو يرجع إلى التتابع،كما قال أبو منصور الأزهري–رحمه الله[(٥)]:«قال

---

(١)معجم مقاييس اللغة ص ١٠٢٢-١٠٢٣.

(٢)المفردات ص ٧٩٩.

(٣)معجم مقاييس اللغة ص ٤٠٢.

(٤)المفردات ص ٣٥٢-٣٥٣.

(٥)هو:محمد بن أحمد بن الأزهر المعروف بالأزهري،أخذ عن الربيع بن سليمان ونفطويه،أسرته القرامطة مدة أخذ فيها عن العرب،كان رأساً في اللغة مات سنة(٣٧٠هـ).انظر السير ٣١٥/١٦،بغية الوعاة ١٩/١.

أبو زيد :الرَّسْل-بسكون السين-الطويل المسترسل»،وقال:«وناقة مرسال :رَسْلَةُ القوائم ،كثيرة شعر الساقين،طويلة»[(١)]

وهنا نرى أن لفظ الإرسال فيه معنى الانبعاث،والتؤدة،والتتابع،والكثرة.والله أعلم.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد عاقب الله بني إسرائيل بالرجز لعصيانهم وتبديلهم «والرجز في لغة أهل الحجاز العذاب»[(٢)] ،ولقد ذهب بعضهم إلى أنه الطاعون[(٣)] ،وفي صحيح البخاري[(٤)] ،أن رسول الله ﷺ قال:"الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم ".

وسواءٌ كان الطاعون أو غيره فإن لفظ الإنزال هو المناسب لسياق البقرة،والسبب هو أن لفظ الإنزال فيه معنى الهبوط من العلو وفيه معنى الشدة كما سبق،وفي هذا بيان لمنشأ العذاب،وهو أنه من الله،وفي بيان منشأ العذاب،وبيان الشدة من الترهيب ما لا يخفي ،وهذا هو المناسب لتذكير المخاطبين في سورة البقرة وهم اليهود المعاصرين للنبي ﷺ .

أما الأعراف فإنها تقص تأريخ القوم وما حصل لهم بالتفصيل،ولفظ الإرسال هو الذي يبين هذا ،وذلك أنه يبين لنا أن العذاب قد تتابع عليهم وكثر بسبب ذنوبهم،فالسورة معنيةٌ بتسجيل تأريخهم،ومن ذلك صفة العذاب الذي حل بهم،وفي بيان استمراره بيان لشدة عصيانهم وعتوهم،كما أن لفظ الإرسال هنا عدي بـ(على) ليفيد تضمين الفعل معنى فعلٍ آخر وهو الإنزال،فيكون بهذا قد أبان شدة العقوبة ببيانه منشأ العذاب،وفي هذا بيانٌ لمكان بني إسرائيل عند ربهم،وأنه الغضب؛لأن حالهم حال العصيان.والله أعلم.

الموضع الثالث:في البقرة:﴿ **عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ** ﴾،وفي الأعراف:﴿ **عَلَيْهِم** ﴾.

نوعه تشابه بالإظهار والإضمار،فقد أظهر في البقرة في محل الإضمار بينما أضمر في الأعراف،وسبق وعرفنا تأصيل القول في الإضمار والإظهار في مبحث أنواع المتشابه[(٥)] .

---

(١)تهذيب اللغة ٣٩٣/١٢.

(٢)جامع البيان ٧٢٩/١.

(٣)قاله ابن زيد انظر جامع البيان ٧٣١/١.

(٤)صحيح البخاري ،كتاب أحاديث الأنبياء ،بابٌ(٥٤)،برقم (٣٤٧٣).

(٥)انظر ص ١٢٢-١٢٣.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد أظهر في البقرة في محل الإضمار حين قال: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾،ولم يقل (فأنزلنا عليهم) «ليسجل عليهم موجب هذا العذاب ؛وأنه الظلم ؛ولذا عدل عن الضمير إلى الظاهر قال: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ۝٥٩﴾ ليبين أن هذا الرجز منزل عليهم بسبب ظلمهم ،والضمير لا يعطي هذا»[(١)] ، كما أن الإظهار يعطي فائدة أخرى وهو «تعميم الحكم بتعميم علة الوصف،فكل من بدل القول الذي قيل له فهو ظالم»[(٢)] ،ولذلك فهو معرض للعقوبة التي حلت بأولئك الظالمين.

وبهذا يتبين أن في الإظهار في آية البقرة تحذيراً لليهود المعاصرين للنبي ﷺ المخاطبين في سورة البقرة من أن يحل بهم مثل ما حل بأسلافهم من العقوبة إن هم ارتكبوا مثل ما ارتكب أولئك،ومن أعظم ما يرتكب هؤلاء اليهود تبديل كلام الله الذي يدعوهم لاتباع النبي الأمي ﷺ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة،وذلك بجحدهم ذلك وتركهم اتباعه ﷺ ،وهذا وجه المناسبة لسياق البقرة.والله أعلم.

وأما الأعراف فقد سبق أن في زيادة كلمة: ﴿مِنْهُم﴾ إفادة للتخصيص والتمييز لأجل ما بنيت عليه سورة الأعراف من تفصيل القصة ببيان حال المحسن والمسيء،والإضمار في ﴿عَلَيْهِم﴾ من هذا فإنه يبين اختصاص العصاة من بني إسرائيل بالعذاب وتخصيصهم بالعذاب يبين شدة الغضب عليهم،والإظهار بما يفيده من تعميم الحكم يضعف هذا،فإنه لو قال:(فأرسلنا على الذين ظلموا) لم يكن بمنزلة قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ في بيان شدة الغضب على هؤلاء العصاة من بني إسرائيل واختصاصهم بالعقوبة،كما تبينه دائماً سورة الأعراف.والله أعلم.

---

(١)العذب النمير ١/١١٣.

(٢)تفسير القران الكريم لابن عثيمين ١/٢٠٢،بتصرف.

الموضع الرابع:في البقرة:﴿ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾،وفي الأعراف:﴿ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾.

نوعه تشابه بالإبدال،إبدال كلمة بكلمة،وليس الفسق هنا مما يقال عنه إنه مرادفٌ للظلم ،وإنما لكل لفظٍ معناه،ولعلنا ننظر ابتداءً في أصل معنى كل لفظة.

أما لفظ الفسق فقد قال فيه ابن فارس –رحمه الله-:«فسق:الفاء والسين والقاف كلمة واحدةٌ،وهي الفسق،وهو الخروج عن الطاعة .تقول العرب :فسقت الرطبة عن قشرها:إذا خرجت»[(١)] .

وقال الراغب –رحمه الله-:«فسق فلان خرج عن حجر الشرع،وذلك من قولهم :فسق الرطب إذا خرج عن قشره،وهو أعم من الكفر.والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير،لكن تعورف فيما كان كثيراً،وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقر به، ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعضه...فالفاسق أعم من الكافر،والظالم أعم من الفاسق»[(٢)] .

وأما لفظ الظلم فقد قال فيه ابن فارس –رحمه الله-:«ظلم:الظاء واللام والميم أصلان صحيحان :أحدهما خلاف الضياء والنور،والآخر وضع الشيء غير موضعه تعدياً»[(٣)] .

وقال الراغب-رحمه الله-:«والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء :وضع الشيء في غير موضعه المختص به،إما بنقصان أو بزيادة ،وإما بعدول عن وقته أو مكانه...والظلم يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة ،ويقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز،ولهذا يستعمل في الذنب الكبير، وفي الذنب الصغير»[(٤)] .

---

(١)معجم مقاييس اللغة ص ٨٤٦.

(٢)المفردات ص ٦٣٦-٦٣٧.

(٣)معجم مقاييس اللغة ص ٦٤١.

(٤)المفردات ص ٥٣٧.

هذا هو أصل معنى الظلم في لغة العرب،وهو في القرآن يطلق بمعناه الأعظم،وهو وضع العبادة في غير من خلق،ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(البقرة ٢٥٤)،ويطلق على ظلم الإنسان نفسه بما لم يبلغ به الكفر،ومنه قوله تعالى :﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾(الأعراف ٢٣)،وعلى ظلم الإنسان غيره،ومنه قوله تعالى:﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾(الإسراء ٣٣)[1].

وبهذا يتبين أن بين الظلم والفسق عموماً وخصوصاً مطلقاً،كما قد أشار إليه الراغب في كلامه السابق،فالظلم أعم مطلقاً من الفسق

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كان الخطاب في البقرة كما هو معلوم لليهود في عهد النبي ﷺ،ولقد كان المقصود في آيات البقرة استجلابهم للإيمان،وتحذيرهم من ارتكاب الذنوب والمعاصي حتى لا تحل بهم العقوبات،**وعلى هذا فلقد كان النظر في هذه الآيات بالقصد الأول إلى العمل لا إلى العامل**،وكان تعليل العقوبة التي حلت بالعصاة في آية البقرة من هذا؛فإن قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾تحذير لهؤلاء المعاصرين للنبي ﷺ من عمل أولئك،فالفسق وهو الخروج عن الطاعة،هو العمل الذي سبب لهم العقوبة،ولم يكن لفظ الظلم ليدل على ذات العمل دلالة لفظ الفسق عليه والله أعلم.

وأما الأعراف فالنظر في آياتها بالقصد الأول إلى العامل لا إلى العمل،فقد كانت كما سبق معنية بذكر تفاصيل أحوال بني إسرائيل،والظلم المتحدث عنه هو ظلم النفس بتبديل ما أمر الله به،ولهذا فإن تسبيب العقوبة التي حلت بالمعاقبين بالظلم أدل على ذات العامل بوصف حاله من دلالة لفظ الفسق والله أعلم.

---

(١)انظر المفردات ص ٥٣٧-٥٣٨،والعذب النمير ٨٦/١.

المقطع الثامن

﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (البقرة ٦٠)

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ (الأعراف ١٦٠).

مواضع المتشابه ونوعه:

الموضع الأول: في البقرة: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾، وفي الأعراف: ﴿ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ ﴾.

ونوعه إبدال جملة بجملة، ففي آية البقرة المستسقي موسى عليه السلام وفي آية الأعراف المستسقي قومه، وهذا الموضع في نهايته يعود من حيث المعنى إلى أنه من نوع التشابه بالتفصيل والإجمال، ففي البقرة إجمال حيث لم يذكر فيها إلا آخر الأمر وهو استسقاء موسى عليه السلام، وأما الأعراف فقد ذكر فيها أول الأمر وآخره، فأول الأمر كان استسقاء قوم موسى، بأن «طلبوا منه السقيا، أن يسأل الله لهم فيسقيهم »[1]، وآخر الأمر طلب موسى عليه السلام السقيا من الله، وقد فعل ذلك، ولم يذكر ذلك صريحاً في الأعراف، لكن يدل عليه ما ذكر الله من استجابته سبحانه لطلبهم السقيا.

(١) العذب النمير ٤/١٦٤١، وانظر تيسير الكريم الرحمن ص ٢٩٦.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد ذُكر في البقرة آخر الأمر وهو استسقاء موسى عليه السلام؛لأن المقام مقام آلاء ونعم فكان المناسب لذلك ذكر السبب المباشر القريب لحصول النعمة وهو استسقاء موسى عليه السلام وبهذا تتبين النعمة،والتفصيل هنا بذكر طلب قومه السقيا يذهب هذا المعنى،مع ما في ذلك من بيان عناية نبي بني إسرائيل عليه السلام بقومه وحرصه عليهم،وهذا معدودٌ من النعم أيضاً.

وأما الأعراف فكان السياق فيها يسجل تأريخ اليهود،وما يتبعه من تفصيل حالهم،وتسجيل عصيانهم،ولهذا فقد ذكرت هذه الآية جملة أمور حصلت لبني إسرائيل،وبدأت ببيان تقطيعهم لإثنتي عشرة أسباطاً،ثم طلبهم للسقيا،ولقد كان في طلبهم السقيا من موسى عليه السلام تفصيلاً لحالهم بما يتبين به ضرورتهم،وقد قال بعض العلماء أن ذلك كان في التيه[(١)]،وسواءٌ كان في التيه أو غيره فهم لن يستسقوا إلا من ضرورة،وقد سقاهم الله لكل سبط عيناً،فعصيانهم بعد إنعام الله عليهم برفع ضرورتهم هو أشد العصيان،وآخر الآية يبين أنهم عصوا وجحدوا هذه النعم،وأنهم بهذا لا يظلمون إلا أنفسهم.والله أعلم .

الموضع الثاني:في البقرة:﴿ **فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ** ﴾،وفي الأعراف:﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ** ﴾.

ونوعه إبدال كلمة بكلمة،ففي البقرة أمر الله سبحانه موسى عليه السلام بضرب الحجر بلفظ القول،وأما في الأعراف فبلفظ الوحي.ولن نبحث هنا في الأصل اللغوي لكل لفظ،والسبب هو أن الوحي في الأعراف مقصودٌ به الوحي الشرعي المعروف،والقول الذي قيل لموسى عليه السلام في البقرة لا ريب في أنه عن طريق الوحي،ولكن يبقى البحث في السبب الذي اختصت به البقرة بلفظ القول والأعراف بلفظ الوحي.وهذه مهمة السياق.

---

(١)انظر جامع البيان ٢/٦،الكشاف ١/١٤٦.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كان أمر الله لموسى عليه السلام في البقرة بلفظ القول هو المناسب لسياقها،فلقد كان هذا القول من الله لموسى عليه السلام استجابة سريعة لاستسقائه معقباً بالفاء التي تدل على التعقيب والمباشرة،وهذه السرعة في الاستجابة هي من بالغ النعمة التي يقصها سياق البقرة دائماً.والله اعلم.

وأما الأعراف فقد جاء لفظ الوحي ليبين جلالة الأمر وقداسته،حيث كانت هذه السقيا بوحي من الرب سبحانه إلى موسى عليه السلام استجابة لمطلبهم،ولهذا فقد افتتح هذه الآية بهذا اللفظ،ليتبين بعد هذا أن عصيان بني إسرائيل وجحودهم إنما هو جحود لما يعلمون قداسته،وهذا هو شدة العصيان كما هو السياق المعلوم للأعراف،والله أعلم.

الموضع الثالث:في البقرة:﴿ **فَٱنفَجَرَت** ﴾ ،وفي الأعراف:﴿ **فَٱنۢبَجَسَت** ﴾.

ونوعه إبدال كلمة بكلمة،وهذا من النوع الذي يقال فيه إنه من المترادف،حيث إن بين الانفجار والانبجاس تقارباً في المعنى،وقد سبق تفصيل القول في الترادف في مبحث أنواع المتشابه[(١)] ،وسوف ننظر هنا—بإذن الله-في معنى كل لفظ أولاً.

أما لفظ انفجر فقد قال فيه ابن فارس —رحمه الله-:«فجر،الفاء والجيم والراء أصل واحد وهو التفتح في الشيء»[(٢)] .

وقال الراغب —رحمه الله-:«فجر ،الفَجْرُ:شق الشيء شقاً واسعاً»[(٣)] .

وأما لفظ انبجس فقد قال فيه ابن فارس —رحمه الله-:«بجس، الباء والجيم والسين :تفتح الشيء بالماء خاصةً»[(٤)] .

وقال الراغب —رحمه الله-:«بجس ،يقال :بجس الماء وانبجس :انفجر ،لكن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق،والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من

---

(١)انظر ص ١١٤-١١٦.

(٢)معجم مقاييس اللغة ص ٨٣٦.

(٣)المفردات ص ٦٢٥.

(٤)معجم مقاييس اللغة ص ١١٣.

شيء واسع ،ولذلك قال عز وجل :﴿ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا ﴾(الأعراف ١٦٠)،وقال في موضع آخر :﴿ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا ﴾(البقرة ٦٠)،فاستعمل حيث ضاق المخرج اللفظان،قال تعالى:﴿ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴾(الكهف ٣٣)،وقال :﴿ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا ﴾(القمر ١٢)،ولم يقل بجسنا»[(١)] .

والراغب بقوله:« فاستعمل حيث ضاق المخرج اللفظان»كأنه يجعل الماء الذي خرج لبني إسرائيل إنما خرج من مخرجٍ ضيق،وهو بهذا يحمل ما في البقرة على ما في الأعراف؛لأن المخرج الضيق عنده هو الذي تجتمع فيه دلالة اللفظين الانفجار والانبجاس ،وأما الواسع فينفرد فيه الانفجار.ولكن يشكل على هذا أن الماء كثير ؛لأنه ورد في سياق الامتنان في البقرة،كما أن الانفجار يغلب استعماله في الكثرة.

ولقد حمل غيره من العلماء اختلاف اللفظين على أمرٍ آخر يجمع بين الأمرين،وهو أن الاختلاف إنما هو بالنسبة لأول الأمر وآخره.

قال القرطبي –رحمه الله-:«والانبجاس أضيق من الانفجار ؛لأنه يكون انبجاساً ثم يصير انفجاراً»[(٢)] ،فالمذكور في البقرة آخر الأمر وهو الانفجار ،والمذكور في الأعراف هو أول الأمر وهو الانبجاس،وهذا أولى مما ذهب إليه الراغب رحمه الله؛لأنه يجتمع فيه دلالة اللفظين كل لفظ في المعنى الغالب له دون حملٍ لأحدهما على الآخر،ولكن يبقى ما السبب في ذكر آخر الأمر في البقرة ،وأوله في الأعراف،وهذا ما سيبينه لنا السياق بإذن الله[(٣)] .

---

(١)المفردات ص ١٠٨.

(٢)الجامع لأحكام القران ٢٨٤/١،وانظر تفسير القران العظيم لابن كثير ٢٨٣/١، التفسير الكبير ٨٩/٣،ملاك التأويل ٢١٢/١.

(٣)هذا مع أننا نلاحظ هنا أن البقرة قد اختصت بآخر الأمر والأعراف بأوله،وهذا عكس ما ورد في الموضع الثاني من المقطع الخامس،وقد أشرنا هناك إلى أن الأمر سينعكس كما هنا،وهذا يضعف مذهب من يوجه باعتبار ترتيب المصحف .والله أعلم.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد ذهب أبو جعفر ابن الزبير إلى أن اختصاص البقرة بآخر الأمر إنما هو ؛لأن طلب موسى عليه السلام غاية لطلب قومه والانفجار غاية الأمر،فناسبت الغاية الغاية،وأما الأعراف فلان طلب قوم موسى عليه السلام هو ابتداء الطلب والانبجاس ابتداء الأمر فناسب الابتداء الابتداء[(١)].

أن ما قرره أبو جعفر -رحمه الله-هنا إنما هي خطوة لا بد منها في توجيه المتشابه، إلا أنه قد بقي عليه غاية التوجيه،وهو أنه لم يبين سبب اختصاص كل موضع بما اختص به.

وقد بينا في توجيه الموضع السابق سر ذكر طلب موسى عليه السلام في البقرة ،وذكر طلب قومه في الأعراف بما أرشدنا إليه السياق.

وهنا فالسياق يرشدنا إلى أن المناسب لسياق البقرة ذكر الانفجار؛لأنه هو الأظهر في تعداد النعمة،وظهور المنة[(٢)].

قال السيوطي -رحمه الله-:« في البقرة:﴿ فَٱنفَجَرَتۡ ﴾،وفي الأعراف:﴿ فَٱنۢبَجَسَتۡ﴾؛لأن الانفجار أبلغ في كثرة الماء،فناسب سياق ذكر النعم التعبير به»[(٣)]

وأما الأعراف فكانت تقص تأريخ القوم وتفاصيل أحوالهم التي هي تفاصيل عصيانهم،وكان ذكر الانبجاس وهو أول الأمر ملحوظ به-والله أعلم-ذكر معاينة القوم لتشقق الحجر من بدايته ليكون لهم مع النعمة آية تلزمهم الحق،وتدعوهم للتمسك بالدين ،فإن معاينتهم لضرب موسى عليه السلام للحجر،ثم معاينتهم لتشققه شيئاً فشيئاً آيةٌ عظيمةٌ

---

(١)انظر ملاك التأويل ١/٢١٢-٢١٣.

(٢)انظر كشف المعاني ص ١٠٤.

(٣)الإتقان ٢/٩٩٨.

ودلالةٌ من دلائل نبوة موسى عليه السلام.وبهذا فإن عصيان بني إسرائيل بعد معاينة الآيات،وظهور النعمة،لهو أشد العصيان كما يدل عليه سياق الأعراف.والله أعلم.[(١)]

الموضع الرابع:اختلاف تذييل الآيتين،فقد ختم آية البقرة بقوله:﴿ **كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾،وأما آية الأعراف فختمها بقوله :﴿ **كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾.

نوعه إبدال جملة بجملة.

وقد كانت خاتمة آية البقرة قولاً قيل لبني إسرائيل،والمعنى قيل لهم: ﴿ **كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾[(٢)].

وأما الأعراف فقد تقدم في المقطع الخامس أن معنى خاتمتها:أنهم قد عصوا ولم يمتثلوا أمر الله،وأنهم بذلك لا يظلمون إلا أنفسهم.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كان سياق البقرة في تعداد النعم،ولأجل ذلك فإنه سبحانه قد أفرد منته عليهم بالأكل في الآية السابعة والخمسين قبل هذه الآية،ثم أفرد منته عليهم بالشرب في هذه

---

(١)ولقد حصل لهذه الأمة مثل ذلك،فقد نبع الماء من بين أصابع نبينا ﷺ في الحديبية في حال ضرورة إلى الماء من الصحابة كما في البخاري برقم (٤١٥٢)مسلم برقم (١٨٥٦/٧٣)،فكانت آية ودلالةً من دلائل نبوته ﷺ ونعمةً ومنّةً من الله،وقد حصل لهم أيضاً من تلك الدلائل والنعم غير ذلك،ولقد كانت سنن الله في بني إسرائيل تأتي على هذه الأمة،ولكن هذه الأمة ولله الحمد أمةٌ مرحومة منّ الله عليها بالطاعة،«وقد ابتلى الله امة موسى عليه السلام بالخوف والطمع ،وابتلى أمة محمد ﷺ بالخوف والطمع،فنجح أمة محمد ﷺ ولم تنجح أمة موسى عليه السلام »العذب النمير ١٦٥٩/٤،فالطمع ما ذكره الله في الأعراف (آية ١٦٦)من نهي أصحاب القرية عن صيد السمك في السبت،والخوف ما ذكره الله في المائدة (آية ٢١)من أمرهم بقتال الجبارين ودخول الأرض المقدسة،وهذه الأمة ابتليت بالطمع كما في سورة المائدة (آية ٩٤)من تيسير الصيد لهم وهم حرم،وبالخوف كما في غزوة بدر الكبرى وقد نجحت هذه الأمة ولله الحمد المنة.انظر العذب النمير ١٦٥٩/٤-١٦٦٠.

(٢)انظر جامع البيان ٩/٢،التحرير والتنوير ٥١٩/١.

الآية،وهذا من عد النعم عليهم،ثم إنه في خاتمة هذه الآية أمرهم بالأكل والشرب من رزقه،ولم يكن للأكل ذكر إلا ما تقدم،ليزيد من تذكيرهم بالنعمة.

قال ابن عاشور –رحمه الله-:«وقد جمع بين الأكل والشرب وإن كان الحديث عن السقي؛لأنه قد تقدمه إنزال المن والسلوى،وقيل هناك: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾،فلما شفع ذلك بالماء اجتمع المنتان»[(١)].

ثم إنه نهاهم عن الإفساد في الأرض؛لأنهم«لما أمروا بالأكل والشرب من رزق الله تعالى،ولم يقيد ذلك عليهم بزمان ولا مكان ولا مقدار،كان ذلك إنعاما وإحسانا جزيلا إليهم،وأستدعى ذلك التبسط في المأكل والمشرب،نهاهم عما يمكن أن ينشأ عن ذلك،وهو الفساد؛حتى لا يقابلوا تلك النعم بالكفران»[(٢)]. وبهذا يتبين وجه هذا التعقيب لآية البقرة.

أما الأعراف فإنها قد عددت في هذه الآية نعماً كثيرة على بني إسرائيل،الشرب،وتظليل الغمام،والأكل،ثم بينت خاتمة الآية حالهم حيالها وهو أنه العصيان والكفران،وهذا هو سياق الأعراف المعروف.والله أعلم.

---

(١)التحرير والتنوير ١/٥١٩.

(٢)روح المعاني ١/٢٧٢.

المقطع التاسع

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ (البقرة ٦١)

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (آل عمران ١١٢).

مواضع المتشابه ونوعه:

الموضع الأول: في البقرة قال: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، وفي آل عمران قال: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾.

وهنا نوعان من المتشابه:

أحدهما: تشابه بالتقديم والتأخير، فقد قدم في آل عمران قوله: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، على ضرب المسكنة. بينما تقدمت في البقرة، فكان ترتيب العقوبات في البقرة: الذلة المسكنة الغضب، بينما كان في آل عمران: الذلة الغضب المسكنة.

الثاني:تشابه بالزيادة والنقصان،فقد زاد في آل عمران قيداً وهو قوله تعالى : ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾،بينما كان ضرب الذلة عليهم في البقرة مطلقاً.

والذلة هي:الذل والصغار،وقيل: القتل والأسر وسبي الذراري واستئصال الأموال،وقيل:فرض الجزية،والصحيح-والله أعلم- أنها كل ذلك،فكل ما تقدم من الصغار،وفرض الجزية من الصغار،كما أنها لا تؤخذ منهم إلا على وجه الصغار،كما قال تعالى:﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾(التوبة ٢٩) [(١)].

والمسكنة:«الفقر يقال تمسكن الرجل أي صار فقيرا وسمي الفقير مسكينا لأن الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة» [(٢)].

قال ابن جرير –رحمه الله-:«والمسكنة في هذا الموضع مسكنة الفاقة والحاجة وهي خشوعها وذلها» [(٣)].

ويلاحظ في هذا الموضع في نوعه الثاني:أن الاستثناء كان في آل عمران دون البقرة،كما يلاحظ أنه استثناء من ضرب الذلة فقط،أما المسكنة فلم يحصل منها استثناء،وعليه فلا بد أولاً من معرفة حقيقة هذا الاستثناء،ثم معرفة حقيقة المسكنة التي لا تفارق اليهود،ومن ثم توجيه هذا الموضع على ضوء دلالة السياق.

لقد أفاد الاستثناء عند من يراه متصلاً:أن الذلة تفارق اليهود عند وجود صورة الاستثناء،والمعنى:أنهم أذلة ليس لهم من العزة إلا اعتصامهم بحبل من الله أي ذمة من الله،وهو إلزامهم عقد الذمة،أو حبل من الناس أي أمان منهم،ولكنه على هذا استثناء قاصر فإنه لم يزل عنهم كل معاني الذلة،بل بعض أحكامها. [(٤)]

---

(١)انظر جامع البيان ٢٦/٢،الجامع لأحكام القرآن ٢٩٢/١،روح المعاني ٢٩/٤،محاسن التأويل ١٢٩٨.

(٢)تفسير السمعاني ج١/ص٨٧ .

(٣)تفسير الطبري ٢٧/٢.

(٤)انظر الكشاف ٣٩٣/١،مفاتيح الغيب ١٦٠/٨،تفسير ابن كثير ١٠٤/٢،روح المعاني ٢٩/٤.

وأما من يرى الاستثناء منقطعاً،فإن الذلة عنده لا تفارق اليهود أبداً،والمعنى :أن اليهود قد ألزموا الذلة لكن قد يعتصمون بحبل من الله وحبل من الناس فيأمنون.(١)

وعلى كلا القولين فإن في هذا الاستثناء بياناً لحالٍ من أحوال اليهود،وحكمٍ من أحكام المعاملة معهم،وهو حال تعلقهم بذمة الله وذمة الناس،وهذا حكم شرعي قد بين الله تفصيلة في آيات أخرى،واليهود لا يخرجون به من كامل الذلة بل من بعضها وعليه فلا تعارض بين القولين،كما أنهم ملزمون بهذه الذلة قدراً،وقد يرفع الله عنهم بعضها،كما وقع في عصرنا هذا،فكان لهم نوع عزة.

قال ابن كثير –رحمه الله-:«وضعت عليهم-أي الذلة-وألزموا بها شرعا وقدراً، أي:لا يزالون مستذلين،من وجدهم استذلهم وأهانهم،وضرب عليهم الصغار،وهم مع ذلك في أنفسهم أذلاء متمسكنون»(٢).

وقال السعدي-رحمه الله-:«هذا إخبار من الله تعالى أن اليهود ضربت عليهم الذلة، فهم خائفون أينما ثقفوا،ولا يؤمنهم شيء إلا معاهدة وسبب يأمنون به يرضخون لأحكام الإسلام ويعترفون بالجزية،﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: إذا كانوا تحت ولاية غيرهم ونظارتهم،كما شوهد حالهم سابقا ولاحقا،فإنهم لم يتمكنوا في الوقت الأخير من الملك المؤقت في فلسطين،إلا بنصر الدول الكبرى،وتمهيدها لهم كل سبب»(٣).

وأما المسكنة وقد قلنا:إنها الفقر فإنها لا تفارق اليهود،كما تدل عليه الآية،لكن يشكل على هذا أنه يوجد من اليهود من هو من أغنى الناس.

والجواب عن ذلك هو:أن فقر اليهود يشمل قلة المال،ويشمل فقر القلوب وهو أعظم،«فلا توجد أمة أفقر قلوباً،ولا أبخل من اليهود،فالأموال كثيرة ،لكن قلوبهم فقيرة،وأيديهم مغلولة»(٤).

---

(١)انظر جامع البيان٥/٦٨٢،الجامع لأحكام القرآن ٤/١١٢،تفسير البغوي ١/٢٦٧.

(٢)تفسير ابن كثير ١/٢٨٥.

(٣)تيسير الكريم الرحمن ص ١١٣،وانظر تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين ١/٢١٩.

(٤)تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين ١/٢١٣.

قال القاسمي –رحمه الله-:«وهذا الخبر الذي أخبر الله تعالى به هو معلوم في جميع الأزمنة،فإن اليهود أذل الفرق،وأشدهم مسكنة،وأكثرهم تصاغراً، لم ينتظم لهم جمع،ولا خفقت على رؤوسهم راية،ولا ثبتت لهم ولاية،بل ما زالوا عبيد العصي في كل زمن،وطروقة كل فحل في كل عصر،ومن تمسك منهم بنصيب من المال،وإن بلغ في الكثرة أي مبلغ،فهو مرتدٍ بأثواب المسكنة»[(١)].

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كان سياق البقرة يخاطب بني إسرائيل المعاصرين للنبي ﷺ،ويدعوهم للإيمان ويحذرهم من العصيان،ويحذرهم أن يحل بهم ما حل بأسلافهم من العقوبات،ولهذا فقد جاء الترتيب في البقرة بذكر الأشد عندهم،لا الأشد في نفس الأمر،وذلك أن الذي يرونه من حالهم،ويقرون به جميعهم هو ما هم عليه من الذلة،وأما المسكنة وهي الفقر وإن كانت شاملة لهم بالمعنى الأعظم ،وهو فقر القلوب،وإن كانوا يرون ما هم عليه من ذلك،إلا أنها أقل خطراً عندهم من الذلة،وأما غضب الجبار فلم يكونوا يكترثون به كثيراً،وهم المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق فلا يعملون به،ولهذا كان الغضب آخراً في الترتيب.

وأما الاستثناء فكما سبق حكم يعني المسلمين،ولهذا فلم يكن لمخاطبة اليهود به فائدة،بل إن في مخاطبتهم به إضعاف للتهديد الواقع عليهم من الإخبار المطلق من غير استثناء،ولم يكن هناك تعارض بين الآيتين؛لأن الاستثناء لم يرفع الحكم المطلق كما تقدم،وبهذا فإن آية البقرة تدعو اليهود إلى الإيمان بالله،وترك العصيان لما يشاهدونه من عقوبته،من ضرب الذلة والمسكنة عليهم.

وأما آل عمران فإنها تخاطب النبي ﷺ والمؤمنين،وتبين حال هؤلاء اليهود للمؤمنين،ولهذا فقد بدأت آيتها ببيان ضرب الذلة عليهم،واستثنت منه حالة تضبط علاقة المؤمنين باليهود،فقد كان لهذا القيد فائدته،حيث كان يبين أمراً شرعياً وقدرياً،لا بد أن يعلمه المؤمنون في شأن هؤلاء اليهود،فكان البدء بالحكم الذي يمس المؤمنين،وبهذا يتبين السر في البدء ببيان ضرب الذلة،وسر الاستثناء من ذلك،ثم أعقب ذلك ببيان حال هؤلاء

---

(١)محاسن التأويل ٢٩٨/١،وانظر الكشاف ١٤٨/١،المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج١/ص١٥٤، تفسير السعدي ص ٣٥.

اليهود عند ربهم وهو أنهم مغضوب عليهم،وهذا أمر يهم المؤمنين كثيراً بعد أن بين لهم ما يعنيهم من الحكم بشأن اليهود،والمؤمنون دائماً ينظرون ما ذا يحب ربهم ويرضى ،وما الذي يبغضه ويسخطه،ثم كان تتمة بيان حال اليهود ببيان ضرب المسكنة عليهم، وهو حال من أحوال اليهود لا يتعلق به حكم شرعي كالأول فكان آخراً.والله أعلم.

الموضع الثاني:في البقرة:﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾،وفي آل عمران:﴿ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾.

ونوعه تشابه بتغيير الصيغة الصرفية،ففي البقرة صيغة جمع المذكر السالم،وفي آل عمران صيغة جمع تكسير.

وقد سبق وبينا الفرق بين الصيغتين،وأصل المعنى الذي ترجع إليه كل صيغة[(١)].

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كان جمع المذكر السالم هو المناسب لسياق البقرة،وذلك أن المخاطب بها هم اليهود المعاصرون للنبي ﷺ،وبناءً على ما تقرر من الفرق بين الصيغتين،فإنه يكون الغرض من مخاطبة اليهود بصيغة جمع المذكر السالم،هو تذكيرهم بأولئك الأنبياء المقتولين بأعيانهم،وهم يعلمونهم،وفي تذكيرهم بأعيانهم تعظيم الشناعة على هؤلاء اليهود،حتى ينتهوا عما هم عليه من الغيّ في متابعة الأسلاف القتلة،ويدخلوا في دين الإسلام.

وأما آل عمران فقد كانت صيغة جمع التكسير تفيد الجنس الكثير،وهي حين تخاطب المؤمنين فإنها تكشف أحوال يهود،ببيان عظيم جرمهم،حين أكثروا القتل في الأنبياء،عليهم من الله ما يستحقون.وبهذا يتبين وجه مناسبة كل لفظ لمقامه.والله أعلم.

الموضع الثالث:في البقرة:﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾،وفي آل عمران:﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

ونوعه تشابه بالتعريف والتنكير.

فاللام في﴿ٱلْحَقِّ﴾يحتمل أن تكون للجنس فتفيد العموم،ومن ذهب إلى ذلك،فقد حملها على الموضع الثاني الذي في آل عمران،ويحتمل أن تكون للعهد[(٢)].

والذي يظهر-والله أعلم-:أنها للعهد وليست للجنس،وذلك لأمرين:

---

(١)انظر ص ٢١٧-٢١٩.

(٢)انظر روح المعاني ج١/ص٢٧٦.

الأمر الأول:أن القاعدة التي تقررت في هذا البحث كثيراً،هي:أنه لو كان هناك سبب لفظي للتغاير لقلنا:إنه لا يستقل بالأمر،بل لا بد من سبب معنوي يضاف له،فكيف إذا لم يكن هناك سبب لفظي للتغاير أصلاً؟.

الأمر الثاني:ما سيتبين بعد-بإذن الله-من توجيه المتشابه.

أما التنكير فقد سبق في مبحث أنواع المتشابه أن معناه،إنما يعلم بالقرائن والسياق.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إن سياق البقرة،وخطابها لليهود المعاصرين للنبي ﷺ،ولهذا فقد جاء الخطاب بالتعريف بلام العهد،والمعهود المشار إليه هنا،إنما هو عند المخاطبين المعاصرين،وكذلك عند الذين حصل منهم الفعل وباشروا القتل،«وجرت العادة في القرآن أن الله يمتن على الموجودين في زمن النبي ﷺ بالنعم التي أنعمها على أسلافهم الماضين،وكذلك يعيبهم بالمعائب التي صدرت من أسلافهم الماضين؛لأنهم أمة واحدة»[(١)].

قال الزركشي-رحمه الله-«في سورة البقرة جاء عن أناس معهودين،وهو قوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾،فناسب أن يؤتى بالتعريف؛لأن الحق الذي كان يستباح به قتل الأنفس عندهم كان معروفا،كقوله تعالى:﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾،فالحق هنا الذي تقتل به الأنفس معهود معروف»[(٢)].

وبهذا يتبين أن مقابلة هؤلاء المعاصرين بما يعلمونه من أحوال أسلافهم،إقامةٌ للحجة عليهم،ودعوةٌ لهم إلى نبذ ملة الأسلاف،واتباع دين خير المرسلين ﷺ.والله أعلم.

---

(١)العذب النمير ١/٦٣.

(٢)البرهان في علوم القرآن ٣/٢١٩،وانظر الكشاف١/١٤٨،التحرير والتنوير ١/٥٣٠.

أما آية آل عمران فلما كانت خطاباً للنبي ﷺ والمؤمنين،فقد جاءت آيتها بصيغة التنكير،وهو هنا للتعظيم تعظيم مرتكب هؤلاء اليهود،وشناعة جرمهم،وهذا هو البيان المناسب للمخاطبين،ولا يؤدي التعريف ما يؤديه التنكير.والله أعلم.[1]

(١)انظر ملاك التأويل ١/٢١٥-٢١٧،كشف المعاني ص ١٠٥، واللام في البقرة عندهما للعهد، والتنكير في آل عمران للتعظيم والتشنيع،ولكنهما حصرا الخطاب والمعهود في البقرة عند الأقدمين،وجعلا آية آل عمران في المعاصرين،وهو خلاف ما قررنا،والله أعلم.

المقطع العاشر

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ (البقرة ٦٣)

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ (البقرة ٩٣)

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ (النساء ١٥٤).

﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ (الأعراف ١٧١).

مواضع المتشابه ونوعه:

الموضع الأول: افتتحت آيتا البقرة بأسلوب الخطاب، بينما كانت النساء والأعراف على الغيبة.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

وهذا الموضع ظاهر التوجيه؛ لأن آيتي البقرة في مخاطبة المعاصرين للنبي ﷺ من اليهود، وآية النساء في سياقٍ يخاطب النبي ﷺ، وأما الأعراف فكانت تسجل تأريخ بني إسرائيل، وتبين معاصيهم، ولهذا جاءت على الغيبة. والله أعلم.

الموضع الثاني: في آيتي البقرة والنساء: ﴿وَرَفَعْنَا﴾، وفي الأعراف: ﴿نَتَقْنَا﴾.

ونوعه اختلاف في الإبدال، إبدال كلمة بكلمة.

الرفع معلوم معناه، وأما النتق، فقد قال ابن فارس –رحمه الله–: «نتق: النون والتاء والقاف أصل يدل على جذب شيءٍ وزعزعته وقلعه من أصله»[1].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ص ١٠١٠.

وقال الراغب:«نتق الشيء:جذبه ونزعه حتى يسترخي،كنتق عُرَى الحِمْلِ.قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾.»[(١)] .

فالنتق فيه معنى الزعزعة،والجذب،ثم القلع.والسياق يبين لنا-بإذن الله-سبب اختصاص كل موضع بما اختص به.

الموضع الثالث:في آيتي البقرة والنساء :﴿ ٱلطُّور ﴾،وفي الأعراف:﴿ ٱلْجَبَلَ ﴾.

ونوعه إبدال كلمة بكلمة.

قال ابن فارس-رحمه الله-:«الطاء والواو والراء أصل صحيح يدل على معنىً واحد،وهو الامتداد في شيء،من مكان أو زمان...والطور:جبل ،فيجوز أن يكون اسماً علماً موضوعاً،ويجوز أن يكون سمي بذلك لما فيه من امتداد طولاً وعرضاً»[(٢)] .

قال ابن جرير:«أما الطور فإنه الجبل في كلام العرب»[(٣)] ،ولكن من كلام ابن فارس السابق،فإن إطلاق الطور على الجبل ليس أصلاً في كلام العرب،بل لما فيه من الوصف.

وقد اختلف العلماء في الطور هنا،هل هو الطور الذي كلم الله منه موسى عليه السلام،أو أن كل جبل يسمى طوراً،أو هو ما أنبت من الجبال[(٤)] .

والأقرب والله أعلم أنه الجبل المعروف[(٥)] ؛لأن الله قد كلم موسى عليه السلام من جانبه وسماه بهذا الاسم،وأقسم الله به في سورتي الطور والتين[(٦)] ،وقد جاء هنا معرفاً بلام العهد،فهو الجبل الذي تعرفه بنوا إسرائيل في سيناء.وسيأتي-بإذن الله-زيادة تأكيد لهذا في توجيه المتشابه.

---

(١)المفردات ص ٧٩٠،وانظر الكشاف ١٦٩/٢.

(٢)معجم مقاييس اللغة ص ٦٢٧،وانظر المفردات ص ٥٢٨.

(٣)انظر جامع البيان ٤٨/٢.

(٤)انظر جامع البيان ٤٨/٢،زاد المسير ٩٣/١.

(٥)انظر تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين ٢٢٤/١، ٣٠٢.

(٦)انظر جامع البيان ٢١/ ٥٦٠،٥٠٨/٢٤،التحرير والتنوير ٣٧/١٣، ٤٢١/١٥.

الموضع الرابع: في الأعراف: ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾.

نوعه زيادة في الأعراف عن المواضع الأخرى،فقد زاد قيدين،قيداً في وصف الجبل: ﴿ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ﴾،وقيداً في وصف حال القوم لما رفع فوقهم: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾.

أثر السياق في توجيه المتشابه في المواضع الثلاثة السابقة:

لقد كانت لفظتي الرفع والطور هما المناسبتان لسياق البقرة؛وذلك أن سياقها في مخاطبة المعاصرين للنبي ﷺ من اليهود،والغرض من الخطاب هو دعوتهم للإيمان بذكر المنة على أسلافهم،ولقد كان الله امتن على الأسلاف بإلزامهم بأحكام التوراة برفع الجبل فوقهم كأنه ظلة،والجبل المرفوع هو الطور الجبل المعروف عندهم فسماه باسمه العلم،ولهذا فقد اقتصر في البقرة على ذكر غاية الأمر ونهايته،وهو حصول الرفع لذلك الجبل،وإلزام القوم بأحكام التوراة،وبذلك تمت النعمة وحصل البيان،ولم يكن هناك حاجة لذكر صفة ذلك الرفع من بدايته،ولا حاجة لبيان حال القوم وهم يرونه مرفوعاً فوقهم،وسياق النساء وهي سورة مدنية كذلك ؛فإنها في مخاطبة النبي ﷺ في محاجته لأهل الكتاب في المدينة فالغرض واحد.والله أعلم.

أما الأعراف فإن من تمام تسجيل تأريخ بني إسرائيل،أن يذكر الأمر من بدايته،وذلك أن النتق يصف حال اقتلاع الجبل من أول أمره،وبلفظ (الجبل)الاسم المشهور المعروف؛لأن السورة مكية تخاطب قوماً قد يكونون لا يعلمون جبل الطور باسمه العلم،كما أن لفظ الجبل يصور لهم عظم الأمر،وتفاصيل ما حصل بما يعلمونه من حال الجبال وعظمها،حتى كأنهم يرون ذلك رأي العين،فكان هو اللفظ المناسب لهذا السياق.

فقد كانت الأعراف تصف حال بني إسرائيل وصفاً دقيقاً،حين بينت أنهم قد شاهدوا الجبل وهو يتزعزع من أصله فينجذب فينقلع،ثم يرتفع فوق رؤوسهم،ثم تزيد فتصف الجبل وهو فوق الرؤوس وبنوا إسرائيل تحته،حيث صار«الجبل فوقهم بقدرة الله

كأنه ظلة،كأنه غمامة تظلهم فوق رؤوسهم»[(١)]،وهم يحاذرونه أن يقع عليهم،كل ذلك حتى يلتزموا بالتوراة ويأخذوها بجد واجتهاد في العمل،وهذا يبين شدة عصيان بني إسرائيل ونفورهم الذي تقصه دائماً سورة الأعراف.والله أعلم.

الموضع الخامس:في البقرة (آية ٦٣):﴿ **خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ** ﴾،وفي (آية ٩٣):﴿ **خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٩٣** ﴾،وفي الأعراف:﴿ **خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ** ﴾ .

ونوعه اختلاف بالإبدال،إبدال الجمل.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كان سياق البقرة يعدد النعم على بني إسرائيل بما حصل من ذلك لأسلافهم،ويتلطف بهم علّهم يؤمنون،ولقد سجلت الآية الأولى من البقرة نعمة إلزام الأسلاف بالتوراة،وذلك برفع الطور فوقهم ،ولهذا فقد كان المقصود في هذا الموضع ذكر ما الغرض من ذلك الإلزام،فقال سبحانه معقباً:﴿ **وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ** ﴾.

ولقد كان سياق الأعراف مشاركاً للبقرة في هذا التعقيب؛لأنه كان مشاركاً لها في عد النعم،لكن من باب تسجيل التأريخ،وبيان عاقبة القوم في كل مرة ينعم الله عليهم.

وأما الآية الثانية في البقرة؛فإنها جاءت بعد أن بدأ السياق بمواجهة هؤلاء اليهود المعاصرين للنبي ﷺ بقبائحهم وما يبطنونه من العصيان والخيانة،وهذه المواجهة تبدأ من قوله تعالى:﴿ ۞ **أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥** ﴾(الآية:٧٥)،فيذكر كثيراً من ذنوبهم،ويستمر السياق على ذلك،حتى يظهر لهم خبيئة نفوسهم في عصيانهم للقرآن،وهم

---

(١)العذب النمير ١٦٨٣/٤،وانظر جامع البيان ٥٤٢/١٠،المفردات ص ٥٣٦.

يعلمونه مصدقاً لما معهم من الكتاب،وكانوا يستفتحون على الذين كفروا،فيسجل عليهم القرآن أن سبب عصيانهم هو البغي،ولكن كان هؤلاء اليهود يتذرعون بسبب أراد الله أن يبطله،وهو أنهم كانوا يمتنعون من اتباع الحق لزعمهم أنهم يؤمنون بما أنزل عليهم:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾(الآية: ٩١)فبين بطلان شبهتهم هذه وكذبهم فيها من عدة أوجه:

أحدها:أن ما يكفرون به من القرآن والإنجيل حقٌ مصدقٌ لما معهم:﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾،وهذا«خبر من الله جل ثناؤه أنهم من التكذيب بالتوراة على مثل الذي هم عليه من التكذيب بالإنجيل والفرقان»(١).

الوجه الثاني:أن لو كان ما يزعمون من الإيمان بالتوراة حق لما قتلوا أنبياء الله:﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾،«وقد حرم الله في الكتاب الذي أنزل عليهم قتلهم،بل أمرهم فيه باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم.وذلك من الله جل ثناؤه تكذيب لهم في قولهم:﴿ نُؤْمِن بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾،وتعيير لهم»(٢).

الوجه الثالث:بل إن نبيهم عليه السلام لم يسلم من عصيانهم،بعد ما رأوه من الآيات على يديه،فبينت الآيات بهذا أنهم لا يؤمنون بشيء،قال الله تعالى :﴿ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾(الآية ٩٢)

الوجه الرابع:ثم قضت الآيات أخيراً على شبهتهم تلك،حين أبانت عن أنهم أصلاً لم يتبعوا هذا الكتاب الذي يزعمون أنهم يؤمنون به،وذلك أنهم رفضوا قبوله بعد رفع الطور عليهم،ولهذا جاء التعقيب في الموضع الثاني من البقرة بقوله:﴿ خُذُواْ مَآ

---

(١)جامع البيان ٢/٢٥٦.

(٢)جامع البيان ٢/٢٥٧بتصرف يسير.

ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

فقد بين أنهم لا إيمان لهم،وأمر نبيه ﷺ أن يقول لهم:«بئس الشيء يأمركم به إيمانكم،إن كان يأمركم بقتل أنبياء الله ورسله ،والتكذيب بكتبه،وجحود ما جاء من عنده.ومعنى إيمانهم:تصديقهم الذي زعموا أنهم به مصدقون من كتاب الله ،إذ قيل لهم:آمنوا بما أنزل الله .فقالوا:نؤمن بما أنزل علينا...وأخبر سبحانه أن تصديقهم بالتوراة إن كان يأمرهم بذلك فبئس الأمر تأمر به.وإنما ذلك نفي من الله تعالى ذكره عن التوراة أن تكون تأمر بشيء مما يكرهه الله من أفعالهم»[(١)] ،وبهذا يتبين توجيه هذا الموضع.والله أعلم.وقد انتهت سورة البقرة بنهاية هذا المقطع،والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(١)جامع البيان بتصرف يسير ٢/٢٦٦-٢٦٧.

سورة آل عمران

وهي سورة مدنية بالاتفاق[(١)]،ولقد نزل أول السورة كما قال المفسرون بسبب وفد نصارى نجران،وقد وفدوا بعد فتح مكة.[(٢)]

وقد أشكل على ذلك قوله تعالى:﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾(الآية ٦٤)،فإن النبي ﷺ كتبها لهرقل قبل فتح مكة،كما يدل عليه حديث أبي سفيان رضي الله عنه حين وصل الكتاب،وهو عند هرقل بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة،فإن أبا سفيان قال لهرقل حين سأله الأسئلة المعروفة عن النبي ﷺ:«ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها»[(٣)] أي في مدة صلح الحديبية قبل فتح مكة.

قال ابن كثير-رحمه الله-مستشكلاً:«وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد أن صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران،وقال الزهري:هم أول من بذل الجزية.ولا خلاف أن آية الجزية نزلت بعد الفتح،فما الجمع بين كتابة هذه الآية قبل الفتح إلى هرقل في جملة الكتاب،وبين ما ذكره محمد بن إسحاق والزهري؟» ،وقد أجاب-رحمه الله- بما لا يشفي[(٤)].

والصواب في ذلك-والله أعلم-أن هذه الآية«مما تقدم نزوله،وتلك مما تأخر نزوله،وجمع بينهما للمناسبة كما في نظائره،فإن الآيات إذا نزلت يأمر النبي ﷺ أن يضعها

---

(١)انظر البيان في عد آي القرآن ج١/ص١٤٣،تفسير ابن كثير ٢/٥،التحرير والتنوير ١٤٣/٣.

(٢)انظر جامع البيان ١٧١/٥-١٧٤،تفسير ابن كثير ٢/٥،وقد حدد ابن جرير نيفاً وثلاثين آية من أولها سبباً للنزول،وابن كثير إلى ثلاث وثمانين آية،

(٣)صحيح البخاري-كتاب بدء الوحي،١٦/١،برقم (٧).

(٤)تفسير ابن كثير ٥٦/٢،والأوجه التي ذكرها جواباً للإشكال:١-أن تكون الآية نزلت مرتين.٢-أن يكون النازل في وفد نجران إلى هذه الآية وعليه فيضعف ما ذكره ابن إسحاق وغيره،وهذا الوجه لا يشكل على قول ابن جرير بتحديده نيفاً وثلاثين آية .٣-أن وفد نجران وفد قبل الحديبية وأن ما بذلوه مصالحة لا جزية.٤-أن يكون كتاب النبي ﷺ قبل نزول الآية فنزل القرآن بعد موافقاً.

في مواضع تناسبها،وإن كان ذلك مما تقدم،ومما يبين ذلك أن هذه الآية لفظها يعم اليهود والنصارى،كذلك ذكر أهل العلم أنها دعاء للطائفتين...،فإن دعاء اليهود كان قبل آية الجزية»[(١)].

وكذلك لم تكن آيات السورة الأولى قبل هذه الآية قاصرة على النصارى،فقد كان هناك عدة آيات في أولها،هي في وصف اليهود ألصق من وصف النصارى[(٢)].

وليس هناك إلا أن هذه الآيات قد تكون متقدمة،لكنها جاءت متناسبة في أنها في مقام المحاجة لأهل الكتابين،فقد كانت سورة آل عمران«من السور المدنية التي يخاطب فيها من اتبع الأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين»[(٣)]،وقد كان متشابه السورة من هذا،وظهر ذلك في توجيه متشابه السورة في البقرة.والله أعلم.

وقد تقدم متشابه السورة في سورة البقرة،وكانت آيةً واحدةً،وهي قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (آل عمران:١١٢)،وقد اشتبهت مع آية البقرة(٦١)[(٤)].والحمد لله رب العالمين.

---

(١)دقائق التفسير ٢/٢٨٣.

(٢)كالآيات ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، وغيرها.

(٣)دقائق التفسير ٢/٣٠٨.

(٤)انظر ص ٢٣٦.

سورة النساء

وهي مدنية بالاتفاق[(١)]،وقد اشتملت السورة على أحكام كثيرة«فمعظم ما فيها شرائع تفصيلية في معظم نواحي حياة المسلمين الاجتماعية:من نظم الأموال،والمعاشرة،والحكم،وغير ذلك»[(٢)].

وقد ذكر الله فيها من أحوال اليهود،ومن الجدال معهم الشيء الكثير،وذلك لكثرتهم بالمدينة،ولزوم معرفة أحكام التعامل معهم[(٣)].

وأما الآيات التي قد ورد فيها من متشابه القصة فقد وردت في سياق من المجادلة خاص،وهو سياق جدال اليهود للنبي ﷺ،وتعنتهم في تصديقه،وقد أتت أول آية في ذلك السياق عنواناً،فقد قال الله تعالى:﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾،ولهذا فقد جاء جدال القرآن لليهود في هذه الآيات،مبيناً للنبي ﷺ ما هم عليه من كثرة العصيان والشقاق،ومبيناً ما حل بهم من العقوبات على ذلك العصيان والشقاق،ولهذا فقد تكررت الباء السببية المعللة لحلول العقوبات بهم،والآيات بهذا وإن كانت خطاباً للنبي ﷺ،فإنها تخاطب اليهود وتحذرهم مما يعلمونه من عقوبة المعاصي.

وقد سبق توجيه متشابه السورة في البقرة،وقد أبان التوجيه هناك عن هذا السياق.

وقد كان فيها من المتشابه مقطعان:

الأول:قول الله تعالى:﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ

---

(١)البيان في عد آي القرآن ج١/ص١٤٦،مجموع الفتاوى ٤٢٧/١٤.

(٢)التحرير والتنوير بتصرف يسير ٢١٢/٤.

(٣)انظر التحرير والتنوير ٢١٣/٤-٢١٤.

ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ (النساء:١٥٣) ،وقد اشتبه مع الآية (٥٥)من البقرة [(١)] .

الثاني:قول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ (النساء:١٥٤)،وقد اشتبه مع آيتي البقرة (٦٣، ٩٣)،وآية الأعراف (١٧١) [(٢)] ،والله أعلم.والحمد لله رب العالمين.

---

(١)انظر ص ٢٠١.

(٢)انظر ص ٢٤٣.

سورة الأعراف:

إن الناظر في سياق سورة الأعراف العام ليجد أنه يشير إلى وجوب التمسك بهذا الكتاب، ورفع أي حرج من النفس في الدعوة إليه،وأنه كتابٌ أتى بالبيان التام وأقام الحجة على العباد،وأن من استنكف عنه فإنه معرض للوعيد والعذاب،فكان في بداية السورة قوله تعالى :﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ ﴾ (الآيات:١-٣)،ثم ختمت السورة بالرفع من شأن هذا القرآن ووجوب الاستماع والإنصات له،وأن من يعرض عنه فإن الله غني عنه وعن عبادته.وكان بين أولها وآخرها ذكر قصة آدم وقصص الأنبياء بعده على ما يناسب هذا السياق،فكان طرد اللعين من رحمة الله لاستكباره عن أمر الله ،وإنزال الأبوين من الجنة لمخالفتهما الأمر،ثم تتابعت القصص في هذا السياق تختم كل قصة بما حل بعصاتها مع التأكيد على أن كل نبي أتى بالبيان التام فقوبل بالعصيان التام فكان الهلاك التام،فانظر كيف اتفق صالح وشعيب في قولهم لقومهم:﴿ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ ﴾ (الآية:٧٣،٨٥) بوصف آياتهم بالبيان،وكيف نفي نوحٌ عليه السلام أن يكون فيه أدنى ضلالة،وهودٌ عليه السلام نفي أدنى سفاهة ؟إنما كان منهما الإنذار التام والبيان التام، وما نقم قوم لوط عليه السلام منه إلا تطهره من الأرجاس والأدناس التي كانوا عليها!.

ثم أن قصة موسى عليه السلام لم تخرج عن هذا السياق،مع ملاحظة أن هذه القصة قد عطفت على قصص السورة قبلها بقوله تعالى :﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝١٠٣ ﴾ (الآية:١٠٣)مشعراً لنا هذا العطف بمزيد الاهتمام بهذه القصة،ولقد ظهر سياق هذه السورة جلياً في هذه القصة بشقيها:

الأول:مع فرعون وملئه،فكان من موسى عليه السلام البيان التام فكان في أولها:﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ

إِسْرَآءِيلَ ﴿١٠٥﴾ (الآية: ١٠٥)،ثم ما تميزت به ألفاظ المتشابه بعد ذلك مناسباً لهذا السياق على ما يأتي بيانه-بإذن الله تعالى- في التوجيه،ثم ما تبع ذلك من تعاقب العقوبات والآيات على آل فرعون رجاء إيمانهم من أخذهم بالسنين،وإرسال الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم،كل هذا كان يقابله العصيان التام من الملأ الكافر فكان له الهلاك التام.

وأما الشق الثاني من القصة فكان مع بني إسرائيل،وكان يسجل تأريخهم،كما قد سجله في الشق الأول قبل الخروج من مصر[(١)]،وهذا التأريخ عنوانه العصيان،فقد كابد موسى عليه السلام معهم أشد العصيان،وهم يعاينون معه أجلى البينات،إذ لم تكن رغبتهم في عبادة آلهة بعد النجاة إلا من هذا العصيان،وما اتخاذهم العجل إلا منه،وما اعتداؤهم في السبت إلا منه إلى آخر ما كان منهم.

قال البقاعي -رحمه الله-:«فالمقصود من قصة موسى عليه السلام وفرعون عليه -اللعنة والملام-هذا الاستدلال الوجودي على قوله :﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ (الآية:١٠٢)ومن هنا تعلم أن سياق قصة بني إسرائيل بعد الخلاص من عدوهم لبيان إسراعهم في الكفر ونقضهم العهود،واستمر سبحانه في هذا الاستدلال إلى آخر السورة»[(٢)].وقال أيضاً:«كان السياق كما مضى لبيان عساوتهم في قساوتهم وجلافتهم، وكان مقصود السورة إنذار المعرضين وتحذيرهم من القوارع التي أحلها بالماضين ...»[(٣)].

هذا ما يتبين من سياق السورة،وقد تقدم من متشابهها سبع مواضع،وها هي مرتبةً على حسب ورودها في توجيه متشابه البقرة:

---

(١)انظر التعبير القرآني ص ٣٢٦.

(٢)نظم الدرر ٨/٧٠.

(٣)نظم الدرر ٨/٧٣.والعساوة:لا أدري عن صحة اشتقاقها ،لكن الجذر الذي يمكن أن ترجع إليه الكلمة العين والسين والحرف المعتل يدل على الشدة،انظر معجم مقاييس اللغة ص ٧٧٣،لسان العرب ١٥/٥٤.

الأول:قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾(الأعراف:١٤١)،وفيه تشابه مع آية البقرة (٤٩)،وآية إبراهيم (٦) [(١)].

الثاني:قول الله تعالى: ﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ (الأعراف:١٤٢)،وفيه تشابه مع آية البقرة (٥١) [(٢)].

الثالث:قول الله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾(الأعراف ١٦٠)،وقد تشابه مع آية البقرة (٥٧)،وآيتي طه (٨٠، ٨١) [(٣)].

الرابع:قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ (الأعراف:١٦١)،وقد تشابه مع آية البقرة (٥٨) [(٤)].

---

(١)انظر ص ١٨٦.

(٢)انظر ص ١٩٥.

(٣)انظر ص ٢٠٥.

(٤)انظر ص ٢١١.

الخامس:قول الله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾(الأعراف:١٦٢)،وقد تشابه مع آية البقرة (٥٩)[1] .

السادس:قول الله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ (الأعراف ١٦٠)،وقد تشابه مع آية البقرة (٦٠)[2] .

السابع:قول الله تعالى: ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾(الأعراف:١٧١)،وقد تشابه مع آيتي البقرة (٦٣، ٩٣)،وآية النساء (١٥٤)[3] ،والله أعلم.والحمد لله رب العالمين.

وأما ما تشابه منها مع ما بعدها فها نحن نبدأ به الآن-بإذن الله-.

---

(١)انظر ص ٢٢٢.

(٢)انظر ص ٢٢٩.

(٣)انظر ص ٢٤٣.

المقطع الأول:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾(الأعراف ١٠٣)

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾(يونس ٧٥) .

مواضع التشابه ونوعه:

الموضع الأول: في الأعراف ذكر البعث لموسى عليه السلام وحده،وفي يونس لموسى وهارون عليهما السلام .

ونوعه تشابه بالزيادة والنقصان.

الموضع الثاني: قدم ذكر المرسل به: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾على ذكر المرسل إليهم في الأعراف،وعكس ذلك في يونس عليه السلام ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا﴾.

ونوعه تشابه بالتقديم والتأخير.

وقاعدة التقديم والتأخير المعلومة:أن التقديم يكون لما يراد الاهتمام به،وعليه فالاهتمام في الأعراف بالقصد الأول كان بالمرسل به،وفي يونس كان بالمرسل إليه،وسبب تخصيص الاهتمام في كل سورة يبينه-بإذن الله- السياق.

الموضع الثالث: اختلف التذييل في الآيتين ففي الأعراف: ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾،وفي يونس عليه السلام : ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

ونوعه إبدال جملة بجملة.

أثر السياق في توجيه المتشابه في المواضع السابقة:

لقد كان الحديث في الأعراف عن خبر بني إسرائيل،وأحوالهم مع فرعون،ثم بعد نجاتهم منه،فذكر في بداية قصتهم في الأعراف إرسال موسى عليه السلام،ولم يذكر معه هارون

عليه السلام؛لأن موسى عليه السلام هو الأصل وأخاه عليه السلام تبع له، فلما لم يكن لهارون عليه السلام غرض في بيان خبر بني إسرائيل لم يذكره،ولهذا لم يذكره إلا في الحال الذي تبين فيه مزيد اقتصاص خبر،ومزيد بيان حالٍ من أحوال بني إسرائيل،وذلك حين عبد بنوا إسرائيل العجل،ورجع موسى عليه السلام،وأخذ برأس أخيه يجره إليه،ولهذا قدم في الأعراف ذكر المرسل به:﴿ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾؛لأن الغرض ذكر أحوال بني إسرائيل،والحديث عن هذه الرسالة وأحوال بني إسرائيل معها في مصر وبعد مصر،وبهذا كان تذييل الآية خبراً عن حال الآيات المرسل بها،وأن آل فرعون ظلموا بها،فكان عاقبتهم الخسران:﴿ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾.

وأما يونس،فإنه لما كان سياقها يبين موقف المشركين من إرسال الرسول ﷺ نفسه خاصة،لعجبهم من نزول الوحي على رجل منهم،فقد ذكر في السورة من قصة موسى عليه السلام ما يناسب ذلك،فكان المناسب أن يذكر مع موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام؛لأنهما جميعاً أرسلا إلى فرعون وفرعون يعرف حالهما،كما تعرف قريش أحوال النبي ﷺ،ولهذا ذكر في السورة ردّ آل فرعون لما جاءهم موسى به من الآيات البينات،بطعنهم في هذين الرسولين،وبأنهما يريدان الكبرياء في الأرض،قال تعالى:﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾(يونس ٧٨) ،ولهذا قدم ذكر المرسل إليه كما في الموضع الثاني:﴿ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾؛لأن الحديث بالقصد الأول كان عن إرسال الرسولين إلى الظالم العاصي ،وبيان موقفه منهما،ولم يكن الحديث بالقصد الأول عن المرسل به،ولهذا كان التذييل كما في الموضع الثالث خبراً عن المرسل إليه ببيان حقيقة حاله ،وهو أنه ما رد رسالة الرسولين عليهما السلام إلا كبراً ،وعصياناً:﴿ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴾.والله أعلم.

المقطع الثاني

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾ (الأعراف ١٠٤).

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٦﴾ (الزخرف ٤٦) .

مواضع التشابه ونوعه:

موضع واحد:زيادة لفظ:﴿مِّن﴾في الأعراف،وفي الزخرف على الإضافة.

نوعه تشابه بالزيادة والنقصان،وتغيير صياغة الجملة.

إن:﴿مِّن﴾في الأعراف هي الابتدائية،وأما سبب ورود هذه الصيغة ففي السياق بيانه-بإذن الله-.

والزخرف أضيف فيها لفظ:﴿رَسُولُ﴾إلى﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فاكتسب التعريف،وهذه الإضافة بمعنى لام الاختصاص،والإضافة إلى﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ تفيد التعظيم،ووجه مناسبة هذه الصيغة للزخرف يبينه السياق-بإذن الله تعالى-.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كانت هذه الآية محل البحث قد وردت في الأعراف،بعد الآية الأولى التي افتتحت فيها قصة موسى عليه السلام مع فرعون،وكانت الآية الأولى ملخصاً مجملاً للقصة من أولها حتى نهايتها،قال الله تعالى:﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٠٣﴾ (الأعراف ١٠٣)،ثم تبدأ هذه الآية التي معنا في تفصيل القصة،ولهذا فإنها عطفت على التي قبلها بالواو مؤذنةً بأنها تفصّل ما أجمل فيها[1]،وسورة الأعراف كما هو معلوم تفصل قصة بني إسرائيل،فكان هذا منه،بل كان هذا عنوان ذلك وبابه،ولهذا فإن صيغتها جاءت ببيان مبدأ هذه الرسالة،وأنها من رب العالمين،مبينةً أمر هذا الرسول ومعنى رسالته حين بينت منشأ أمر

---

(١)انظر التحرير والتنوير ٣٧/٩.

أمر هذا الرسول،وأنه من رب العالمين،ويظهر في هذا الأسلوب من التنكير تواضعٌ من موسى عليه السلام واستسلامٌ لربه،فهو يعلن لفرعون وملئه أنه لا يمكن أن يتعدى ما أمره الله به،ولهذا قال بعد هذه الآية: ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾(الأعراف ١٠٥)،فمن كان شأنه أنه مرسلٌ من رب العالمين فإنه لن يقول على ربه إلا الحق.

قال السعدي-رحمه الله-في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾«أي إني رسول من مرسل عظيم،وهو رب العالمين الشامل للعالم العلوي والسفلي،مربي جميع خلقه بأنواع التدابير الإلهية،التي من جملتها أنه لا يتركهم سدى، بل يرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين،وهو الذي لا يقدر أحد أن يتجرأ عليه ويدعي أنه أرسله و لم يرسله،فإذا كان هذا شأنه وأنا قد اختارني واصطفاني لرسالته؛فحقيق علي أن لا أكذب عليه ولا أقول عليه إلا الحق،فإني لو قلت غير ذلك لعاجلني بالعقوبة،وأخذني أخذ عزيز مقتدر،فهذا موجب لأن ينقادوا له ويتبعوه،خصوصا وقد جاءهم ببينة من الله واضحة على صحة ما جاء به من الحق،فوجب عليهم أن يعملوا بمقصود رسالته،ولها مقصودان عظيمان:إيمانهم به واتباعهم له،وإرسال بني إسرائيل،الشعب الذي فضله الله على العالمين،أولاد الأنبياء، وسلسلة يعقوب عليه السلام،الذي موسى عليه السلام واحد منهم»[(١)]،والله أعلم.

وأما الزخرف فإنها لم تبن على ما بنيت عليه الأعراف من التفصيل ،بل كانت تذكر من قصة موسى عليه السلام ما يوافق ما كانت الزخرف تعالجه من أحوال المشركين مع النبي ﷺ،وقد كانت سورة الزخرف تدعوا إلى التوحيد،وقد جاءت قصة موسى عليه السلام معقبة لما أمر الله به من النظر في دعوة المرسلين جميعاً ،هل أحدٌ منهم دعا إلى غير التوحيد؟فقال الله قبل القصة: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(الزخرف ٤٥)،فلما كانت دعوة موسى عليه السلام مثل هذه الدعوة،كان افتتاحها المناسب لها أن يذكر إعلان موسى عليه السلام لفرعون وملئه دعوة

---

(١)تيسير الكريم الرحمن ص٢٦١،وانظر فتح القدير ٣٢٧/٢.

التوحيد،فكان في إضافة ﴿رَسُولُ﴾ إلى ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بيانٌ من موسى عليه السلام لحقيقة أمره،وهو أنه لم يأت لينازع فرعون ملكه،وليس له غرض إلا أنه رسول أرسله رب العالمين،وفي إضافة ﴿رَبِّ﴾ إلى ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بيانٌ لحقيقة الرسالة،ونفي لما ادعاه فرعون من الربوبية،والله أعلم.

المقطع الثالث

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾(الأعراف ١٠٧).

﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ (طه ٢٠).

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾، (الشعراء ٣٢).

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾،(النمل ١٠).

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ﴾ (القصص ٣٠)

مواضع التشابه ونوعه:

موضع واحد:في الأعراف والشعراء:﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾،وفي طه:﴿حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾،وفي النمل والقصص :﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾.

نوعه:تشابه بالإبدال.

إن أقوال المفسرين على أن الثعبان: ما جمع وصفين،الذكورة والعظم والكبر[1].

وأما الجان:فهي ما جمع وصفين أيضاً،الصغر وسرعة الحركة[2].

وأما الحية:فهي اسم جنس يقع على الصغير والكبير،والذكر والأنثى[3].

ولقد كانت حصيلة ما وجه به أهل التفسير هذا الاختلاف بين هذه المواضع يتلخص في أقوالٍ ثلاثة:

---

(١)انظر جامع البيان ١٠/٣٤٣-٣٤٦،زاد المسير ٣/٢٣٧،تفسير ابن كثير ٣/٤٥٤-٤٥٥،إرشاد العقل السليم ٣/٢٥٨.

(٢)انظر معاني القرآن للنحاس ج٥/ص٧٥،تفسير البغوي ٣/٣٤٨،إرشاد العقل السليم ٦/٢٧٤.

(٣)انظر الكشاف ٣/٥٦، تفسير البغوي ٣/١٨٠.

الأول:أن يكون هذا الاختلاف باعتبار ما جمعته هذه العصا المنقلبة من الصفات،فإنها ثعبان في شخصها أي عظيمة كبيرة،وجانٌ في سرعة حركتها،والحية لا تنافي هذا ؛لأنها تصدق على ذلك كله[(١)].

الثاني:أن تكون جانٌ باعتبار أول أمرها،ثم انقلبت ثعباناً ضخماً بعد ذلك[(٢)].

الثالث:أن يكون هذا الاختلاف باعتبار اختلاف الأحوال؛فإنها كانت ثعباناً عند فرعون،حين ألقاها موسى عليه السلام أول ما قدم إليه ،وكانت جاناً في الطور،حين رآها موسى عليه السلام أول مرة،ووصفت بأنها حية في سورة طه،وهو وصفٌ لها وهي في الطور،لكن ذلك لا ينافي وصفها بالجان،كما تقدم من معنى الحية[(٣)].

والذي يظهر لي رجحانه-والله أعلم-هو القول الثالث؛لأن القول الأول،وإن كان له وجاهته،إلا أنه يعتمد على أن آية العصا كانت على صفةٍ واحدةٍ لم تتغير،فلما كان التضاد بين معنى الثعبان والجان، لم يمكن الجمع على هذا القول إلا بجعل التسمية معتمدة على تغاير الصفات،وليس يلزم أن تكون العصا على صفةٍ واحدةٍ لم تتغير،فيراها موسى عليه السلام جاناً في الطور،ويراها فرعون ثعباناً ضخماً،ويؤيد هذا أنها لم توصف بهذين الوصفين المتضادين في موضع واحد،بل كان ذلك في مكانين مختلفين.

وأما القول الثاني؛فإن ما يضعفه هو أنه متوقف على الرواية،ولم يثبت في ذلك شيءٌ،والله أعلم.

ثم إني لم أر المفسرين أتموا ما بدؤوه من توجيه سبب الاختلاف،ببيان سبب اختصاص كل سورة بما اختصت به،وسنحاول أن نبين ذلك-بإذن الله-من خلال دلالة السياق،على أننا في التوجيه قد لا نقتصر على القول الذي رأيناه راجحاً،بل إن التوجيه يستقيم كذلك على القول الأول الذي ذكرنا أن له وجاهته.والله أعلم.

---

(١)انظر معاني القرآن للنحاس ٥/ص٧٥،تفسير البغوي ١٨١/٣،الكشاف ٥٦/٣-٥٧،زاد المسير ٢٨٠/٥.

(٢)انظر تفسير البغوي ١٨١/٣،الكشاف ٥٦/٣-٥٧،زاد المسير ٢٨٠/٥،إرشاد العقل السليم ١٠/٦.

(٣)انظر تفسير السمرقندي ج٢/ص٥٧٤،قال -رحمه الله-:« قال الفقيه أبو الليث رحمه الله والجواب الصحيح أن الثعبان كان عند فرعون والجان عند الطور»،وانظر الجامع لأحكام القرآن ١٠٨/١٣.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كان تسمية العصا المنقلبة بالثعبان في الأعراف والشعراء،وهذان الموضعان قد ألقيت العصا فيهما أمام فرعون أول قدوم موسى عليه السلام إليه،حين طلب منه فرعون آية على صدقه،ولا إشكال على القول الذي رأينا رجحانه،فإن الله سبحانه قد أرى فرعون الآية في أعظم حالها لعله يتبع الحق ويؤمن به،وعلى القول الأول من أقوال العلماء،فإن فرعون يكون رآها كذلك ثعباناً ضخماً،وجاناً سريع الحركة،ولكنه لم يذكر من وصفها إلا وصف الثعبان؛لأنه هو الوصف المؤثر في فرعون،لما فيه من الضخامة والهول.

وأما طه،فإن آية العصا وصفت فيها بأنها حية،وذكرنا أن الحية لا تخالف الوصفين الآخرين،وأما السر في اختصاص طه بهذا الوصف،فهو أن هذا الوصف يبين الآية على الحال الذي يظهرها آية،غير ناظرٍ إلى حال موسى عليه السلام في فزعه،ولا إلى حال فرعون،وذلك أن لفظ الحية يعطي معنى الحياة الذي يخالف حال العصا الجامد،ووصفها بالسعي تقريرٌ لذلك،وسورة طه كانت تتلطف بالنبي ﷺ،حين تبين له لطف الله بموسى عليه السلام،فكان أن اقتصرت على الوصف الذي يظهر هذا المعنى،وقد ظهر لطف الله بنبيه موسى عليه السلام ،حين أمره بإلقاء العصا بلفظ النداء:﴿ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾،وحين ألقى العصا حيث وصفها بلفظ الحية على ما بينا:﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾،ثم بعد انقلابها حية،قال الله مطمئناً له: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾(طه٢١).والله أعلم.

وأما وصف الجان فكان في سورتي النمل والقصص،وهو وصف لما رآه موسى عليه السلام في الطور،وسورة النمل تبين خبراً من أخبار القرآن وعجائبه لنبينا ﷺ،وقد وردت القصة مختصرة قد استوعبت شأن بني إسرائيل من إرسال موسى عليه السلام حتى نهاية فرعون،فكانت بهذا تبين عجيب أمر القرآن ،وعظيم أخباره،كما هو ظاهرٌ في افتتاحها،وكما هو ظاهرٌ من توجيه متشابهها،ووصف الآية بالجان من هذا،فإن السورة تصف مبدأ رسالة موسى عليه السلام،وجلالتها حين كلمه ربه،فأمره بإلقاء العصا،والذي كان من عجيب أمرها أن انقلبت حية تشبه الجان الصغير في حركته وسرعته،وهذا الوصف

ممهدٌ لبيان حال موسى عليه السلام؛لأنه الوصف الذي جعله يولي مدبراً،حتى ناداه ربه،ووصاه بما وصاه به.

وعلى القول بأن الآية جمعت وصف الثعبان في شخصها والجان في حركته،يكون الوصف الذي بعث موسى عليه السلام على أن يولي مدبراً هو وصف الجان لا وصف الثعبان،وهذا مما يقوي عندي أنها لم تكن ثعباناً في تلك الحال؛لأنها لو كانت كذلك،لذكر ذلك الوصف،فهو وصف مؤثر في إثارة الخوف لا يقل عن صفة الجان.

وأما القصص فإنها كانت تبين حال المستضعفين في الأرض ،الذين أراد الله أن يمن عليهم وينقذهم مما هم فيه،فكان لله ألطافه بهؤلاء ،ولكن ألطاف الله وإنقاذه لهؤلاء ومن هو على مثل حالهم،له سنن وأحوال تأتي شيئاً بعد شيء،وكانت قصة موسى عليه السلام من هذا،فقد ذكر الله هذه القصة من حال الولادة حتى النجاة من فرعون وهلاكه،وأفاض في ذكر أحوال الولادة والنشأة،وبيان اللطف بهؤلاء المستضعفين ما لم تبينه سورة غيرها،وكان ما معنا من المتشابه من هذا ،فإن السورة قد ذكرت خروج موسى عليه السلام إلى أهله وقومه في مصر،فابتدأت ذكر أمر الرسالة مفصلةً وأمر تلقيه لها،كما كانت تفصل أحواله قبل ذلك،ومن هذه الأحوال المفصلة انقلاب العصا حية تشبه الجان،وما صاحب ذلك من تولي موسى عليه السلام مدبراً،ومن نداء الله له،على أنه يظهر في هذه السورة من اللطف بموسى عليه السلام حين ناداه ربه بعد توليه ما لم يظهر في شبيهتها سورة النمل التي تذكر الخبر مبينةً العجب فيه،و يتبين هذا في ملاحظة توجيه المتشابه بين السورتين على ما يأتي –بإذن الله–[1] والله أعلم.

---

(١)انظر ص ٤٠١-٤٠٣.

المقطع الرابع

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ (الأعراف ١٠٩- ١١٤)

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (الشعراء ٣٤-٤٢) .

مواضع التشابه ونوعه:

الموضع الأول: في الأعراف القائل هم الملأ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾، وفي الشعراء القائل فرعون: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾.

نوعه تشابه بالإبدال.

لقد سعى المفسرون في الجمع بين موضع الأعراف والشعراء، وكل أقوالهم تتفق على أن فرعون قد قال، وقوله ما قصته الشعراء، والملأ قد قالوا، وقولهم ما قصته الأعراف، وهذا هو ظاهر القرآن، ثم حكوا أقوالاً في حقيقة قول فرعون وقول الملأ، فمنهم

من يجعل القول لفرعون فتبعه الملأ على ذلك،ومنهم يجعل قول فرعون للملأ وقول الملأ لأعقابهم،ومنهم من يجعل قول الملأ تبليغاً لقول فرعون[(١)].

وليس هناك دليل على هذه الأقوال،ولكن على جميعها فقول فرعون كان متقدماً على قول الملأ،وهو ظاهرٌ يؤكده أن الخطاب كان بادئ الأمر مع فرعون،وهو الذي تولى كبر ذلك،وقومه تبعٌ له،وقد وصف الله ذلك بقوله:﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾(الزخرف ٥٤).ويبقى بعد ذلك النظر في السياق حتى يتبين لنا-بإذن الله-سبب اختصاص الأعراف بذكر قول الملأ،واختصاص الشعراء بذكر قول فرعون.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كان سياق الأعراف يقص الخبر عن بني إسرائيل،ومن تمام بيان الخبر أن يأتي بآخر الأمر،وذلك أن ذكر قول الملأ في الأعراف يبين أن الرأي استقر على ذلك،فهو بهذا يبين رأي فرعون ورأي الملأ؛لأن الملأ تبع له،كما أنه أيضاً من جملة الملأ.

وأما الشعراء فقد عنيت بذكر إعراض المعرضين عن رسالات رسل رب العالمين،وشدة عنادهم الذي يقابل شدة حرص الرسل على إيمانهم،وقد تولى فرعون كبر معارضة موسى عليه السلام،وقومه تبعٌ له،وكانت السورة تحكي المقاولات الشديدة بين موسى عليه السلام وفرعون اللعين،وتظهر شدة عناده،وهذا منها،فهذا سر اختصاص الشعراء بقول فرعون.والله أعلم.

الموضع الثاني: في الأعراف:﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾،وفي الشعراء زيادة:﴿بِسِحْرِهِۦ﴾.

نوعه تشابه بالزيادة والنقصان.

ولقد كانت الزيادة فيها زيادة تأكيد،فيبقى لماذا خصت الشعراء بزيادة التأكيد،بينما خلت منه الأعراف؟.والجواب في دراسة أثر السياق.

---

(١)انظر الأقوال في ذلك الكشاف ١٣٤/٢،روح المعاني ج٩/ص٢٢-٢٣، أضواء البيان ٢٩٥/٢.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

قال الإسكافي-رحمه الله-:«لما أسند الفعل في سورة الشعراء إلى فرعون،وحكى ما قاله وأنه قال للملأ حوله من قومه:﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾،وكان أشدهم تمرداً وأولهم تجبراً،وأبلغهم فيما يرد به الحق،كان في قوله:﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ذكر السبب الذي يصل به إلى الإخراج،وهو﴿بِسِحْرِهِۦ﴾فأشبع المقال بعد قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾بأن ذكر أنه﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾»[(١)].

قال ابن الزبير-رحمه الله-:«ويشهد أن زيادة ﴿بِسِحْرِهِۦ﴾ من فرعون لزيادة حنقه تكرر ذلك من قوله في سورة طه:﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾﴾»[(٢)].

وأما الأعراف فقد خلت من التأكيد؛لأنها تقص الخبر كما حصل بتفصيله،ولم يكن لها غرض في بيان حال فرعون بخصوصه،حيث كانت الزيادة مسوقة لبيان حاله في شدة عداوته.والله أعلم.[(٣)]

الموضع الثالث:في الأعراف:﴿وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾،وفي الشعراء:﴿وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾.

نوعه تشابه بالإبدال إبدال كلمة بكلمة.

---

(١)درة التنزيل ٢/٦٥١-٦٥٢،وانظر ملاك التأويل ١/٥٦٣-٥٦٤.

(٢)ملاك التأويل ١/٥٦٤.

(٣)في الدرة وملاك التأويل تعليل خلوّ الأعراف من الزيادة: بأنها تقص حال الملأ ولم يكن حالهم كحال فرعون في الشدة،فكانت الزيادة على هذا تبين حال فرعون من حال الملأ،وهذا وإن كان قد يكون له وجه،إلا أن ما ذكرناه هو الموافق للسياق،كما أنه أعم وأشمل،هذا مع أن مما يضعف التوجيه السالف أنه كان يلزمهما أن يجعلا الأعراف مختصةً بذكر حال الملأ،ويبينا سبب ذلك،حتى يستقيم لهما أن الزيادة كانت للتفريق بين حال فرعون وحال الملأ.انظر درة التنزيل ٢/٦٥٢،ملاك التأويل ١/٥٦٤.

قال ابن فارس –رحمه الله-:«بعث،الباء والعين والثاء،أصل واحد ،وهو الإثارة.ويقال:بعثت الناقة إذا أثرتها»[(١)] .

وقال الراغب-رحمه الله-:«أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه»[(٢)] .

فالبعث فيه إثارة وتوجيه،وأما الإرسال فقد سبق بيان معناه،وأنه يدور على معنى:الانبعاث،والتؤدة،والتتابع،والكثرة[(٣)] .

لقد أراد فرعون مغالبة موسى عليه السلام بالسحرة،وكان سببه الذي اعتمد عليه في طلبهم هم الحاشرين الذين ذكرهم الله في السورتين،وهؤلاء الحاشرون هم أتباع فرعون،وقد اختلف لفظ الفعل الذي طُلِبَ منهم فيه أداء مهمتهم،فكان في الأعراف بلفظ الإرسال،وفي الشعراء بلفظ البعث،ولقد علمنا معنى البعث والإرسال لغةً،فمن دلالة هذين اللفظين لغةً ،ومما يدلنا عليه السياق،لعلنا نستطيع بتوفيق الله أن نكشف سر هذا التغاير.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إن لفظ الإرسال وكما سبق يدل على التتابع والامتداد،وهو بالنسبة للمُرْسَل يدل على تتبعه لما يريده منه مرسله.

قال ابن منظور-رحمه الله-:« و الرَّسول: معناه في اللغة الذي يُتابع أخبار الذي بعثه أَخذاً من قولهم جاءت الإبل رَسَلاً أي متتابعة»[(٤)] .

ولما كانت الأعراف معنيةً بإيراد الخبر وبيانه،فقد كان لفظ الإرسال هو الذي يبين ذلك؛لأن هذا اللفظ يدل على أن الذي حصل هو أن فرعون قد أحصى السحرة،بما أرسله من رسل يتتبعون أمره في هذه المهمة،ويمتدون ويتتابعون أرسالاً في البلاد حتى لا يبقى من السحرة أحدٌ يتخلف.

وأما الشعراء فإنها كانت معنيةً ببيان شدة حرص فرعون على المغالبة،ولقد كان الملأ الذين يشيرون عليه على شاكلته فهم حريصون كذلك،ولهذا فقد أشاروا عليه بما

---

(١)معجم مقاييس اللغة ص ١٤٠.

(٢)المفردات ص ١٣٢،وانظر اللسان ج٢/ص١١٧.

(٣)انظر ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٤)لسان العرب ج١١/٢٨٤.

يحقق هذا الغرض في نظرهم،وهو أن يطلبوا السحرة بواسطة الحاشرين أتباع الملك،وحتى تتم هذه المهمة على أكمل ما يكون ؛فإنه لا بد من إثارة هؤلاء الحاشرين وتهييجهم لهذه المهمة،ولفظ البعث هو الذي دلنا على هذا التهييج.

ولقد أدى هؤلاء الحاشرون هذه المهمة بعد هذا التهييج،فأرهقوا السحرة وأكرهوهم،كما يدل عليه قوله تعالى:﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾(طه ٧٣).

قال الشنقيطي-رحمه الله-:« أكرههم على الشخوص من أماكنهم ليعارضوا موسى بسحرهم،فلما أكرهوا على القدوم وأمروا بالسحر أتوه طائعين،فإكراههم بالنسبة إلى أول الأمر،وطوعهم بالنسبة إلى آخر الأمر،فانفكت الجهة ،وبذلك ينتفي التعارض،ويدل لهذا قوله:﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾،وقوله:﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾»[(١)]

وبهذا يتبين أن لفظ البعث:يدل على شدة الصلف والعناد الذي كان عليه آل فرعون،وهو سياق الشعراء.والله أعلم.

الموضع الرابع:في الأعراف:﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾،وفي الشعراء:﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾.

نوعه اختلاف في الصيغة.

قال ابن الجوزي-رحمه الله-:«قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾(الأعراف ١١٢)،قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر:﴿سَٰحِرٍ﴾،وفي

---

(١)أضواء البيان ٤/٥١٧،وقد ذكر قولين بعد هذا في دفع التعارض،أحدهما:أنه أكرههم على تعليم صغارهم السحر،الثاني:أن السحرة قالوا:أرنا موسى نائماً ،ففعل فوجدوه تحرسه عصاه،فقالوا :ما هذا بسحر الساحر؛لأن الساحر يبطل سحره بنومه.قلت:وهذان القولان يحتاجان إلى دليل وتوقيف،ولهذا فهما غير مقبولين،ولهذا فقد استظهر الشنقيطي الأول من الأقوال الثلاثة.والله أعلم.

يونس:﴿ بِكُلِّ سَٰحِرٍ ﴾(يونس ٧٩)،وقرأ حمزة والكسائي:﴿ سَحَّار ﴾ في الموضعين،ولا خلاف في الشعراء أنها:﴿ سَحَّار ﴾»[(١)] .

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لم يرد في الشعراء إلا صيغة المبالغة:﴿ سَحَّار ﴾،وهذه الصيغة هي المناسبة لما بنيت عليه الشعراء من إظهار شدة مغالبة فرعون،فقد كان فرعون حريصاً على الغلبة ورد الحق،ولهذا فقد أشار عليه ملؤه في الشعراء بما يوافق هذا الغرض،فإنه حين استشارهم في أمر موسى عليه السلام «عارضوا قوله:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾،بقولهم:﴿ بِكُلِّ سَحَّارٍ ﴾،فجاؤوا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة؛ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه»[(٢)] ،فكان حرص الملأ على العمل الذي يغلب فيه فرعون موسى عليه السلام،وليس على العامل الذي هو الساحر،ولم يكن يؤدي هذا المعنى إلا صيغة المبالغة،ولهذا فقد اقتصرت القراءة في الشعراء عليها[(٣)] .والله أعلم.

أما الأعراف فإنها كانت تقص الخبر وتسجل التأريخ،ولهذا فقد كانت صيغة:﴿ سَٰحِرٍ ﴾ كافية في بيان هذا،وصيغة:﴿ سَحَّار ﴾،لا تعارضها في إثبات الخبر؛وذلك أن صيغة المبالغة تدل على ما تدل عليه الصيغة الأخرى وزيادة فلا تعارض بينهما من حيث إثبات الخبر وبيانه.

قال القرطبي-رحمه الله:« قرأ أهل الكوفة إلا عاصما:﴿ بِكُلِّ سَحَّارٍ ﴾،وقرأ سائر الناس:﴿ سَٰحِرٍ ﴾،وهما متقاربان إلا أن فعالا أشد مبالغة»[(٤)] .والله أعلم.

---

(١)زاد المسير ٢٣٩/٣،وانظر إتحاف فضلاء البشر ص ٢٨٧.

(٢)الكشاف ٣٠٢/٣،وانظر مفاتيح الغيب ١١٥/٢٤.

(٣)انظر روح المعاني ٧٦/١٩.

(٤)الجامع لأحكام القرآن ١٦٤/٧.

الموضع الخامس:اختصت الشعراء بقوله تعالى:﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾(٣٨-٤٠).

وهو من زيادة الجمل ونقصانها.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

قال ابن الزبير-رحمه الله-:«واختصاص الشعراء بالاستيفاء والجواب عن ذلك أن قوله تعالى: ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ ﴾إلى ما اتصل بذلك مما يتضمن معناه،فيه إطناب يناسب ما تقدم من ذلك في محاورة موسى عليه السلام،ومكالمته فرعون من لدن قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ ﴾(الآية ١٠)إلى هذه الآية ،ولم يقع في قصصه عليه السلام،في السور الوارد فيها قصصه من الإطالة في مراجعة فرعون مثل الوارد هنا،فناسبه ما أعقب به مما لم يقع الإخبار في الأعراف،ولما كان الوارد قبل آية الأعراف مبنياً على الإيجاز،ويحصل المراد بأوجز كلام ،ناسبه إيجاز الآية المذكورة»[(١)].

وإيجاز الأعراف إنما هو الإيجاز في ذكر تفاصيل المغالبة مع فرعون؛لأن مبناها على اقتصاص الخبر وتسجيل التأريخ بما فيه من العظة وهو يحصل من غير التفصيل المذكور،فلم يكن له غرض في الأعراف،ولم يكن سبب إيجاز الأعراف أن مبناها دائماً على الإيجاز؛لأنها قد فصلت في ذكر بعض الأحوال ما لم تفصله الشعراء،ومن ذلك تفصيل العقوبات التي حلت بالفراعنة،وهي الآيات التي ذكر الله من الطوفان والجراد والقمل والضفادع[(٢)].والله أعلم.

الموضع السادس:في الأعراف: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ ﴾،وفي الشعراء: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ ﴾ .

نوعه تشابه بتغيير صياغة الجملة.

---

(١)ملاك التأويل ٥٦٦/١،وهو نفس توجيه الإسكافي ،انظر الدرة ٦٥٦/٢-٦٥٨.

(٢)انظر الآيات ١٣٠-١٣٥ من سورة الأعراف.

الموضع السابع:في الأعراف:﴿ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾،وفي الشعراء:﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾.

نوعه تشابه بالزيادة والنقصان ،فقد زاد في الشعراء همزة استفهام.

وفي الأعراف قراءتان،قال ابن عاشور:«قرأ نافع،وابن كثير، وحفص،وأبو جعفر:﴿ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ابتداء بحرف ﴿ إِنَّ ﴾دون همزة استفهام،وقرأه الباقون بهمزة استفهام قبل﴿ إِنَّ ﴾.وعلى القراءتين فالمعنى على الاستفهام،كما هو ظاهر في الجواب بـ﴿ نَعَم ﴾،وهمزة الاستفهام محذوفة تخفيفاً على القراءة الأولى،ويجوز أن يكون المعنى عليها أيضاً على الخبرية؛لأنهم وثقوا بحصول الأجر لهم،حتى صيروه في حيز المخبر به عن فرعون،ويكون جواب فرعون بـ﴿ نَعَم ﴾ تقريراً لما أخبروا به عنه»[(١)].

وعندي-والله أعلم-:أنه لا حاجة للتخريج على الخبرية،لثلاثة أوجه:

أحدها:أن التخريج على الخبرية يرجع إلى معنيين ذكرهما العلماء:

١- منهم من قال معنى الإخبار:الإلزام لفرعون والقطع بحصول الأجر[(٢)].

وهذا القول لا يستقيم؛لأنه لا يمكن حمل معنى الإخبار على القطع،ولا يظن بالسحرة القطع على فرعون،لا سيما وقد سبق تقرير أنهم قد خرجوا للمبارزة من ديارهم مكرهين مرغمين ،ومن هذا حاله لا يدلي على من أكرهه بالقطع واليقين.

٢-ومنهم من قال:إن«المقصود من الإخبار:إيجاب الأجر واشتراطه،كأنهم قالوا:بشرط أن تجعل لنا أجراً إن غلبنا»[(٣)]،وهذا يعود في مآله إلى معنى الاستفهام.

الثاني:ما ذكره ابن عاشور في كلامه السابق من إجابة فرعون لهم بـ﴿ نَعَم ﴾،وهذا الجواب للاستفهام أظهر منه في غيره.

---

(١)التحرير والتنوير ٩/٤٥-٤٦،وانظر إتحاف فضلاء البشر ص ٢٨٧،وانظر الجامع لأحكام القرآن ٧/١٦٥،إرشاد العقل السليم ٣/٢٥٩،روح المعاني ج٩/ص٢٤.

(٢)انظر الجامع لأحكام القرآن ٧/١٦٥،إرشاد العقل السليم ٣/٢٥٩.

(٣)روح المعاني ج٩/ص٢٤.

الثالث:ما جاءت به القراءة الأخرى،« وتوافق القراءتين أولى من تخالفهما»[(١)] .

قال ابن الجوزي-رحمه الله-:« قال أبو علي:الاستفهام أشبه بهذا الموضع؛لأنهم لم يقطعوا على أن لهم الأجر،وإنما استفهموا عنه»[(٢)] ،وعلى هذا-بإذن الله-سيكون التوجيه،والله أعلم.

الموضع الثامن: في الأعراف:﴿**قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ**﴾،وفي الشعراء:﴿**قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ**﴾.

نوعه تشابه بالزيادة والنقصان،ففي الشعراء زيادة حرف:﴿**إِذٗا**﴾.

أثر السياق في توجيه المتشابه في هذه المواضع الثلاثة:

لما كان المقصود في الأعراف اقتصاص الخبر وتسجيل التأريخ،فقد ذكر مجيء السحرة لفرعون،وأنهم بمجرد مجيئهم سألوه الأجر.

قال الزمخشري-رحمه الله-:«فإن قلت:هلا قيل:وجاء السحرة فرعون فقالوا؟قلت: هو على تقدير سائل سأل:ما قالوا إذ جاؤوه؟فأجيب بقوله: ﴿**قَالُوٓاْ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا**﴾أي: جعلا على الغلبة، وقرئ: ﴿**إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا**﴾ على الإخبار»[(٣)] .

قال القرطبي-رحمه الله-:«﴿**قَالُوٓاْ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا**﴾ أي:جائزة ومالا،ولم يقل: فقالوا بالفاء؛لأنه أراد لما جاؤوا قالوا»[(٤)] .

وأما اشتراط السحرة،فكان على القراءتين مقصود به الاستفهام،ومع هذا فإن القراءة التي ذكر فيها حرف الاستفهام أكثر تأكيدا؛فكانت القراءة التي خلت من حرف الاستفهام تسجل الخبر،لا تخصيص ذكر حال السحرة،كما هو سياق الأعراف،والقراءة الأخرى لم تكن تعارضها ؛لأنها أفادت الخبر وزادت بيان حال السحرة.والله أعلم.

---

(١)روح المعاني ج٩/ص٢٤.

(٢)زاد المسير ٣/٢٤٠.

(٣)الكشاف ٢/١٣٤.

(٤)الجامع لأحكام القرآن ٧/١٦٥.

وأما خلو الأعراف من زيادة حرف التأكيد﴿ إِذًا ﴾؛فلأن هذا الحرف يكشف عن حال فرعون وضراوته في المغالبة،ولم يكن مبنى الأعراف على هذا.والله أعلم.

وأما الشعراء فإنه لما كان الغرض فيها ذكر حال المناظرة وقوة المغالبة فيها،واحتشاد أهل الباطل لرد الحق،فقد كان الحديث عن ذلك،ولقد كان مفتاح ذلك ما افتتح به الموضع من قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا ﴾.

قال السهيلي-رحمه الله-:«"لما" ليست في الحقيقة ظرف زمان ،ولكنه حرف يدل على ارتباط الفعل الثاني بالأول وأن أحدهما كالعلة للآخر»[(١)].

وقال :«وهي عندي من الحروف التي في لفظها شبه من الاشتقاق ،وإشارة إلى مادة هي مأخوذة منها...؛لأنك تقول:"لممت الشيء لماً"إذا ضممت بعضه إلى بعض،وهذا نحو من المعنى الذي سيقت إليه "لما"؛لأنه ربط فعل بفعل على جهة التسبيب أو التعقيب»[(٢)].

ولما هنا تفيد التسبيب؛فإن مجيئهم كان سبباً لقولهم ما قالوه لفرعون،فكان المجيء علةً للقول،فالقول معللٌ له،فيكون قولهم هو المقصود من الكلام،وقولهم يبين شدة المغالبة ببيانه حرص السحرة على الأجر حال الغلبة،وهو سياق الشعراء.

وهي تفيد أيضاً التعقيب،وموضع الأعراف يؤكد ذلك،والتعقيب فيه زيادة تأكيد لاهتمامهم بما يدل عليه التعقيب من سرعتهم ومبادرتهم في مفاتحة فرعون.

وأما قولهم الذي قالوه لفرعون وهو محل الغرض، فهو اشتراط الأجر،وقد جاء في الشعراء بصيغة الاستفهام بذكر حرفه،زيادة في تأكيد حفاوتهم واهتمامهم بالأمر،وكان جواب فرعون لهم مكافئاً لحفاوتهم واهتمامهم،كما يبينه زيادة لفظ:﴿ إِذًا ﴾،وشدة الاهتمام والحفاوة من السحرة ومن فرعون:هي شدة المغالبة والعناد الذي تبينه سورة الشعراء .والله أعلم.

---

(١)نتائج الفكر ص ١٢٧.

(٢)السابق ص ١٢٧-١٢٨.

المقطع الخامس:

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ١١٥ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ
أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ١١٦ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ
مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ١١٨ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠ قَالُوٓاْ
ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ
ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ
١٢٣ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٢٤ قَالُوٓاْ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ
أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦﴾ (الأعراف ١١٥-١٢٦) .

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ
فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ
خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا
صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ
سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ
وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ٧١ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ
عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ

ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ (طه ٦٥-٧٣).

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ (الشعراء ٤٣-٥١).

مواضع التشابه ونوعه:

الموضع الأول: في الأعراف وطه استأذن السحرة موسى عليه السلام في أيهما الذي يبدأ،ولم يذكر الاستئذان في الشعراء،بل اقتصر على ذكر قول موسى عليه السلام للسحرة بالإلقاء.

نوعه تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إن سبب ورود ذكر الاستئذان في الأعراف ،هو ما اختصت به الأعراف من اقتصاص الخبر،وذلك أن في اقتصاصه تسجيل حال السحرة في بدء المناظرة مع موسى عليه السلام،وسورة الأعراف بهذا تسجل العظة والعبرة من إيراد القصة بهذا التفصيل،وفي توجيه بقية متشابه المقطع ما يزيد الأمر بياناً -بإذن الله-.

أما طه فقد كان إيراد استئذان السحرة فيها،ذا شأن آخر،فإن السورة كانت تلحظ اللطف بموسى عليه السلام،ومن هذا اللطف ما جرى بينه وبين السحرة،فبدأت السورة

خبره مع السحرة من أوله مبينةً لطف الله به في حاله مع السحرة،وقد ظهر هذا اللطف في متشابه المقطع،كما سيأتي بيانه-بإذن الله-في توجيه المتشابه.

وأما الشعراء فلم يرد فيها هذا الاستئذان؛لأن السورة كانت معنيةً ببيان عناية موسى عليه السلام بأمر الرسالة،فلم يكن لذكر الاستئذان غرض،ويدل على هذا ما اختصت به السورة في هذا المقطع من المتشابه الذي يقرر هذا كما سيتبين بعدُ،بإذن الله.

الموضع الثاني:كانت صيغة الاستئذان في الأعراف:﴿ **وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ** ﴾،وفي طه:﴿ **وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ** ﴾.

نوعه تشابه بالإبدال .

قال الزمخشري-رحمه الله- وتبعه على ذلك بعض المفسرين [(١)]:«تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه،كما يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين،قبل أن يتخاصموا في الجدال،والمتصارعين قبل أن يتآخذوا للصراع.وقولهم:﴿ **وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ** ﴾فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله،من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر،أو تعريف الخبر وإقحام الفصل،وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه،ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي،وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبدا».

وقد علل بعضهم رغبة السحرة في البدء،بأنهم كانوا يعلمون بأنهم يأتون بسحر عظيم، تقر عظمته في أذهان الحاضرين، فلا يرفعها ما يأتي بعدها [(٢)] .

إن هذه العلة غير ظاهرة الاعتبار،كما أنها تنبني على صواب ما ذكره الزمخشري في الكلام السابق من إلماحهم إلى رغبتهم في البدء،وهو كلام فيه نظر-والله أعلم-،وذلك أن السحرة في ذلك الوقت كانوا شديدي الحرص على الغلبة،فليسوا أولاً من الأدب في

---

(١)الكشاف ١٣٥/٢،وانظر التفسير الكبير للرازي ١٦٥/١٤،تفسير البيضاوي ج٣/ص٤٧،إرشاد العقل السليم ٢٦٠/٣،روح المعاني ج٩/ص٢٤.

(٢)انظر البرهان في علوم القرآن ٤١١/٢.

شيء،ثم إنهم لم يكونوا ليبدوا رغبتهم لموسى عليه السلام في أن يكون البدء لهم،وهو عدوهم ويظنونه شديد الحرص على غلبتهم،فلم يكن ليمكنهم مما يرغبون.

والذي يظهر –والله أعلم–هو أن سبب تخييرهم هو إظهارهم ثقتهم بأنفسهم.

قال الشنقيطي–رحمه الله–:«والتحقيق الذي يظهر :أن السحرة في ذلك الوقت كفرة فجرة قبل أن يهديهم الله،وأن هذا كأنه إظهار ثقتهم بأنفسهم وسحرهم واعتقادهم أنهم غالبون ،يعنون :إن ألقيت قبلنا غلبناك،وإن ألقينا قبلك غلبناك،فإن شئت فتقدم ،وإن شئت فتأخر!! هذا هو الأظهر ،وهذا معنى قوله:﴿إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾»[1].

هذا عن سبب التخيير،وهو سبب مشترك بين السورتين.

وأما ما اختصت به الأعراف من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر ،فسيأتي بيان سببه–بإذن الله– في توجيه المتشابه.

الموضع الثالث:في الأعراف كان جواب موسى عليه السلام لاستئذانهم:﴿قَالَ أَلۡقُواْ﴾.وفي طه:﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْ﴾،وفي الشعراء ذكر جواباً لموسى عليه السلام لاستئذانهم المحذوف بقوله: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

وفيه نوعان من المتشابه:

أحدهما:زاد في طه حرف :﴿بَل﴾.على الموضعين.

الثاني:زاد في الشعراء مفعول الإلقاء:﴿مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ﴾. ولم يذكره في الموضعين.

إن زيادة حرف الإضراب :﴿بَل﴾في طه،إنما جاء لمعنى،ومن المعلوم أن:(بل) تكون للإضراب الإبطالي ،وتكون للإضراب الانتقالي،وأنها تدخل على الجمل وعلى المفرد،وبهذا فإن علاقتها تكون بما قبلها وبما بعدها.

---

(١)العذب النمير ٤/١٥٠٢.

قال ابن القيم رحمه الله:«والتحقيق في أمر هذا الحرف :أنه يذكر لتقرير ما بعده نفياً كان أو إثباتاً،فالنظر فيه في أمرين:فيما قبله،وفيما بعده »[(١)] .

وقد دخلت هنا على جملة،لكن الملاحظ أنه لم تذكر الجملة التي قبلها،وهي الجملة المضرب عنها.

قال ابن الجوزي-رحمه الله-:«قوله تعالى:﴿ بَلْ أَلْقُواْ﴾،قال ابن الأنباري دخلت:﴿بَل ﴾ لمعنى جحد في الآية الأولى؛ لأن الآية الأولى إذا تؤملت وجدت مشتملة على إما أن تلقي وإما أن لا تلقي»[(٢)] .

إن الآية الأولى التي يقصدها ابن الأنباري هي قوله تعالى:﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾،ومقصود ابن الأنباري-والله أعلم-:إما أن تلقي أولاً،وإما أن لا تلقي أولاً،هذا ما تدل عليه الآية الأولى،وليس مقصود ابن الأنباري أن الآية الأولى تدل على: أن تلقي وإما أن لا تلقي أصلاً؛لأن التخيير لم يقع على هذا.

وبهذا يتبين أن جواب موسى عليه السلام في قوله:﴿ بَلْ أَلْقُواْ﴾،كأن معناه:لا ألقي أنا أولاً،بل ألقوا أنتم أولاً.فالجملة المذكورة دلت على الجملة المضرب عنها المحذوفة.

وفي توجيه المتشابه يتبين-بإذن الله-سبب اختصاص سورة طه بهذا.

وأما الزيادة في الشعراء؛فإن :﴿ مَآ ﴾ موصولة،وما بعدها صلتها،والعائد محذوف تقديره:ملقوه،وفي هذا من العموم والإبهام ما لا يخفى،وتفسير القصد إلى هذا العموم والإبهام يتبين -بإذن الله- في توجيه المتشابه.

الموضع الرابع:كان الخبر عن إلقاء السحرة في الأعراف بقوله:﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾،وفي طه:﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى

(١)بدائع الفوائد ١٦٥٦/٤،وانظر مغني اللبيب ١١٢/١-١١٣،البرهان في علوم القرآن ٢٥٨/٤-٢٦٠.

(٢)زاد المسير ٣٠١/٥.

نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾(الآيات ٦٦-٦٩).،وفي الشعراء:﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

نوعه إبدال جمل.

أثر السياق في توجيه المتشابه في المواضع الثلاثة السابقة:

لقد كان سبب اختصاص الأعراف-كما في الموضع الثاني-بذكر تأكيد ضمير السحرة المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر،إظهاراً منهم لتمكنهم وعلوهم بزعمهم،والأعراف كانت تقص الخبر بتفصيله،فأوضحت حال السحرة حين أرادوا المغالبة،وهو أنهم كانوا على قدر خطير من البطر والأشر.

قال ابن جزي-رحمه الله-:«:﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ خيروا موسى بين أن يبدأ بالإلقاء،أو يبدؤوا هم بإلقاء سحرهم ،فأمرهم أن يلقوا،وانظر كيف عبروا عن إلقاء موسى بالفعل، وعن إلقاء أنفسهم بالجملة الاسمية؟ إشارة إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكنون فيه»[(١)].

وأما جواب موسى عليه السلام لاستئذانهم:﴿قَالَ أَلْقُوا۟﴾، فقد جاء خلواً من الزيادة المؤكدة التي اختصت بها طه،وذلك أن الزيادة في طه كانت لبيان حال موسى عليه السلام كما يأتي بيانه-بإذن الله-والغرض في الأعراف هو تسجيل الخبر،لا مزيد بيانٍ لحال موسى عليه السلام،فاقتصر على محل الغرض.والله أعلم.

ولقد كان من تمام قص الخبر،أن أعقبت الآيات حال السحرة ببيان حال سحرهم،وكيف كان وقعه على الناس،وهو ما اختصت به الأعراف،في الموضع الرابع.

وأما طه فقد كانت معنية بذكر حال موسى عليه السلام؛لأنها تقص التلطف به من ربه،تأنيساً للنبي ﷺ ولطفاً به كما هو المعلوم من سياقها،وقد اقتصرت كما في الموضع

---

(١)التسهيل لعلوم التنزيل ٧٥/٢،وانظر البرهان للزركشي ٤١٢/٢،وقد نسب مثل هذا التوجيه لابن جني في خاطرياته،وانظر التحرير والتنوير ٤٧/٩.

الثاني،على ذكر تخيير السحرة،دون أن تذكر مزيد تأكيدهم لغلبتهم واستطالتهم عند أنفسهم؛لأن السورة تظهر دائماً جانب اللطف بموسى عليه السلام،ولهذا فإنها لم تسجله في طه،بل سجلت ما تلحظه من العناية بموسى عليه السلام،كما في الموضع الثالث،وهو إظهار ثقة موسى عليه السلام بربه،واستحضاره معيته له،وذلك أن اختياره عليه السلام بدؤهم،هو استخفافٌ بهم وعدم مبالاة بسحرهم[(١)]،وحكمة أخرى:وهو أن«يرى الناس صنيعهم ويتأملوه، فإذا فرغوا من بهرجهم ومحالهم، جاءهم الحق الواضح الجلي بعد التطلب له، والانتظار منهم لمجيئه، فيكون أوقع في النفوس»[(٢)].

فكان تخصيص طه بزيادة حرف الإضراب،تسجيلاً لحال موسى عليه السلام،وإظهاراً لمعية الله له ولطفه به،حيث كان واثقاً بربه ،واثقاً بما أعطاه من الآيات،على ما يعطيه حرف الإضراب من التأكيد.

ولهذا كان التذييل الذي اختصت به خبراً عن حال موسى عليه السلام،وما خالجه من الخوف لما رأى السحر،وما منّ الله به عليه من اللطف،والتأييد بالنصر،وإزالة الخوف من نفسه.وهذا هو السياق المعلوم لسورة طه.والله أعلم.

وأما الشعراء فإنها لما كانت معنيةً بأمر الرسالة ،وبلاغ موسى عليه السلام لها وحرصه عليها،وشدة أخذه لأمر ربه؛فإنها لم تذكر استئذان السحرة؛لأنه لا غرض لذلك في هذا المعنى،بل كان الغرض إظهار أمر موسى في عنايته بأمر ربه،ولهذا فقد ذكرت الآيات في الشعراء أمر موسى عليه السلام للسحرة بالإلقاء مباشرةً،وبصيغة الإبهام والعموم:﴿ **أَلْقُوا مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ** ﴾. التي تدل على استخفافه بهم،ولقد كان في هذا من تأنيس النبي ﷺ،ودفع الحزن عنه مما يراه من إعراض قومه ما هو ظاهر،وهو مأمورٌ هنا بالاقتداء بموسى عليه السلام.

---

(١)انظر الكشاف ١٣٥/٢،إرشاد العقل السليم ٢٧/٦،تفسير البيضاوي ج٤/ص٥٩.

(٢)تفسير القرآن العظيم ٤٥٦/٣،وانظر الكشاف ٧١/٣،إرشاد العقل السليم ٢٧/٦،تفسير البيضاوي ج٤/ص٥٩.

قال ابن عاشور-رحمه الله- عن آية الشعراء:«وفي كلام موسى عليه السلام استخفاف بما سيلقونه ؛لأنه عبر عنه بصيغة العموم،أي ما تستطيعون إلقاءه»[(١)].

وقال السعدي -رحمه الله-:« ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾﴾أي:ألقوا كل ما في خواطركم إلقاؤه،ولم يقيدهم بشيء دون شيء،لجزمه ببطلان ما جاؤوا به من معارضة الحق »[(٢)].والله أعلم.

ولهذا فقد سجلت الآيات تذييل الشعراء الخاص بها،والذي يبين عتو الفجرة،وبعدهم عن قبول الحق،فقد بينت شدة عتوّ فرعون،حين بينت حال السحرة،وهم يلقون سحرهم مقسمين بعزة فرعون أو متبركين بها.

قال الفخر الرازي-رحمه الله-:«وأما قوله:﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ فالمراد:أنهم أظهروا ما يجري مجرى القطع على أنهم يغلبون،وكل ذلك لما ظهر كان أقوى لأمر موسى عليه السلام»[(٣)].والله أعلم.

الموضع الخامس:في الأعراف كان الأمر لموسى عليه السلام بصيغة الوحي: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ﴾،وفي طه بصيغة الأمر المباشر: ﴿وَأَلۡقِ﴾،وفي الشعراء لم يتقدم أمرٌ،بل كان موسى عليه السلام هو الملقي: ﴿فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ﴾ .

وهذا تشابه بالإبدال.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كانت الأعراف تقص خبر بني إسرائيل وتأريخهم،وهي هنا تقص خبرهم مع فرعون،وكانت صيغة الوحي في الأعراف هي المنبئة عن بيان الخبر بتفصيله؛فإنها تبين أن الله أوحى إلى نبيه عليه السلام لما ألقى السحرة سحرهم.

---

(١)التحرير والتنوير ١٢٧/١٩.

(٢)تيسير الكريم الرحمن ص ٥٣٩،وانظر روح المعاني ١٦٦/١١.

(٣)مفاتيح الغيب ١١٦/٢٤،وانظر إرشاد العقل السليم ٢٤٢/٦،روح المعاني ج١٩/ص٧٧.

وأيضاً ومن وجه آخر:فإن الله قبل ذلك وصف سحر السحرة، وعظيم ما فعلوا بسحرهم بقوله تعالى:﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ١١٥ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ١١٦﴾(الآيات ١١٥-١١٦).فكان لفظ الوحي يبين جلالة الأمر الذي قابل هذا الكيد العظيم،وأنه أمرٌ عظيمٌ من السماء.والله أعلم.

وأما طه فقد كان المناسب لسياقها هو صيغة الأمر المباشر؛فإن هذا الأمر المباشر من الله يدل على تمام العناية بموسى عليه السلام والنصرة والتأييد،وذلك أنه يدل على السرعة في الإلقاء،فيدل على السرعة في الغلبة،ووجه السرعة في الغلبة:هو أن الله وعده بأنه إذا ألقاها فإنها تلقف سحرهم على وجه السرعة،وذلك أنه سبحانه قال لموسى عليه السلام:﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩﴾(الآية ٦٩)،ووجه السرعة في الآية يتبين بأمرين:

أحدهما:لفظ اللقف؛فإن معناه الأخذ والابتلاع بسرعة.

الثاني:أن ﴿تَلۡقَفۡ﴾وقعت مجزومة جواب الأمر،فيكون المعنى:إن تلقه تتلقف.(١)

وعليه فقد دل الأمر المباشر على سرعة الإلقاء،فدل على سرعة الغلبة كما قد تبين وجهه،ويزيد الأمر بياناً أنه لم يذكر بعد هذه الآية من موسى عليه السلام إلقاءً،بل اكتفى بذكر إلقاء السحرة سجداً فالأمر قد تم والغلبة قد حصلت على وجهٍ من السرعة عظيم،فقال تعالى بعد تلك الآية مباشرة:﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠﴾(الآية ٧٠).والله أعلم.

وأما الشعراء فكان الغرض فيها بيان شأن الرسالة التي أرسل بها موسى ﷺ،وما أداه من أمر الله له في ذلك،فكانت تلحظ عناية موسى عليه السلام وحرصه على ما كلف به من أمر الرسالة،وأن فرعون لم تفده تلك الرسالة شيئاً،فكان من بيان حرصه عليه السلام :أن أخبرت

---

(١)انظر الجامع لأحكام القرآن ١٤٩/١١،إرشاد العقل السليم ٢٨/٦.

عنه قبل هذه الآية بآيات بأنه هو الذي بادر بأمر السحرة بإلقاء سحرهم،قال تعالى:﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(الآيات ٤١-٤٤)،ثم قال بعد ذلك: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(الآية ٤٥)،وكل هذا يبين عناية موسى عليه السلام بالرسالة وحرصه عليها كما يبينه سياق السورة في موضعه[(١)].والله أعلم.

الموضع السادس:في الأعراف كان الإلقاء للعصا بلفظها:﴿ عَصَاكَ ﴾،وفي الشعراء كذلك:﴿ عَصَاهُ ﴾.وأما في طه فأبهمها فقال:﴿ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾.

وهذا تشابه بالإبدال.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لما كانت الأعراف تقص خبر بني إسرائيل،فقد كان الأصل فيها هو الإفصاح والبيان لا الإبهام،فإنه ليس للإبهام غرض ،وإنما الغرض هو بيان الأمر الذي جرى،والذي جرى هو أن موسى عليه السلام أمر بإلقاء العصا،فالتقمت العصا سحر السحرة كما هو في القصة المعلومة.

أما طه فقد وجه بعض المفسرين الإبهام فيها:بأنه مرادٌ به التأنيس لموسى عليه السلام،كما هو سياق طه المعروف،لكن اختلفت مآخذهم في ذلك.

فقال الزمخشري-رحمه الله-:«وقوله:﴿ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾،ولم يقل عصاك.جائز أن يكون تصغيراً لها، أي:لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك؛فإنه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها.

---

(١)انظر ص ٣٨١-٣٨٦.

وجائز أن يكون تعظيما لها، أي: لا تحتفل بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة؛فإن في يمينك شيئاً أعظم منها كلها،وهذه على كثرتها أقل شيء وأنزره عنده،فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقها»[(١)].

فالزمخشري ذكر هنا وجهين متقابلين،غرضهما في النهاية عنده شيءٌ واحد،إلا أننا لا نرتضي الوجه الأول منهما ،وذلك من وجهين:

أحدهما:أن حال العصا قد علم لموسى عليه السلام قبل ذلك،وكانت له آية عظيمة،فلا يستقيم ما قاله من التصغير إلا لو كان موسى عليه السلام يخاطب بذلك أول مرة.

الثاني:أن العصا لن تفعل ما تفعل وهي عصا،بل ستنقلب من حالها إلى حال أخرى عظيمة.[(٢)]

ولقد بين أبو السعود وجه التعظيم في الوجه الثاني من كلامه الزمخشري،فقال-رحمه الله-:«أوثر الإبهام تهويلاً لأمرها،وتفخيما لشأنها،وإيذاناً بأنها ليست من جنس العصي المعهودة،المستتبعة للآثار المعتادة، بل خارجة عن حدود سائر أفراد الجنس»[(٣)].

ولابن عاشور-رحمه الله-توجيه آخر وهو وجه حسن لا يخالف ما قبله،وليس مانعاً من مشاركة الوجه الذي قبله معه،فقد قال:«وعبر له عن العصا بـ (ما) الموصولة تذكيراً له بيوم التكليم إذ قال له:﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾(الآية ١٧)،ليحصل له الاطمئنان بأنها صائرة إلى الحالة التي صارت إليها يومئذٍ،ولذلك لم يقل له :وألق عصاك»[(٤)].

ولأبي حيان نكتة أخرى،وهي أن ما في اليمين يشعر باليمن والبركة[(٥)].وهي أيضاً لا تخالف ما قبلها.والله أعلم.

---

(١)الكشاف ٧٢/٣،ومثله أو قد نقل عنه القرطبي انظر الجامع لأحكام القرآن ١٤٩/١١،والبيضاوي في تفسيره ٦٠/٤.

(٢)انظر إرشاد العقل السليم ٢٨/٦.

(٣)إرشاد العقل السليم ٢٧/٦.

(٤)التحرير والتنوير ٢٦٠/١٦،وهذا الوجه قد ذكره ابن المنير قبله في حاشيته على الكشاف ٧٢/٣.

(٥)انظر البحر المحيط ٢٤١/٦.

وأما الشعراء؛فإنه لما كان الغرض فيها بيان شأن الرسالة التي أرسل بها موسى ﷺ،وحرصه وعنايته بها،فقد كان الشأن فيها الإفصاح بما فعل موسى عليه السلام في مغالبته لهم،والذي فعله أنه ألقى عصاه فالتقمت ما القوم يأفكون.

الموضع السابع:في الأعراف والشعراء:﴿**تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**﴾،وفي طه:﴿**تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ**﴾.

وهذا تشابه بالإبدال.

قال صاحب أضواء البيان-رحمه الله-:«﴿**مَا يَأْفِكُونَ**﴾،أي: يختلقونه ويفترونه من الكذب، وهو زعمهم: أن الحبال والعصي تسعى حقيقة، وأصله من قولهم أفكه عن شيء يأفكه عنه،من باب ضرب:إذا صرفه عنه وقلبه»[(١)]،وهذا وصفٌ للذي جرى من أمر موسى عليه السلام مع السحرة.

وأما الذي في طه،فقد كان خطاباً لموسى عليه السلام.

قال أبو السعود-رحمه الله-:« والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير،والإيذان بالتمويه والتزوير»[(٢)]،وما قاله أبو السعود هنا لا يساعده اللفظ،والسبب هو أن التعبير بلفظ الصنع يدل على عكس التحقير؛فإنه يدل على الإتقان والجودة.

قال الراغب -رحمه الله-:«الصنع:إجادة الفعل فكل صنع فعل،وليس كل فعل صنعاً،ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل، قال:﴿**صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ**﴾(النمل ٨٨).....﴿**تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ**﴾(طه ٦٩)...وللإجادة يقال للحاذق المجيد:صَنَعٌ وللحاذقة المجيدة:صَنَاعٍ ...وعبر عن الأمكنة الشريفة بالمصانع قال:﴿**وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ**﴾(الشعراء ١٢٦)...والاصطناع:المبالغة في إصلاح الشيء»[(٣)].وفي توجيه المتشابه-بإذن الله-تقرير لهذا.

---

(١)أضواء البيان ٤/٤٧٧،وانظر جامع البيان ١٠/٣٥٨.

(٢)إرشاد العقل السليم ٦/٢٨،وانظر روح المعاني ج١٦/ص٢٢٦.

(٣)المفردات ص ٤٩٣،وانظر معجم مقاييس اللغة ص ٥٧٨.

الموضع الثامن:ذكر الله في الأعراف قبل إلقاء السحرة سجداً قوله:﴿ **فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾** ﴾.وفي طه: ﴿ **إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ** ﴾.

وفيه نوعان من المتشابه:

أحدهما:الزيادة والنقصان،فقد زادت الأعراف وطه عن الشعراء جملاً،قبل ذكر إلقاء السحرة سجداً.

الثاني:تشابه بالإبدال بين الأعراف وطه،فقد كانت جملة الزيادة في الأعراف تختلف عن جملة الزيادة في طه.

ولكن لا بد أن نلحظ قبل كل شيء: أن الذي في الأعراف خبرٌ عن أمر المغالبة مع السحرة،وأما الذي في طه فكان من تتمة الخطاب لموسى عليه السلام،ولعل السياق هو الذي يبين لنا أسباب هذه الاختلافات.

الموضع التاسع:في الأعراف: ﴿ **وَأُلْقِيَ** ﴾وفي طه والشعراء بالفاء﴿ **فَأُلْقِيَ** ﴾.

ونوعه تشابهٌ بإبدال حرف بحرف.

أثر السياق في توجيه المتشابه في هذه المواضع الثلاثة:

لما كانت الأعراف تقص الخبر، فإنها كانت معنيةً بذكر ما يبين الخبر نفسه،وإن من تمام بيان الخبر أن تبين ما حصل من شأن السحرة،وقد كانوا أهل المغالبة المباشرين لها،وأن تبين ما حصل لمن تولى كبر الأمر من أصله،وهو فرعون وملؤه،فكان أول الخبر أن العصا لقفت كل باطل السحرة،وعبر عنه بالإفك؛لأنه الوصف الذي يبين الحقيقة وأن الأمر صراعٌ بين حقٍّ وبين إفك وتمويه،ولهذا جاء التفريع مناسباً كذلك،فقد فرعت الآيات على هذا اللقف ببيان نتائجه بعد أن انتهت المغالبة،فكانت نتائجه أن الحق ظهر واستبان،وأن الباطل قد اضمحل وزال،ثم فرعت الآيات نتيجةً أخرى مهمةً،وهي بيان حال أهل الباطل المباشرين له،والآخرين الذين أعدوا له،وهم الذين تولوا كبره،فوصف الله حالهم بقوله:﴿ **فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾** ﴾.

قال ابن جرير-رحمه الله-:«فغلب موسى عليه السلام فرعون وجموعه ﴿هُنَالِكَ﴾:عند ذلك،﴿وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ﴾.يقول:وانصرفوا عن موطنهم ذلك بصُغْرٍ مقهورين»[(١)].

قال الشنقيطي-رحمه الله-:«والواو في قوله:﴿فَغُلِبُواْ﴾ راجع إلى السحرة،(غلبوا هنالك) غلبهم موسى عليه السلام ببرهان العصا لما ابتلعت جميع ما عندهم من الحبال والعصي﴿وَٱنقَلَبُوا﴾أي :السحرة وكل من كان معهم كفرعون وحزبه ﴿وَٱنقَلَبُوا﴾ رجعوا صاغرين.أي:أذلاء حقيرين داخرين»[(٢)].ولكن العموم في الغَلَب الذي ذكره ابن جرير-رحمه الله-أولى[(٣)].

وهذا التفريع كان بحرف الفاء الدال على التعقيب والسرعة،ومن معاني الفاء هنا أيضاً-والله أعلم-التسبيب،فتكون الآيات بهذا تصف حال المغالبة،فتبين أن إلقاء موسى عليه السلام عصاه،ولقفها سحر السحرة كان سبباً في ظهور الحق وبطلان الباطل،وهزيمة القوم وانقلابهم صاغرين،وكان هذا على وجه السرعة.

وأما إلقاء السحرة ساجدين،فقد عطف بالواو.

قال ابن عاشور-رحمه الله-:«عطفٌ على :﴿فَغُلِبُواْ﴾-﴿وَٱنقَلَبُواْ﴾،فهو في حيز فاء التعقيب،أي:حصل ذلك كله عقب تلقف العصا ما يأفكون،أي بدون مهلة»[(٤)].

والأقرب-والله أعلم-:أن يقال:إن العطف على الجمل من قوله:﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾،إلى هذه الجملة،والسبب :هو أننا لو اقتصرنا على جعل العطف على جملة:﴿

---

(١)جامع البيان ٣٦١/١٠.

(٢)العذب النمير ١٥٠٩/٤.

(٣)العموم في الغلبة والصغار أولى من قصر الغلبة والصغار على السحرة؛لأنه فرعون وحزبه يلحقهم هذا الوصف،وأولى من جعل الغلبة على السحرة والصغار على فرعون وقومه دون السحرة،بحجة أن السحرة آمنوا فلم يلحقهم صغار؛لأن الصغار هو ظهور عجزهم لا قدرهم عند الله.انظر الأقوال في ذلك جامع البيان ٣٦١/١٠،المحرر الوجيز ج٢/ص٤٤٠،الجامع لأحكام القرآن ١٦٦/٧،إرشاد العقل السليم ٢٦٠/٣،التحرير والتنوير ٥١/٩ .

(٤)التحرير والتنوير ٥٢/٩.

فَغُلِبُواْ﴾-﴿وَٱنقَلَبُواْ﴾،لكان المعنى:أن السحرة خضعوا لأجل الغلبة،وهم إنما خضعوا؛لما علموه من صدق البرهان؛ولهذا السبب-والله أعلم-كان العطف بالواو؛لأنه لو عطف بالفاء لألبس أن خضوع السحرة كان بسببٍ من الغلبة،وذلك أن العطف بالفاء قد يوهم أن جملة:﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ قد عطفت على السابقة لها مباشرة وهي جملة:﴿فَغُلِبُواْ﴾-﴿وَٱنقَلَبُواْ﴾،فيكون إلقاء السحرة معقباً لها ومسبباً عنها،على ما تفيده الفاء من التسبيب والتعقيب،وهو معنىً لا يستقيم كما بينته قبل،والواو لا توقع في هذا اللبس ،كما أنها لا تخالف موضعي طه والشعراء اللذين عطف فيهما إلقاء السحرة بالفاء،وذلك من وجهين:

أحدهما:أن الواو تفيد مطلق الجمع،فليس فيها مخالفة للتعقيب والتسبيب الذي أفادته الفاء.

الثاني:أن جملة إلقاء السحرة داخلة في حيز التعقيب في الجمل التي قبلها،وبهذا فإنها تدل على ما دل عليه الموضعان الآخران في طه والشعراء.والله أعلم.

وسبب آخر للعطف بالواو لا يقل عن الذي قبله،وهو:أن العطف هنا من باب عطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب،والجمل من هذه إذا عطفت على التي قبلها بالواو،فلا بد أن يكون بينها والتي قبلها سببٌ ومعنى،حتى يجوز العطف عليها،كما يجب فيها أن لا يكون معناها هو معنى التي قبلها،فإنها حينذاك لا تعطف عليها؛لأنها تكون كالتأكيد لما قبلها،وكذا فيجب أن لا تكون أيضاً أجنبيةً من التي قبلها؛لأنها في هذه الحال لا تعطف عليها[(١)].

إذا علم هذا فإن هذه الجملة محل البحث،ليس معناها هو معنى الجمل قبلها،كما هو ظاهرٌ من لفظها،وكما هو مقتضى النحو،كما أنها مرتبطةٌ بالجمل قبلها بسبب ومعنى،كما سبق بيانه،وعليه فإنها تكون أفادتنا خبراً آخر من أخبار القصة بعمومها،ومن

---

(١)انظر كلام عبد القاهر الجرجاني-رحمه الله-على هذا الضرب من الجمل في مبحث الفصل والوصل من كتابه دلائل الإعجاز ص ٢٢٢-٢٤٨.

خبر المغالبة بخصوصها،وهذا ما تسجله سورة الأعراف دائماً،وهذا ما لا تعطيه الفاء.والله أعلم.

وأما طه ،فقد تبين أن لفظ الصنع يدل على العمل المتقن،فكان التعبير في الآية بلفظ الصنع تعبيراً عن عظيم كيد السحرة،وأنهم قد أتوا بعمل عظيم متقن،وهذا يقرره ما وصف الله به عملهم في الأعراف،حيث قال تعالى :﴿قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾(آية ١١٦).

فتكون مناسبة ذلك لسياق طه بما يظهر في ثنايا ذلك من اللطف العظيم بموسى عليه السلام،وما يظهر من معية النصر والتأييد له من رب العالمين،وذلك أن السحرة قد جمعوا كيدهم وأحكموا فعلهم،وموسى عليه السلام قد توجس منهم الخيفة حين رأى صنعهم المتقن،كما وصفه الله بذلك فقال:﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾(الآيات ٦٦-٦٧)،فطمأنه ربه،ورفع الخوف عنه فقال له:﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾(الآية ٦٨):وقد كان في هذه الآية ستة مؤكدات،تبين عظيم النصرة والتأييد.

قال الزمخشري-رحمه الله-:«﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ فيه تقرير لغلبته وقهره، وتوكيد بالاستئناف،وبكلمة التشديد(إن المؤكدة)،وبتكرير الضمير،وبلام التعريف،وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة،وبالتفضيل»[1].

ثم بعد هذه الطمأنة يأمره ربه سبحانه بأن يلقي ما في يمينه،فيظهر لطف آخر حين يعده سبحانه بأن العصا ستلقف وتبتلع هذا الصنع المتقن الذي يراه موسى عليه السلام كذلك،فيقول الله له:﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾(الآية ٦٩).

---

(١)الكشاف ٣/٧٢.

ثم يبين له حقيقة هذا العمل العظيم من السحرة،وأنه عظيمٌ في سببه لا في ذاته،فهو تخييل وتمويه،فيبين الله لنبيه عليه السلام هذا،حتى يزيده طمأنينة وتثبتاً لنفسه،فيقول الله كما في الموضع الثامن:﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾.

قال الطبري-رحمه الله-:«وقوله:﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾،يقول:ولا يظفر الساحر بسحره بما طلب أين كان»[(١)].ولقد علم موسى عليه السلام هذا التوجيه الرباني،واطمأنت نفسه بذلك،كما قال الله عنه في سورة يونس:﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾(الآيتان ٨١ ،٨٢).فكان موسى عليه السلام يتحدى السحرة ويبين لهم فساد صنيعهم.وبهذا يتبين سر الزيادة في طه.والله أعلم.

وأما العطف بالفاء:﴿فَأُلْقِيَ﴾،فإنه يبين سرعة إلقاء السحرة،بما تفيده الفاء من التعقيب،كما أنها تفيد التسبيب،وعليه فيتبين أن إلقاء السحرة كان بسببٍ من إلقاء موسى عليه السلام،وفي هذا من اللطف،وظهور معية النصر والتأييد ما هو ظاهر،حيث تبين بما أفادته الفاء:أن السحرة قد بادروا بالخضوع والسجود،وأن ذلك كان بسببٍ من ظهور الآية،وقد كانت الآية تأييداً من الله لموسى عليه السلام،وقد ظهر أثرها له في هذه المغالبة،فهذا هو سياق طه.والله أعلم.

وأما الشعراء،فقد وُصِفَ فعل العصا بسحر السحرة بمثل ما ورد في الأعراف،فسماه إفكاً لقفته العصا،وذلك أن الذي في الشعراء كان خبراً كالأعراف،والشعراء تسجل حدة الصراع بين الحق والباطل،وكان منه مغالبة موسى عليه السلام مع السحرة،وقد أظهرت الآيات عناية موسى عليه السلام بما كلف به،وعدم اكتراثه بالسحرة،وقد وصف الله حاله بقوله:﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾﴾،وقد أظهرت السورة مزيد اهتمام من فرعون بأمر المغالبة،ومزيد اعتمادٍ منه وتعلق

---

(١)جامع البيان ١٦/١١٢.

بالسحرة،قال الله في وصف ذلك:﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾(الآيات ٣٨-٤٠)،وأظهرت السورة أيضاً مزيد عناية من السحرة بأمر المغالبة ومزيد اعتماد منهم على فرعون،وذلك حين أقسموا بعزته،واختيارهم القسم بعزته يبين عنايتهم بأمر المغالبة،وأنهم يستمدون قوتهم منه،وهذا أيضاً يبين عتوّ فرعون وحفاوته بالغلبة،قال الله تعالى: ﴿ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

وبهذا فإنه يتبين أن المناسب في الشعراء،أن تذكر هزيمة السحرة،بالوصف الذي يبين حقيقتها،وهو الإفك ،وأن يقتصر على ذلك فلا يكون فيها مثل ما في الأعراف من الزيادة؛وذلك أنه ببيان هزيمة السحرة،يتبين هزيمة الباطل بعدما أظهرت السورة بالغ حفاوة أهل الباطل بهذه المغالبة،وكان التعقيب بالفاء هو المناسب ؛لأنه يبين السرعة في نصر الحق والسرعة في هزيمة الباطل،كما أنه يبين من وجه آخر سرعة السحرة في الاهتداء،حين أراد الله لهم ذلك،وهذا يبين أن الهداية لله وما على الرسول إلا البلاغ،كما هو سياق السورة.هذا وقد كان مما اعتنت به السورة بيان أمر الهداية،وقد ظهر هذا بما تميزت به السورة من المتشابه،على ما هو متوافق مع سياقها كما سيأتي بيانه بعد-بإذن الله-.والله أعلم.

الموضع العاشر:في الأعراف والشعراء:﴿ سَٰجِدِينَ ﴾وفي طه:﴿ سُجَّدٗا ﴾.

نوعه تغيير في الصيغة،ففي الأعراف والشعراء بصيغة جمع المذكر السالم،وفي طه بصيغة جمع التكسير،وموضع:﴿ سَٰجِدِينَ ﴾،و﴿ سُجَّدٗا ﴾هنا حال،وقد سبق وعلمنا أنه إذا كان القصد إلى تعيين آحاد المجموع،والمخبر معتمد على كل واحدٍ منهم في الإخبار،فإنه يؤتى بجمع المذكر السالم،وبينا تعليل ذلك[(١)]،والحال نوعٌ من الإخبار «وذلك لأن الحال خبرٌ في الحقيقة،من حيث إنك تثبت بها المعنى لذي الحال،كما تثبت بخبر المبتدأ

(١)انظر ص ٢١٧-٢١٩.

للمبتدأ،وبالفعل للفاعل»[(١)] ،وعليه فيكون موضع الأعراف وموضع الشعراء قد قصد بهما بيان حال السحرة جميعهم،وأما طه فجاءت على صيغة جمع التكسير فيكون كأنه أراد الإخبار عن الجنس الكثير من غير قصد إلى تعيين الآحاد.

وبعد هذا التقعيد يبقى السؤال المعتاد:لماذا خص كل موضع بما خصّ به؟والجواب نجده-بإذن الله-في أثر السياق في توجيه المتشابه.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إن صيغة جمع المذكر السالم، بما تفيده من قصد آحاد المجموع، تفيد أن السحرة جميعهم قد سجد و لم يتخلف منهم أحد،وهذا هو المناسب لاستقصاء الخبر كما هو سياق الأعراف.

أما الشعراء فإنها لما كانت بصدد تأنيس النبي ﷺ ببيان شأن الهداية له،وأنه أمرٌ إلى الله ،فقد أبانت عن ظهور الآيات البينات على يد موسى عليه السلام،ثم بينت انتفاع من أراد الله له الهداية،وهم السحرة أهل المغالبة المباشرين لها،والذي كان من عجيب شأنهم أن يؤمنوا جميعهم لا يتخلف منهم واحد،لما جرت أقدار الله بذلك،كما أن الإخبار بإيمان السحرة جميعهم حجة أخرى تقطع أي ذريعة يتذرع بها فرعون وقومه،بعد الذي أظهرته السورة من حفاوة السحرة بالغلبة في مخاطبتهم لفرعون،وما أظهرته السورة من مزيد استجابة فرعون لهم وحفاوته هو بهم ،واعتماده عليهم،وذلك أنه بهذه الغلبة يتبين لهؤلاء المعاندين أن أمر موسى ﷺ أمرٌ ربانيٌ،إذ يستحيل أن يتفق الجميع على الخضوع والإيمان إلا والأمر كذلك،ولو تخلف واحدٌ منهم لكان للمبطل حجة في تخلف من تخلف،وهذا هو السر في تخصيص الشعراء بجمع المذكر السالم.والله أعلم.

أما طه فإنه ورد فيها صيغة جمع التكسير،وهذه الصيغة لا يقصد بها تعيين آحاد المجموع؛لأنه لم يكن يقصد في طه الكشف عن حال السحرة،بل كان القصد فيها بيان نصر الله لموسى عليه السلام ومعيته سبحانه له،تأنيساً للنبي ﷺ وأصحابه في حال ضعفهم وخوفهم،حتى إن ما ورد بعد ذلك في هذه السورة من تفصيلٍ لأحوال السحرة،كان يظهر فيه قصد تأنيس النبي ﷺ وأصحابه،كما يأتي بيانه-بإذن الله-.

---

(١)دلائل الإعجاز ص ١٧٣.

إذا تبين هذا فإن صيغة جمع التكسير،تبين حال نصر الله سبحانه لموسى ﷺ ،وذلك من وجهين:

أحدهما:أنها تبين سجود هذا الجمع الكثير وخضوعهم،وفي هذا من بيان ظهور غلبة موسى عليه السلام ما لا يخفى.

الثاني:أن جمع المذكر السالم لو أتى في هذا الموضع،لانصرف بعض الخبر إلى السحرة،فلأجل أن تتوفر العناية على إثبات الخبر عن موسى عليه السلام،ولا يدخل ذلك شوبٌ،أتي بصيغة جمع التكسير.(١)

الموضع الحادي عشر:في الأعراف والشعراء زيادة:﴿**قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ**﴾،وليست هذه الزيادة في طه.

نوعه تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كان الموضع السابق لهذا -كما تقرر- يلحظ في الأعراف والشعراء حال السحرة،على اختلاف المأخذ في السورتين،وأما طه فكان النظر فيها لحال موسى عليه السلام،وهذا هو السبب في هذه الزيادة.

فقد زيدت في الأعراف لتتم الخبر عن السحرة،وتبين أنهم أعلنوا إيمانهم برب العالمين مع سجودهم،وأن سجودهم كان إيماناً بالله.

وأما الشعراء فكانت الزيادة تبين أن السحرة أعلنوا إيمانهم برب العالمين مع سجودهم،فظهرت هدايتهم،وقامت الحجة على المكابرين،على ما تم توضيحه في الموضع السابق.

وأما طه فإنها قد خلت من هذه الزيادة ؛لأن الخبر في السورة كان عن موسى عليه السلام ،ولم يكن عن السحرة،والله أعلم.

---

(١) لم اطلع على توجيه لهذا الموضع ممن وجهه إلا على التوجيه بمراعاة الفواصل،انظر درة التنزيل ٢/٦٦٣،البرهان للكرماني ص ١٩٨-١٩٩،وقد سبق وبينا في مبحث أنواع المتشابه:أن الاقتصار على هذا المسلك في التوجيه قاصرٌ يبخس المعنى حقه.

الموضع الثاني عشر:في الأعراف والشعراء:﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾،وفي طه بتقديم (هارون):﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾.

نوعه :تشابه بالتقديم والتأخير،فقد قدم ذكر موسى عليه السلام في الأعراف والشعراء على هارون عليه السلام،والعكس في طه،ولا يشكل تقديم موسى عليه السلام ،فإنه الأفضل،لكن الإشكال هو في تقديم هارون عليه السلام في طه،ولعلنا في دلالة السياق نكشف الوجه في ذلك.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

اختلفت توجيهات الموجهين لهذا الموضع،وهم كلهم يوجهون موضع طه باعتبار أن الإشكال فيه.

قال أبو السعود-رحمه الله-:«تأخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل، وقد جوز أن يكون ترتيب كلامهم أيضاً هكذا، إما لكبر سن هارون عليه السلام، وإما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه؛حيث كان فرعون ربى موسى عليه السلام، فلو قدموا موسى عليه السلام لربما توهم اللعين وقومه من أول الأمر:أن مرادهم فرعون»[(١)].

وقد سبق وبينا في مبحث أنواع المتشابه:أن التوجيه برعاية الفواصل أمرٌ لا يستقل بنفسه،بل لا بد معه من أمرٍ معنوي،هو المقصود الأول.

وأما التوجيه بأن ترتيب كلامهم هكذا كان،فهذا لا دليل عليه؛كما أنه يرد على النظم الآخر الذي هو عكسه أن يكون هو المتقدم في ترتيب كلامهم.

وأما ما ذكروه تعليلاً لذلك من أن هارون عليه السلام كان أكبر سناً،فهذا لا معنى له؛لأنه يعتمد على أن يكون الترتيب كذلك،وقد تقدم ما فيه،ثم إن المعنى على هذا التوجيه أن يكون ذلك أدبٌ من السحرة،حيث راعوا هارون عليه السلام لكبر سنه،وهذا يعارضه أدبٌ آخر كان على السحرة أن يلتزموا به،وهو تقديم موسى عليه السلام؛لأنه الأولى فهو الأصل في

---

(١)إرشاد العقل السليم ٦/٢٨-٢٩،وانظر تفسير البيضاوي ج٤/ص٦١،روح المعاني ١٦/٢٣٠،وفي كتب توجيه المتشابه اقتصروا على مراعاة الفواصل انظر درة التنزيل ٢/٦٦٤،البرهان للكرماني ص ١٩٨-١٩٩،ملاك التأويل ١/٥٦٩،كشف المعاني ص ١٩١.

الرسالة،وأخوه تابعٌ له،وهم في حال إعلان إيمان وتوبة،فكان أن يقدموا صاحب الآية حيث الإيمان له!.

وأما ما ذكروه من رفع توهم فرعون أن يكون السجود لأجله،فهذا يكفي في بيان ضعفه حكايته!.

وقد رأيت توجيهاً حسناً،للدكتور محمد أبو موسى في كتابه الإعجاز البلاغي تلمس فيه محل العبرة في سورة طه،حيث يقول:«أما تقديم هارون على موسى في آية طه ففيه إشارة معنوية لا تكون لو أخر،وذلك أن موسى وهارون عليهما السلام وإن حملا معاً أمر الله: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾(طه ٤٣)إلا أن موسى عليه السلام هو الأصل فهو الذي خوطب: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾(طه ٤٢)وهو الذي أوتي الكتاب وأيد بالحجة وهذا يجعل لقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ معنىً ليس في قولهم:"آمنا برب موسى وهارون"؛لأن بدءهم بمن ليس أفضل دال على قوة الاقتناع بالحجة والإيمان بها،وذلك لأن الآية لم تظهر على يد هارون ولم يكن هو الغالب وليس في تقديم موسى الذي لَقَفَتْ عصاه ما صنعوا شيئاً يلفت لأنه هو الأصل،أما تقديم من لا دخل له في المعجزة التي عليها آمنوا فهو الأمر اللافت لأنه جاء على خلاف الأصل،ويلاحظ أن سياق سورة طه فيه فضل عناية ببيان حفاوة السحرة بهذه المغالبة ،واحتشادهم لها احتشاداً جعل موسى عليه السلام يقول لهم بعد ما جعلوا موعدهم يوم الزينة: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾(الآية ٦١)...ومن آيات احتشادهم أنه تذاكروا خطر موسى وهارون على هيبتهم في قومهم وفي أرضهم: ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾(الآية ٦٣) وهذا دافع تستفرغ به ما في النفوس ليحققوا الغلبة.

وقالوا أيضاً: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾﴾(الآية ٦٤)...»[(١)].

وعندي أن ما ذكره من دلالة ما في طه على قوة اقتناع السحرة هو الجواب،وهو جوابٌ له تتمة،وتتمته هو ما يدل عليه سياق طه الذي قررناه،وذلك أن قوة الاقتناع أمرٌ أعلنه السحرة فسمعه الجميع فرعون وأعوانه،وعلموه قوة اقتناع وشدة إيمان،فتحقق بهذا قوة النصر للنبيين الكريمين عليهما السلام،وتبين لطف الله بهما بعد هذا الاحتشاد والشدة في المغالبة،حين أعلن أهل المغالبة المباشرين لها قوة إذعانهم وخضوعهم،وعليه فإن الخبر هنا في طه كان غرضه بالقصد الأول بيان حال موسى وهارون عليهما السلام لا حال السحرة ،كما كان في سابقيه.والله أعلم.

الموضع الثالث عشر:في الأعراف:﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾،وفي طه والشعراء الفاعل مضمر:﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾.

نوعه:تشابه بالإضمار والإظهار.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد أظهر في الأعراف،وكان السياق سياق محاورة بين فرعون والسحرة،والسورة تستقصي الخبر،وقد أظهرت قبل حرص الملأ من قوم فرعون،واهتمامهم لهذا الأمر،ومشورتهم لفرعون،ثم بينت بعد ذلك قدوم السحرة على فرعون ومحاورتهم له،وكان فرعون هو الذي تولى هذا الأمر بنفسه،فلما آمن السحرة كان المهدد لهم فرعون نفسه،فأظهر في هذه السورة ليبين ما هو من شأن فرعون مما هو من شأن الملأ،وليبني على ذلك تتمة الخبر بذكر ما هو من شأن الملأ في الظلم والعدوان،وذلك أن فرعون لما هدد السحرة بما هددهم به وقد كانوا هم المؤمنون من آل فرعون،بقي أمر المؤمنين من بني إسرائيل،وهؤلاء قد تولى كبر الكيد لهم الملأ،فقد ألبوا فرعون عليهم،وقد عطفت الآية التي تبين مكيدة الملأ بالواو على قول فرعون للسحرة،كما قال تعالى :﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ

(١)الإعجاز البلاغي ص ١٩٩-٢٠٠.

فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾(الأعراف ١٢٧)،لتدل على أنها في حيزها وأن فرعون بعد هزيمته قد تولى أمر السحرة،وملأه قد تولوا أمر بني إسرائيل،فكان الإظهار في الأعراف تأسيساً لما بعده، كما كان بياناً لما هو من شأن فرعون مما هو من شأن الملأ،والسورة بهذا تستقصي الخبر،وهذا ما لم يكن في السورتين الأخريين،والله أعلم.

أما طه والشعراء فكان الإضمار فيهما هو الأصل، وليس للإظهار غرض؛فإن قول فرعون كان في سياق المحاورة مع السحرة،والكلام كله عنه و لم يكن عن الملأ إخبارٌ حتى يميز ما بينهما،كما أنه لم يقصد في السورتين استقصاء الخبر،والله أعلم.(١)

الموضع الرابع عشر:في الأعراف:﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾،وفي طه والشعراء:﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾.

نوعه:إبدال حرف بحرف،فقد عدى الفعل في الأعراف بالباء،بينما عداه في طه والشعراء باللام.

قال ابن تيمية –رحمه الله-:«يقال للمخبِر آمنا له،وللمخبَر به آمنا به»(٢).

والتعدية باللام تفيد تضميناً في الفعل،فيكون الفعل مع دلالة على لفظ الإيمان دالاً على معنى فعل آخر،وهو الانقياد والاتباع على ما يفيده حرف اللام.

قال أبو السعود-رحمه الله-:«قال أي:فرعون للسحرة:﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾أي: لموسى عليه السلام،واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع»(١).

---

(١)وجه الإسكافي ذلك بأنه أظهر في الأعراف؛لأنه بين المظهر وأقرب اسم مظهرٍ لفرعون عشر آيات،وهو فصل طويل فأظهر،وأما الفصل في طه فكان سبع آيات وفي الشعراء ثمان آيات،وهو أقصر مما في الأعراف ولهذا فقد أضمر.ولا يخفى ما في هذا التوجيه من الضعف؛لأن معنى توجيهه هذا أن الإظهار في الأعراف كان لخوف اللبس من طول الفصل،والصحيح أن اللبس غير وارد ولو أضمر في الأعراف لم ينصرف إلا إلى فرعون،كما أنه لا فرق كبير بين العشر والثمان إذا اعتبرنا هذا الغرض.والله أعلم.انظر درة التنزيل ٢/٦٦٨-٦٧٠.

(٢)الفتاوى ٧/٥٢٩.

وبهذا يتبين أن الأعراف ذكرت أن فرعون كان يؤنب السحرة على إيمانهم بالرسالة،وفي السورتين الأخريين كان يؤنبهم على الإيمان لموسى عليه السلام خاصة،وهما أمران متلازمان،لكن يبقى السؤال المعروف:لماذا خص كل موضع بما خص به؟والجواب عن هذا –بإذن الله– نأخذه من دلالة السياق.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لما كانت الأعراف تقص القصة وتثبت الخبر،فإنها بينت بالقصد الأول موقف فرعون من هذه الرسالة التي جاء بها موسى عليه السلام،فساقت موقفه منها في تهديده للسحرة،وتأنيبه لهم على الإيمان بها.وقد كان موقفه من موسى عليه السلام معلوماً من هذا الموقف؛لأن الأمرين متلازمان.

أما طه فإنها كانت تتحدث عن موسى عليه السلام،وتبين لطف الله به،ومن ذلك أنها بينت موقف فرعون منه عليه السلام،ببيانها تهديد فرعون للسحرة على انقيادهم واتباعهم لموسى عليه السلام،فكانت السورة بهذا تبين ضراوة فرعون في عداوته لموسى عليه السلام،فتبين لطف الله بنبيه ونصره له.

وأما الشعراء فإنها تكشف حال فرعون،وأنه كان منافراً لموسى عليه السلام،فلم يكن إعراضه لأن الحق لم يظهر له،بل ؛لأنه كان معادياً للرسول،وحاله هذا كحال الكفار المنافرين للنبي ﷺ سواءً،وهذا هو سياق الشعراء،والله أعلم.

الموضع الخامس عشر:في الأعراف:﴿**إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا**﴾ ،وفي الأخريين:﴿**إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ**﴾.

نوعه إبدال جمل.

أثر السياق في توجيه المتشابه

لقد كان هذا الموضع تابعاً للموضع السابق،فهو كالتعليل للذي قبله:

أما الأعراف فإنه لما كان الموضع السابق يبين موقف فرعون من الرسالة،وأنه رفضها برفضه ظهور الحجة في غلبة موسى ﷺ،فإن هذا الموضع يبين ذريعته الواهية في رده

---

(١)إرشاد العقل السليم ٢٩/٦،وانظر جامع البيان ١١٤/١٦،تفسير البيضاوي ج٤/ص٦١،روح المعاني ج١٦/ص٢٣١.

الحق،وذريعته أن هذا الأمر الذي حصل إنما هو مكرٌ ومكيدة،لا ظهور حجةٍ وبرهان،فلما كان التقريع من فرعون على الاتباع للحق والرسالة،كان التعليل المطابق له أن يكون بياناً لموقفه من هذا الحق،فلم يكن مناسباً أن يرد هنا ما ورد في السورتين الأخريين؛لأن ما فيهما كانت الذريعة الفرعونية فيه تعلل الاتباع لموسى عليه السلام لا للرسالة.

أما طه فإنه لما كان الحديث فيها عن موسى عليه السلام،وموقف فرعون منه في الموضع السابق،وكان يهدد السحرة على اتباعهم لموسى عليه السلام،فإن المناسب أن يذكر من شأن فرعون ذريعته التي يحاول بها إبطال اتباع السحرة لموسى عليه السلام،وكانت هذه الذريعة:أن موسى عليه السلام هو الساحر الأكبر الذي علم السحرة السحر،وبهذا يتطابق تهديد فرعون وتعليله،ولو ذكر ما في الأعراف هنا لم يتطابق التهديد مع التعليل،والله أعلم.

أما الشعراء فإنه يقال فيها مثل ما قيل في طه،وهذا التهديد والتعليل من فرعون،يبين بوضوح وجلاء أن فرعون كان منافراً للحق وهو يعلمه؛لأن ما علل به أمرٌ واهٍ يعلم بطلانه كل أحد،فالحجة قائمةٌ عليه وعلى قومه،ولكن لم يشأ الله لهم الهداية،وفي هذا من تأنيس النبي ﷺ ما هو ظاهر.والله أعلم.

الموضع السادس عشر:في الأعراف:﴿**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ ،وفي الشعراء:﴿**فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ ،وفي طه ذكر العقوبة مباشرة .

وفيه نوعان من التشابه:

أحدهما :زيادة جملة في الأعراف والشعراء عما في طه.

الثاني:زيادة حرف في هذه الجملة في الشعراء عما في الأعراف.

إن هذه الجملة المزيدة في الأعراف والشعراء،تبين تهديداً مجملاً من فرعون قبل تهديده المفصل،وهذا التهديد المجمل يفيد التهويل والترهيب.

قال أبو السعود-رحمه الله-:«﴿**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾،أي: عاقبة ما فعلتم، وهذا وعيد ساقه بطريق الإجمال للتهويل، ثم عقبه بالتفصيل،فقال:﴿**لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ**

﴿وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾،أي:من كل شق طرفا،﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ تفضيحاً لكم وتنكيلا لأمثالكم»[(١)].

وأما زيادة اللام في الشعراء،فإنها تفيد التوكيد.

قال ابن الجوزي-رحمه الله-:«قوله تعالى:﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾،قال الزجاج: اللام دخلت للتوكيد»[(٢)]،والسياق يبين لنا -بإذن الله- السر في هذه الزيادات.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إن مناسبة زيادة التهديد المجمل في الأعراف،هو ما تبينه هذه الزيادة من تفصيل الخبر،فإنه يتبين بها أن فرعون هدد أولاً بإجمال،ثم هدد ثانياً بتفصيل العقوبة.

وأما خلوها من زيادة اللام،فهو لما في اللام من معنى التأكيد الذي يبين مزيد وصفٍ لحال فرعون،ولم يكن لهذا الوصف غرض في الأعراف؛لأنها تسجل الخبر بتفصيله،وموضع العبرة في الأعراف هو من سياقها للقصة بتفاصيلها.

أما الشعراء فقد وردت بها زيادة الجملة المجملة للعذاب؛لأنها تبين حال فرعون في مغالبته للحق ،فتبين شدته وضراوته على أهله،فكان لا بد من ذكر الإجمال،إذ الإجمال هو المبين لحال فرعون،ومن وجه آخر فقد كانت الشعراء تبين أمر الهداية،وهي هنا تبين حال السحرة المهتدين،وكيف صبروا على الهداية،مع شدة ما يفعله فرعون معهم،ولهذا السبب نفسه أتت زيادة اللام عما في الأعراف،؛لأن هذه اللام تبين ضراوة فرعون وشدته،وتبين أيضاً صبر السحرة وهدايتهم،والهداية أمرها إلى الله،والله أعلم.

وأما طه فإنها قد خلت من جملة الإجمال هذه،بل فصلت حال التهديد مباشرةً؛لتبين صبر السحرة على ما يريده فرعون لهم من الفتنة عن دينهم،والإجمال يذهب بشيء من المعنى إلى غيرهم،على ما يعطيه الإجمال من وصف حال فرعون،وعلى ما يذهب به الإجمال من تكريس الاهتمام على العقوبة المفصلة الشاقة،وبيان صبر هؤلاء السحرة

---

(١)إرشاد العقل السليم ٣/٢٦١.

(٢)زاد المسير ٦/١٢٤.

على دينهم هو المناسب لما ترومه سورة طه من معالجة أحوال المؤمنين المستضعفين الذين يفتنون عن دينهم إبان نزول السورة،والله أعلم.

الموضع السابع عشر: في الأعراف:﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾،وفي طه والشعراء:﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُم﴾.

نوعه:إبدال حرف بحرف ففي الأعراف عطف بـ:﴿ثُمَّ ﴾وفي طه والشعراء عطف بالواو،ومن المعلوم أن ثم تفيد التشريك والترتيب والمهلة،وأما الواو فتفيد مطلق الجمع[(١)].

قال صاحب التحرير والتنوير:«دلت﴿ثُمَّ ﴾ على الارتقاء في الوعيد بالصلب،والمعروف أن الصلب أن يقتل المرء مشدوداً على خشبه»[(٢)]،وما ذكره هنا ليس معنىً جديداً لثم،بل هو من معناها،وذلك أن الارتقاء فيه مهلة وترتيب بين المعطوف والمعطوف،لارتقاء رتبة المعطوف على رتبة المعطوف عليه،ولكنه لم يذكر سبب هذا الارتقاء في الأعراف.

ثم وضع صاحب التحرير احتمالاً آخر لمعنى الآية،وهو أن تكون ﴿ثُمَّ ﴾تدل على الترتيب والمهلة الزمنية،وعلله بقوله:«ولعل المهلة قصد منها مدة كي واندمال موضع القطع»[(٣)].

والذي يظهر لي –والله أعلم-:هو أن﴿ثُمَّ ﴾تدل على الترتيب والمهلة الزمنية؛لثلاثة أمور:

أحدهما:أن هذا هو الأصل في معناها.

---

(١)انظر مغني اللبيب ١/١١٧،٢/٣٥٤.

(٢)التحرير والتنوير ٩/٥٥

(٣)السابق٩/٥٥.

الثاني:أن الصلب في الترتيب الزمني بعد القطع،وذلك أنه لا يظن أن فرعون يصلبهم ثم يذهب يقطعهم على رؤوس النخل،وإذا كان كذلك فإنه لا يصار إلى التعليل بغير المهلة الزمنية إلا إذا تعذر الحمل عليها.

قال ابن الزبير-رحمه الله- عن(ثم):«وتكون للتباين في الصفات والأحكام وغير ذلك مما يحمل به ما بعدها على ما قبلها من غير قصد مهلة زمانية،بل ليعلم موقع ما يعطف بها وحاله»[(١)].

ثالثاً:أن في المهلة الزمنية غرضاً من أغراض فرعون اللعين،وهو زيادة تخويف من يخشى منه اللحاق بهم؛لأن في الإمهال في العذاب والتفريق بينه إظهاراً لأمره وإشاعةً له حتى يعلم به الناس جميعاً،وعليه فإني لست أرى صواباً لما ذكره ابن عاشور،من أن الإمهال كان حتى يكوى ويندمل القطع.وفي دلالة السياق ما يعضد هذا،والله أعلم.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إن تميز الأعراف بالعطف بحرف:﴿ثُمَّ﴾ إنما هو لما بنيت عليه السورة من تسجيل التأريخ،وذلك أنها بهذا تبين حال تهديد فرعون بتفصيله،ثم إن السورة بما ذكرناه من غرض فرعون في المهلة الزمنية تسجل خبراً وتبين حالاً من أحوال فرعون كما هو شأن السورة في ذلك،والله أعلم.

وأما طه فإن في العطف بالواو بياناً لمطلق الجمع،وسياقها ينظر إلى وصف حال السحرة في هذا الابتلاء،ويبين صبرهم،وهو محل العبرة من قصتهم،فكانت الواو هي التي تبين هذا الأمر؛لأنها تبين تكالب أنواع العذاب،وجمع العقوبات عليهم،وهم صابرون،وردهم على ما هددهم به فرعون من جمع العقوبات عليهم أبلغ برهان على إيمانهم وتمسكهم بالدين الحق،وخير أسوة يأتسي بها من يفتن في دينه.

قال الشنقيطي -رحمه الله-:«وهذا يدل على أن أولياء الله يمتحنون دائماً في الله،فخير ما تكون فيه المحنة:المحنة في الله،فعلى المسلم إذا ابتلي في دينه وامتحن في الله أن

---

(١)ملاك التأويل ٥٧٤/١،وابن الزبير يرى أن (ثم) في الأعراف لتباين الحال ،وذلك أنه يرى أن ما في الأعراف من ظهور شأن السحرة وتأثيرهم،ومن غضب فرعون أشد من غيره،والذي يتقرر في هذا البحث خلاف هذا على ما هو بينٌ في سياق السور،وتوجيه المتشابه،والله أعلم بالصواب.

يصبر ويصمد،ويعرف أن هؤلاء السحرة أوعدوا بقطع أيديهم وأرجلهم ،والصلب في جذوع النخل ،وهم مع هذا صامدون صابرون لا يلتفتون إلى فرعون،بل يقولون له :﴿ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾ (طه ٧٢)فالله قص علينا خبر هؤلاء لنعتبر بهم كما قال:﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(يوسف ١١١)،فإذا جاءتنا أذية وبلايا في ديننا فعلينا أن نصبر على المحن بالغة ما بلغت،ولا نتلاشى ولا نضعف ،ولا نضيع ديننا ؛لأن خير ما يبتلى الإنسان فيه ويصمد ويصبر هو دينه.»[(١)] .

وأما الشعراء فإنها تبين شدة فرعون وتجبره،وجمعه للعقوبات على السحرة هو الذي يصف ذلك ويبينه،وذكر المهلة الزمنية يضعف هذا،كما أن السورة تبين تمسك السحرة بالهداية،وهو أمرٌ تشرك فيه طه،وقد بينا ما هنالك،والله أعلم.

الموضع الثامن عشر:في الأعراف والشعراء زيادة:﴿أَجۡمَعِينَ ﴾،وليست هذه الزيادة في طه.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد سبق وبينا في الموضع العاشر سبب اختصاص الأعراف والشعراء بوصف خضوع السحرة وإذعانهم بقوله:﴿ سَٰجِدِينَ ﴾وسبب اختصاص طه بقوله:﴿ سُجَّدٗا﴾،وأن الذي في الأعراف والشعراء يبين حال السحرة جميعهم،على اختلاف المأخذ في ذلك،وأما الذي في طه فيبين سجود الجمع الكثير من غير قصد إلى أعيانهم،وهذا الموضع ينبني على توجيه ذلك الموضع؛وذلك أن الأعراف لما وصفت حال السحرة بأعيانهم جميعهم،بينت حال فرعون منهم جميعاً،وحاله أنه لما رأى سجودهم جميعهم،فإنه سيعذبهم جميعهم،وهذا في الأعراف من تتمة الخبر،وفي الشعراء من بيان عتو فرعون وصلفه،وأما طه فلم تقصد الأعيان فلم يرد فيها هذا التأكيد،كما أن العبرة هنا من صبر

---

(١)العذب النمير ٤/١٥١٣.

السحرة على شدة العذاب،لا بيان حال الجمع في نزول العذاب عليهم،ولا حال فرعون فيما رامه من إيقاع العذاب،والله أعلم.

الموضع التاسع عشر:في طه زيادة ذكر محل الصلب وهي جذوع النخل:﴿ **وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ** ﴾.

نوعه :تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كانت هذه الزيادة التي اختصت بها طه هي المناسبة لسياقها؛وذلك أن هذه الزيادة تبين بالغ صبر السحرة على ما يفتنون به،بما تبينه هذه الزيادة من شدة العذاب الذي هددوا به.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-:«ولذا هددهم فرعون بأعظم تهديد وهو أن يقطع يد الواحد اليمنى ورجله اليسرى ويصلبه على جذع النخلة ،وجذع النخلة هو أخشن جذع خلقه الله في الأشجار،وهذا عذاب شديد»[(١)].

فتبين بهذا عظيم صبر السحرة على الفتنة في الدين،وهو محل التأسي من فعلهم الذي كان يناسب حال المؤمنين الذين يفتنون في دينهم،والله أعلم.

الموضع العشرون:اختلف جواب السحرة لتهديد فرعون،ففي الأعراف:﴿ **قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾** ﴾،وفي طه:﴿ **قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾** ﴾،وفي الشعراء:﴿ **قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾** ﴾

---

(١)العذب النمير ٤/١٥١٠.

وفي هذا الموضع نوعان من المتشابه:

أحدهما:زيادة في الشعراء كلمة:﴿لا ضَيْرَ﴾ عما في الأعراف،وأما طه فقد كان رد السحرة مختلفاً لا تشابه بينه وبين السورتين:﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾،ثم إن الأعراف والشعراء قد انفرد كل منهما بعد التشابه بتعقيب مختلف لقول السحرة،فكان التعقيب في الأعراف:﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾،وأما الشعراء فكان التعقيب فيها:﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾.وهذا هو النوع الثاني،وهو تشابه بإبدال الجمل.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد أتمت الأعراف الخبر عن السحرة بما انفردت به من الخبر عنهم؛وذلك بما سجلته من كامل الرد من السحرة على فرعون:

فقد ردوا على تهديده بإعلانهم إيمانهم بالله وأن مصيرهم إذا هو قتلهم إنما هو إلى الله،ثم دعاؤهم في آخر أمرهم بأن يفرغ عليهم ربهم الصبر ويتوفاهم مسلمين.

وردوا عليه في دعواه أن إيمانهم مكرٌ ومكيدة،بأن أعلنوا له أنه إنما نقم منهم لإيمانهم،مع علمه بالحق.ولم يرد هذا الرد الأخير من السحرة في السورتين الأخريين؛لأنه لم يرد فيهما إلا ما يناسب سياقهما،على ما يأتي بيانه-بإذن الله-،وبهذا يتبين أن الأعراف قد استقصت الخبر كما هو حالها دائماً

ولما لم تكن ناظرةً إلى حال السحرة بخصوصه ولا إلى حال فرعون بخصوصه،بل بتسجيل القصة بما فيها من العبرة والعضة،فإنه لم يرد فيها ما ورد في الشعراء من

الزيادة: ﴿لا ضَيْرَ﴾؛لأن تلك الزيادة كانت تعنى بشأن خاص من أحوال السحرة يناسب سياق الشعراء،و لم يكن لها غرض في الأعراف فخلت منها، والله أعلم

أما طه فإن مناسبة ما ذكر فيها من قول السحرة لسياقها،هو أن هذه السورة كانت تخاطب النبي ﷺ والصحابة وهم في حال استضعاف ورهق من أعداء الله،وقد كان السحرة في حال استضعاف ورهق شديد من فرعون بعد إعلانهم لإيمانهم،فكانت حالهم قد توافقت مع حال المستضعفين من المؤمنين، فكان المناسب لذلك أن يقص ويذكر للمؤمنين من حال السحرة ما هو على وفق حالهم،تأنيساً لهم وتثبيتاً لقلوبهم على دين الله،وقد ظهر من اعتداد السحرة وحفاوتهم بآيات الله ما لم يظهر في غيرها،وقد جعلوا كل ما يمكن أن يقضيه فرعون من السوء في حقهم مقابلاً لصبرهم على الحق،وأظهروا إعراضهم عن الدنيا في مقابل ذلك،وانتظار ما عند الله من الثواب والأجر. والله أعلم

وأما الشعراء فقد أظهرت حفاوة السحرة بالهداية، بما تميزت به من الزيادة عن الأعراف في قوله: :﴿لا ضَيْرَ﴾،والمعنى:«لا حرج ولا يضرنا ذلك ولا نبالي به»[(١)] ،وكذا بما تميزت به من تتمة حكاية قولهم،فقد أظهروا طمعهم بغفران ذنوبهم،متوسلين إلى ذلك بمبادرتهم إلى الإيمان،وسرعتهم إلى الهداية.وقد ذكرنا في الموضع التاسع من هذا المقطع: أن الشعراء تلحظ أمر هداية السحرة في متشابهها وهذا منه،وقد كان سياق الشعراء يؤنس النبي ﷺ حتى لا يذهب به الحزن على إيمان قومه،فهاهي الهداية من الله،فقد آمن السحرة،بل واشتد تمسكهم بالدين ،وظهر من توبتهم وإنابتهم، على حداثة عهدهم بالإيمان،وظهر من عتوّ أولئك،وشدة كفرهم،بعد ما رأوه من الآيات،ومن تلك الآيات إيمان السحرة وشدة تمسكهم بالدين،ما يحقق أن الهداية بيد الله.والله أعلم.

---

(١)تفسير ابن كثير ٦/١٤١.

المقطع السادس

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾(الأعراف ١٣٤،١٣٥).

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾(الزخرف٤٩، ٥٠).

مواضع التشابه ونوعه:

الموضع الأول:في الأعراف:﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى﴾،وفي الزخرف:﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾.

نوعه :تشابه بالإبدال.

ولقد اختلف العلماء هل خطاب آل فرعون لموسى عليه السلام بالساحر خطاب تكريم؛لأنهم كانوا يعظمون السحر ولا يرونه نقصاً،أم أنه خطاب إهانةٍ وتحقير[(١)]،والذي يظهر –والله أعلم– أنه خطاب إكرام.

قال ابن كثير–رحمه الله–مرجحاً ومعللاً:« وكلما جاءهم آية من هذه الآيات يضرعون إلى موسى عليه السلام ،ويتلطفون له في العبارة بقولهم:﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ أي: العالم قاله بن جرير،وكان علماء زمانهم هم السحرة، ولم يكن السحر في زمانهم مذموما عندهم، فليس هذا منهم على سبيل الانتقاص منهم؛ لأن الحال حال ضرورة منهم إليه لا تناسب ذلك، وإنما هو تعظيم في زعمهم»[(٢)] .

---

(١)انظر الأقوال في المسالة:الكشاف ٢٥٠/٤،الجامع لأحكام القرآن ٦٥/١٦،إرشاد العقل السليم ٤٩/٨.

(٢)تفسير ابن كثير ٢٣٠/٧،وانظر جامع البيان ٦٠٩/٢٠.

وإن مما يؤيد ذلك أيضاً أنهم وعدوا موسى عليه السلام بالاهتداء والإيمان جزاء كشف العذاب عنهم،فلا يكون نداؤه بالساحر تهكماً على هذا،وقد أخبر الله عنهم أنهم كانوا ينكثون هذا العهد مراراً عند كل آية يكشفها الله عنهم،والله أعلم.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كان الخطاب لموسى عليه السلام في الأعراف باسمه؛لأن السورة تبين الخبر ،والنداء بالاسم هو الأصل في بيان الخبر،وأما النداء بالوصف فإنه يكون لغرضٍ يعطيه معنى الوصف،مع ما يدل عليه السياق.

وقد تبين أن نداءه بالساحر في الزخرف مقصودٌ به التكريم،وقد كانت الزخرف تخاطب قريشاً وتشبه حالهم مع نبيهم ﷺ، بحال قوم فرعون مع موسى عليه السلام،وقوم فرعون كانوا لما أصابهم العذاب من السنين والطوفان والجراد والقمل إلى غيرها من الآيات التي هي عقوبات كانوا يتوددون لموسى عليه السلام بأن يدعو الله حتى يكشف عنهم ذلك،وقد كانت قريش تعلم صدق النبي ﷺ ومكانه عند ربه،فكانوا يحذرون ويرجون دعاءه،ففي الصحيحين[(١)] : أن النبي ﷺ دعا على قريش بالسنين ،فأصابتهم حتى أتاه أبو سفيان،وتودد له وذكره بصلة الرحم،فدعا لهم النبي ﷺ فأزال الله كربتهم،وحالهم هذا قريب من حال آل فرعون في طلبهم دعاء موسى عليه السلام،وفي الصحيحين[(٢)] أيضاً:أن النبي ﷺ لما وضعوا عليه سلى الجزور دعا على قريش،وخص أبا جهل ومن كان معه،فخافوا من دعائه،وفي صحيح البخاري[(٣)] :أن النبي ﷺ أخبر بقتل أمية بن خلف،فلما أخبره سعد بن معاذ-وكان صديقاً له-بذلك قبل بدر فزع أمية وزوجه،ومانع في الخروج إلى بدر،حتى استتبعه أبو جهل لعنه الله،كل ذلك كان خوفاً من إصابته بما أخبر به النبي ﷺ.

---

(١)صحيح البخاري،كتاب الاستسقاء،باب دعاء النبي ﷺ"واجعلها عليهم سنين كسني يوسف"،فتح الباري ٥٧٢/٢برقم(١٠٠٧)،وفي مواضع أخرى،صحيح مسلم،كتاب صفة القيامة والجنة والنار،باب :الدخان ٢١٥٥/٤،برقم (٢٧٩٨).

(٢)صحيح البخاري،كتاب الوضوء،بابٌ:إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته،فتح الباري ٤١٦/١ برقم (٢٤٠)،وصحيح مسلم،كتاب الجهاد والسير،باب:ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ١٤١٨/٣،برقم (١٧٩٤).

(٣)صحيح البخاري،كتاب المغازي،باب :ذكر النبي ﷺ من يقتل ببدر،فتح الباري ٣٢٩/٧،برقم(٣٩٥٠).

إذا تبين هذا فإن ما في الزخرف يظهر قيام الحجة على قوم فرعون،وهو بهذا يشنع على قريشٍ عصيانهم لنبيهم ﷺ،وهم يعلمون صدقه وحاله،ويحذرهم من أن يصيبهم مثل أولئك،الذين شابه حالهم مع نبيهم عليه السلام مثل حال قريش مع نبيهم ﷺ،والله أعلم.

الموضع الثاني: في الأعراف: ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، في الزخرف: ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾.

وفيه نوعان من المتشابه:

أحدهما: الإبدال ففي الأعراف: ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾، وفي الزخرف: ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾، وفي هذا النوع وجهان من المتشابه:

الوجه الأول: كان الوعد في الأعراف بالإيمان، وفي الزخرف بالاهتداء.

الوجه الثاني: كان الوعد في الأعراف بالجملة الفعلية، وفي الزخرف بالجملة الاسمية.

النوع الثاني: الزيادة والنقصان ،فقد زاد موضع الأعراف ذكر إرسال بني إسرائيل.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كانت الآيات في الأعراف في سياقٍ يصف آل فرعون، وموقفهم من موسى عليه السلام بعد الغلبة ،وأنه قد أصابهم من الآيات ما زلزلهم، على ما يبينه وصف الرجز -كما يأتي قريباً بإذن الله-، وكانوا في كل مرةٍ يتمردون على موسى عليه السلام ويتطيرون به، ويعلنوا عدم إيمانهم، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ (الآيات ١٣٠-١٣٢)، فلما تتابعت عليهم الآيات، فزعوا إلى موسى عليه السلام يطلبون منه الدعاء، ولما كان السياق يظهر مجابهتهم لموسى عليه السلام، وكان موسى عليه السلام يريد منهم أمرين، الأول :أن يطيعوه، والثاني: أن يرسلوا معه بني إسرائيل، كان المناسب أن يتقربوا إليه لما فزعوا إليه بالوعد الذي يريد، فأعلنوا أنهم يؤمنون له، وقد تعدى الفعل باللام حتى يبين أنهم

مع الإيمان وعدوه الاتباع،وأكدوا ذلك بالقسم،ثم أعلنوا الوعد الثاني الذي كان ينتظره موسى عليه السلام،وهو أن يرسلوا معه بني إسرائيل،وقد أكدوه أيضاً بالقسم،والله أعلم.

أما الزخرف فقد كانت تشبه حال المشركين بحال آل فرعون فتعظهم بقصتهم،فكان المناسب أن يذكر حال أولئك من الحق الذي جاء به موسى عليه السلام،بعد الذي رأوه من الآيات،فكان أن ذكرت الآيات وعدهم بالاهتداء والدخول في الدين الحق،وكان وعدهم هذا مؤكداً بالجملة الاسمية التي تدل على الثبوت والاستمرار،فتبين مبالغتهم في الوعد،حتى تبين عظيم ذنبهم بالنكث[(١)].

وأما تخصيص الزخرف بلفظ الاهتداء،فقد قال الراغب-رحمه الله-:«الهداية دلالة بلطف»[(٢)]،وهم كانوا يعدون من أنفسهم الهداية،فهم بهذا يعدون دخولاً في الدين،وانقياداً سهلاً لطيفاً،هذا ما يبينه لفظ الهدى،والله أعلم.

كما أن لفظ الهدى يبين أمراً آخر،وهو أنهم يعدون أيضاً هجر ما كانوا عليه من الشرك؛لأن من وعد بالاهتداء فهو مقرٌّ بأن ما هو عليه طريقٌ لا هدى فيه ولا دلالة،وهو عازمٌ على الانتقال عنه إلى الطريق الدال،وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله،الذي تدعو هذه السورة المشركين إليه.

ولم تذكر الآيات وعدهم بإرسال بني إسرائيل؛لأنه لم يكن له غرض في هذا السياق،والله أعلم.

الموضع الثالث:في الأعراف:﴿**فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ**﴾،وفي الزخرف:﴿**فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ**﴾.

---

(١)وليس من السديد ما ذكره بعضهم من أن ما في الزخرف يفيد إعلانهم إيمانهم،ثم ارتدادهم-انظر هذا القول في الجامع لأحكام القرآن ٦٦/١٦،روح المعاني ٨٨/٢٥-،بل الصواب أنه وعدٌ مؤكد،كما يبين ذلك موضع الأعراف.والله أعلم.

(٢)المفردات ص ٨٣٥،وانظر معجم مقاييس اللغة ص ١٠٦٦-١٠٦٧.

قال ابن فارس-رحمه الله-:«الراء والجيم والزاء أصل يدل على اضطراب.من ذلك الرَّجَزُ داء يصيب الإبل في أعجازها ،فإذا ثارت الناقة ارتعشت فخذاها،ومن هذا اشتقاق الرجز من الشعر؛لأنه مقطوع مضطرب»[(١)].

قال الأزهري-رحمه الله-:«قال أبو إسحاق:ومعنى الرجز في العذاب:هو العذاب المقلقل لشدته،قلقلةً شديدة متتابعة»[(٢)].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-:« والرجز المذكور في الأعراف هو بعينه العذاب المذكور في آية الزخرف»[(٣)].

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كان الرجز في الأعراف عذاباً،لكنه ذكر بالوصف الذي يبين حاله؛لأن السورة تقتص الخبر وتبين تفاصيله كيف وقعت؟ ولهذا فقد عددت السورة أنواع ذلك العذاب أولاً،من السنين والطوفان والجراد وغيرها،ثم وصفته بأنه كان رجزاً مزلزلاً مقلقلاً،فهي بهذا تصف حال العذاب،وتصف أيضاً حال من وقع عليه العذاب،وأن نكوثهم كان عن عظيم عصيانٍ وشدة تمرد.

أما الزخرف فإنها كانت تعظ المشركين،فكان المناسب أن تذكر العذاب باسمه؛وذلك لأمرين:

أحدهما:أن لفظ العذاب يدل على من وقع منه العذاب،وهو الله وهذا هو المناسب للزجر.

الثاني:أنه لم يكن مراداً تهديد وتخويف المشركين بأعيان عقوبات آل فرعون،بل كان المقصود إيقاع التخويف عليهم بجنس العذاب،ولهذا-والله أعلم-فإن الآيات لم تعدد قبل هذه الآية أنواع العذاب الذي وقع على آل فرعون،بل ذكرها مجملة،ثم وصفتها بالكبر المتزايد حتى تدخل الرهبة في نفوس الموعوظين،قال الله تعالى:﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا

---

(١)معجم مقاييس اللغة ص ٤٤٢-٤٤٣،وانظر تهذيب اللغة ١٠/٦١٠-٦١٣،المفردات ص ٣٤١-٣٤٢.

(٢)تهذيب اللغة ١٠/٦١١.

(٣)أضواء البيان ٧/٢٥٥،وليس هناك دليل لما ينسب لابن عباس وابن جبير: من أن الرجز طاعون أصاب آل فرعون،انظر جامع البيان ١٠/٣٩٩-٤٠١،زاد المسير ٣/٢٥١،وخير ما يفسر به القرآن هو القرآن.

هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾(الآيـــة ٤٨).والله أعلم.

الموضع الرابع:زاد في الأعراف:﴿إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ﴾ عما في الزخرف.

نوعه:تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كانت الزيادة في الأعراف غرضاً من أغراض السورة،لما تبينه من التفاصيل التي تعنى بها السورة،والتي تتم الخبر،وهذا ظاهر؛لأن المقصود بهذا الأجل الذي أجلوا له هـــو نهايتهم،إما بالغرق لمن غرق منهم،أو بالموت لمن مات قبل ذلك و لم يغرق.

قال ابن جرير –رحمه الله–:«﴿إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ﴾ ليستوفوا عذاب أيامهم التي جعلها الله لهم من الحياة أجلا إلى وقت هلاكهم»[(١)].

وأما الزخرف فلم يكن لهذه الزيادة غرض؛لأنها لم تكن تعنى بالتفاصـــيل ،وإنمـــا غرضها وعظ المشركين،وهذا يتم من غير هذه الزيادة،كما أن هذه الزيادة تذهب بشيء من اجتماع النفس في تأمل حال آل فرعون في ســـرعة عصـــيانهم،على مـــا تبينـــه"إذا" الفجائية:﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾.والله أعلم.

(١)جامع البيان ١٠/٤٠٢،وانظر تفسير السعدي ص ٢٦٤.

المقطع السابع

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠﴾ (الأعراف ١٥٠).

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ٨٦﴾ (طـه ٨٦).

﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤﴾ (طـه ٩٤).

مواضع التشابه ونوعه:

الموضع الأول:في آية(٨٦)من طه نداء موسى لقومه بقوله:﴿يَٰقَوۡمِ﴾،وليس ذلك في الأعراف.

نوعه:تشابه بالزيادة والنقصان.

الموضع الثاني:في الأعراف كان عتاب موسى عليه السلام لقومه بقوله:﴿بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ﴾،وأما في طه فقال:﴿أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾.

نوعه :تشابه بالإبدال،إبدال الجمل.

إن هذا الخطاب في الأعراف من موسى عليه السلام يحتمل أن يكون لعبدة العجل،ويحتمل أن يكون لهارون عليه السلام ومن معه من المؤمنين.

قال الزمخشري-رحمه الله-:«﴿خَلَفْتُمُونِي﴾:قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي،وهذا الخطاب،إما أن يكون لعبدة العجل من السامري وأشياعه،أو لوجوه بني إسرائيل وهم هارون عليه السلام والمؤمنون معه،ويدل عليه قوله:﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾(الآية ١٤٢) ،والمعنى بئس ما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله،أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله»[(١)].

وأقوال المفسرين في هذا الخطاب هي كما ذكره الزمخشري هنا،ثم منهم من يرجح أن يكون الخطاب لهارون عليه السلام ومن معه من المؤمنين؛لما ذكره الزمخشري من الاستدلال،ولأن حقيقة الاستخلاف لا تكون إلا لهم.

قال الشنقيطي-رحمه الله-:«وهذا أظهر ؛لأنه قال لهارون:﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(الآية ١٤٢).ولم يقل للسامري وعبدة العجل إنهم يخلفونه في قومه،وهذا معنى قوله:﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ﴾.»اهـ[(٢)].

ومن العلماء من يجمع بين القولين فيجعل الخطاب للفريقين[(٣)].

والذي يظهر لي-والله أعلم-هو أن أول الخطاب،وهو قوله تعالى:﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ﴾ موجه إلى هارون عليه السلام ومن معه من المؤمنين؛لما سبق ،وأما الشطر الثاني،وهو قوله تعالى:﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ فكان موجهاً إلى عبدة العجل،وأقوال المفسرين في هذا الشطر الثاني على ذلك.

قال الشنقيطي -رحمه الله-:«﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ للعلماء في هذه الآية أقوال متقاربة ،وخير ما يفسر به القرآن: القرآن؛لأن آية طه كالتفسير لآية الأعراف هذه...والدليل على أن هذا هو تفسير الآية الصحيح:أن الله قال في سورة طه:﴿فَرَجَعَ

---

(١)الكشاف ١٥٥/٢.

(٢)العذب النمير ١٥٨٢/٤.

(٣)انظر إرشاد العقل السليم ٢٧٤/٣،التحرير والتنوير ١١٤/٩.

مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾﴾ (طـه:٨٦)هذا هو الأظهر في معنى الآيـة الكريمـة : ﴿بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ﴾ أعجلتم عن أمـر ربكـم بانتظـار موسـى عليه السلام ،وانتـهاء الوعد،وإتيانكم بكل خير تصلح به دنياكم وآخرتكم،عجلتم عن هذا كله ،وعبدتم العجل ،وكفرتم بالله والعياذ بالله.»[1] .

وبهذا يتبين أن هذا الشطر الثاني لا يصلح خطاباً لهارون عليه السلام ومـن معـه مـن المؤمنين.

أما طه فإن خطاب موسى عليه السلام فيها كان مع عبدة العجل بلا ريب،وفي التوجيه يتبين –بإذن الله–سبب تخصيص كل موضع بما اختص به.

أثر السياق في توجيه الموضعين السابقين:

لقد تبين فيما تقدم أن موسى عليه السلام قد خاطب في الأعراف كلا الفريقين،وكـان هذا هو المناسب لاقتصاص الخبر؛فإنه بهذا يتبين حال موسى عليه السلام مع من أطاعه،وحاله مع من عصاه،وكذا يتبين حالهم هم معه،وهذا ظاهر.

وبهذا يتبين أيضاً السر في أنه لم يخاطبهم في بداية كلامه بقوله:﴿يَٰقَوۡمِ﴾ كما في طه؛وذلك أنه لم يكن يخاطب في كلامه فريقاً واحـداً،فأول خطابـه للمتبعين،وآخـره للعاصين،ولو صدر كلامه بقوله:﴿يَٰقَوۡمِ﴾ لكان المخاطبون كلهم قد استخلف ،وكلهم قد عجل عن أمر ربه،وهذا لم يكن كما تقدم،والله أعلم.

أما طه فقد تبين فيما تقدم الوجه في خطابه لهم بقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾،وهو أنهم فريق واحد،وأما سبب اختياره لهذا الخطاب،فهو تمهيدٌ حسنٌ للومهم.

---

(١)العذب النمير ٤/١٥٨٢-١٥٨٣.

قال ابن عاشور –رحمه الله-:«وافتتاح الخطاب بـ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ تمهيدٌ للّوم ؛لأن انجرار الأذى للرجل من قومه أحق في توجيه الملام عليهم،وذلك قوله:﴿فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾»[(١)]،ويتضح صواب هذا إذا تأملنا ما اختصت به طه من خطاب موسى عليه السلام لعبدة العجل؛فإنه ذكرهم بما يقرر هذا النداء،ويعظم عليهم الشناعة فيما ارتكبوا،وذلك أنه خاطبهم فقال:﴿أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًا﴾،وهذا الأسلوب من أساليب القرآن ينقلب فيه المضارع ماضياً؛لأن (لم) حرف قلب،وينقلب فيه النفي إثباتاً؛لأن الهمزة الداخلة على (لم) مضمنة معنى الإنكار،فيتسلط النفي الكامن فيها على النفي الذي في (لم) فينفيه،ونفي النفي إثبات،وأما الاستفهام فهو استفهام تقرير.[(٢)]

قال الشنقيطي-رحمه الله-:«الاستفهام في (ألم)في جميع القرآن هو استفهام تقرير ،والمقرر في فن المعاني أن المراد باستفهام التقرير :هو حمل المخاطب على أن يقر ويقول :بلى»[(٣)]،وعليه فالمراد حمل المخاطبين على أن يقروا ويقولوا :بلى وعدنا ربنا وعداً حسناً،فكان تقريرهم تعظيماً للشناعة عليهم،وإقامةً للحجة،وهذا ظاهر،ثم قال أيضاً في خطابهم:﴿أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾،والاستفهام في :﴿أَفَطَالَ﴾ للإنكار،والمعنى: لم يطل عليكم العهد،والعهد هو المدة،فلم يبعد زمن وعد ربكم إياكم،فليس لكم عذر في النسيان،وأما:﴿أَمۡ﴾ في قوله:﴿أَمۡ أَرَدتُّمۡ﴾ فهي المنقطعة[(٤)].

---

(١)التحرير والتنوير ٢٨٢/١٦.

(٢)انظر أضواء البيان ٥٣٧/٤،العذب النمير ١٥٧٢/٤-١٥٧٣،البرهان ٣٣١/٢-٣٣٥.

(٣)العذب النمير ١٥٧٣/٤.

(٤)(أم)تكون متصلة،وهي :الواقعة في العطف،وما قبلها وبعدها كلام واحد،والمراد بها الاستفهام على التعيين،وشرطها:أن تتقدمها همزة الاستفهام،ويكون ما بعدها مفرداً أو في تقديره.والمنقطعة:هي التي فقدت الشرطين أو أحدهما،وتقدر ببل والهمزة.انظر مغني اللبيب ٤١/١-٤٩،البرهان في علوم القرآن ١٨٠/٤-١٨٥.

قال الشنقيطي –رحمه الله-:«والمعنى :بل أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم،ومعنى إرادتهم حلول الغضب :أنهم فعلوا ما يستوجب غضب ربهم بإرادتهم ؛فكأنهم أرادوا الغضب لما أرادوا سببه،وهو الكفر بعبادة العجل.»[(١)].

وأما وجه هذا الخطاب لسياق طه،فهو أن هذه السورة كانت تتلطف بالمستضعفين من المؤمنين في حال ضعفهم،كما هو بينٌ في سياقها في موضعه،وهي تذكر هنا حالاً من أحوال أتباع الرسل الذين فتنوا في دينهم فلم يصبر بعضهم حتى عبد العجل،قال الله عن هذه الفتنة:﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾،وقال لهم هارون عليه السلام أيضاً:﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾﴾.

ولقد كان المؤمنون المستضعفون الذين نزلت هذه السورة تتلطف بهم وتثبتهم كانوا يفتنون عن دينهم،فتشابه الحال،ولهذا –والله أعلم-فإن سورة طه لم تتعرض لحالٍ من أحوال بني إسرائيل بعد النجاة من الغرق،إلا لحال عبادة العجل،وقد أفاضت فيها،حتى بينت نهاية هذا الأمر الذي أراد السامري أن يعيد به بني إسرائيل إلى الشرك بعد أن أنقذهم الله منه،فأتمت الخبر حتى إحراق العجل ونسفه في اليم وإعلان العبادة لله وحده لا شريك،كما كان المشركون في عهد النبي ﷺ يريدون أن يفتنوا المؤمنين المستضعفين فيعيدوهم إلى الشرك،فهذا هو وجه العبرة في إيراد القصة في سورة طه،ووجه تخصيصها بما اختصت به من المتشابه،والله أعلم.

الموضع الثالث:في الأعراف:﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾،وليست هذه الزيادة في طه.

نوعه تشابه بالزيادة والنقصان.

الموضع الرابع:في الأعراف:﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾،وفي طه(آية

---

(١)أضواء البيان ٤/٥٣٥-٥٣٦،وانظر التحرير والتنوير ١٦/٢٨٣.

٩٤): ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾.

وهنا نوعان من المتشابه:

أحدهما:الزيادة والنقصان،فقد زادت طه حرف النداء في إجابة هارون عليه السلام،لأخيه موسى عليه السلام،بقوله :﴿يَبْنَؤُمَّ﴾.

الثاني:تشابه بالإبدال إبدال الجمل،وذلك أن إجابة هارون عليه السلام لعذل موسى عليه السلام قد اختلفت بين السورتين،واختلافها ينبني على معرفة معنى العذل الذي عذله موسى عليه السلام لهارون عليه السلام في السورتين:

أما عذل موسى أخاه هارون عليهما السلام في الأعراف على عدم قيامه بخلافته بمنع بني إسرائيل عن عبادة العجل،وذلك بقوله:﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ﴾،وقد تقدم هذا.

وأما طه فقد عذله بقولـــه:﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾﴾(٩٢، ٩٣).وقد اختلف العلماء في معنى هذا العذل.

قال ابن جرير-رحمه الله-:«واختلف أهل التأويل في المعنى الذي عذل موسى عليه أخاه من تركه اتباعه، فقال بعضهم:عذله على تركه السير بمن أطاعه في أثره على ما كان عهد إليه...وقال آخرون:بل عذله على تركه أن يصلح ما كان من فساد القوم»[(١)].

وكان جواب هارون عليه السلام لهذا العذل في طه بقوله وهـــو موضـــع المتشـــابه في الســـورة:﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾،وقد اختلف العلماء في معنى التفريق الذي عنـــاه هارون عليه السلام،تبعاً لاختلافهم في معنى العذل الذي عذله موسى عليه السلام له في طه.

---

(١)جامع البيان ١٦/١٤٥-١٤٦،وانظر الجامع لأحكام القرآن ١١/١٥٨.

قال ابن جرير –رحمه الله–:«وقوله:﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾،فاختلف أهل العلم في صفة التفريق بينهم الذي خشيه هارون عليه السلام،فقال بعضهم:كان هارون خاف أن يسير بمن أطاعه وأقام على دينه في أثر موسى عليه السلام،ويخلف عبدة العجل،وقد قالوا له:﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾(الآية ٩١)،فيقول له موسى عليه السلام:﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾،بسيرك بطائفة وتركك منهم طائفة وراءك... وقال آخرون بل معنى ذلك خشيت أن نقتتل فيقتل بعضنا بعضاً»[(١)].

وقال–رحمه الله–:«وأولى القولين في ذلك بالصواب،القول الذي قاله ابن عباس:من أن موسى عذل أخاه هارون على تركه اتباع أمره بمن اتبعه من أهل الإيمان،فقال له هارون عليه السلام:﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ﴾ جماعتهم،فتركت بعضهم وراءك،وجئت ببعضهم،وذلك بين في قول هارون عليه السلام للقوم:﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي﴾،وفي جواب القوم له وقيلهم:﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾(الآية ٩١)»[(٢)]،وما ذهب إليه ابن جرير–رحمه الله–هو الصواب–والله أعلم–؛لما ذكره من التعليل،ولما تقدم في أول القصة من جواب موسى عليه السلام لربه حين سأله عن استعجاله،قال الله تعالى:﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾(الآية ٨٣، ٨٤).فهو كان ينتظر مجيئهم،وقد عهد إليهم بهذا.

وبهذا فإن عذله لهارون عليه السلام يكون على أمرين:

---

(١)جامع البيان ١٦/١٤٦-١٤٧،وانظر الجامع لأحكام القرآن ١١/١٥٩.

(٢)جامع البيان ١٦/١٤٧.

الأول:عذله على عدم قيامه بأمر الخلافة، في نهي بني إسرائيل عن عبادة العجل،وهذا ما بينته الأعراف.

الثاني:عذله على ترك اتباعه بمن أطاعه،وهذا بينته طه،وأما سبب تخصيص كلٍ بما اختص به،فهذه مهمة السياق،والله أعلم.

ولقد كان خطاب هارون عليه السلام لموسى عليه السلام بأخوة الأم استعطافاً له.

قال ابن كثير –رحمه الله-:«وإنما قال:﴿ ٱبْنَ أُمَّ ﴾؛لتكون أرأف وأنجع عنده،وإلا فهو شقيقه لأبيه وأمه»[(١)].

وإذا كان النداء بأخوة الأم للاستعطاف،فإن الذي يظهر لي–والله أعلم- أن خطاب هارون عليه السلام في طه بزيادة حرف النداء إنما هو زيادة في الاستعطاف؛لأن فعل موسى عليه السلام كان أبلغ ،فإنه كان يأخذ بلحية هارون عليه السلام ورأسه،وأما الأعراف فلم يذكر إلا أنه أخذ برأسه،والذي يظهر كذلك –والعلم عند الله–هو أن الأخذ بالرأس كان متقدماً؛وذلك لأمرين:

أحدهما:أنه ذكر في الأعراف أخذ موسى عليه السلام لرأس أخيه عليه السلام بعد إلقائه الألواح مباشرةً:﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾ ،فلم يذكر أخذه للحيته،فلو كان الفعل الأول بعد إلقاء الألواح أخذه للحية أخيه،لكان هو المذكور لا الرأس.

الثاني:أن الاقتصار في الأعراف على ذكر الأخذ بالرأس يدل على أنه كان متقدماً،إذ لو كان متأخراً لكان موسى عليه السلام قد أمسك بهما جميعاً حيث قد اجتمع المتقدم والمتأخر،فكان أن يذكرهما جميعاً كما ذكرهما في طه،أو يقتصر على اللحية؛لأنها المتقدمة بهذا الاعتبار ولشرفها أيضاً،وأما أن يقتصر على الرأس فلا معنى له إلا التقدم،فليس الرأس أكثر إيلاماً ولا أعظم شرفاً وكرامةً من اللحية،وبهذا يعلم تقدم الأخذ بالرأس،وليس

---

(١)تفسير ابن كثير ٤٧٧/٣،وانظر جامع البيان ٤٥٩/١٠-٤٦٠،الجامع لأحكام القرآن ١٨٤/٧.

يشكل على ذلك تقدم ذكر اللحية في طه على الرأس؛لأن اللحية قدمت لشرفها وعظمها وإيلامها أيضاً،والله أعلم[(١)].

أثر السياق في توجيه المتشابه في الموضعين السابقين:

لقد كانت الأعراف تقص الخبر وتتبعه من أوله،فذكرت أولاً عتاب موسى عليه السلام لأخيه والمؤمنين معه على تركهم خلافته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وكذا عتابه لقومه العصاة على سعيهم في عبادة العجل،وبهذا فإنها تستوفي الخبر،ولهذا فقد ذكر فيها إلقاء موسى عليه السلام للألواح-كما في الموضع الثالث-﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ قبل أخذه برأس أخيه عليه السلام،ولم يذكر ذلك في طه،وهذا من تتمة الخبر،وكان جواب هارون عليه السلام لأخيه عليه السلام خالياً من ياء النداء؛لأنه لم يرد فيها ما أراد في طه من المبالغة في الاستعطاف؛حيث لم يبلغ في الأعراف عذل موسى عليه السلام لأخيه وفعله ما بلغ في طه،وكان جواب هارون عليه السلام لعذل موسى عليه السلام-كما في الموضع الرابع- هو الجواب المناسب للعذل،فإن العذل كان عن سبب ترك منع بني إسرائيل من عبادة العجل،فكان اعتذاره بأنه فعل،ولكن القوم استضعفوه وقاربوا قتله،ثم إن هذا يبين عتوّ بني إسرائيل وشدة عصيانهم،والأعراف تبين هذا دائماً ببيانها تفاصيل قصتهم،والله أعلم.

وأما المذكور في طه فقد كان آخر الأمر،بعد أن زاد موسى عليه السلام في الفعل والقول،أما الفعل فإنه زاد حتى أخذ باللحية مع الرأس،وأما القول فإنه زاد عذلاً لهارون عليه السلام على تركه اتباعه بمن أطاعه،فكان جواب هارون عليه السلام مناسباً لذلك،من زيادة الاستعطاف بحرف النداء،ومن إجابته-كما في الموضع الرابع- عن عذل أخيه عليه السلام،بأنه خشي مفسدة رآها أعظم من مصلحة اللحاق،وهي مفسدة تفريق بني إسرائيل،والله أعلم.

وبهذا تنتهي سورة الأعراف،والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

(١)علل ابن عاشور،حذف حرف النداء في الأعراف :بأنه دليل على ما صاحب هارون عليه السلام من الرعب والاضطراب(التحرير والتنوير ٩/١١٦-١١٧)،وعندي أن هذه العبارة موحشٌ استعمالها مع نبي الله هارون عليه السلام،ثم إنه-رحمه الله- لم يبين وجه ذلك،ثم إنه وضع احتمالاً آخر وهو أن يكون الذي في الأعراف وقع بعد ما في طه،فكان في طه بحرف النداء ثم أعقبه ما في الأعراف بحذف حرف النداء،ولم يبين -رحمه الله- وجه ذلك،وقد قررنا عكسه،وبينا وجهه،ولله الحمد والمنة.

سورة يونس

سورة يونس مكية في قول الجمهور،وقد ورد خلاف بعضهم في آية أو آيتين أو ثلاث،وأغرب بعضهم فجعل الأربعين آية من أولها مكي والباقي مدني [(١)].

قال ابن عاشور-رحمه الله- عن الأقوال المخالفة لقول الجمهور:«وأحسب أن هذه الأقوال ناشئة عن ظن أن ما في القرآن من مجادلة أهل الكتاب لم يترل إلا بالمدينة،فإن كان كذلك فظن هؤلاء مخطئ» [(٢)].

ويظهر في افتتاح هذه السورة أنها تعالج أمراً كان المشركون يشغبون به كثيراً،وهو استبعادهم أن يكون من البشر رسول،قال الله تعالى:﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾(الآية ٢)،واستبعادهم هذا لا أساس له صحيح،ولهذا فقد بين الله لهم في هذه السورة قدرته التي يعرفونها،من خلق السماوات والأرض وخلق الخلق وجعل الضياء والنور والليل والنهار،وبين لهم أنهم يفزعون إليه سبحانه في الشدائد،ثم بين لهم حال هذا النبي ﷺ التي يعرفونها ،وما لبث فيهم من العمر قبل أن يأتيهم بهذا الوحي العظيم،ولهذا فقد تحداهم بأن يأتوا بسورة مثله،وبين لهم عظمة القرآن.

وقد أتى من قصة موسى ﷺ ما يوافق ذلك،فقد أرسله وأخاه هارون عليهما السلام إلى فرعون الذي يعلم حالهما،والذي قد ربى موسى ﷺ في بيته،فأبى فرعون وزعم أن غرض الرسولين الظهور والكبرياء،ثم أمر نبيه بعد القصة أن يسأل بني إسرائيل عن الذي معه من الحق إن كان شاكاً،وهو لم يشك و لم يسأل [(٣)]،وأهل الكتاب يعلمون أنه حقٌ مبين قال الله تعالى:﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ

---

(١)انظر زاد المسير ٣/٤،الجامع لأحكام القرآن ١٩٤/٨،التحرير والتنوير ٧٧/١١-٧٨.

(٢)التحرير والتنوير ٧٨/١١.

(٣)انظر مجموع الفتاوى ٣٢٥/١٦.

يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ (الآية ٩٤).

وقد كان في توجيه المتشابه ما يبين هذا،والله أعلم.

وتقدم متشابه السورة،وهو قوله تعالى:﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ (يونس ٧٥)وقد اشتبه مع آية(١٠٣)في الأعراف[1].

(١)انظر ص ٢٥٧.

سورة إبراهيم عليه السلام

وهي سورة مكية كلها في قول الجمهور،ولم يقع الخلاف إلا في آيتين أو ثلاث منها.[(١)]

ولقد كان سياق قصة موسى عليه السلام في هذه السورة،ظاهر في أمر الله سبحانه له بدعوة قومه،وتذكيرهم بنعم الله عليهم،فكان موسى عليه السلام هو المذكر بأمر الله له.

قال الله تعالى في أول آية من القصة:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾(الآية:٥)،وعلى هذا كان متشابه السورة.

وقد سبق متشابهها،وهو قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦﴾(إبراهيم ٦)،وقد اشتبه مع آية البقرة(٤٩)،والأعراف (١٤١)[(٢)]،والله أعلم.والحمد لله رب العالمين.

---

(١)انظر الجامع لأحكام القرآن ٢٢٢/٩،التحرير والتنوير ١٧٧/١٣.

(٢)انظر ص ١٨٦.

سورة طه

سورة طه سورة مكية لم يختلفوا في ذلك[(١)]،وقد كان للسور المكية طابعها الخاص،ولكن لم يكن العهد المكي على طبيعة واحدة،فلقد كانت فيه أحداث وأحوال كثيرة،ولعلنا هنا نتلمس الفترة التي نزلت فيها هذه السورة من العهد المكي،علّنا بهذا نصيب المحزّ في تحديد سياق هذه السورة وقصة موسى عليه السلام فيها.

لقد ورد في كتب السيرة القصة المشهورة في إسلام عمر بن الخطاب،وما في ذلك من قراءته سورة طه في بيت أخته فاطمة،بعد أن ضربها وزوجها سعيد بن زيد رضي الله عنه،وهذه القصة وان كان يضعفها بعض العلماء[(٢)] إلا أن لها أصلاً،ففي البخاري[(٣)]:عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال:"لو رأيتني موثقي عمر على الإسلام أنا وأخته،وما أسلم"،ولقد أورد البخاري قبله في نفس الباب الحديث الذي سمع فيه عمر صوت الصارخ من الجن يخبر عن خروج النبي ﷺ،وليس بين هذين الحديثين قوي ارتباط في الظاهر،لكن قد بوب عليه البخاري:باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال ابن حجر-رحمه الله-:«لمح المصنف بإيراد هذه القصة(قصة الصارخ من الجن) في "باب إسلام عمر"، بما جاء عن عائشة وطلحة عن عمر من أن هذه القصة كانت سبب إسلامه»[(٤)] ثم أشار ابن حجر لرواية أبي نعيم لحديث الصارخ في الدلائل،وفي آخره ذكر دخول عمر على أخته وزوجها كما في القصة المشهورة،فجمع بين هذين الحديثين في حديث واحد،ولهذا قال ابن حجر -رحمه الله-بعد ذلك:«وتأمل ما في إيراد حديث

---

(١)انظر البرهان في علوم القران ١/١٩٣،الإتقان ١/٢٨.

(٢)أخرجها الدارقطني في سننه-باب في نهي المحدث عن مس القران-برقم (٤٣٥) ١/١٢٩٠،وقال الدارقطني -رحمه الله-:"القاسم بن عثمان ليس بالقوي"،وقال عنه ابن حجر -رحمه الله-:"حدث عنه إسحاق الأزرق بمتن محفوظ وبقصة إسلام عمر رضي الله عنه وهي منكرة جداً" لسان الميزان ٥/٥٠٣.وقال العقيلي:لا يتابع على حديثه،وقال البخاري:له أحاديث لا يتابع عليها،وذكره ابن حبان في الثقات،انظر في ذلك لسان الميزان ٥/٥٠٢-٥٠٣،الثقات لابن حبان ٥/٣٠٧،الضعفاء الكبير ٣/٤٨٠ برقم(١٥٣٨)،ومع هذا فقد أخرجها الحاكم في المستدرك برقم (٦٨٩٧) ٤/٦٥،والضياء في المختارة برقم (٢٥٧٣)٧/١٣٩.

(٣)صحيح البخاري،كتاب مناقب الأنصار،باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه،فتح الباري ٧/٢١٦ برقم (٣٨٦٧).

(٤)فتح الباري ٧/٢٢٠.

سعيد بن زيد الذي بعد هذا من المناسبة لهذه القصة"[(١)]،وهو بهذا يشير إلى أن البخاري رحمه الله عمد بصنيعه هذا إلى أن من أسباب إسلام عمر تلك القصة المشهورة مع أخته وزوجها.

وهذه القصة وان كانت قد لا تثبت حديثياً،إلا أن«عدم ثبوت الروايات حديثياً لا يعني حتمية عدم وقوعها تأريخياً»[(٢)]،لا سيما مع ما ذكرناه من أصل القصة في البخاري،وما بوب عليه رحمه الله.ونحن بهذا نستأنس على أن هذه السورة قد نزلت قبل إسلام عمر ﷺ.

فإذا علمنا أن إسلام عمر ﷺ كان فتحاً للمسلمين ،وعزاً لهم،كما قال ابن مسعود ﷺ:"ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر"[(٣)]،فانه يتبين لنا الحال الذي نزلت فيه السورة:وهو حال الضعف والاضطهاد الذي كان يعيشها المسلمون قبل إسلام عمر ﷺ.[(٤)]

وإن مما يدل أيضاً-والله أعلم-على قدم نزول هذه السورة أن:"ابن مسعود ﷺ كان يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء:إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي"[(٥)].

---

(١)السابق ٢٢٠/٧.

(٢)السيرة النبوية الصحيحة ١٨١/١.

(٣)صحيح البخاري،كتاب فضائل الصحابة،باب مناقب عمر ابن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي ﷺ،فتح الباري ٥٠/٧ ،برقم (٣٦٨٤).

(٤)وبهذا فإننا لا نحتاج إلى البحث في تحديد وقت إسلام عمر ﷺ،الذي وقع الخلاف فيه،ومع خلافهم فقد كان إسلامه في وقت متقدم.قال د.أكرم العمري:" لم تصح رواية في تحديد وقت إسلام عمر بن الخطاب بدقة،ولكن ابن إسحاق جعل إسلام عمر بعد هجرة الحبشة،وذكر من وجه آخر انه بعد هجرة الحبشة الأولى،وتحدد دراسة الواقدي إسلامه في ذي الحجة السنة السادسة من البعثة".السيرة النبوية الصحيحة ١٧٧/١.وقال ابن حجر-رحمه الله-في شرحه لحديث ابن عمر ﷺ في قصة إسلام أبيه ﷺ حين قال ابن عمر (وأنا غلام) ،قال:"قوله:(وأنا غلام) في رواية أخرى(إنه كان ابن خمس سنين)وإذا كان كذلك خرج منه أن إسلام عمر ﷺ كان بعد المبعث بست سنين أو بسبع؛لأن ابن عمر ﷺ كما سيأتي في المغازي كان يوم أحد ابن أربع عشرة سنة،وذلك بعد المبعث بست عشرة سنة فيكون مولده بعد المبعث بسنتين".فتح الباري ٢١٦/٧.ولعل ما ذكره ابن حجر هنا أقرب ما يكون.

(٥)فتح الباري ٢٨٩/٨ ،٦٥٥،باب: سورة الأنبياء،برقم(٤٧٣٩)،وباب:تأليف القران ،برقم (٤٩٩٣).

قال ابن حجر-رحمه الله-في معنى العتاق والتلاد:«جمع عتيق وهو القديم،أو هو ما بلغ الغاية في الجودة،...وقوله :"هن من تلادي"بكسر المثناة وتخفيف اللام،أي:مما أحفظ قديماً،والتلاد قديم الملك وهو بخلاف الطارف،ومراد ابن مسعود ﷺ إنهن من أول ما تعلم من القران»[(١)] .

فإذا علمنا أن ابن مسعود ﷺ كان من المسلمين الأوائل[(٢)] ،وأنه قد هاجر إلى الحبشة،ولم يرجع إلا قبيل غزوة بدر[(٣)] ،وأن هذه السور التي ذكرها ومنها سورة طه هي

---

(١)الفتح٨/٢٤٠.

(٢)انظر الاستيعاب ٩٨٧/٣،أسد الغابة ٣٩٤/٣ برقم:(٣١٧٧)،الإصابة ١٩٨/٤ برقم:(٤٩٧٠).

(٣) لم يعد ابن إسحاق ابن مسعود ﷺ ممن هاجر إلى الحبشة في المرة الأولى،بل في الهجرة الثانية.انظر سيرة ابن إسحاق ص ٢٠٥ ،٢٠٦،بينما ذكره ابن سعد في الهجرة الأولى.انظر الطبقات ١/ ١٦٠،ورجح ابن حجر ما ذهب إليه ابن إسحاق وقال:"ويؤيده ما روى أحمد بإسناد حسن عن ابن مسعود قال:(بعثنا النبي ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن عرفطة وعثمان بن مظعون وأبو موسى الأشعري) فذكر الحديث"الفتح ٢٢٨/٧ والحديث في:(المسند ٤٠٨/٧ برقم:٤٤٠٠)،وابن سعد -رحمه الله يجعل ابن مسعود ﷺ ممن قدم بعد الهجرة الأولى حين سمع المسلمون في الحبشة بإسلام قريش بعد سجودها مع النبي ﷺ في سجدة سورة النجم.قال في الطبقات :"دخلوا مكة ،ولم يدخل أحدٌ منهم إلا بجوار،إلا ابن مسعود فانه مكث يسيراً ثم رجع إلى أرض الحبشة"الطبقات ١٦١/١،واستظهر ابن القيم-رحمه الله-ما ذهب إليه ابن سعد،فقال:"وهو الأظهر ؛لأن ابن مسعود لم يكن له بمكة من يحميه"زاد المعاد ٢٨/٣.والغرض أن ابن مسعود وعلى كلا القولين لم يمكث في مكة إلى حين الهجرة إلى المدينة،وما يظنه بعضهم من ذلك استناداً لمشاركته في غزوة بدر،وإجهازه على أبي جهل فمردودٌ بما يلي:

١-قال ابن سعد -رحمه الله-:"فلما سمعوا بمهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً،ومن النساء ثماني نسوة". الطبقات ١٦٢/١،فيكون ابن مسعود ممن قدم هذه القدمة الوسطى.انظر زاد المعاد ٢٧/٣

٢-يؤيد ذلك ما رواه أحمد في الحديث السابق عن ابن مسود ﷺ ففي آخره:(ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدراً)،فقد حسن إسناده ابن حجر كما سبق،وقال ابن كثير :"وهذا إسناد جيد قويٌ،وسياق حسن".البداية والنهاية ١٧٤/٤.

٣-ما رواه البخاري عن ابن مسعود ﷺ قال :(كنا نسلم على النبي ﷺ وهو في الصلاة فيردّ علينا .فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يردّ علينا وقال :إن في الصلاة شغلاً) الفتح،كتاب الصلاة،باب:ما ينهي من الكلام في الصلاة، ٨٧/٣ برقم (١١٩٩)،والصحيح -والله أعلم-:أن هذا النسخ للكلام كان في المدينة بدليل حديث زيد ابن أرقم: (أن كنا لنتكلم في الصلاة على عهد النبي ﷺ ،يكلم أحدنا صاحبه بحاجته،حتى

=

سور مكية،فإننا نعلم بذلك أنه تلقى هذه السورة قبل هجرته للحبشة،فإذا كانت من تلاده فإننا قد نقول:إنها من أول العهد المكي،وكانت تلك فترات حرجة جداً،وهي قبل إسلام عمر ﷺ.

ولعلنا نستطيع أن نحدد سياق هذه السورة ،وسياق القصة فيها،بعد الذي تقرر من ظروف نزولها،وبعد التأمل فيها.

إن الذي يظهر –والله أعلم-:هو أن سياق هذه السورة هو اللطف بالنبي ﷺ،وصحبه،والشد من أزرهم ،وتقوية قلوبهم في مواجهة أعدائهم في تلك المرحلة الصعبة ،والتأكيد على أن العاقبة لهم بلا شك ولا ريب،وأن في هذا الدين وهذا القران الرفعة والعلوّ لهم في الدارين.ولك أن تلحظ هذا من الآيتين الأوليين:﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ ﴾.

ولقد أتت قصة موسى عليه السلام في هذه السورة بما يناسب هذا السياق،فقد قصت علينا لطف الله بعبده موسى عليه السلام في مبدأ الوحي،وتكرمة الله له بالتكليم بالوادي المقدس،ونبينا ﷺ قد أكرم بنزول الوحي عليه ،ثم أعقبت ذلك بذكر نشأة موسى عليه السلام وما فيها من الصعوبات،واللطف الخفي من اللطيف سبحانه في تربيته ونشأته في بيت عدوه،ونبينا ﷺ قد نشأ يتيماً عائلاً فرباه الله ورعاه،ثم لا تفيض السورة في شأن موسى عليه السلام في مدين ،لكنها تفيض جداً في شأنه مع فرعون وصراع الحق والباطل واحتشاد أهل الباطل بكامل قوتهم،ثم الهزيمة المدوية لهم وهذا من اللطف العظيم،والشأن لهذا الدين كذلك،ثم النجاة من هذا الطاغية،حتى نهاية القصة واللطف في ثناياها.

على أن المتشابه اللفظي في هذه القصة من هذه السورة متضافرٌ في تقرير هذا السياق على ما تراه –بإذن الله–في توجيهه.

نزلت:﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨ ﴾فأمرنا بالسكوت)الفتح،نفس الكتاب والباب، ٨٨/٣ برقم (١٢٠٠)،فالآية مدنية بالاتفاق،وزيد ابن أرقم أنصاري انظر الفتح ٨٩/٣،زاد المعاد ٢٧/٣،وهذا يؤكد أن ابن مسعود ﷺ لم يمكث في مكة إلى حين الهجرة إلى المدينة،وأنه ما قدم إلا بعد الهجرة إليها،وعليه فيكون أخذه لسورة طه قبل هجرته .والله أعلم.

وكما بدت الآيات الأولى من السورة مقررة لهذا السياق،فكذلك كانت خاتمتها،ويكفي أن تقرأ هذه الآيات من آخرها لترى كيف رجع الآخر على الأول:﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾،إلى آخر السورة.

قال ابن تيمية-رحمه الله-:«وهي-أي سورة طه-من أول ما نزل من القرآن،قال ابن مسعود ﷺبنوا إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأول،وهن من تلادي.رواه البخاري عنه.وهي مكية باتفاق الناس،قال أبو الفرج وغيره:هي مكية بإجماعهم،بل هي من أول ما نزل»[(١)].

وقال:«"سورة طه" مضمونها تخفيف أمر القرآن وما أنزل الله تعالى من كتبه»[(٢)]

وقال ابن عادل الدمشقي -رحمه الله-:«وقيل:إن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة،وكان الرسول ﷺ في ذلك الوقت مقهوراً تحت ذل الأعداء،فكأن الله تعالى قال :لا تظن أنك تبقى أبداً على هذه الحالة،بل يعلو أمرك ويظهر قدرك،فإنا ما أنزلنا عليك مثل هذا القرآن لتبقى شقياً فيما بينهم،بل لتصير معظماً مكرماً»[(٣)].والله أعلم.

وقد تقدم من متشابه السورة أربعة مواضع،أسردها مرتبة على حسب ورودها في الدراسة التطبيقية:

الأول:قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ

---

(١)دقائق التفسير ٣-٤/٣٥٢.

(٢)مجموع الفتاوى ١٥/٢٣٧.

(٣)اللباب ١٣/١٦٨.

وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ (طـه: ٨٠-٨١).وقد اشتبه مع آية البقرة(٥٧)،وآية الأعراف(١٦٠) [(١)].

الثاني: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ (طه ٢٠).وقد اشتبه مع آية الأعراف(١٠٧)،وآية الشعراء (٣٢)،وآية النمل (١٠)،وآية القصص (٣٠) [(٢)].

الثالث:قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ (طـه ٦٥-٧٣).وقد اشتبهت هذه الآيات مع الآيات (١١٥-١٢٦)في سورة الأعراف،والآيات (٤٣-٥١) في سورة الشعراء [(٣)].

الرابع:قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ

---

(١)انظر ص ٢٠٥.

(٢)انظر ص ٢٦٢.

(٣)انظر ص ٢٧٦.

مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ (طـه ٨٦).وقد اشتبه مع آية الأعراف (١٥٠)،وآية طه (٩٤)[1].

وأما ما اشتبه منها مع ما بعدها فنبدأ به الآن-بإذن الله تعالى-.

(١)انظر ص ٣١٥.

المقطع الأول

﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾(طه ١٠، ١١، ١٢).

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾(النمل ٧، ٨، ٩)

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾(القصص ٢٩، ٣٠).

مواضع المتشابه ونوعه:

الموضع الأول: في طه: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾، وفي القصص: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾، وخلت النمل من ذلك.

هنا نوعان من المتشابه:

أحدهما: الزيادة والنقصان، ففي طه والقصص زيادة عما في النمل.

الثاني: الإبدال بين طه والقصص ففي طه: ﴿رَءَا﴾، وفي القصص: ﴿ءَانَسَ﴾.

قال ابن فارس -رحمه الله-: «أنس: الهمزة والنون والسين أصلٌ واحد، وهو ظهور الشيء، وكل شيء خالف طريقة التوحش»[(١)].

(١) معجم مقاييس اللغة ص٩١، وانظر تهذيب اللغة ١٣/٨٦-٨٨.

قال الزمخشري:«الإيناس الإبصار البين الذي لا شبهة فيه،ومنه إنسان العين لأنه يتبين به الشيء،والإنس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم.وقيل هو إبصار ما يؤنس به»[(١)].

قلت:الأول من القولين فيه حملٌ لما في القصص على ما في طه،والثاني إبصار مقيد.

والحق أن الإيناس أعم من الرؤية؛لأنه يكون بالرؤية وغيرها،قال الله تعالى عن اليتامى:﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾(النساء ٦) أي :علمتم.

قال ابن عطية-رحمه الله-:«﴿ءَانَسْتُ﴾ معناه أحسست...والنار على البعد لا تحس إلا بالأبصار؛فلذلك فسر بعضهم اللفظ برأيت، وآنس أعم من رأى؛ لأنك تقول آنست من فلان خيرا أو شرا»[(٢)].

وعليه فالذي يترجح لي هنا أن الإيناس يكون إبصار ما يؤنس؛والسبب في أن يكون بمعنى الإبصار هو:ما ذكره ابن عطية من أن النار لا تحس من البعد إلا بالبصر،ولما دلت عليه آية طه،وأما السبب في أن يكون مقيداً؛فهو ما اختص به لفظ الإيناس من المعنى،ولا معنى لحمل الآية على الآية وقد اختلف اللفظ من غير زيادة معنى،ثم إن في توجيه المتشابه ما يبين هذا-بإذن الله-.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كانت آية طه في افتتاح قصة موسى عليه السلام في السورة،وكان قبلها قوله تعالى:﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾(طه ٩)،فلم يكن قبل هذه الآية ذكرٌ لأحوال موسى عليه السلام،وإنما بدأت القصة من حيث كلمّه الله،وسياق السورة المعروف هو تأنيس النبي ﷺ وصحابته والتلطف بهم في أوقات اضطهادهم واشتداد الأمر عليهم،وسياق القصة هو سياق السورة.

---

(١)الكشاف ٥١/٣،وانظر تفسير البيضاوي ٤٢/٤، إرشاد العقل السليم ٦/٦،وإنسان العين:صبيها الذي في السواد تبصر به انظر معجم مقاييس اللغة ص ٩١.

(٢)المحرر الوجيز ٣٨/٤.

قال الزمخشري-رحمه الله-:«قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به في تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد»[(١)].

فكان قوله:﴿ إِذْ رَءَا نَارًا ﴾ في طه بدايةً لقصّ القصة، لم يكن منظوراً فيها لحال موسى عليه السلام قبل ذلك،فليست السورة تسجل هنا إلا أن موسى عليه السلام أبصر ورأى ناراً،فكان المقصود بدء الأمر لا حال موسى عليه السلام.

وأما قوله:﴿ ءَانَسَ ﴾فإنه إبصارٌ خاص مقيد يبين حال موسى عليه السلام ؛وذلك أن القصص كانت تقص قصة موسى عليه السلام من ولادته،وكانت تبين حسن تدبير الله له وتلطفه به،فتبين من دقائق أحواله ما فيه معتبرٌ،وقد كانت الآيات هنا تبين شأن الرسالة وتلقي موسى عليه السلام لها،فكانت مع بيان الخبر تصف حال موسى عليه السلام،وقد كان حاله حين رأى النار حال المستأنس بها؛لأن الوقت كان بارداً وهو يريد جذوةً من النار يصطلي بها وأهله،ويريد هداية للطريق علّه يجدها هناك،فكان هذا سبب أنسه،والله سبحانه بحسن تدبيره هو الذي هيأ له ذلك حتى يأتي فيتلقى أمر الله،ولو كان موسى عليه السلام وجلاً لما أتى النار،ولهذا المعنى -والله أعلم-قال موسى عليه السلام لأهله:﴿ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾،ولم يقل لهم:إني رأيت ناراً؛لأنه اطمأن فبين لأهله ما يجده من الأنس حتى يطمئنهم.

قال ابن كثير-رحمه الله:«قال لأهله يبشرهم:﴿ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ﴾»[(٢)].

ولهذا فقد اتفقت السور الثلاث على هذه الجملة من قول موسى عليه السلام.

وأما النمل فلم تذكر هذه الزيادة من رؤيته النار،بل بدأ الخبر بقول موسى عليه السلام لأهله:﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾؛لأن النمل كانت تقص القصة مبينةً الخبر في بلاغته وحسن بيانه وكفايته،غير ناظرةٍ لبيان تفاصيل حال موسى عليه السلام مع

---

(١)الكشاف ٣/٥١.

(٢)تفسير القرآن العظيم ٥/٢٧٦.

أهله،فلم يكن لهذه الزيادة غرض،ولكنها بينت قوله:﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾؛لأنها بيان لتمام حاله في تلقي الوحي وهو المقصود،والله أعلم.

الموضع الثاني:في طه والقصص:﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾زيادة عما في النمل.

نوعه:تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إن زيادة قوله:﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ في طه والقصص إنما هي زيادة وصفٍ لحال موسى عليه السلام،فإنها تبين كيف كان شأنه حين رأى النار؟،فهي تبين أنه حين أنس النار،وأراد الذهاب إليها طلب من أهله أن ينتظروه حتى يرجع إليهم،فقال لهم:«﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾،ولم يقل أقيموا لأن الإقامة تقتضي الدوام والمكث ليس كذلك»[(١)]،وفي هذا من تطمينهم ما هو ظاهر؛لأنه كأنه يقول لهم :لن ألبث عنكم إلا يسيرا.وقد كانت السورتان معنيتان ببيان أحوال موسى عليه السلام وألطاف الله به،وأما النمل فإنه لما كان غرضها قص الخبر مجملاً والخبر يتم من دون ذكرها،ولا يتوقف بيانه عليها،فإن الزيادة لم ترد لهذا،والله أعلم.

الموضع الثالث:في طه والقصص:﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم﴾،وفي النمل:﴿سَـَٔاتِيكُم﴾.

نوعه:تشابه بالإبدال.

لعل:تفيد الترجي والتوقع،والسين تفيد التأكيد[(٢)]،والترجي والتأكيد معنيان متضادان،ولهذا ذهب العلماء إلى الجمع بينهما.

قال الزمخشري-رحمه الله-:«فإن قلت:سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين؛لأن أحدهما ترج والآخر تيقن، قلت: قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة»[(٣)].

---

(١)الجامع لأحكام القرآن ١١/١١٥.

(٢)انظر مغني اللبيب ١/١٣٨، ٢٨٧.

(٣)الكشاف ٣/٣٣٨،وانظر التسهيل ٣/٢٠١ .

وقال البيضاوي-رحمه الله-:«والعدتان على سبيل الظن،ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه»[(١)].

وأنت ترى أن البيضاوي قد حمل ما في النمل من القطع والتأكيد على ما في طه من الترجي،ولم يذكر لذلك علةً،وأما الزمخشري فقد فعل مثل ذلك في حمل القطع على الرجاء،ولكنه زاد تعليل ذلك:بأنه دليل على قوة رجاء موسى عليه السلام،ولم يذكر دليلاً لهذا،ولست أرى له دليلاً إلا أنه غلب الرجاء على القطع،ومعلومٌ أنه يرد على هذا إمكان تغليب القطع على الرجاء إذ لا فرق،فيقول القاطع إذا خف قطعه:لعلي،كما أنه يلزم الزمخشري أيضاً أن يبين سبب اختصاص النمل بقوة الرجاء،وسبب بقاء طه والقصص على مطلق الرجاء،وهو لم يفعل ذلك.

وعندي أنه لا بد من تحرير مورد الرجاء في طه والقصص،ومورد القطع في النمل،فهما موردان مختلفان،إذ لا يمكن وصف موسى عليه السلام بوصفين متضادين في وقت واحد.

وبيان ذلك :أن موسى عليه السلام أخبر عن نفسه بأنه يذهب ليحضر قبساً أو خبراً،والمخبر بأنه يفعل شيئاً له نيتان:

أحدهما:أن يكون غرضه أن يكشف عن إرادته.

الثانية:أن يكون غرضه مع كشف إرادته أن يخبر بوقوع ما أخبر به.

إذا تبين هذا فالأول من النيتين لا يحتاج المخبر به أن يعلق خبره على المشيئة،ولو حلف أنه يفعل كذا وغرضه الإخبار عن نيته ولم يتحقق المحلوف عليه،فإنه لا يحنث؛لأنه لم يحصل منه مخالفة ليمينه،فهو يحلف على أنه يريد كذا.

وأما النية الثانية فإنه لا بد من تعليق الإخبار بها على المشيئة،ولو حلف ولم يتحقق المحلوف عليه فإنه يحنث[(٢)].

وعليه فالخبر في طه والقصص إنما هو عن النية الثانية لموسى عليه السلام،وأما النمل فالخبر فيها عن النية الأولى،والسياق يبين-بإذن الله-سبب اختصاص كل موضع بما اختص به.

---

(١)تفسير البيضاوي ٢٥٩/٤،وانظر إرشاد العقل السليم ٢٧٣/٦.

(٢)انظر مجموع الفتاوى ٣٠٧/٣٥-٣١١.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

يتبين لنا مما سبق:أن القطع والرجاء حالان من أحوال موسى عليه السلام ،وقع الإخبار عن حال الرجاء في طه والقصص،ومعنى الرجاء فيهما:أن موسى عليه السلام يخبر بنيته وعزمه،ويخبر أهله بأن ما عزم عليه وأخبرهم به يكون،ففيه معنى الطلب والخبر،وهذه هي النية الثانية كما سبق،ولهذا فإن موسى عليه السلام لم يقطع،بل علق ذلك بالرجاء؛لأنه لا يضمن أن يقع ما أخبر به،فكأن السورتين أخبرتا بأمرين:نية موسى عليه السلام وعدته لأهله بوقوع ما أراده لهم،ولهذا جاءت صيغة الرجاء التي تجمع الأمرين.

وأما سبب اختصاص طه والقصص بهذا الرجاء؛فهو الوصف الدقيق لما كان يختلج في نفس النبي الكريم عليه السلام،وتفصيل حاله عليه السلام،وذلك أن هذا الرجاء يبين عزم موسى عليه السلام الذي عزمه،ويبين حال ترقبه ورجائه وحرصه على أهله في حصول المطلوب لهم،وفي ذلك من تعلقه بربه،ولطف الله به،وحسن تدبيره له ما هو ظاهر.

وأما النمل فإن الغرض فيها الخبر المجمل،فاقتصر فيه على ما يبينه وهو عزم موسى عليه السلام على إحضار الخبر،وإحضار الشهاب القبس،والله أعلم.

الموضع الرابع: قدم في طه ذكر تطلب موسى للقبس على الخبر ،وفي السورتين العكس.

نوعه:تشابه بالتقديم والتأخير.

الموضع الخامس:في النمل زيادة:﴿أَوۡ ءَاتِيكُم﴾.

نوعه:تشابه بالزيادة والنقصان،فقد زادت النمل إعادة الفعل في الجملة الثانية.

الموضع السادس:في طه:﴿بِقَبَسٍ﴾،وفي النمل:﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾،وفي القصص:﴿أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾.

نوعه:تشابه بالإبدال.

أما القبس،فقال الراغب-رحمه الله-:«قبس:القبس المتناوَل من الشعلة،قال:﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾،والقبس والاقتباس: طلب ذلك»[(١)].

وقال ابن الجوزي-رحمه الله-:« فأما القبس، فقال الزجاج: هو ما أخذته من النار في رأس عود أو في رأس فتيلة»[(٢)]،فقد يكون هذا القبس جمرةً،أو شعلةً من النار،فهو عامٌ.

قال صاحب التحرير:«والقبس ما يؤخذ اشتعاله من اشتعال شيء ويقبس ،كالجمرة من مجموع الجمر والفتيلة ونحو ذلك»[(٣)].

وأما الشهاب هنا فهو نوع من أنواع القبس،وهو :شعلة نارٍ ساطعةٍ،ولهذا سمي الكوكب المنقض شهاباً،كما قال تعالى:﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾(الصافات ١٠)[(٤)]،فالشهاب قد يكون مقبوساً،وقد يكون غير مقبوس.

قال ابن منظور-رحمه الله-:«وروى الأزهري عن ابن السكيت، قال الشهاب: العود الذي فيه نار، قال وقال أبو الهيثم: الشهاب أصل خشبة أو عود فيها نار ساطعة، ويقال للكوكب الذي ينقض على أثر الشيطان بالليل»[(٥)].

وقد جاءت قراءتان في آية النمل،أحدهما بإضافة شهاب إلى قبس،والثانية بالتنوين.

قال صاحب إتحاف فضلاء البشر-رحمه الله-:«واختلف في:﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾،فعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بالتنوين على القطع عن الإضافة، وقبس بدل منه أو صفة له بمعنى مقتبس أو مقبوس،ووافقهم الأعمش. والباقون بغير تنوين

---

(١)المفردات ص ٦٥٢.

(٢)زاد المسير ٢٧٢/٥.

(٣)التحرير والتنوير ١٩٤/١٦،وانظر تفسير البيضاوي ٤٢/٤،فمن فسر القبس بالشعلة أو بالنار فقد فسره بنوع من أنواعه،انظر جامع البيان ٢٠/١٦ فقد فسره بالشعلة،ومثله القرطبي انظر الجامع لأحكام القرآن ١١٦/١١.

(٤)انظر تهذيب اللغة ٨٦/٦-٨٨،معجم مقاييس اللغة ص ٥٣٩.

(٥)لسان العرب ٥١٠/١.

لبيان النوع، أي: من قبس، كخاتم فضة»[(١)]،والمعنى كما ترى متقارب،ومحصله:أنّ الشهاب نارٌ ساطعةٌ على رأس عود قد اقتبست من نار،ففي إضافة الشهاب إلى القبس على القرائتين بيانٌ لنوع الشهاب.

أما الجذوة،فقال ابن فارس-رحمه الله-:«جذو:الجيم والذال والواو أصل يدل على الانتصاب»[(٢)].

وقال الراغب-رحمه الله-:« جذو:الجَذوة والجِذوة: الذي يبقى من الحطب بعد الالتهاب،والجمع جِذَىً، قال عز وجل:﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾.قال الخليل:يقال جذا يجذو نحو جثا يجثو إلا أن جذا أدل على اللزوم،يقال جذا القراد في جنب البعير إذا شد التزامه به»[(٣)].

وقال ابن منظور-رحمه الله-«قال أبو عبيد في قوله عز وجل:﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، الجِذوة مثل الجِذمة وهي: القطعة الغليظة من الخشب ليس فيها لهب، وفي الصحاح :كأن فيها نارا و لم يكن، وقال مجاهد:﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾،أي: قطعة من الجمر، قال:وهي بلغة جميع العرب وقال أبو سعيد:الجذوة عود غليظ يكون أحد رأسيه جمرة»[(٤)].

وقال ابن جرير-رحمه الله-:« ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾،يقول أو آتيكم بقطعة غليظة من الحطب فيها النار»[(٥)].

---

(١)إتحاف فضلاء البشر ص ٤٢٦،وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ٤٧٨/١،وانظر المحرر الوجيز ٢٤٩/٤-٢٥٠،الجامع لأحكام القرآن ١٠٥/١٣-١٠٦.

(٢)معجم مقاييس اللغة ص ٢٠٨،وانظر تهذيب اللغة ١٦٦/١١.

(٣)المفردات ص ١٩٠.

(٤)لسان العرب ١٣٨/١٤.

(٥)جامع البيان ٢٣٩/١٨.

ومن هذا فالذي يظهر :هو أنه في طه أتى بالاسم العام لكل مقبوسٍ من النار، فليس فيه بيانٌ لنوعه،وهو لا يخالف غيره،والشهاب الذي في النمل فيه تحديد نوع هذا القبس وأنه مضيءٌ ذو شعلةٍ،أما الجذوة فهي أكثر من مقباس،فهي مقباس ونار يستدفأ بها،هذا ما يدل عليه أصلها اللغوي الذي فيه معنى الغلظ والانتصاب والثبات؛لأن المقباس لا يكون أصل شجرة غليظة،بل أصغر من ذلك.

الموضع السابع:في النمل والقصص زيادة:﴿لَعَلَّكُم تَصۡطَلُونَ﴾،وليست في طه.

نوعه:تشابه بالزيادة والنقصان.

لقد كان موسى عليه السلام يخاطب أهله حين رأى النار بأن يحضر لهم أحد أمرين الخبر،وهو خبر الطريق،والأمر الثاني القبس،والظاهر أن الحاجة في مثل هذه الحال تكون لمعرفة الطريق أكثر منها إلى الدفء،وذلك أن موسى عليه السلام،قد سار بأهله من مدين وهو يعرف أنه يسير في وقت شتاء؛كما دل عليه طلبه للدفء:﴿لَعَلَّكُم تَصۡطَلُونَ﴾،فلا بد أن يكون قد أخذ أهبته لمثل هذا،وعليه فلا أظن أن حاجتهم للقبس حاجة ضرورة،ولهذا فإن بدء موسى عليه السلام أهله بخبر الطريق بدء بالأهم،فيبقى لماذا انعكس الأمر في طه فبدأ بخبر النار،وما سر اختصاص كل موضع بما اختص به؟.

أثر السياق في توجيه المتشابه في المواضع الأربع السابقة:

أما طه فإن الملاحظ فيها أنه لم يعد أهله إلا وعداً واحداً،وهو أن يحضر لهم قبساً ؛فلهذا قدمه كما في الموضع الرابع؛لأنه كان يخاطبهم،ثم أنشأ خبراً آخر،وهو فيه يتحدث عن نفسه،وما يرجوه لنفسه من أن يجد على النار هدى،قال الله تعالى:﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾﴾(طه ١٠)،وبهذا يتبين سبب اختلاف طه عن السورتين.

وأما سبب اختصاص طه بهذا الاختلاف فهو أن سياق طه في تأنيس النبي عليه السلام في دعوته،والسورة تذكر له من أحوال موسى عليه السلام مثل ذلك،وكان هذا هو بدء القصة في سورة طه،فذكرت السورة من مبدأ قصته ما يبين خبره أول ما كلمه ربه،فاقتصرت من

خبره مع أهله قبل الذهاب للتكليم،بما يبين الخبر من غير تفصيل فيه،فذكرت عنه أنه رأى ناراً فطلب من أهله انتظاره حتى يحضر لهم قبساً من هذه النار،مقتصراً على أصل الغرض وهو القبس فلم تذكر السورة كونه شهاباً أو جذوةً،كما لم تذكر عنه سبب إرادته إحضار هذا القبس الذي اختصت به السورتان،وهو قوله:﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾؛لأن السياق في طه يبين ما أراده الله له من أمر الرسالة،وهذا التعليل من شأنه مع أهله،والسورة سياقها ما قد علمت،ولهذا اختصت طه بأن ذكرت تطلب موسى عليه السلام للخبر لنفسه وبلفظ الهدى،لا بلفظ الخبر كحال السورتين؛لأن الله سيسوق لنبيه محمد ﷺ من خبره ما يبين أمر الهداية،حتى يستأنس بخبر هذا النبي عليه السلام،فقال:﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾،وقد وجد أعظم الهدى.

قال ابن الزبير-رحمه الله-:«وتأمل الوارد في سورة طه من قوله تعالى مخبراً عن نبيه موسى عليه السلام،من قوله:﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾،ومناسبة ذلك لما بنيت عليه سورة طه من تأنيس نبينا ﷺ،وافتتاحها بقوله تعالى :﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾(طه ٢)،يَلُحْ لك التلاؤم والتناسب»[(١)].

أما النمل فإنها قدمت تطلب الخبر؛لأنه الأهم كما قدمنا،وموسى عليه السلام يخاطب أهله،وقد قررنا أن السورة تسوق القصة بإجمال،ولكن«جملة﴿قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ إلى آخرها تمهيدٌ لجملة:﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ الخ»[(٢)]،فذكرت من حاله مع أهله ما هو مقدمة لذهابه للمناداة.

وأما ما تميزت به النمل من إعادة الفعل:﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾،فهو مؤكد لما ذهبنا إليه من أن ما في النمل هو خبرٌ من موسى عليه السلام عما في عزمه ونيته،وذلك أن إعادة الفعل إنما هي للتأكيد،والتأكيد هنا مناسب للطلب لا

---

(١)ملاك التأويل ٨١٣/٢،ولكنه لم يبين وجه التلاؤم ،والوجه ما قد بيناه،والله أعلم.

(٢)التحرير والتنوير ٢٢٥/١٩.

للخبر،فموسى عليه السلام في النمل يؤكد عزمه الذي عزمه من إحضار أحد الأمرين،وقد كان الخبر في طه والقصص واقعاً تحت الرجاء ،والرجاء ينافي التأكيد والقطع،ولهذا خلت القصص من إعادة الفعل،فعُطف ما بعد: ﴿أَوۡ﴾على الرجاء في الجملة التي قبلها.

وأما تخصيص القبس بالشهاب فهو إخبارٌ عما في عزم موسى عليه السلام،وما عقد عليه نيته،وهو إحضار شعلة تكون مقباساً لهم،ولم يتعد ذلك إلى الإخبار عن غاية ما يريد عليه السلام من إحضار النار بين يدي أهله،وبيان وصفها-على ما يأتي بإذن الله في القصص-؛لأن الخبر في النمل مجملٌ.

وأما زيادة:﴿لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾في النمل فإن هذه الزيادة جاءت تعليلاً،لما أكده نبي الله موسى عليه السلام وأخبر به من عزمه على الإتيان بالشهاب القبس،والله أعلم.

وأما القصص فقد قدم فيها ذكر طلب الخبر؛لأنه الأهم له ولأهله،والسورة تبين تفاصيل حالهم،ولهذا خلت من زيادة النمل:﴿أَوۡ ءَاتِيكُم﴾؛لأن العطف فيها وقع على فعل الرجاء قبل،ولو أعيد الفعل لناقض ذلك معنى الرجاء.

وأما ما تميزت به من قوله: ﴿أَو جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، فكأن هذا إخبارٌ عن غاية ما يريد نبي الله موسى عليه السلام لأهله،وهو إحضاره ناراً بين أيديهم،من شجر غليظ له جمرٌ يبقى مدةً كذلك،على ما يعطيه معنى الجذوة،وأصل هذه النار مقتبسٌ من تلك التي رآها،فهو بهذا يعد أهله بذلك،فيبين ما نواه من عزمه ويخبر بأن هذا كائنٌ بين أيديهم،فكان معطوفاً على ما سبق من رجائه؛لأنه لا يتيقن تمام ذلك،والقصص تفصل أحوال موسى عليه السلام بما يظهر فيها من التلطف الرباني به وبالمستضعفين من المؤمنين،وحسن تدبير الله لهم ،ومن هذا ما أراده موسى عليه السلام وعزم عليه من إحضار النار لأهله،والذي يصور حال الترقب والرجاء عنده وعند أهله،والله أعلم.

الموضع الثامن:في طه:﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٢﴾(١١، ١٢) .

وفي النمل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾(النمل: ٨، ٩).

وفي القصص: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾(القصص ٣٠).

وفيه نوعان من المتشابه:

النوع الأول:الإبدال ففي طه والقصص: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾،وفي النمل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾.

قال الراغب-رحمه الله-:«أتى:الإتيان: مجيء بسهولة ،ومنه قيل للسيل المار على وجهه أتي وأتاويّ»[(١)].

وقال -رحمه الله-:«جاء: جاء يجيء جيئة ومجيئا، والمجيء كالإتيان لكن المجيء أعم؛لأن الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتبارا بالحصول»[(٢)].

قال د.فاضل السامرائي:«ولم يذكر أهل المعجمات ما ذكره الراغب،وإنما هم يفسرون واحداً بالآخر ،فيفسرون جاء بأتى،وأتى بجاء،غير أنهم يذكرون في بعض تصريفات (أتى) ما يدل على السهولة،فيقولون مثلاً في تفسير الطريق الميتاء من(أتى)"طريق مسلوك يسلكه كل أحد"وذلك لسهولته ويسره.ويقولون:"كل سيل سهلته لماء أتيّ" و "أتّو جداولها:سهلوا طرق المياه إليها" يقال:(أتيت الماء) إذا أصلحت مجراه حتى يجري إلى مقاره...ويقال :أتّيت السيل ،فأنا أؤتّيه إذا سهلت سبيله من موضع إلى موضع ليخرج إليه...وأتّيت الماء تأتيةً وتأتياً،أي:سهلت سبيله ليخرج إلى موضع»[(٣)].

---

(١)المفردات ص ٦٠.

(٢)المفردات ص ٢١٢.

(٣)لمسات بيانية في نصوص التنزيل ص ٩٧،وانظر تهذيب اللغة ١٤/٣٥٠-٣٥٣،لسان العرب ١٤/١٤-١٨.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد اختصت سورتي طه والقصص بلفظ الإتيان،وهو المجيء بسهولة،وقد كان هذا اللفظ هو المناسب لهاتين السورتين،وذلك أنه يصف لنا حال موسى عليه السلام،وهو يقترب من النار،وكيف كان يمشي مترقباً على مهله؛لأنه كان يأتي إلى مكان لا يدري ما وراءه،وفي ليلٍ بهيم،وطه كانت تبين حاله هنا بالتفصيل وهو يتلقى أمر الرسالة،وأما القصص فكانت دائماً تفصل حاله،وهذا منه.

وأما النمل فلما كانت تبين الخبر بإجماله؛فإنها جاءت باللفظ العام،الذي يبين الخبر كيف وقع،وليس لها غرض في بيان حال موسى عليه السلام بالتفصيل،والله أعلم.

النوع الثاني:اختلف النداء في السور الثلاث:

ففي طه:﴿ نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ * إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾.

وفي النمل:﴿ نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾.

وفي القصص:﴿ نُودِيَ مِن شَٰطِئ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

الثالث: في طه والقصص زيادة تحديد مكان التكليم،ففي طه:﴿ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴾،وفي القصص:﴿ نُودِيَ مِن شَٰطِئ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾،ولم يرد التحديد في النمل.

قال الشنقيطي-رحمه الله-:«اختلفت عبارات المفسرين في المراد بـ﴿ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ في هذه الآية في سورة النمل، فقال بعضهم هو الله جل وعلا ،وممن روي عنه هذا القول ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب، قالوا: بورك من في النار أي تقدس الله وتعالى، وقالوا كان نور رب العالمين في الشجرة، واستدل من قال بهذا القول

بحديث أبي موسى الثابت في الصحيح[(١)]، أن النبي ﷺ قال:"إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه".

قال مقيده-عفا الله عنه-وهذا القول بعيد من ظاهر القرآن، ولا ينبغي أن يطلق على الله أنه في النار التي في الشجرة، سواء قلنا إنها نار أو نور، سبحانه جل وعلا عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، وتأويل ذلك بـ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ سلطانه وقدرته لا يصح ؛لأن صرف كتاب الله عن ظاهره المتبادر منه لا يجوز إلا بدليل يجب الرجوع إليه من كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ ، وبه تعلم أن قول أبي حيان في البحر المحيط: قال ابن عباس وابن جبير والحسن وغيرهم: أراد بمن في النار ذاته، وعبر بعضهم بعبارات شنيعة مردودة بالنسبة إلى الله تعالى، وإذا أثبت ذلك عن ابن عباس ومن ذكر أُوِّلَ على حذف، أي: بورك من قدرته وسلطانه في النار ا هـ، أنه أصاب في تنزيهه لله عن تلك العبارات، ولم يصب فيما ذكر من التأويل -والله أعلم-،وقال بعضهم: إن معنى:﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ أي: بوركت النار؛ لأنها نور، وبعده عن ظاهر القرآن واضح كما ترى، وقال بعضهم: إن﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ أي: بوركت الشجرة التي تتقد فيها النار، وبعده عن ظاهر القرآن أيضا واضح كما ترى، وإطلاق لفظة:﴿مَن ﴾ على الشجرة وعلى ما في النار من أمر الله غير مستقيم في لغة العرب التي نزل بها القرآن العظيم كما ترى.

وأقرب الأقوال في معنى الآية إلى ظاهر القرآن العظيم: قول من قال إن في النار التي هي نور ملائكة وحولها ملائكة وموسى، وأن معنى﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ أي: الملائكة الذين هم في ذلك النور،﴿وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ أي: وبورك الملائكة الذين هم حولها، وبورك موسى لأنه حولها معهم، وممن يروى عنه هذا السدي، وقال الزمخشري في الكشاف:

---

(١)صحيح مسلم ،كتاب الإيمان،باب قوله ﷺ:"إن الله لا ينام"،١/١٦١ برقم (١٧٩).

ومعنى ﴿أَن بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها، وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ وتدل عليه قراءة أبي: "أن تباركت النار ومن حولها"، وعنه "بوركت النار".»[1].

وعليه فتكون البركة في النمل ذكرت لموسى عليه السلام والملائكة والبقعة.

أثر السياق في توجيه المتشابه في النوعين السابقين:

لقد وصفت طه إتيان موسى عليه السلام النار وتلقيه للوحي بما تميزت به عن السورتين،مما هو وفق سياقها،قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾(طه ١١-١٤)،فبينت السورة جلالة أمر الرسالة،وعظيم شأنها،حين أمره ربه بخلع نعليه؛لأنه بالوادي المقدس،وأخبره بأنه اختاره فحمّله تكاليف هذا الأمر،وأمره بالاستماع والاتباع للوحي،وعبادة ربه ،والقيام بأركان الدين،ولهذا فقد ناداه وأضاف ربوبيته إليه وفي هذا تلطف ظاهر،وهو تكليف كذلك،وحال النبي ﷺ مثل هذا،بل والتكليف بحقه أعظم،فهو خاتم النبيين،والرسول إلى الثقلين،بأبي هو وأمي ﷺ،فهذا سر ندائها: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ ،وسر تحديد مكان التكليم: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.والله أعلم.

وأما النمل فقد كان النداء فيها شاملاً مجملاً قد عمّ في ذكر البركة كل من عمته:وهم موسى عليه السلام والملائكة والبقعة،ثم سبح نفسه وأضاف ربوبيته للعالمين،وهي الربوبية العامة الشاملة،ثم نادى موسى عليه السلام وأخبر عن نفسه سبحانه بأنه المستحق للعبودية وحده،كما يفيده لفظ الجلالة،وأخبر أيضاً باسمين عظيمين شاملين لجميع

(١)أضواء البيان ٤/٣١٧-٣١٩،وانظر الكشاف ٣/٣٣٨.

خلقه: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾،فكان ذلك كالتهيئة لأمر الرسالة حين أمره بعد هذا النداء بأن يلقي عصاه،فلم يكن النظر إلى تفصيل حال موسى عليه السلام،وهذا سياق النمل.

قال الزمخشري-رحمه الله-:«وهذا تمهيد لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة، يريد:أنا القوي القادر على ما يبعد من الأوهام،كقلب العصا حية،الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير»[(١)].

قال ابن كثير-رحمه الله-:«وقوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩﴾ أعلمه أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز،الذي عز كل شيء وقهره وغلبه،الحكيم في أقواله وأفعاله،ثم أمره أن يلقى عصاه من يده،ليظهر له دليلا واضحا على أنه الفاعل المختار القادر على كل شيء»[(٢)]،والله أعلم.

أما القصص فكانت تقص القصة بالتفصيل،ولهذا فقد فصلت في مجيء موسى عليه السلام إلى النار ،وفصلت في تحديد مكانه،ومن أين نودي؟،ثم ما ناداه به ربه من النداء في قوله:﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾،فقد ناداه بالربوبية العامة للخلق،ليبين له من الذي يناديه،وما حقيقة ما هو مقدمٌ عليه؛ولأن«وصف: ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يدل على أن جميع الخلائق مسخرة له ليثبت بذلك قلب موسى عليه السلام من هول تلقي الرسالة»[(٣)]،والله أعلم.

---

(١)الكشاف ٣/٣٣٩.

(٢)تفسير ابن كثير ٦/١٨٠.

(٣)التحرير والتنوير ١٠/١١٢.

المقطع الثاني

﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ٢٢﴾ (طـه ٢٢)

﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ١٢﴾ (النمل ١٢)

﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٣٢﴾ (القصص ٣٢).

مواضع المتشابه ونوعه:

الموضع الأول: في طه: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾، وفي النمل: ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ﴾، وفي القصص: ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ﴾.

نوعه: تشابه بالإبدال.

ففي طه: ﴿وَٱضۡمُمۡ﴾، وفي النمل: ﴿وَأَدۡخِلۡ﴾، وفي القصص: ﴿ٱسۡلُكۡ﴾.

وفي طه: ﴿جَنَاحِكَ﴾، وفي النمل والقصص: ﴿جَيۡبِكَ﴾.

الموضع الثاني: في القصص زيادة: ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ﴾.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

الموضع الثالث: في طه والنمل سماهما آية فقال في طه: ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾، وقال في النمل: ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾، وفي القصص سماهما برهانان فقال: ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ﴾.

نوعه: إبدال في الجمل.

الموضع الرابع: في النمل: ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ﴾، وفي القصص: ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ﴾.

وهنا نوعان من المتشابه:

أحدهما:زيادة جملة في النمل والقصص عما في طه.

الثاني:الإبدال بين النمل والقصص،ففي النمل:﴿وَقَوْمِهِۦ﴾،وفي القصص:﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾.

قال الراغب-رحمه الله-:«ضم: الضم :الجمع بين الشيئين فصاعدا قال: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾،﴿وَٱضْمُم إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾،والإضْمامَة جماعة من الناس أو من الكتب أو الريحان أو نحو ذلك، وأسد ضَمْضَم وضُماضِم :يضم الشيء إلى نفسه ،وقيل: بل هو المجتمع الخلق، وفرس سبَّاق الأضاميم: إذا سبق جماعة من الأفراس دفعة واحدة»[(١)].

وأما:﴿ٱسْلُكْ﴾،فقد قال ابن فارس-رحمه الله-:«سلك:السين واللام والكاف أصل يدل على نفوذ شيء في شيء...والمسلَكَة:طُرّةٌ تشق من ناحية الثوب ،وإنما سميت بذلك لامتدادها،وهي كالسلك»[(٢)].

وقال الجوهري-رحمه الله-:«س ل ك:السِّلْكُ بالكسر الخيط وبالفتح مصدر سَلَك الشيء في الشيء فانْسَلَك أي أدخله فيه فدخل»[(٣)].

وبهذا فإنا نجد في السَّلْك معنى إدخال شيء في شيء،ونفاذه فيه ،وامتداده.

أما الجناح،فقد قال النحاس-رحمه الله-:«﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾قال الفراء الجناح ههنا العصا،ولم يقل هذا أحد من أهل التفسير ولا من

---

(١)المفردات ص ٥١٢.

(٢)معجم مقاييس اللغة ص ٤٩٠.

(٣)مختار الصحاح ١/١٣٠،وانظر تهذيب اللغة ١٠/٦٢،لسان العرب ١٠/٤٤٢.

المتقدمين علمته،وحكى أكثر أهل اللغة أن الجناح من أسفل العضد إلى آخر الإبط،وربما قيل لليد جناح،ولهذا قال أبو عبيدة:﴿ جَنَاحَكَ ﴾ أي يدك»[(١)].

أما الجيب،فمعروف وهو موضع القطع من الدرع والقميص[(٢)].

وعلى ما بيناه من معاني مفردات الآيات،فإن معنى أية طه: أن موسى عليه السلام أُمر أن يضع يده-والظاهر أنها اليمنى- تحت عضده-الأيسر-ويلصقها هناك ثم ينزعها،فتخرج بيضاء من غير سوء،ولم يذكر في طه أنه يدخلها من فتحة الجيب ،ولكن هذا قد بين في الموضعين الآخرين،وأما لماذا ورد في طه هذا الذي ورد؟،فهذا من شأن السياق.

وأما النمل فإن غاية ما أمر به موسى عليه السلام هو إدخال يده في جيبه،ولم تبين أبعد من هذا،ولكن لا شك أنه مأمورٌ بما بينته طه،إذ هو آخر ما تصل إليه يده بعد دخولها مع شق الجيب،وأما لماذا لم تذكر النمل تمام الأمر؟،فهو ما يبينه لنا التوجيه-بإذن الله-.

وأما القصص،فقد شابهت النمل في ذكر دخول اليد مع الجيب ولكنه كان بلفظ﴿ ٱسۡلُكۡ﴾ وهو مختلف عن النمل،وأما غاية وصول اليد فالذي يظهر لي-والله أعلم- هو أن القصص قد بينته كما بينته طه،يظهر ذلك من سياق القصص من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول:أن لفظ﴿ ٱسۡلُكۡ﴾ كما بيناه في اللغة يدل على دخول شيء في شيء ونفاذه فيه وامتداده،وهذا المعنى يبين أنه عليه السلام أُمر أن يدخل يده وينفذ بها،فيمتد دخوله بها حتى يصل إلى إبطه فيضعها تحته كما هو صريح طه.

الوجه الثاني:ما تبينه الزيادة التي تميزت بها القصص في الموضع الثاني،فإنه بعد أن أمره بأن يسلك بيده في جيبه أمره بأن يضم إليه جناحه فقال تعالى:﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ﴾،والجناح قد عُلم في طه أن اليد تصل

---

(١)معاني القرآن للنحاس ١٧٨/٥،وانظر تفسير مجاهد ٣٩٥/١،جامع البيان ٤٩/١٦،زاد المسير ٢١٩/٦،وبعضهم يذهب إلى أن الجناحين هما الجنبان،انظر المصدرين السابقين،لكن تسمية الجنب جناحاً هو باعتباره محل الجناح،وإلا فالجناح على الصحيح ما سبق في كلام النحاس .

(٢)انظر معجم مقاييس اللغة ص ٢٣١،الجامع لأحكام القرآن ١٥٣/١٢.

إليه،فيكون المعنى:أنفذ بيدك حتى تبلغ إبطك الأيسر ثم ضم عضدك الأيسر على يدك اليمنى،فاتفقت طه والقصص على هذا المعنى.

قال السعدي-رحمه الله-:«﴿ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾،أي: أدخل يدك إلى جيبك وضم عليك عضدك الذي هو جناح الإنسان»[(١)].

الوجه الثالث:ويزيد هذا المعنى تأكيداً ما تراه من تعقيب هاتين الجملتين-سلْك اليد وضم الجناح-بقوله تعالى:﴿ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ﴾،فإنه لو لم يكن ضم الجناح ،وسلوك اليد شيء واحد لما كان التعقيب على الجملتين جميعاً مناسباً،بل يكون ملبساً؛لأن البرهانين هما العصا واليد،لا ضم الجناح،فعلم بهذا أن ضم الجناح تمام وصفٍ لآية اليد،فأصبح في آية اليد فائدتان:أحدها: أنها آية،والثانية:أن في ذلك إفراغاً للسكينة والطمأنينة على موسى عليه السلام بعد ضمه جناحه.

قال الثعالبي-رحمه الله-:«﴿ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾،أي: جنبك...فجمع الله سبحانه لموسى عليه السلام تفتير الرعب مع الآية في اليد»[(٢)].وأما سبب اختصاص القصص بما اختصت به فهذا يفسره لنا السياق-بإذن الله-.

أثر السياق في توجيه المتشابه في المواضع الأربعة السابقة:

لقد كانت طه تبين حال موسى عليه السلام بالنظر لتلقيه للوحي،وتبين لطف الله به،وقد كانت السورة -كما هو معلوم-تؤنس النبي ﷺ،وتخفف عليه أمر القرآن.

قال ابن تيمية-رحمه الله-:«"سورة طه" مضمونها تخفيف أمر القرآن وما أنزل الله تعالى من كتبه»[(٣)]،فالسورة بهذا تقص على النبي ﷺ ما يبين أمر هذا التخفيف،فكانت قصة موسى عليه السلام في طه من هذا،فكان ملحوظاً فيها ذكر خبر تأنيس موسى عليه السلام والتلطف به،وقد ظهر هذا في بدء رسالته،فقد بعثه الله بآيتين العصا واليد،وقد بان أمر

---

(١)تيسير الكريم الرحمن ص ٤٥٣.

(٢)تفسير الثعالبي ٢٧/٣،وقد ذكر مثل ذلك الزمخشري ،انظر الكشاف ٣٩٤/٣،ثم قال:« وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه إليه».

(٣)مجموع الفتاوى ٢٣٧/١٥.

التخفيف في آية العصا ،فبينا المقارنة بين طه وبين النمل والقصص في آية العصا،وبينا أنه في النمل والقصص قد بين حال موسى عليه السلام حين شاهد العصا التي وصفها بوصف الجان ،وذكر حال هرب موسى عليه السلام،ولم يذكر ذلك في طه بل اقتصر في وصف العصا على ما يبين فيها الآية وهو الحياة ،ولهذا لم يذكر هربه؛لأن الهرب تابع لوصف العصا بالجان،وهو وصف لا يناسب سياق طه،لما ذكرناه،ولهذا فقد ذكر ما طمأنه به في طه بقوله:﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾(طه ٢١).

وقد كانت آية اليد كذلك،فإن الله يبين أنه يؤيد رسوله بهذه الآية ،ويذكر من شأنها غاية أمرها ،والمعنى :أنه يأمر نبيه أن يدخل يده في جيبه حتى يضعها تحت إبطه فتخرج له آية،ولم يكن منظوراً هنا إلى حال فرعون وقومه-كما في النمل-،ولا إلى حال موسى عليه السلام بما كان يحاذره من فرعون وملئه-كما هو في القصص-.بل بما يبين هذه الآية لهذا النبي عليه السلام،يؤكد هذا الذي ذهبنا إليه ما اختصت به طه من التعقيب على ذلك بقوله:﴿ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾-كما في الموضع الثالث-،أي:آيةً لك يا موسى وعلامةً على صدقك،يؤكد ذلك أيضاً أنه قال له بعد ذلك:﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾(طه ٢٣).

ولهذا السبب فقد خلت طه من زيادة القصص،وهو قوله تعالى:﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾،كما في الموضع الثاني؛لأن زيادة القصص تبين حال موسى عليه السلام في ترقبه،وحذره من فرعون،وطه لم تكن تبين ذلك.فتبين بهذا وجه مناسبة ما ورد في طه لسياقها.

وقد نقصت طه زيادةً زادتها النمل والقصص في الموضع الرابع،وهذه الزيادة هي في النمل قوله تعالى:﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ﴾،وفي القصص قوله تعالى:﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ﴾،وقد كانت هذه الزيادة في الحقيقة زيادةً واختصاراً؛لأن هذه الزيادة في النمل والقصص قد اختصرت شأن موسى عليه السلام مع فرعون بعد الرسالة؛لأنهما لم يقصد فيهما تفصيل حاله معه،أما النمل فلإجمالها،وأما القصص فإنها لما كانت تبين حال المستضعفين في

استضعافهم وحسن تدبير الله لهم،فإنها بينت سرعة هلاك عدوهم حين لم تفض في بسط قصة موسى عليه السلام مع فرعون وأحوال مقارعته له،وإنما كان البسط لمبدأ أمرهم وتدرج أحوالهم،حتى وصولهم إلى غاية ذلك،وهو المقارعة للطغاة،فبينت نهاية الطغاة،ولم تفض فيه،ليتبين حسن تدبير الله لهم.ولهذا فإنها لما أظهرت فرعون وجنوده في غاية كبرهم:﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾(القصص ٣٨-٣٩)،أظهرت مقابل ذلك حقارتهم وشدة هوانهم على الله،وأليم بطشه بهم ،في الآية التي بعدها:﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾(القصص ٤٠).فكان هذا الإيجاز في ذكر أحوال بني إسرائيل مع فرعون بعد رسالة موسى عليه السلام، يبين رعاية الله للمستضعفين وحسن تدبيره لهم ببيان سرعة النصر والتمكين.

وقد خلت طه من تلك الزيادة التي في النمل والقصص؛لأن تلك الزيادة اختصارٌ كما بينا،وطه قد أفاضت في شأن موسى عليه السلام مع فرعون؛لأنه المقصود في السورة،وبهذا تم توجيه كل مواضع طه،والله أعلم.

أما النمل فقد ورد فيها الأمر بقوله: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ ﴾ بلفظ الإدخال في الجيب،وقد سبق أن غاية اليد بعد دخولها هو أن تكون تحت الإبط،وعليه فالذي في النمل هو أول الأمر لا غايته؛وأما سبب ذلك فهو أن النمل كانت مبنية على الإجمال،وليست تبين حال موسى عليه السلام بمزيد تخصيص،فكان لفظ الإدخال هو الذي يبين الآية في ظاهرها؛لأنه اللفظ الأعم والسورة تبين أن الله بعث موسى عليه السلام بآيات ،منها هاتان الآيتان العصا واليد،ثم إن آية اليد إنما تظهر لفرعون وقومه بإدخال موسى عليه السلام ليده في جيبه،ونزعها بيضاء،هذا هو الذي يظهر لهم،وليس يظهر لهم ما وراء ذلك من بلوغ اليد إلى الجناح ،فاقتصرت على ما هو ظاهر الآية.

وأما خلوها مما تميزت به القصص من الزيادة في الموضع الثاني،وهو قوله تعالى:﴿ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ﴾،فإن تلك الزيادة كانت تعالج شأناً خاصاً من أحوال موسى عليه السلام،وهو إزالة الرهب منه،وهذا لم تكن تعنى به النمل؛لبنائها على الإجمال،ولهذا فقد أجملت ذكر الآيات التسع،التي بعث بها موسى عليه السلام،كما في الموضع الثالث،فقال تعالى:﴿ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾،ولم تقتصر على ذكر الآيتين كما في طه والقصص؛لأنها تذكر القصة كلها بإجمال،بحسن بيانها وبديع نظمها.

وأما الموضع الرابع،فقد ذكر الله أنه بعث موسى عليه السلام بهذه الآيات التسع إلى فرعون وقومه،وفي القصص إلى فرعون وملئه،والسبب هو أن النمل تجمل،وحتى يكون الإجمال صحيحاً فإنه يلزم فيه أن يأتي باللفظ العام،الذي يدخل تحته الخاص،ولاشك أن الملأ يدخلون ضمن القوم،والقوم لا يدخلون ضمن الملأ،والله أعلم.

وأما القصص فقد بينا فيما سبق أن موسى عليه السلام قد أمر فيها بأن ينفذ بيده حتى تكون تحت عضده،وأن يضم عضده إليه،حتى يكون له ذلك آيةً وتفتيراً لخوفه.

ولم يكن مقصوداً في القصص قص الخبر عن إظهار الآية لموسى عليه السلام وحده كما كان هذا مراعىً في طه،بل كان يُنْظَر فيها لحال فرعون وملئه أيضاً،لما كان موسى عليه السلام يحاذره منهم والسورة كانت تعالج ذلك،فذكرت اللفظ الذي يبين الآية لفرعون وملئه كما تظهر لهم،وهو لفظ﴿ ٱسۡلُكۡ﴾؛لأنه يبين دخول اليد في الجيب كما يراها فرعون وملؤه،وهو غاية ما يرون لا تتعدى رؤيتهم إلى ما وراء ذلك من وصول اليد إلى الجناح،ولهذا قال: ﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾،فجعلها آية بعد أن تسلك في الجيب؛لأن هذا ما يراه فرعون وملؤه،ثم قال:﴿ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ﴾أي:بعد وصول اليد إليه وهذا هو التطمين لموسى عليه السلام،فكانت هذا آية وتفتيراً لخوفه،ولم يكن لفظ﴿ وَأَدۡخِلۡ﴾ ليبين هذا.

وأما خوف موسى عليه السلام فقد قال بعض العلماء إنه من العصا،فإذا خاف ضم جناحه فذهب خوفه،وقال بعضهم إنه من اليد التي تخرج بيضاء،والصحيح-والله أعلم-

هو ما ذهب إليه ابن كثير من العموم؛وأنه كلما خاف ضم إيه جناحه فكان ذلك مُذْهِباً لخوفه؛لأنه ليس هناك دليل يؤيد من خصص،والآية ظاهرها العموم.

قال ابن كثير -رحمه الله-:« وقوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾قال مجاهد: من الفزع، وقال قتادة:من الرعب،وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير:مما حصل لك من خوفك من الحية،والظاهر أن المراد أعم من هذا،وهو أنه أُمر عليه السلام إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب، وهو يده فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف»[(١)] ،ويؤيد ذلك أنه سبحانه عقب بعد أن ذكر آيتي اليد والعصا،بقوله لموسى عليه السلام: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾،والبرهانان«حجتان نيرتان،وبرهان:فعلان لقولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان،من قولهم بره الرجل إذا ابيض، ويقال للمرأة البيضاء بَرْهاء وبَرَهْرَهة»[(٢)] ،فالمقصود هنا رعاية حال موسى عليه السلام فيما يحاذره من فرعون،فمع تطمينه بضم جناحه إليه حال الخوف،كان هذا تطميناً له من الله بأن اليد والعصا حجتان تقطعان كل عذر لفرعون وملئه فلا تخف.

ولهذا قال في القصص: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾،فخص الملأ هنا؛لأنهم هم الذين كان موسى عليه السلام يحاذرهم مع فرعون،لا القوم الذين هم تبع لفرعون وملئه،والسورة تفصل أحوال موسى عليه السلام،وبهذا يتم توجيه مواضع القصص الأربعة،والله أعلم بالصواب.

---

(١)تفسير ابن كثير ٢٣٥/٦،وانظر الأقوال في ذلك جامع البيان ٢٤٥/١٨-٢٤٦،تفسير البغوي ٣٨٢/٣.

(٢)إرشاد العقل السليم ١٢/٧-١٣، وانظر تفسير البيضاوي ٢٩٢/٤.

المقطع الثالث

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾(طه ٣٧-٣٩)

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾(القصص ٧)

موضع المتشابه ونوعه:

الموضع الأول: في طه الآيات على أسلوب الخطاب،وفي القصص على الغيبة.

نوعه:تشابه باختلاف الضمائر.

الموضع الثاني: في طه:﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ﴾ ،وفي القصص: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾.

نوعه تشابه بالإبدال،ففي طه: ﴿إِذْ﴾،وفي القصص بالعطف بالواو.

الموضع الثالث: في طه:﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾،وفي القصص: ﴿إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾.

هنا نوعان من المتشابه:

أحدهما:إضافة:﴿أُم﴾إلى ضمير موسى عليه السلام في طه﴿أُمِّك﴾،وفي القصص إلى الاسم المظهر.

الثاني:الإبهام في الموحى به في طه،والتفصيل في القصص.

أثر السياق في توجيه المتشابه في المواضع الثلاثة:

أما أسلوب الخطاب في طه،فإنه خطابٌ لموسى عليه السلام،وسياق قصة ولادته في طه ،هو سياق منةٍ عليه،فإن الله سبحانه بعد أن تفضل عليه بالرسالة والتكليم،طلب موسى من ربه أن يشرح له صدره،وييسر له أمره،وأن يحلل عقدة من لسانه،وأن يجعل أخاه هارون عليه السلام وزيراً له من أهله،فاستجاب الله دعاءه،ثم ذكّره بما من عليه به في

ولادته،فقال الله تعالى:﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾(طه ٣٦-٣٨)،ولهذا قال:﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ﴾؛لأن:﴿إِذْ﴾ظرفٌ للمنة،ثم قال:﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾،والموصول فيه إبهامٌ يفيد التعظيم.

قال ابن عطية-رحمه الله-:« وقوله:﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ إبهام يتضمن عظم الأمر، وجلالته في النعم، وهذا نحو قوله تعالى:﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾(النجم ١٦)،وهو كثير في القرآن والكلام»[(١)].

وهذا التذكير لموسى عليه السلام والامتنان عليه بما كان من أمر ولادته بعد إرساله،هو من التلطف به،وإظهار أمر الرسالة وأنها شرفٌ له وعنايةٌ من ربه،وذلك أن المعنى:أنك إذا كنت يا موسى محل العناية في أول أمرك في ولادتك،فأمرك بعد الرسالة أعظم؛لأن الله هيأك لأمرٍ عظيمٍ ،وهذا نظير قول الله سبحانه لنبينا ﷺ:﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾(الضحى ٥-٨).والسورة تقص من نبأ موسى عليه السلام ما هو محل العبرة،وهذا هو محل العبرة الموافق لسياقها كما هو المعلوم من سياقها.والله أعلم[(٢)].

أما القصص فقد كانت القصة فيها تُساق خبراً مفصلاً لأحوال موسى عليه السلام من ولادته،وما يظهر في ذلك من حسن تدبير الله ورعايته له وللمستضعفين من المؤمنين.

قال ابن عاشور-رحمه الله-عن هذه الآية،وهي قوله:﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾:«عطفٌ على جملة:﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾(القصص ٥).إذ الكل من أجزاء النبأ.وتتضمن هذه الجملة تفصيلاً لمجمل قوله:﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ

---

(١)المحرر الوجيز ٤/٤٤،وانظر أضواء البيان ٤/٤٣٩.

(٢)انظر التحرير والتنوير ١٦/٢١٥.

عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾(القصص ٥)،فإن الإرادة لما تعلقت بإنقاذ بني إسرائيل من الذل خلق الله المنقذ لهم»[(١)]،ثم استمرت القصة تسوق من نبئه حتى استنقذ الله به بني إسرائيل.

وبهذا يتبين لماذا جاءت الضمائر على الغيبة،ولماذا كان العطف،ولماذا بدأت القصة بتفصيل نبأه؟وهي المواضع الثلاثة في القصص،والله أعلم.

الموضع الرابع:في طه:﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ وفي القصص:﴿أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾.

هنا نوعان من المتشابه:

أحدهما:زيادة في طه ليست في القصص،وهي قوله تعالى:﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾،وزيادة في القصص ليست في طه،وهي قوله تعالى: ﴿أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ﴾.

الثاني:الإبدال ففي طه:﴿فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾،وفي القصص:﴿فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾.

قال الشنقيطي-رحمه الله-:«و:﴿أَنِ﴾ في قوله:﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ﴾ هي المفسرة؛لأن الإيحاء فيه معنى القول دون حروفه...والتابوت:الصندوق،واليم:البحر،والساحل:شاطئ البحر،والبحر المذكور: نيل مصر... والضمير في قوله:﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ﴾ راجع إلى موسى بلا خلاف، وأما الضمير في قوله:﴿فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾،وقوله:﴿فَلۡيُلۡقِهِ﴾ فقيل: راجع إلى التابوت ،والصواب رجوعه إلى موسى في داخل التابوت؛لأن تفريق الضمائر غير حسن»[(٢)].

---

(١)التحرير والتنوير ٢٠/٧٣.

(٢)أضواء البيان ٤/٤٣٩،وانظر الكشاف ٣/٦١.

أما القذف:فقد قال الراغب-رحمه الله-في معناه:« قذف: القذف: الرمي البعيد، ولاعتبار البعد فيه قيل: منزل قذف وقذيف، وبلدة قذوف بعيدة.وقوله:﴿ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ ﴾،أي: اطرحيه فيه»[(١)]،والرمي البعيد لا يكون إلا من قوةٍ في الرمي،ولهذا قال بعضهم:«والقَذْف الرَّمْيُ بقُوّة»[(٢)]،ولما كان القذف البعيد لا يحصل إلا من قوةٍ في الرمي؛فإنه لا بد أن يكون سريعاً؛لأن السرعة نتاج القوة،ولهذا قالوا:«ناقة قِذافٌ و مُتَقاذِفةٌ: سريعة، وكذلك الفرس . وفرسٌ مُتَقاذِفٌ: سَريع العَدْوِ . وسَير مُتَقاذفٌ: سريع»[(٣)] .

وعليه فإننا نجد أن القذف فيه معنى:القوة والبعد والسرعة.

وأما الإلقاء فقال الراغب-رحمه الله-:«والإلقاء:طرح الشيء حيث تلقاه، أي: تراه، ثم صار في التعارف اسما لكل طرح»[(٤)] .

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كانت سورة طه تذكر منة الله على موسى عليه السلام في ولادته ونشأته،ولهذا فإن الله يبين له بعد الإجمال-الذي قد عرف ما فيه- من تفاصيل ذلك ما يتحقق به لموسى عليه السلام عظيم المنة،فذكر الله له هذا الموحى به مفصلاً،وهو أنه سبحانه أوحى إلى أمه:أن تقذفه في تابوت،فتقذفه في اليم،وبهذا يكون التابوت منةً، والإلقاء في اليم منةً،وهذا اليم قد أمره الله أن يلقي موسى عليه السلام على شاطئه فهذه منةٌ أيضاً،هذا سر الزيادة في طه،وأما سبب التعبير عن الوحي لأم موسى بقوله:﴿ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ ﴾؛فإن هذا وراءه سرٌ آخر ،مدلولٌ عليه بما سبق وعلمته من معاني القذف،وذلك أن لفظ القذف يبين السرعة التي عملتها أم موسى حتى أخفت هذا الغلام،وبالفاء المعقبة التي تدل على مزيد السرعة

---

(١)المفردات ص ٦٦١،وانظر التعاريف للمناوي ص ٥٧٧.

(٢)النهاية في غريب الحديث ٢٩/٤،وانظر اللسان ٢٧٧/٩.

(٣)لسان العرب ٢٧٨/٩.

(٤)المفردات ص ٧٤٥.

أيضاً،فكانت سرعةً في وضعه في التابوت،وسرعةً أخرى في وضعه في اليم،وهذه السرعة تبين عظيم الطلب ،فتبين عظيم المنة في هذا التيسير والتسخير.

قال ابن عاشور-رحمه الله-«والقذف أصله الرمي،وأطلق هنا على الوضع في التابوت ،تمثيلاً لهيئة المخفي عمله،فهو يسرع وضعه من يده كهيئة من يقذف حجراً ونحوه»[(١)] .والله أعلم.

أما القصص فإنها كانت تقص الخبر بالتفصيل،وفي ذكر هذه الأحوال المفصلة ما يبين حسن تدبير المولى سبحانه ما لا يخفى،ولهذا فقد بدأت تفصيل الموحى به،بذكر وحي الله لأم موسى عليه السلام بإرضاعه حتى إذا وجدت الخوف ألقته في اليم،وهذا الإرضاع سيكون له شأنٌ بعد ذلك،فسيكون سبباً لرده إلى أمه حين حرم الله عليه المراضع،ليرضع منها.

قال ابن جرير-رحمه الله-:«وقوله:﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.يقول :إنا رادو ولدك إليك للرضاع،لتكوني أنت ترضعينه ،وباعثوه رسولاً إلى من تخافينه عليه أن يقتله.وفعل الله ذلك بها وبه»[(٢)] .

ولم يكن لذكر تفاصيل وضعه في التابوت غرض؛لأنه كان وسيله ،والغرض ذكر أحوال هذه الأم الملهوفة،فكان الشأن في إلقائه في اليم،ولم يكن لذكر السرعة والخفية في إلقائه غرضٌ كذلك-كما يفيده لفظ القذف-بل كان الغرض في ذكر الإلقاء والطرح في اليم،وهو أمرٌ صعبٌ،وإذا اجتمعت النفس على تأمله،علمت حسن تدبير العزيز الحكيم سبحانه جل وعلا،ولهذا لم يذكر التابوت أصلاً في القصص،ولو ذُكر إلقاؤه في التابوت لذهب بشيء من هذا المعنى،كما أن الإلقاء وهو طرح الشيء بحيث يراه الملقي يبين عظيم لطف الله بأم موسى عليه السلام ،ويبين التدرج في تدبير المولى لهذه الأم،وذلك أن في الوحي إليها بأن تلقيه بحيث تراه من التأنيس لها ما هو ظاهر،ثم إنّ فيه لطفاً آخر،وتدرجاً في

---

(١)التحرير والتنوير ٢١٦/١٦.

(٢)جامع البيان ١٥٨/١٨.

حسن التدبير عظيم،وذلك أن طرح هذا الابن بحيث تراه سيكون سبباً بعد ذلك في رده،حين طلبت من أخته أن تقصه،فأرجعه الله إليها بهذا السبب،والله أعلم.

الموضع الخامس:في طه:﴿ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾،في القصص:﴿ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

نوعه:تشابه بإبدال الجمل.

قال صاحب أضواء البيان-رحمه الله-:«﴿ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ فيها وجهان معروفان عند العلماء:

أحدهما:أن صيغة الأمر معناها الخبر،قال أبو حيان في البحر المحيط:و:﴿ فَلْيُلْقِهِ ﴾أمر معناه الخبر، وجاء بصيغة الأمر مبالغةً إذ الأمر أقطع الأفعال وأوجبها.

الوجه الثاني:أن صيغة الأمر في قوله:﴿ فَلْيُلْقِهِ ﴾ أريد بها الأمر الكوني القدري، كقوله:﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾(يس ٨٢).فالبحر لا بد أن يلقيه بالساحل؛ لأن الله أمره بذلك كوناً وقدراً»[(١)].

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كانت هذه الجملة التي تميزت بها طه،وهي قوله تعالى:﴿ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ تبين منةً أخرى يمن بها الله على كليمه موسى عليه السلام ،غير ما سبق من حال احتيال أمه في إخفائه،وهو تتمة ما أراد الله أن يجريه بما قضاه من قدره،وذلك أنه سبحانه قد أمر أمراً لا يتخلف-وهو جارٍ على القولين السابقين للعلماء-أمر هذا البحر أن يلقيَ هذا الغلام بالساحل،ولم يقل يقذفه،فالقذف فيه شدة وبعد،بل كان طرحاً سهلاً قريباً من الساحل،وقدر سبحانه أن يأخذه عدو الله وعدو موسى عليه السلام فرعون اللعين،الذي يعرفه

(١)أضواء البيان ٤/٤٣٩-٤٤٠،وانظر المحرر الوجيز ٤/٤٤.

موسى وقد تربى في بيته،وقد ألقى الله على موسى عليه السلام محبةً منه كانت سبباً في أن يدعه المجرمون فلا يقتلوه،وقد كان ذكر هذه التفاصيل لموسى عليه السلام امتناناً من الله عليه،وهو لا يعلم هذه التفاصيل،وفي هذا الامتنان من تهيئته لرسالة رب العالمين ما هو ظاهر،هذا هو سياق طه،والله أعلم.

وأما آية القصص فكان تعقيبها مناسباً سياقها،فإن تمام ألطاف المولى وحسن تدبيره:أن كان من تمام وحيه لأم موسى عليه السلام ما أوحاه إليها مما هو تأنيس وتثبيت لها،والعطب إن أتاها فلا يأتيها إلا من أحد أمرين:

الأمر الأول:الخوف على هذا الرضيع من الغرق أو من فرعون أو من الضيعة[(١)].

والأمر الثاني:الحزن لفراقه.

فثبتها الله ومنع عنها هاتين الآفتين،ثم بشرها ببشارتين :أنه راده إليها ليرضع منها،والثانية أنه جاعلٌ له شأناً حين يجعله رسولاً من المرسلين،كل هذه الأمور يهيئها الله حتى يبين لنا حسن تدبيره في تخليص القوم المستضعفين،فسبحان من بيده ملكوت كل شيء،وبهذا يتم توجيه هذا المقطع،والله أعلم بالصواب.

---

(١)ذكر العلماء هذه الأقوال في خوف أم موسى عليه السلام،والأولى حمله على جميعها،انظر هذه الأقوال في جامع البيان ١٨/١٥٨،تفسير السمعاني ٤/١٢٣،معالم التنزيل ٣/٣٧٣.

المقطع الرابع

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ (طـه ٤٠)

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾(القصص ١٣) .

مواضع المتشابه ونوعه:

الموضع الأول: في طه: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾،وفي القصص: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾.

نوعه:تشابه بالإبدال،إبدال كلمة بكلمة.

الموضع الثاني: في القصص زيادة عما في طـه: :﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

نوعه :تشابه بالزيادة والنقصان.

قال ابن فارس-رحمه الله-:«رجع:الراء والجيم والعين أصل كبيرٌ مطردٌ منقاسٌ،يدل على ردّ وتكرار»[(١)] .

قال الأزهري-رحمه الله-:«وأما قوله تبارك وتعالى:﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾﴾(الطارق ١١)،فإن الفراء قال :تبتدئ بالمطر ثم ترجع به كل عام.وقال غيره:ذات الرجع،أي ذات المطر؛لأنه يجيء ويرجع ويتكرر...ورجْع الوشم والنقوش وترجيعه:أن يعاد عليه السواد مرّة بعد أخرى»[(٢)] .

---

(١)معجم مقاييس اللغة ص ٤٤١.

(٢)تهذيب اللغة ١/٣٦٤-٣٦٩.

وبهذا يتبين أن في الرجوع معنى العود والتكرار.

أما الرد فقال الراغب-رحمه الله-:« رد: الرد: صرف الشيء بذاته أو بحالة من أحواله.يقال رددته فارتد»[(١)].

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كانت طه في سياق الامتنان على موسى عليه السلام،وتميُّز طه بلفظ الرجوع هو من هذا؛وذلك أن آل فرعون لما عثروا على هذه المرضع التي قبل الطفل ثديها فإنهم سيستأجرونها لرضاعه،والطفل في هذه المدة هو بين بيت آل فرعون وبين بيت المرضع،فطه بهذا تبين التكرار والمعاودة في إرضاع موسى عليه السلام من أمه كل هذه المدة،حتى بلغ أجل الرضاع،فكان الله يمتن عليه بهذا لا بالعود أول مرّة لأمه.

أما القصص فإنها تقص القصة بالتفصيل،وكانت تصف حال أم موسى وما نابها من الهم على ابنها الذي طرحته في اليم،ولا أبلغ من وصف القرآن لما وصل إليه حالها من الكرب والهم والخوف،قال الله تعالى:﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾

فقد «قدر الله على أم موسى ،ذلك الحزن الشديد ،والهم البليغ ،الذي هو وسيلة إلى أن يصل إليها ابنها ،على وجه تطمئن به نفسها،وتقر به عينها،وتزداد به غبطةً وسروراً»[(٢)] ،فموسى عليه السلام لن يعود إلى أمه عوداً كاملاً،لكن الأم بعد الذي رأته من شدة الحزن كان هذا هو غاية المنى لها،والآيات تصف بالقصد الأول عود الابن أول مرة،وهي المرة التي ما كادت الأم أن تصدق بها،فكان لفظ الرد وهو اللفظ الأعم هو الذي يبين

---

(١)المفردات ص ٣٤٨،وانظر مختار الصحاح ١/١٠١.

(٢)تيسير الكريم الرحمن ص ٥٦٨.

هذا: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ ﴾،وهذا أيضاً هو ظاهر القصة كما يقضيه سردها،وأما إظهار تكرار عود الطفل إلى أمه للرضاع فلم يكن له كبير غرض هنا،ولهذا فقد عقبت القصص بعد بقوله تعالى: ﴿ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾،فزادت القصص قوله تعالى: ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾.وهي زيادة تبين مزيد حالٍ من أحوال الأم،وهذه الحال هي حال المستضعفين الذين يريد المولى أن يمن عليهم، بما يعلمهم من العلم الذي تقر به نفوسهم وتطمئن به لوعد الله،وهذا هو سياق القصص،والله أعلم.

المقطع الخامس

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ (طه ٤٦، ٤٧)

﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الشعراء ١٥، ١٦)

مواضع التشابه ونوعه:

الموضع الأول: في طه: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾، وفي الشعراء: ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾.

هنا نوعان من المتشابه:

أحدها: اختلاف الضمير العائد إلى الله سبحانه، ففي طه بالإفراد: ﴿إِنَّنِي﴾، وفي الشعراء على صيغة ضمير الجمع: ﴿إِنَّا﴾.

الثاني: اختلاف الضمير الذي أسندت إليه المعية، ففي طه أسندت إلى ضمير التثنية: ﴿مَعَكُمَا﴾، وفي الشعراء إلى ضمير الجمع: ﴿مَعَكُم﴾.

ولا بد لنا هنا أن نعلم معنى معية الله سبحانه لخلقه، وما أقسامها، ومن أي الأقسام يكون ما معنا من المتشابه؟.

إن معية الله سبحانه لخلقه معية حقيقية تصان عن الظنون الكاذبة، كالظن بأنه مختلط بالخلق. بل هو سبحانه «فوق سماواته على عرشه، عليّ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون»[(١)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/١٤٢، وانظر شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ٢/٧٧-٧٩.

ومعية الله تنقسم إلى معية عامة وهي لجميع الخلق،«وهي معية ذاتية؛لأن الله لم يزل ولا يزال محيطاً بالخلق علماً وقدرةً وسلطاناً،وغير ذلك من معاني ربوبيته»[(١)]،ومعية خاصة لعباده المؤمنين،وهي تستلزم مع الإحاطة النصر والتأييد[(٢)].

ولقد دلت آية طه على المعية الخاصة لموسى وهارون عليهما السلام،ولم يكن هناك إشكال؛لأن المعية قد أسندت لضميرهما[(٣)]،وأما ما في سورة الشعراء فقد أشكل،حيث قد أسندت معيته سبحانه لضمير الجمع،والمخاطب هو موسى وهارون عليهما السلام،وعليه فقد ذهب بعض العلماء إلى أنه أجراهما مجرى الجمع،إما تعظيماً لهما لشرفهما،أو لأن أقل الجمع اثنين،وهذا ضعيف،«يأباه ما قبله وما بعده من ضمير التثنية»[(٤)]،ومنهم من جعل الخطاب لموسى وهارون،ومن يتبعهما من بني إسرائيل،وتكون المعية هي المعية الخاصة،ويضعف هذا أن السياق في إرسال النبيين الكريمين إلى فرعون،فالمعية والاستماع إنما هو لما يكون بينهم وبينه.

قال ابن جرير-رحمه الله-:«﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾:من قوم فرعون ما يقولون لكم،ويجيبونكم به»[(٥)].

ومنهم من يجعل المعية هنا المعية العامة؛لأن المعية أسندت لضمير الجمع ،فيكون فرعون معهم،فلا تدل على النصر والتأييد؛لأن ذلك لا يكون لكافر[(٦)].

ولكننا قد بينا معنى المعية فيما تقدم،وذكرنا أن من لازمها العلم والإحاطة وهذه عامة،فتكون هنا للنبيين الكريمين ولفرعون وقومه،ومن لازم المعية هنا أيضاً النصر والتأييد وهذه تكون لموسى وأخيه عليهما السلام خاصة.

---

(١)شرح العقيدة الواسطية ٤٠٣/١.

(٢)انظر مجموع الفتاوى ١٠٣/٥-١٠٥،شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين٤٠٠/١-٤١٧، ٧٧/٢-٨٨.

(٣)انظر جامع البيان ٧٧/١٦،تفسير ابن كثير ٢٩٦/٥.

(٤)إرشاد العقل السليم ٢٣٧/٦.

(٥)جامع البيان ٥٥٤/١٧.

(٦)انظر أقوال العلماء في المقصود بالمعية في الآية،معاني القرآن للنحاس ج٥/ص٦٧،المحرر الوجيز ج٤/ص٢٢٧،الجامع لأحكام القرآن ٦٤/١٣،روح المعاني ج٩/ص٦٦.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-:«صيغة الجمع في قوله:﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾للتعظيم،وما ذكره جل وعلا في هذه الآية من رده على موسى عليه السلام خوفه القتل من فرعون وقومه،بحرف الزجر الذي هو كلا،وأمره أن يذهب هو وأخوه بآياته مبيناً لهما أن الله معهم:**أي وهي معية خاصة بالنصر والتأييد،وأنه مستمع لكل ما يقول لهم فرعون** أوضحه أيضاً في غير هذا الموضع كقوله تعالى:﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾،وقوله تعالى:﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾(القصص ٣٥)»[(١)].

وعليه فيبقى بيان السر في اختصاص كل موضع بما اختص به،وهذا شأن السياق.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كان سياق طه في بيان ما من الله به على موسى عليه السلام،وأخيه هارون عليه السلام من اللطف،فكان المناسب لبيان هذا ما ذكره الله سبحانه من تلطفه بهما بندائهما بضمير المتكلم:﴿ إِنَّنِي ﴾،ثم بإضافة معيته الخاصة لهما،التي تكشف عن حياطته لهما ونصرهما.

أما سورة الشعراء فلما كان المقصود بها أمر الرسالة،وبيان ما يلزم أنبياءه من شأنها،فقد جاء الضمير بصيغة الجمع الدال على التعظيم كما سبق،تعظيماً لأمر الرسالة،وأضيفت معيته سبحانه لضمير الجمع الذي يبين معيته سبحانه العامة للمرسل والمرسل إليه،واطلاعه وإحاطته سبحانه بكل ما يجري بينهم،رفعاً لشأن هذه الرسالة وتعظيماً لقدرها،وما كان في ضمن ذلك من معيته الخاصة هو أيضاً من تعظيم الرسالة.والله أعلم.

الموضع الثاني:في طه:﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾،وفي الشعراء:﴿ مُّسْتَمِعُون ﴾.

وهنا نوعان من المتشابه:

---

(١)أضواء البيان ٣٦٩/٦،وانظر تفسير ابن كثير١٣٧/٦،تيسير الكريم الرحمن ص ٥٣٨.

النوع الأول:اختلاف الصيغة ففي طه كان بصيغة الفعل ،وفي الشعراء بصيغة الاسم.

النوع الثاني:في طه زيادة الرؤية،ولم تذكر في الشعراء.

لقد ورد في القرآن العظيم ذكر رقابة الله سبحانه لعباده بذكر سمعه وبصره لهم،وورد الاقتصار على أحدهما أحياناً،كما ورد تقديم أحدهما على الآخر وعكس ذلك.

قال ابن القيم-رحمه الله-وهو يذكر أسباب تقديم السمع على البصر:«أن يكون السياق يقتضيه»،ثم قال:«ولا ريب أن المخاطبين بالرسالة بالنسبة إلى الإجابة والطاعة نوعان:

أحدهما:قابلوها بقولهم:صدقت،ثم عملوا بموجبها.

والثاني: قابلوها بالتكذيب،ثم عملوا بخلافها،فكانت مرتبة المسموع منهم قبل مرتبة البصر،فقدم ما يتعلق به على ما يتعلق بالمبصر،وتأمل هذا المعنى في قوله تعالى لموسى:﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾هو يسمع ما يجيبهم به ويرى ما يصنعه،وهذا لا يعم سائر المواضع بل يختص منها بما هذا شأنه»[(١)]،ثم ذكر سببا ثالثاً:«وهو أن حركة اللسان بالكلام أعظم حركات الجوارح،وأشدها تأثيراً في الخير والشر،والصلاح والفساد،بل عامة ما يترتب في الوجود من الأفعال،إنما ينشأ بعد حركة اللسان،فكان تقديم الصفة المتعلقة به أهم وأولى»[(٢)].

والذي يعنينا هنا هو ما ذكره من تقسيم أحوال المدعوين حيال الدعوة،وما ذكره من رتبة حركة اللسان الذي تتعلق به صفة السمع،حيث سيكون النظر-بإذن الله-في هذين المقامين أولاً،فهما اللذان سيميطان اللثام عن سر الاقتصار على السمع في الشعراء،وسر ذكر الرؤية والسمع جميعاً في طه،وزيادة نفلٍ في بيان سر تقديم السمع على الرؤية فيها،لكن كل ذلك -بإذن الله-بعد النظر في السياق.

---

(١)بدائع الفوائد ١/١٢٩.

(٢)السابق ١/١٣٠.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد أثبت الله سمعه ورؤيته في سورة طه بصيغة الفعل المضارع،وقد سبق وذكرنا أن معيته سبحانه في سورة طه معية خاصة لموسى وهارون عليهما السلام،والمعية الخاصة«صفة فعلية؛لأنها تابعة لمشيئة الله»[(١)]،«فقوله:﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾:جملة استئنافية لبيان مقتضى هذه المعية الخاصة،وهو السمع والرؤية ،وهذا سمع ورؤية خاصان تقضيان النصر والتأييد والحماية من فرعون»[(٢)].

فلما كانت سورة طه في سياقها اللطف والتأنيس للنبيين الكريمين،ذكر الله معيته الخاصة لهما بما يشمل إحاطته سبحانه لجميع أحوالهما مع فرعون،وفرعون سيقابلهما بالقول والفعل،كما سبق من أحوال المدعوين،وقول فرعون تتعلق به إحاطة الله بصفة السمع،وفعله تتعلق به الرؤية،فالله ناصرٌ نبييه على فرعون في تكذيبه،وناصرهما عليه في إعراضه عن الحق بفعله،وكذا إن رام أن يفعل بهما سوءاً،فهذا السر في زيادة ذكر الرؤية في طه.

وأما سر تقديم السمع،فهو ما تقدم من أن مرتبة المسموع من المعرضين قبل مرتبة المبصر،وحركة اللسان هي التي يترتب عليها ما ينشأ من العمل،فقدم ما يتعلق بالمسموع على ما يتعلق بالمبصر؛لتقدمه ولأنه الأصل.

وأما سر اختصاص سورة طه بصيغة الفعل المضارع،فإن الفعل بما يعطيه من معنى التجدد،هو الموافق لسياق السورة في اللطف والتأنيس بنبييه الكريمين عليهما السلام،وذلك أن النصر والتأييد لا يفارقهما كلما قابلهما فرعون بالقول والفعل،فمعنى الآية:«لا تخافا منه فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه،وأرى مكانكما ومكانه،لا يخفى علي من أمركم شيء،واعلما أن ناصيته بيدي، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي»[(٣)].والله أعلم.

---

(١)شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ١/٤٠٣.

(٢)السابق ١/٤١٤.

(٣)تفسير ابن كثير ٥/٢٩٦،وانظر جامع البيان ١٦/٧٧،تفسير البغوي ٣/١٨٥،تيسير الكريم الرحمن ص ٤٥٥.

وأما سورة الشعراء؛فإنه لما كان السياق فيها في شأن الرسالة،وشأن الرسول حيالها،فقد ذكر فيها المعية العامة،ومقتضاها صفة السمع التي تتعلق بقول المدعو،وهو أول أمرٍ يبين عن حاله تجاه هذه الدعوة،بل حاله كلها تبعٌ لما يتكلم به من التصديق أو التكذيب،الذي هو تبع لما في قلبه من الإيمان أو الكفر،وهذا هو المقصود من الرسالة ولهذا جرى الاقتصار عليه.

وجاء في الشعراء صيغة الاسم:﴿ مُّسْتَمِعُون ﴾التي تدل على الثبوت والدوام،ومعية الله العامة معية ذاتية لم يزل ولا يزال متصفاً بها.

وقوله:﴿ مُّسْتَمِعُون ﴾«لفظه جمع وورد مورد تعظيم الله تعالى...وفي الاستماع اعتناء واهتمام بالأمر ليست في صفة سامعون»[(١)] فهذا كله من تعظيم أمر الرسالة،وبيان شأنها،وهذا هو سياق الشعراء.والله أعلم.

الموضع الثالث:في طه: ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾،ثنى لفظ الرسول،وفي الشعراء: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾،أفرد لفظ الرسول.

ونوعه اختلاف في الصيغة.

قال الشنقيطي –رحمه الله-:«فإن قيل ما وجه الإفراد في قوله:﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾في الشعراء،مع أنهما رسولان كما جاء الرسول مثنى في طه،فما وجه التثنية في طه والإفراد في الشعراء،وكل واحد من اللفظين المثنى والمفرد يراد به موسى وهارون؟.

فالذي يظهر لي-والله تعالى أعلم-:أن لفظ الرسول أصله مصدر وصف به، والمصدر إذا وصف به ذكر وأفرد،فالإفراد في الشعراء نظراً إلى أن أصل الرسول مصدر، والتثنية في طه اعتدادا بالوصفية العارضة وإعراضا عن الأصل،...ومن إطلاق الرسول مرادا به المصدر على الأصل قوله[(٢)] :

لقد كذَب الواشون ما فُهْتُ عندَهم بقولٍ ولا أرسَلْتُهم برسولِ

---

(١)التسهيل لعلوم التنزيل ١٨١/٣،وانظر المحرر الوجيز ج٤/ص٢٢٧.

(٢)البيت لكثير عزة،وهو في ديوانه ص ١١٠،وهو في اللسان ٢٨٣/١١.

أي برسالة،وقول الآخر[(١)] :

ألا بلغ بني عُصْمٍ رسولا بأني عن فُتَاحَتِكُمْ غَنِيُّ»[(٢)] .

وقال الزمخشري:« فإن قلت هلا ثنى الرسول كما ثنى في قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾،قلت: الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة، فجعل ثمّ بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته،وجعل ههنا بمعنى الرسالة فجاز التسوية فيه-إذا وصف به-بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل بالصفة بالمصادر»[(٣)]

ويكون المعنى في الشعراء على هذا:إنا ذوو رسالة رب العالمين.

قال القرطبي-رحمه الله-:«﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾،قال أبو عبيدة رسول بمعنى رسالة والتقدير على هذا:إنا ذوو رسالة رب العالمين»[(٤)] .

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إن لفظ التثنية في طه ظاهر في بيان اللطف بالنبيين الكريمين عليهما السلام،وذلك بظهور المؤازرة لبعظهما في مقابلة الطاغية،وقد كان إرسال هارون عليه السلام في سورة طه إنما حصل بعد طلب موسى عليه السلام من ربه أن يشد أزره بأخيه:﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾﴾(الآيات ٢٩-٣٢).

---

(١)الأمالي ٢/٢٨١،جامع البيان ٢/١٥٠،ومعنى فُتَاحَتِكُمْ:حكمكم.

(٢)أضواء البيان ٤/٤٥٠بتصرف يسير.

(٣)الكشاف ٣/٢٩٥-٢٩٦.

(٤)الجامع لأحكام القرآن ١٣/٦٤،وانظر جامع البيان ١٧/٥٥٤،معاني القرآن للزجاج ج٥/ص٦٨،الكشاف ٣/٢٩٥،زاد المسير ٦/١١٨،معالم التنزيل ٣/٣٢٦.وجوز بعضهم:أنه وحد في الشعراء لتساند النبيين واتفاقهما على شريعة واحدة،وللأخوة بينهما،وقيل معناه:كل واحد منا رسولا رب العالمين،انظر الكشاف ٣/٢٩٥-٢٩٦،معالم التنزيل ٣/٣٢٦.وهذان القولان الحمل فيهما كما ترى على المعنى،دون أن يتبين فيهما السند من لغة العرب،وفي القول الأول بيان لذلك من لغة العرب.

أما الشعراء فإنها لما كانت تعالج حرص نبينا ﷺ على أمر الرسالة،حتى لا يلحقه فيه الحرج والضيق،فكانت تقص قصصاً لقوم مهلكين كانت رسلهم حريصةً على هدايتهم،لكنه سبحانه بحكمته وعدله لم يكتب لهم الهداية،وعليه فقد كان ملحوظاً في الشعراء أمر الرسالة،وكان من ذلك أن ظهر فيها حرص موسى عليه السلام على إبلاغ رسالة ربه،فإنه قد علل عليه السلام طلبه من ربه مؤازرة هارون عليه السلام بخوفه من التكذيب فيها،وهذا ظاهر في حرصه على الرسالة وإبلاغها،قال تعالى:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾(الآيات ١٢، ١٣)،ولهذا قال:﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾،أي :إنا ذوو رسالة رب العالمين؛لأن المقصود هو أمر الرسالة.والله أعلم.

الموضع الرابع:في طه أضاف الربوبية لضمير المخاطب:﴿رَبِّكَ﴾،وفي الشعراء أضافها للعالمين:﴿رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

نوعه تشابه بالإبدال.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

قال ابن الزبير-رحمه الله-:«وأما قوله:﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾،بإضافة اسمه تعالى إلى ضمير الخطاب،فإنه يناسب من حيث ما فيه من التلطف والرفق لما تقدمه من قوله:﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾(آية ٤٤)،وقد تفسر هذا القول وتبين ما فيه من التلطف بقوله تعالى في سورة النازعات:﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾﴾(النازعات ١٨، ١٩)،وناسب هذا ما بنيت عليه سورة طه من تأنيس نبينا ﷺ ،وتأنيس موسى كليمه ﷺ،...فلما كان بناء هذه السورة بجملتها على التلطف والتأنيس ناسب ذلك ما أمر به موسى عليه السلام من دعاء فرعون آنسه وألطفه،وأمر موسى عليه السلام ،وأخوه هارون عليه السلام بذلك فقيل لهما:﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾،وجرى على ذلك قوله:﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾،فأشعرت هذه الإضافة بالتلطف الرباني،ولما لم تكن سورة الشعراء

مبنية على ما ذكر،وإنما تضمنت تعنيف فرعون وملئه وإغراقهم وأخذ المكذبين للرسل بتكذيبهم،وهذا في طرف من التلطف،ورد فيها:﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾،بإضافة اسمه سبحانه إلى العالمين ليحصل منه أنه مالك الكل وأنهم تحت قهره تعالى وفي قبضته»[(١)].

ولست أخالف ابن الزبير-رحمه الله-،في أن مقصود هذه السورة التلطف الرباني بموسى وهارون عليهما السلام،وكذلك في أن الإضافة في:﴿رَبِّكَ﴾ تشعر بالتلطف بفرعون،ولكن ابن الزبير لم يبن قوله في التلطف بفرعون إلا على مناسبته لمقصود السورة من التلطف بموسى وهارون عليهما السلام والتأنيس لهما،وهذا غير ظاهر؛لأن وجه التلطف بفرعون لا يتبين بمثل هذا.

والوجه عندي-والله أعلم-:هو أن التلطف بموسى وهارون عليهما السلام إنما يتبين بالنظر للآيات قبل هذه،وذلك أنهما لما طُلب منهما الذهاب إلى فرعون بالقول اللين،سألا ربهما ما قصه الله بقوله:﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾،فأجابهما ربهما بأن طمأنهما أن لا خوف عليهما،وبأن معيته الخاصة معية النصر والتأييد لهما،ثم طلب منهما أن يأتيا فرعون فيقولا له:﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾،وهذا القول ترجمة للقول اللين الذي طلب منهما،فكان من لطفه سبحانه بهما أن أمرهما بالقول اللين،ثم لم يدعهما حتى بين لهما ما هو القول اللين الذي يقولانه لفرعون؛فإن في هذا من اللطف بهما ما لا يخفى،وذلك أن في أمرهما بالقول اللين لفرعون،وترك الشدة والغلظة عليه،رأفةٌ بهما ولطف،فهو أسهل عليهما من طلب المواجهة بالغلظة والشدة،ثم إن في تبيين هذا القول اللين ما هو لطفٌ آخر.

---

(١)ملاك التأويل ٢/٨٢٢-٨٢٣.

قال ابن القيم-رحمه الله-:«وتأمل حسن سياق هذه الجمل،وترتيب هذا الخطاب،ولطف هذا القول اللين الذي يسلب القلوب حسنه وحلاوته مع جلالته وعظمته،كيف ابتدأ الخطاب بقوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾،وفي ضمن ذلك:إنا لم نأتك لننازعك ملكك ولا لنشركك فيه،بل نحن عبدان مأموران مرسلان من ربك إليك ،وفي إضافة اسم الرب إليه هاهنا دون إضافته إليهما استدعاء لسمعه وطاعته وقبوله،كما يقول الرسول للرجل من عند مولاه:أنا رسول مولاك إليك وأستاذك،وإن كان أستاذهما معاً،ولكن ينبهه بإضافته إليه على السمع والطاعة له»[1] .والله أعلم.

(١)بدائع الفوائد ٢/٦٥٥-٦٥٦.

المقطع السادس

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ (طـه ٧٧)

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (الشعراء ٥٢)

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الدخان ٢٣) .

مواضع المتشابه ونوعه:

الموضع الأول:في الدخان زيادة عما في الموضعين:﴿لَيْلًا﴾.

نوعه:تشابه بالزيادة والنقصان.

الموضع الثاني:اختلاف التذييل ففي طه:﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾،بينما كان التذييل في الشعراء والدخان:﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾.

نوعه:إبدال في الجمل.

قال الراغب –رحمه الله-:« سرى: السُرى: سير الليل،يقال:سرى وأسرى،قال تعالى:﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾(هود ٨١، الحجر ٦٥)،وقال تعالى:﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾(الإسراء ١)»[(١)].

قال ابن منظور–رحمه الله-:«وإنما قال سبحانه:﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾(الإسراء ١)،وإن كان السُرى لا يكون إلا بالليل للتأكيد،كقولهم:سرت أمس نهارا والبارحة ليلا»[(٢)].

ولكن هذا التأكيد الذي ذكره ابن منظور هدفٌ عام،فيبقى السؤال ما غرض التأكيد،وهنا نقول:ما غرض التأكيد في زيادة:﴿لَيْلًا﴾في الدخان.

---

(١)المفردات ص٤٠٨،وانظر تهذيب اللغة ٥٢/١٣.

(٢)لسان العرب ٣٨٢/١٤.

قال ابن عاشور-رحمه الله-:«وفائدة التأكيد أن يكون له من سعة الوقت ما يبلغون به شاطئ البحر الأحمر قبل أن يدركهم فرعون بجنوده»[(١)].

وقال الطبري-رحمه الله-:«سر بهم بليل قبل الصباح»[(٢)].

وقال القرطبي-رحمه الله-:«﴿لَيْلاً﴾أي: قبل الصباح»[(٣)].

ولكن يبقى سؤالنا المعروف:لماذا اختصت الدخان بهذا ؟ الجواب في أثر السياق في التوجيه-بإذن الله-.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد كان موضوع قصة بني إسرائيل في الدخان كما بينا في سياقها الهجرة،هجرة بني إسرائيل،ولهذا فقد اختصت بما يبين مزيد شأنٍ من شأنها،فحيث قد ظهر فيها من حرص نبي بني إسرائيل على الخروج بقومه من قهر الظالمين وتضرعه ودعائه:﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾(الدخان ٢٢، ٢٣)،وحرصه هذا ودعاؤه يبين ما هم فيه من شدة الطلب وما نابهم من الضيق ،ولهذا كان التعقيب فيها:﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾،ولهذا فقد أظهر الله فيها ما يتبين به استجابة المولى سبحانه لهذا ومزيد عناية بأمر الهجرة،وذلك حين أمره ربه بأن يأخذ الأهبة والحيطة في هجرته هذه،فينطلق في سعةٍ من الوقت يكون الليل فيها ستاره،فكان التأكيد-والله أعلم- يلمح إلى هذا.

وبناءً على ما لاح لنا من أن السورة إرهاص للهجرة النبوية الكريمة،فإن هذا يكون توجيهاً للمؤمنين بأن يأخذوا الاستعداد والأهبة كذلك،والله أعلم.

وأما طه فكان سياقها ما هو معلوم من التلطف والترفق،ولهذا فقد كانت تظهر دائماً التطمين والتلطف بموسى عليه السلام،من أجل ذلك لم تأت هذه الزيادة؛لأن غرضها ما قد

---

(١)التحرير والتنوير ٢٥/٢٩٩.

(٢)جامع البيان ٢١/٣٤.

(٣)الجامع لأحكام القرآن ١٦/٩١.

علمت،يؤكد ذلك ما ذيلت به الآية من بالغ التطمين: :﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾.

أما الشعراء فكنت تظهر المغالبة مع فرعون والملأ بتفصيل ،وكانت تظهر من عناية موسى عليه السلام بأمر ربه ما قد علمته من سياقها،وكانت تظهر من شدة موسى عليه السلام في مقارعة أهل الباطل،وتظهر من شدة أهل الباطل وقوة معارضتهم ولهذا كان فيها من التعقيب مثل الذي في الدخان: ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾،وهو هنا في الشعراء يظهر شدة عداوة الفراعنة،وأُعلم موسى عليه السلام باتباعهم؛لأن«القصد من إعلامه بذلك تشجيعه»[(١)]،ولم تكن السورة تظهر مزيد الرأفة من موسى عليه السلام بقومه؛لأنه ليس سياقها،ولهذا لم يكن فيها زيادة: ﴿لَيْلًا﴾؛لأنه ليس لهذه الزيادة غرض،بل قد أظهرت من وثوقه واطمئنانه عندما تراءى الجمعان ما هو موافق لسياقها:﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾(الشعراء ٩١، ٩٢).

وهذه الاختلافات بين السور ليس معناها أن موسى عليه السلام كان له أحوال متضادة،بل المعنى أن الله يظهر من أحواله في كل سياق ما هو محل العبرة،والله أعلم.

---

(١)التحرير والتنوير ١٢٩/١٩.

سورة الشعراء

هي مكية في قول الجمهور.واستثنى مقاتل آيتين،وابن عباس أربع آيات،وهذا الاستثناء على فرض صحته وصوابه لا ينافي مكية السورة.

قال ابن تيمية:«جميع آل حم مكيات،وكذلك آل طس»[(١)].

إن هذه السورة من السور التي قد افتتحت بالحروف المقطعة،وذكر هذه الحروف إنما هو لبيان إعجاز القرآن،كما هو القول من أقوال العلماء.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-:«أما القول الذي يدل استقراء القرآن على رجحانه،فهو أن الحروف المقطعة ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن،وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وحكى هذا القول الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين، وحكاه القرطبي عن الفراء وقطرب، ونصره الزمخشري في الكشاف.

قال ابن كثير:وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس بن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية.

ووجه شهادة استقراء القرآن لهذا القول:أن السور التي افتتحت بالحروف المقطعة يذكر فيها دائما عقب الحروف المقطعة الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه، وأنه الحق الذي لا شك فيه.وذكر ذلك بعدها دائما دليل استقرائي على أن الحروف المقطعة قصد بها إظهار إعجاز القرآن وأنه حق»[(٢)].

والذي يظهر لي -والعلم عند الله-هو أن غرض الإعجاز وإن كان مقصوداً في كل هذه السور التي افتتحت بالحروف المقطعة،إلا أن وراءه غرضاً آخر هو الذي دعا

---

(١)منهاج السنة النبوية ٩٩/٧،وانظر الجامع لأحكام القرآن ٦٠/١٣.

(٢)أضواء البيان ٥/٣،والأقوال في المسألة:١-أن هذا مما استأثر الله بعلمه،ويضعف هذا أن ليس في القرآن ما لا معنى له.٢-وقيل إنها أسماء السور.٣-وقيل:هي اسم من أسماء الله.٤-وقيل :فواتح أسماء الله.ويضعف هذه الثلاثة أن لا دليل على ذلك.٥-وقيل لتعرف بها أوائل السور،وهذا ضعيف ؛لأن معرفة الأوائل حاصل بدون ذلك.٦-وقيل :لتفتح أسماء المشركين.ويضعفه أن لو كان كذلك لكان طرداً في كل السور المكية.انظر بسط أقوال المسألة في: الكشاف ٣٠/١-٣٨،التفسير الكبير ٣/٢-١١،الجامع لأحكام القرآن ١٠٨/١-١١٠،تفسير ابن كثير ١٥٧/١-١٦١.

إليه،وهذا الغرض الآخر يختلف من سورة إلى أخرى،فهذا الغرض هو سياق كل سورة أو سياق كل قصة،فلقد رأينا أن سورة طه،وهي مفتتحة بالحروف المقطعة،قد عنيت بتسلية النبي ﷺ والتلطف به وتقويته فيما يكابده والمؤمنون معه من قسوة قومهم عليهم،وكان من هذه التسلية والتقوية ذكر إعجاز القرآن،وتحدي القوم المعرضين،حتى يعلم المؤمنون أنهم على الحق المبين فتصبر قلوبهم لحكم الله،وتطمئن لقضائه وأمره .

ولقد كان مضمون هذه السورة"الشعراء" دفع الحزن الذي يجده النبي ﷺ ،في إعراض قومه عن القرآن والدين،وذلك ببيان مهمته ﷺ في هذا الأمر ،وأنها البلاغ،وأما الهداية فلله سبحانه،فقال سبحانه في أول السورة: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣﴾(الآية ٣) والتعبير بالبخع يبين قدر ما كان النبي ﷺ يجده من إعراض قومه.

قال الزمخشري-رحمه الله-:«البخع:أن يبلغ بالذبح البخاع بالباء،وهو عرق مستبطن الفقار،وذلك أقصى حد الذبح»[(١)] ،ثم بين سبحانه لنبيه ﷺ أنه لو شاء لألزمهم الهداية،ولكنه لم يشأ وله الحكمة البالغة،فقال جل من قائل: ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾(الآية ٤).

ثم شرع الله يقص على نبيه ﷺ قصص قوم مكذبين لم يشأ سبحانه هدايتهم،وقد افتتح هذه القصص بقصة موسى عليه السلام،وقد بدأت قصته بذكر مبدأ الوحي له من ربه،فهو محل الغرض من قصته،وبين حال القوم المرسل إليهم بأنهم ظالمين،ثم تستمر السورة في بيان مقاولات شديدة بين موسى عليه السلام وفرعون،تبين شدة عتوه وإعراضه عن الحق،كما هو حال المكذبين الذين يدعوهم النبي ﷺ،وهي تبين كذلك حرص موسى عليه السلام على هداية فرعون،كما كان النبي ﷺ حريصاً على هداية قومه،وتستمر قصة موسى عليه السلام كذلك حتى تنتهي بغرق فرعون،فلا تتجاوز ذلك ؛لأن هذا محل الغرض منها وقد تم،وقد كان متشابه السورة مما يؤكد هذا الغرض ويقرره كما تراه-بإذن الله- في دراسة الآيات وتوجيهها،ثم تأتي بعد ذلك قصة إبراهيم عليه السلام،والمعرضون عن دعوته هم أشبه بحججهم في ردهم للدعوة بالذين كانوا في عهد النبي ﷺ،فلم يكن لهم حجة إلا متابعة

---

(١)الكشاف ٣/٢٩٠.

الآباء،وسجلت عليهم الآيات الخسار الدائم بدخول النار هم وأندادهم،ثم تسوق الآيات قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام ،وهي كذلك تسجل كفر الكافرين وخسارهم،والملاحظ أن كل قصة تختم بقوله تعالى:﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ *وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾،وفي هذا من رفع الحرج من نفس المصطفى ﷺ ما لا يخفى،حتى تختم السورة آياتها ببيان عظمة القرآن وأنه تنزيل رب العالمين،وبأن إعراض المعرضين إنما هو إعراض عن قبول الحق لا عن عدم بلوغ الحجة،قال تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾﴾(الآيات ١٩٢-٢٠١)،وفي هذا يتبين رجوع آخر السورة على أولها.

قال ابن جرير –رحمه الله-:«وقوله:﴿ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم ﴾.يقول:فقرأ هذا القرآن على كفار قومك يا محمد،الذين حتمت عليهم أن لا يؤمنوا ذلك الأعجم:﴿ مَّا كَانُوا بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ يقول: لم يكونوا ليؤمنوا به؛لما قد جرى لهم في سابق علمي من الشقاء.وهذا تسلية من الله نبيه محمداً ﷺ عن قومه؛لئلا يشتد وجده بإدبارهم عنه،وإعراضهم عن الاستماع لهذا القرآن؛لأنه كان ﷺ شديدا حرصه على قبولهم منه،والدخول فيما دعاهم إليه،حتى عاتبه ربه على شدة حرصه على ذلك منهم، فقال له: :﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾.ثم قال مؤيسه من إيمانهم، وأنهم هالكون ببعض مثلاته،كما هلك بعض الأمم الذين قص عليهم قصصهم في هذه السورة:﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾﴾ يا محمد لا عليك، فإنك رجل منهم ،ويقولون لك:ما أنت إلا بشر مثلنا، وهلا نزل به ملك.فقرأ ذلك الأعجم عليهم

هذا القرآن، و لم يكن لهم علة يدفعون بها أنه حق، وأنه تنزيل من عندي، ما كانوا به مصدقين، فخفض من حرصك على إيمانهم به. ثم وكد تعالى ذكره الخبر عما قد حتم على هؤلاء المشركين الذين آيس نبيه محمدا ﷺ من إيمانهم من الشقاء والبلاء،فقال كما حتمنا على هؤلاء أنهم لا يؤمنون بهذا القرآن، :﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾﴾،فقرأه عليهم ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾التكذيب والكفر ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾»[(١)].

ثم ختم السورة بذكر الفرق بين القرآن،وبين ما يشاركه في البيان،وما يشاركه في الإخبار بالغيب،«فذكر الفرق بينه، وبين من تنزل عليه الشياطين من الكهان والمتنبئين ونحوهم،وبين الشعراء؛لأن الكاهن قد يخبر بغيب بكلام مسجوع،والشاعر أيضا يأتي بكلام منظوم يحرك به النفوس؛فإن قرين الشيطان مادته من الشيطان، ويعين الشيطان بكذبه وفجوره، والشاعر مادته من نفسه وربما أعانه الشيطان، فأخبر أن الشياطين إنما تنزل على من يناسبها، وهو الكاذب في قوله، الفاجر في عمله، بخلاف الصادق البر، وأن الشعراء إنما يحركون النفوس إلى أهوائها، فيتبعهم الغاوون، وهم الذين يتبعون الأهواء وشهوات الغي، فنفى كلا منهما بانتفاء لازمه،وبين ما يجتمع فيه شياطين الأنس والجن»[(٢)].وبهذا يتبين موافقة الخاتمة لما افتتحت به السورة،ويتبين بهذا موضوعها وسياقها الذي بنيت عليه وبني عليه قصصها.والله أعلم.

وقد سبق من متشابه السورة في خمسة مواضع:

الأول:قول الله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾، (الشعراء ٣٢).اشتبه مع آية الأعراف (١٠٧)،وآية طه (٢٠)،وآية النمل (١٠)،والقصص (٣٠)[(٣)].

---

(١)جامع البيان ١٧/٦٤٧-٦٤٨.

(٢)مجموع الفتاوى ١٢/١٨-١٩.

(٣)انظر ص ٢٦٢.

الثاني:قول الله تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (الشعراء ٣٤-٤٢)،اشتبهت هذه الآيات مع آيات الأعراف (١٠٩-١١٤) [(١)].

الثالث:قول الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾(الشعراء ٤٣-٥١).وقد اشتبهت هذه الآيات مع آيات الأعراف (١١٥-١٢٦)،وآيات طه (٦٥-٧٣) [(٢)].

---

(١)انظر ص ٢٦٦.

(٢)انظر ص ٢٧٦.

الرابع:قول الله تعـــالى: ﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾(الشعراء ١٥، ١٦)،وقد اشتبه مع آيتي طه(٤٦، ٤٧) [(١)].

الخامس:قول الله تعـــالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾(الشعراء ٥٢)،وقد اشتبه مع آية طه (٧٧)،وآية الدخان (٢٣) [(٢)].

وأما ما بقي من متشابهها فنبدأ به الآن-بإذن الله تعالى-.

---

(١)انظر ص ٣٦٨.

(٢)انظر ص ٣٧٨.

المقطع الأول

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾(الشعراء ١٢-١٤).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾(القصص ٣٣، ٣٤).

مواضع المتشابه ونوعه:

موضع واحد:وهو أنه قدم في الشعراء ذكر خوفه من التكذيب على خوفه من القتل،وفي القصص العكس.

نوعه:تشابه بالتقديم والتأخير.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد سبق وعلمنا أن قاعدة التقديم:هي تقديم ما العناية به أشد،وقد قدم في الشعراء خوفه من التكذيب؛لأن سياق السورة يظهر اهتمام موسى عليه السلام بأمر الرسالة،وتبليغ ما أمره الله به،ولهذا قدم على ذكر الخوف من القتل.

وأما القصص فكانت تقص قصته بالتفصيل،وكانت تظهر أحوال موسى عليه السلام منذ ولد،وما يكتنفه من صعوبات ومشاق،وهي في كل ذلك تبين حسن تدبير الله له،ومن هذا أن الله حين أمره بالذهاب إلى فرعون أبدى موسى عليه السلام حذره من أمرين،فقدمت السورة ما يتعلق بذاته على ما يتعلق بالرسالة؛لأنها كانت تبين حسن إحاطة الله له في كل أحواله،والله أعلم.

المقطع الثاني

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾(الشعراء:٢٥)

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾(الشعراء:٣٤)

مواضع المتشابه ونوعه:

الموضع الأول:في الآية الأولى: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾،وفي الثانية: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾.

نوعه:تشابه بالإبدال.

الموضع الثاني:في الآية الأولى قال فرعون:﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾،وفي الآية الثانية كان قوله:﴿إِن هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾.

نوعه:تشابه بالإبدال.

أثر السياق في توجيه المتشابه في الموضعين السابقين:

إن الآية الأولى في الشعراء كانت خطاباً من فرعون لمن حوله،وذلك أول ما جاءه موسى عليه السلام بما جاءه به من الدعوة،وقد يكون عند فرعون في ذلك الوقت الملأ أو بعضهم.

قال الزمخشري-رحمه الله-:« فإن قلت:ومن كان حوله، قلت: أشراف قومه... وكانت للملوك خاصة»[(١)].

وقد يكون الذين حوله قومه،والملوك يغشاهم الملأ وسائر الناس.

قال الطبري-رحمه الله-:«قال فرعون لمن حوله من قومه:﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾»[(٢)].

وعلى كلٍ فخطابه في الموضع الأول كان خطاباً لمن حضر،ولهذا فإنه لما دعاه موسى عليه السلام إلى عبادة رب العالمين سأل فرعون عن هذا الرب سؤال جحدٍ واستكبار:﴿

---

(١)الكشاف ٣/٢٩٩.

(٢)جامع البيان ١٧/٥٦٣.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾(الشعراء ٢٣)،فأجابه موسى عليه السلام بقوله: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾(الشعراء ٢٤)

قال ابن تيمية-رحمه الله-:«وقد ظن بعض الناس أن سؤال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هو سؤال عن ماهية الرب،كالذي يسأل عن حدود الأشياء فيقول: ما الإنسان ما الملك ما الجني؟و نحو ذلك.قالوا:ولما لم يكن للمسئول عنه ماهية عدل موسى عن الجواب إلى بيان ما يعرف به ،وهو قوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾وهذا قولٌ قاله بعض المتأخرين وهو باطل؛فإن فرعون إنما استفهم استفهام إنكار وجحد. لم يسأل عن ماهية رب أقر بثبوته، بل كان منكرا له جاحدا ،و لهذا قال في تمام الكلام: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾(الشعراء ٢٩)،وقال: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾(غافر ٣٧)فاستفهامه كان إنكاراً و جحداً،يقول ليس للعالمين رب يرسلك، فمن هو هذا إنكارا له ،فبين موسى أنه معروف عنده وعند الحاضرين وأن آياته ظاهرة بينة لا يمكن معها جحده، وأنكم إنما تجحدون بألسنتكم ما تعرفونه بقلوبكم »[(١)].

فلما بين موسى عليه السلام له الحجة: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾(الشعراء ٢٥)،فكان قول فرعون: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾تعجباً منه،وهو مزيد جحدٍ واستكبار .

قال ابن كثيرٍ-رحمه الله-:« قاله: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾أي ألا تعجبون من هذا في زعمه أن لكم إلها غيري»[(٢)]

فلما استمرت مناظرة موسى عليه السلام لفرعون وبين له الآيات البينات،فأظهر له آية العصا واليد،هنا فزع فرعون إلى الملأ ؛لأن هذا أمر قد دهمهم،فأراد أن يصدر فيه برأي بمشورة هؤلاء،ولهذا كان خطابه لهم: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

---

(١)مجموع الفتاوى ٣٣٤/١٦.

(٢)تفسير ابن كثير ١٣٨/٦،وانظر المحرر الوجيز ٢٢٩/٤.

يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ (الشعراء ٣٤، ٣٥)، والله أعلم.

المقطع الثالث

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ (الشعراء ٥٧-٥٩).

﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ (الدخان ٢٥-٢٨)

مواضع المتشابه ونوعه:

الموضع الأول:في الشعراء:﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾،وفي الدخان: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟﴾.

نوعه:تشابه بالإبدال.

الموضع الثاني:في الشعراء: ﴿وَكُنُوزٍ﴾،وفي الدخان: ﴿وَزُرُوعٍ﴾.

نوعه:تشابه بالإبدال.

قال السمرقندي-رحمه الله-:«وكنوز يعني من الأموال الكثيرة»[(١)].

الموضع الثالث:في الدخان زيادة:﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

نوعه:زيادة جملة في الدخان.

قال الثعالبي-رحمه الله-:«والنَّعْمَة بفتح النون: غضارة العيش،ولذاذة الحياة»[(٢)].

الموضع الرابع:في الشعراء :﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾،وفي الدخان:﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾.

نوعه :تشابه بالإبدال.

هنا مسألتان قد اختلف العلماء فيهما:

---

(١)تفسير السمرقندي ٢/٥٥٥،وانظر البغوي ٣/٣٣٠.

(٢)تفسير الثعالبي ٤/٣٩،وانظر الكشاف٤/٢٦٩،والغضارة:طيب العيش.انظر معجم مقاييس اللغة ص ٨١٧.

الأولى:هل القوم الآخرون هم بنوا إسرائيل أو غيرهم؟وحجة من قال :إنهم غيرهم هذا الوارد في الدخان؛ولأنه لم يرد في مشهور التأريخ أن بني إسرائيل عادوا إلى مصر بعد غرق فرعون وقومه[(١)] .

وحجة من قال:إنهم بنوا إسرائيل ،هو أن موضع الدخان يبينه موضع الشعراء[(٢)] ،وهذا القول هو المتجه؛لأن موضوع السورتين واحد،بل ومتقارب في ألفاظه،فيستحيل لهذا أن يختلف المعني في السورتين من غير ما دليل،ولكن يبقى السؤال عن سبب التصريح في الشعراء والإبهام في الدخان،وهذا نجده بإذن الله في التوجيه.

وأما احتجاج من احتج بالتأريخ فإنه لا يستقيم ؛لأن موضع الشعراء صريحٌ في أن القوم الذين أورثوا هم بنوا إسرائيل،وعليه فالاعتراض بالتأريخ إنما يكون على الموضعين لا يختص بالدخان وحده.

ولهذا-وهي المسألة الثانية-فإنه قد ذهب بعض العلماء إلى أن المقصود بالتوريث توريث الحالة من النعمة،أي أورثهم مثل ذلك في الشام،وهؤلاء قالوا:إن بني إسرائيل لم يرجعوا إلى مصر[(٣)] .

وذهب بعضهم إلى أنهم رجعوا إلى مصر كما هو ظاهر القرآن[(٤)] ،وقد بسط ابن جرير –رحمه الله- أدلة القولين،ثم قال:«والذي نقول به في ذلك: أنه لا دلالة في كتاب الله على الصواب من هذين التأويلين، ولا خبر به عن الرسول ﷺ يقطع مجيئه العذر، وأهل التأويل متنازعون تأويله»[(٥)] .

ونحن هنا قد لا نحتاج إلى الترجيح في المسألة الثانية؛لأن التوجيه لا يختلف بذلك،وإنما الذي يعنينا هو بيان الصواب في المسألة الأولى؛لأن التوجيه يختلف فيما إذا

---

(١)انظر تفسير البيضاوي ١٦١/٥،روح المعاني ١٢٣/٢٥.

(٢)وأكثر المفسرين على هذا ،انظر جامع البيان ٤٠/٢١،معالم التنزيل ١٣٦/٤،الكشاف ٢٦٩/٤،التسهيل لعلوم التنزيل ٦٣/٤،الجامع لأحكام القرآن ٩٣/١٦،أضواء البيان ٣٢٤/٧،وغيرهم.

(٣)انظر المحرر الوجيز ١٤٢/٣،والتسهيل ٦٣/٤.

(٤)انظر معالم التنزيل ٣٣٠/٣، الكشاف ٤/ ٢٦٩،زاد المسير ١٢٦/٦،الجامع لأحكام القرآن ٧٢/١٣.

(٥)جامع البيان ٢١/٢-٢٥.

كان الذين في الدخان غير الذين في الشعراء،أو هم هم،وقد بينا الصواب في المسألة ووجهه،والحمد لله.

أثر السياق في توجيه المتشابه في المواضع الأربع السابقة:

لقد كان سياق الشعراء يفصل المغالبة بين موسى وآل فرعون،وهو في هذا المقطع يبين نهاية هذه المغالبة،وفي لفظ الإخراج المضاف إلى ضمير العظمة ما يبين شدة الغلبة ،وقوة القهر:﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم ﴾،ثم بدأ يعدد ما الذي أخرجهم منه،فذكر أصول النعم التي أترفوا فيها،وهي الجنات والعيون،ثم الكنوز وهي للملأ وأهل الجاه منهم ألصق من عامتهم،والسورة كانت تبين شدة المغالبة مع الملأ،ولهذا لم يقل الزروع ؛لأن الزروع وإن كانت من النعم إلا أن فيها كلفة وحرثا،وليست من شأن الملأ.

وأما الزيادة التي تميزت بها الدخان في الموضع الثالث،وهي قوله تعالى: ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾،فهي وصف لحالهم الناشئة عن التمتع بالنعم،فتكون النعمة بهذا نتيجةً للنعم المنعم عليهم بها،ولهذا لم يذكر أنهم أخرجوا منها في الشعراء،بل ذكر إخراجهم من النعم،فإذا أخرجوا منها فقدوا التنعم والتلذذ؛لأنه نتيجته .

وأما التصريح ببني إسرائيل في الشعراء فهذا سببه أن السورة تبين حال المغالبة بين حزب الله وحزب الشيطان،ولهذا بينت الربح لهؤلاء والخسار لأولئك.

وأما الدخان فكانت تبين لأهل الشرك في مكة مصير قومٍ ظلموا وطغوا قبلهم،وكان حالهم مثل حالهم في ظلم المستضعفين المؤمنين وقهرهم،وقد أحل الله بهم عقوبته التي لا ترد عن القوم الظالمين،ولهذا فقد بين لهؤلاء المجرمين عاقبة أولئك الظالمين،وفصل حالهم من الترف التي لم يبلغ هؤلاء معشارها،كما قال الله تعالى:﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾(سبأ ٤٥)،فقال متعجباً من حالهم وما بلغوه من الترف:﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ ﴾.

قال ابن عطية-رحمه الله-:«وقوله: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ ﴾(الآية) قبله محذوف تقديره: فغرقوا وقطع الله دابرهم، ثم أخذ يعجب من كثرة ما تركوا من الأمور الرفيعة الغبيطة في

الدنيا و﴿ كَمْ﴾ خبر للتكثير»[(١)]،ثم فصل في أنواع النعم الشاملة لجميعهم،فذكر الجنات والعيون،والزروع،ولم يقل الكنوز ؛لأن الكنوز لا تعمهم ،بل هي لبعضهم،وأما الزروع فقد أترفهم الله بها بما حباهم به من العيون والأرض الخصبة،ثم ذكر المقام الكريم،«وهو ما كان لهم من المجالس والمساكن الحسنة»[(٢)]،ثم زادت الدخان بذكر وصفٍ يبين حالهم مع هذه النعم،ليبين عظيم خسارتهم،وهذا الوصف هو التنعم،فقال في الموضع الثالث:﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾،وهم قد تركوا هذا التنعم بظلمهم وكفرهم،والله أعلم.

وأما إبهام القوم المورثين في الموضع الرابع فسببه أن القصد في الآيات هو الحديث عن هلاك الطغاة،وليس يهم من يرثهم بعد هلاكهم،فكان في الإبهام بياناً لعظيم خسارتهم حين لا يجعل الإبهام أي شوبٍ من ذهاب بعض الخبر إلى غيرهم،بل الشأن شأن خسارتهم لا غير ذلك،ولهذا كان الحديث عن شأن بني إسرائيل بعد ذلك بجملٍ أخرى،فقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾(الدخان ٣٠ ،٣١) إلى آخر الآيات،وفي بيان خسارة أهل الكفر ،ثم التعقيب ببيان نجاة المؤمنين«الإشارة إلى أن الله تعالى ينجي الذين آمنوا بمحمد ﷺ من عذاب أهل الشرك بمكة،كما نجى الذين اتبعوا موسى عليه السلام من عذاب فرعون،وجُعل طغيان فرعون وإسرافه في الشر مثلاً لطغيان أبي جهل وملئه»[(٣)] والله أعلم.

---

(١)المحرر الوجيز ٧٢/٥،وانظر إرشاد العقل السليم ٦٢/٨..

(٢)الكشاف ٢٦٩/٤،وانظر إرشاد العقل السليم ٦٢/٨.

(٣)التحرير والتنوير ٣٠٤/٢٥.

سورة النمل

قال ابن الجوزي-رحمه الله:«وهي مكية كلها بإجماعهم»[(١)].

وهذه السورة كحال السور المفتتحة بالحروف المقطعة تبين إعجاز القرآن،وقد كانت هذه السورة وهي مكية تبين عظمة القرآن،وأنه العلم الذي امتن الله به،فهدى من شاء وأضل من شاء،فافتتحت بهذا،قال الله تعالى:﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ ﴾(الآيات ١-٦)،ثم بدأت تقص على النبي الكريم ﷺ قصة موسى عليه السلام ،وقد ربطت هذه القصة بهذه المقدمة،مؤذنةً بأنها دليل من أدلتها.

قال ابن جرير -رحمه الله-:«يقول الله تعالى ذكره:وإنك يا محمد ،لتحفظ القرآن وتعلمه،﴿ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾.يقول:من عند حكيم بتدبير خلقه،عليم بأنباء خلقه ومصالحهم،والكائن من أمورهم،والماضي من أخبارهم،والحادث منها،﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ ﴾.و﴿ إِذْ ﴾من صلة﴿ عَلِيمٍ ﴾.ومعنى الكلام:عليمٌ حين قال موسى عليه السلام لأهله وهو في مسيره من مدين إلى مصر...»[(٢)].

قال القرطبي رحمه الله-:«قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ ﴾(الآية ٧) إذ منصوب بمضمر وهو أذكر،كأنه قال على أثر قوله:﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ

---

(١)زاد المسير ١٥٣/٦،وانظر مصاعد النظر ٣٣٢/٢.

(٢)جامع البيان ٨/١٨.

حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾(الآية ٦):خذ يا محمد من آثار حكمته وعلمه قصة موسى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾»[(١)].

قال الزمخشري-عفا الله عنه-:« وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص، وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه»[(٢)].

وقال البقاعي -رحمه الله- عن هذه السورة :«مقصودها وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين،بالفصل بين الصراط المستقيم وطريق الحائرين،والجمع لأصول الدين لإحاطة علم مترله بالخفي والمبين ،وبشارة المؤمنين ،ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين،وكل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم للحكمة،فالمقصود الأعظم منها إظهار العلم والحكمة»[(٣)].

وقد وردت قصة موسى عليه السلام في هذه السورة مختصرة،لكنها كانت مجملة قد استوعبت شأن بني إسرائيل من إرسال موسى عليه السلام حتى نهاية فرعون،فكانت بهذا تبين عجيب أمر القرآن،وعظيم أخباره،كما هو ظاهرٌ في افتتاحها،وكما يظهر لنا-بإذن الله- من توجيه متشابهها.

ويظهر في هذه السورة أيضاً الرفع من شأن العلم،والتنويه به،فهذه مقدمتها كما رأيت،وفي قصة موسى عليه السلام نوه بالآيات التسع،وأخبر بالعلم واليقين الذي كان عند آل فرعون من هذه الآيات،لكنه كان الجحود والعصيان،قال الله تعالى:﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾(الآيتين ١٣ ،١٤).

وأما قصة داوود وسليمان عليهما السلام،فقد افتتحت بامتنان هذين النبيين بما من الله به عليهما من العلم،قال الله تعالى:﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا

---

(١)الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٠٥.

(٢)الكشاف ٣/٣٣٧.

(٣)نظم الدرر ١٤/١٢٢.

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾.وتظهر العناية بشأن العلم في قصة النمل وما أطلع الله نبيه من خبرهم،وما علم الله به النمل،ثم قصة الهدد واطلاعه على ما لم يطلع عليه نبي الله عليه السلام،وما ذكر من خبر العفريت من الجن والذي عنده علم من الكتاب.

وكأن السورة-والله أعلم-من آخر ما نزل من العهد المكي،بما تظهره من الاعتزاز بهذا العلم السماوي،كما يظهر في افتتاحها،وبما تسجله قصة موسى عليه السلام مع فرعون في ختامها من جحد القوم الكافرين للآيات التي جاء بها موسى عليه السلام،وهي قد بلغت عندهم اليقين،وبما تسجله أيضاً في ختام قصة سليمان مع ملكة سبأ،حين قال لها ما بينه الله بقوله:﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾(الآيتين ٤٢ ،٤٣).

وقد ظهر موضوع العلم أيضاً في متشابه قصة لوط،فقد كان فيها:﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾(الآيتين ٥٤ ،٥٥)،وفي الأعراف:﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾(الأعراف ٨٠ ،٨١).ثم يستمر كذلك حتى يبين الله تفرده بعلم الغيب،وعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ،وأن غيب السماوات والأرض في كتاب مبين،ثم إثبات العلم لهذا الكتاب العظيم بما يقصه على بني إسرائيل من القول الفصل فيما اختلفوا فيه،قال الله تعالى:﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾(الآية

٧٦)،وإذا كان القرآن هذا شأنه مع أهل العلم ممن تقدم،فما ذا يكون حال من ليس لهم علم من المشركين،وفي هذا من إظهار العزة على المشركين،والترفع عليهم بما من الله به من العلم على المؤمنين ما هو ظاهر،وتستمر الآيات تدعوا النبي ﷺ إلى التمسك بهذا الكتاب،ثم إخباره بأمور مغيبات تعظم شأن القرآن،وتقضي بالجهل على المشركين،فتذكر من علامات الساعة،ومما يكون يوم القيامة،حتى تختم بهاتين الآيتين اللتين يبينان الاعتزاز بالقرآن،وإظهار الغنى إلا عن الله سبحانه وتعالى،قال الله تعالى:﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾(الآيتين ٩٢ ،٩٣).والله أعلم.

ولقد سبق من متشابهها ثلاثة مواضع:

الموضع الأول:قول الله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾،(النمل ١٠)،وقد اشتبه مع آية الأعراف (١٠٧)،وآية طه (٢٠)،وآية الشعراء (٣٢)،وآية القصص (٣٠)[1].

الموضع الثاني:قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾(النمل:٧،٨، ٩)،وقد اشتبه مع آيات طه (١٠، ١١، ١٢)،وآيتي القصص (٢٩، ٣٠)[2].

---

(١)انظر ص ٢٦٢.

(٢)انظر ص ٣٣٤.

الموضع الثالث:قول الله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾(النمل ١٢)،وقد اشتبه مع آية طه (٢٢)،وآية القصص (٣٢)[1].

وأما ما بقي من متشابهها فنبدأ به الآن-بإذن الله-.

(١)انظر ص ٣٥٠.

مقطع واحد

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾(النمل ١٠،١١)

﴿وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾(القصص ٣١) .

مواضع المتشابه ونوعه:

الموضع الأول:في النمل: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾،وفي القصص: ﴿وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ ۖ﴾.

نوعه:تشابه بالزيادة والنقصان ،فقد زادت القصص حرف: ﴿أن﴾.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لقد وقع الخلاف على أي شيء عُطف ما في النمل.

قال الزمخشري-رحمه الله-:«فإن قلت علام عطف قوله:﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾قلت: على:﴿بُورِكَ﴾؛لأن المعنى:﴿نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾، ﴿وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ ۖ﴾، كلاهما تفسير لنودي،والمعنى قيل له:بورك من في النار، وقيل له:ألق عصاك،والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ ۖ﴾(القصص ٣١)، بعد قوله:﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾(القصص ٣٠) على تكرير حرف التفسير،كما تقول:كتبت إليك أن حج وأن اعتمر، وإن شئت أن حج واعتمر»[1] .

(١)الكشاف ٣/٣٣٩،وانظر إرشاد العقل السليم ٦/٢٧٤.

وهذا الذي قاله الزمخشري-رحمه الله- معترض عليه بأن هناك نداءٌ آخر أقرب من النداء الذي أحال العطف عليه،وهو قوله تعالى:﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩﴾(النمل ٩)،فيكون العطف عليه لا على:﴿بُورِكَ﴾[1].

وهذا الرأي الثاني هو المتجه؛لما سبق من الاعتراض على القول الأول،ولأن مما يضعف القول الأول طول الفصل،فإذا كان حرف التفسير أعيد في القصص وليس هناك فصل،فلأن يعاد في الموضع الذي طال فيه الفصل أولى وأحرى.

وعليه فلا يكون هناك حرف تفسيرٍ أصلاً في النمل،وتكون الجملة السابقة لقوله:﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾،وهي قوله:﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩﴾(النمل ٩) مقررةً لهذا الأمر بالإلقاء،ويكون الأمر بالإلقاء تابعاً للنداء باسم الله العزيز الحكيم،وقد بينا في متشابه سورة طه[2]:أن اسمي العزيز الحكيم كانا ممهدين لأمر الرسالة،على ما تُعنى به سورة النمل،وقد كان دخول إلقاء العصا في هذا النداء هو أول أمر الرسالة،ولو دخلت أن التفسيرية لكان نداءً آخر،والسورة تبين الأمر بالإجمال،والله أعلم.

وأما القصص فكان العطف فيها على أن التفسيرية في قوله:﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(القصص ٣٠).والمعنى:أن ربه ناداه بندائين بهذا،ثم بأن يلقي عصاه،وقد بينا في طه[3] السر في ندائه بربوبيته سبحانه للعالمين،وقد كان النداء الثاني هنا زيادة تفصيلٍ لحال موسى عليه السلام،وذلك أنه في النداء الأول نبأه ربه وأعلمه بربوبيته للعالمين،وفي النداء الثاني بدأ بذكر شأن الرسالة وأول آياتها العصا.فهذا سبب زيادة حرف التفسير في القصص،والله أعلم.

قال القرطبي-رحمه الله-:«﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ نفي لربوبية غيره سبحانه،وصار بهذا الكلام من أصفياء الله عز وجل لا من رسله؛لأنه لا يصير رسولاً إلا

---

(١)انظر البحر المحيط ٧/٥٥.

(٢)انظر ص ٣٤٩.

(٣)انظر ص ٣٤٩.

بعد أمره بالرسالة،والأمر بها إنما كان بعد هذا الكلام»[(١)] وهو قوله بعده: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ وما بعده.

الموضع الثاني:في القصص زيادة: ﴿أَقْبِلْ﴾.

نوعه :تشابه بالزيادة والنقصان.

الموضع الثالث:في النمل: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾،وفي القصص: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾.

نوعه:تشابه بإبدال الجمل.

أثر السياق في توجيه المتشابه في الموضعين السابقين

لقد خلت النمل من الزيادة التي في القصص؛لأن تلك الزيادة مدلولٌ عليها بسياق الكلام.

قال ابن عاشور-رحمه الله- في موضع القصص:«وزيادة: ﴿أَقْبِلْ﴾ وهي تصريح بمضمون قوله: ﴿لَا تَخَفْ﴾ في سورة النمل ؛لأنه لما أدبر خوفاً من الحية كان النهي عن الخوف يدل على معنى طلب إقباله ،فكان الكلام هناك إيجازاً،وكان هنا مساواةً تفنناً في حكاية القصتين»[(٢)] ،وما قاله صاحب التحرير حسنٌ لكننا لا نوافقه على ما قاله من التفنن،وإنما كان ورودها في القصص لما فيها من بيان العناية بموسى عليه السلام على ما يأتي بيانه-بإذن الله-.

وأما الموضع الثالث في النمل ،فهو الموافق لسياقها؛لأنه يبين الحكم العام لجميع المرسلين عند ربهم سبحانه وتعالى،والسورة تبين أمر الرسالة بإجمال كما هو معلومٌ،والله أعلم بالصواب.

---

(١)الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٨٧.

(٢)التحرير والتنوير ٢٠/١١٣.

أما القصص فقد كانت زيادة قوله: ﴿أَقْبِلْ﴾ فيها تبين مزيد التلطف بموسى عليه السلام، على ما هو معلومٌ من سياقها، وكذلك ما ختمت به آيتها، كما هو الموضع الثالث، ووجه ذلك: أن قوله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٓمِنِينَ﴾ «أبلغ ما يكون في التأمين، وعدم الخوف فإن قوله: ﴿أَقْبِلْ﴾ يقتضي الأمر بإقباله، ويجب عليه الامتثال، ولكن قد يكون إقباله وهو لم يزل في الأمر المخوف، فقال: ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ أمر له بشيئين: إقباله وأن لا يكون في قلبه خوف، ولكن يبقى احتمال وهو: أنه قد يقبل وهو غير خائف ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من المكروه، فلذلك قال: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٓمِنِينَ﴾ فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه، فأقبل موسى عليه السلام غير خائف ولا مرعوب، بل مطمئنا واثقا بخبر ربه، قد ازداد إيمانه وتم يقينه، فهذه آية أراه الله إياها قبل ذهابه إلى فرعون؛ ليكون على يقين تام فيكون أجرأ له وأقوى وأصلب»[1].

وبهذا يتم توجيه الموضعين، والله أعلم.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٥٦٥.

سورة القصص

سورة القصص مكية،وهي آخر آل طس[(١)].

وهذه السورة تفتتح بقصة موسى عليه السلام،كحال أختيها السابقتين،الشعراء والنمل،وقد علمنا أن لكل سورة من هذه السور سياقها،وقد بينا سياق السابقتين.

وأما هذه السورة فقد تميزت بذكر أحوالٍ من قصة موسى عليه السلام لم يشركها سورة سواها،ومن أحوال موسى عليه السلام التي تميزت به هذه السورة:قصة الولادة بتفاصيلها ودقائقها،ثم قصة قتل موسى عليه السلام للقبطي وما جرى عليه حتى خرج إلى مدين،ثم حال موسى عليه السلام في مدين.

وأما غرض السورة الذي تدور عليه،فهو تقرير إرادة الله وقدرته في إنقاذ المستضعفين من المؤمنين حتى يكون لهم التمكين في الأرض،وإظهار قدرته وإرادته في إهلاك أهل الباطل العالين في الأرض،فهذه السورة تخاطب المؤمنين وتبين لهم هذه السنة من سنن الله،قال الله تعالى في أولها: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣﴾(القصص ١-٣)،ثم بين حال أولئك الذين جرت عليهم سنة الله من الظالمين والمظلومين،فقال الله تعالى بعد ذلك:﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ۝٦﴾(القصص ٤-٦).

وحيث قد تبين غرض السورة،فإن من سنة الله أنه«إذا أراد أمراً هيأ أسبابه،وأتى بها شيئاً فشيئاً بالتدريج،لا دفعة واحدة»[(٢)]،وقد بينت هذه السورة من ألطاف الله ما لا

---

(١)انظر الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٦٤،إرشاد العقل السليم ٢/٧،ولا يشكل على مكيتها خلاف ابن عباس وقتادة في آيةٍ،ومقاتل في أربع آيات.

(٢)تيسير الكريم الرحمن ص ٥٦٨.

يخطر على بال،فأجرى الله من«الأسباب-التي لم يشعر بها لا أولياؤه ولا أعداؤه-ما هو سبب موصل إلى هذا المقصود»[(١)].

وقد يشتبه موضوع هذه السورة بسورة طه،فإن كلا السورتين قد ذكر مبدأ ولادة موسى عليه السلام،ولكن بينهما فرقٌ،فقد كانت طه كما سبق تتلطف بالنبي عليه السلام وصحابته في حال الضعف،وتقويهم على التمسك بالكتاب،وقد ذكرت من قصة موسى عليه السلام ما يناسب ذلك،فابتدأت قصته في طه بإرساله،ثم بدأت السورة في عدّ ألطاف الله بذكر أمر ولادته،ولكنها كانت في هذا تخاطب موسى عليه السلام ،ولهذا فقد ذكرت من أمر ولادته ما يظهر به لطف الله به،وأما القصص فقد ذكرت قصة ولادة موسى عليه السلام مفصلةً تفصيلاً لا يبلغه فيه غيرها،وهي في هذا تبين حسن تدبير الله لعباده المستضعفين ولطفه بهم،لا لموسى عليه السلام خاصةً،فذكرت لأجل هذا أحوال أمه وكيف مرت بها الخطوب العصيبة من ولادته حتى رجوعه،وكانت تصف أحوالها وخلجات نفسها،وهي بهذا الوصف تبين لطف الله بها وحسن تدبيره لها،كما هو سياق السورة،وانظر كيف ولد هذا الغلام في هذا الوقت العصيب الذي يقتل فيه فرعون أبناء بني إسرائيل،ثم انظر كيف ترضى الأم أن تلقي ابنها في اليم،وهو لم يكن إلا الوحي إليها من اللطيف الخبير،ولكنها لا تلبث أن تجد في نفسها ما تجده الأم على ولدها،فتكاد أن تبدي به،وهي لو أبدت به لم يكن لها غرض صحيح،وهي لا تعرف لذلك غرضاً صحيحاً،لكنه الوجد الذي جعل قلبها فارغاً،فيبين الله سبحانه لنا من لطفه وحسن تدبيره شيئاً آخر حين ربط على قلبها لتكون من المؤمنين،والغلام يقع في يد من كان الحذر منه،ولكن الله حببه للقلوب،وهو أمر لن يرده أحدٌ أبداً،ثم يبين الله من حسن تدبيره كذلك أن ألهم الأم أن تبعث أخته تقصه،وقد كانت الأخت حصيفةً ، لم تورد الآيات أن أمها أوصتها بشيء إلا أن تقصّ أخاها،وقد فعلت وكانت حذرةً لم يشعروا بها،وقد كان لهذا الذي ألهم الله به الأم من بعث أختها ما وراءه،فقد كان سبباً في رد الغلام،فإن الله يرينا من لطفه وحسن تدبيره أنه قد حرم على هذا الغلام تحريماً قدرياً لا يتخلف أن يرضع ثدي مرضع،حتى تعرض عليهم أخته رضاعه من أمه،وهم في لهفٍ أن يقبل ثديها ،فيرجعون الغلام إلى أمه ترضعه،ويعطونها الأجرة على

---

(١)السابق ص ٥٦١.

رضاعه،وهم لا يعلمونها أمه،وكل هذه الأهوال التي شهدتها الأم تنقضي في لحظات نعلم بها أن لطف الله وفرجه قريب.

قال ابن كثير –رحمه الله–«ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل:يوم وليلة ،أو نحوه»[(١)] ،وهو الوقت الذي يمكن أن يصبره غلام رضيع عن الرضاع.

وهكذا تنتقل القصة إلى أحواله عليه السلام حين قتل النفس،وهي أحوال تبين كذلك حسن تدبير الله،وكيف قيض الله من يأتي يخبر موسى عليه السلام بخبر الملأ،وهو لم يكن إلا من خواصهم؛لأن الأمر أمر الملأ:أمر الخاصة،فسبحان من سخر ويسر،وتصف القصة خروجه إلى مدين وهو لا يعلم الطريق وليس له به عهد،بل ولم يكن موسى عليه السلام من أهل هذا العنت والمشقة،فقد كان يعيش في بلاط الملك،ثم تبين السورة شأنه في مدين وكيف يسر الله له الرجل الصالح،الذي طمأنه بعد أن قص عليه القصص،وأنعم الله على موسى عليه السلام بالنكاح الصالح هناك،ثم لا تفيض السورة في قصة موسى بعد رجوعه إلى مصر،بل تذكر هلاك فرعون بإجمال.

والسورة قد أوردت قصةً أخرى في خاتمتها،وهي قصة قارون،وكان من قوم موسى عليه السلام،ولم ترد هذه القصة في غير سورة القصص،وقد كانت مناسبةً لسياقها،فإن قارون قد علا في الأرض كعلوّ فرعون،لكنه كان علوّ المال،وفرعون علوه علوّ الملك والسلطان،وهما آفتان قد عالجتهما السورة،وبينت مصيرهما،قال الله في شأن قارون:﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾(القصص ٧٦)،وبعد أن قصت السورة هلاك قارون،بينت سنة الله التي لا تتخلف،وهي أن التمكين في الأرض لا يكون لمن يريد العلو في الأرض،قال الله تعالى:﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾(القصص ٨٣)،وهي بهذا تعيد الآخر على الأول مقررةً سياق السورة بتقرير

---

(١)تفسير ابن كثير ٦/٢٢٤.

هذه السنة التي تبينت في قصصها،وفي توجيه المتشابه زيادة بيانٍ-بإذن الله- لهذا السياق والله أعلم بالصواب.

وقد سبق متشابهها في سبعة مواضع،مرتبة على ورودها في الدراسة التطبيقية:

الموضع الأول:قول الله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ (القصص ٣٠)،وقد اشتبه مع آية الأعراف (١٠٧)،وآية طه (٢٠)،وآية الشعراء (٣٢)،وآية النمل (١٠) [(١)].

الموضع الثاني:قول الله تعالى:﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾(القصص ٢٩،٣٠)،وقد اشتبه مع طه(الآيات ١٠، ١١، ١٢)،والنمل (الآيات ٧، ٨، ٩) [(٢)].

الموضع الثالث:قول الله تعالى:﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾(القصص ٣٢)وقد اشتبه مع طه (آية ٢٢)،والنمل (آية ١٢) [(٣)].

---

(١)انظر ص ٢٦٢.

(٢)انظر ص ٣٣٤.

(٣)انظر ص ٣٥٠.

الموضع الرابع:قول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾(القصص ٧)،وقد اشتبه مع طه (الآيات ٣٧، ٣٨، ٣٩) [(١)].

الموضع الخامس:قول الله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾(القصص ١٣)،وقد اشتبه مع طه (آية ٤٠) [(٢)].

الموضع السادس:قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾(القصص ٣٣، ٣٤)،وقد اشتبه مع الشعراء (الآيات ١٢، ١٣، ١٤) [(٣)].

الموضع السابع:قول الله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾(القصص ٣١)،وقد اشتبه مع النمل (آيتي ١٠، ١١) [(٤)]،والله أعلم.

---

(١)انظر ص ٣٥٨.

(٢)انظر ص ٣٦٥.

(٣)انظر ص ٣٨٧.

(٤)انظر ص ٤٠٠.

سورة الزخرف

قال ابن الجوزي –رحمه الله–«وهي مكية بإجماعهم»[(١)].

ولقد كانت السورة في أولها تنذر كفار مكة،وتحكم عليهم بالإسراف،وتمثل حالهم بحال من كفر قبلهم،لتخوفهم مصير من قبلهم،قال تعالى:﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾(الآيات٥-٨).

فذكرت السورة قصة إبراهيم ﷺ مع قومه ،وقد كان حالهم في عبادتهم مشابهاً لكفار قريش،فحذرهم بهذا صنيعهم ومصيرهم.

قال ابن جرير–رحمه الله–:«وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه الذين كانوا يعبدون ما يعبده مشركو قومك يا محمد:إنني براء مما تعبدون من دون الله ،فكذبوه،فانتقمنا منهم كما انتقمنا ممن قبلهم من الأمم المكذبة رسلها»[(٢)].

ثم قصت السورة بعدها قصة موسى عليه السلام مع فرعون،وقد لحظت في هذه القصة أموراً كان يتلبس بها أهل الشرك،فذكرتها وذكرت ما يقابلها من القصة.

قال ابن عاشور–رحمه الله–«قد ذكر الله في أول السورة قوله:﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾.وساق بعد ذلك تذكرة بإبراهيم عليه السلام مع قومه ،وما تفرع على ذلك من أحوال أهل الشرك فلما تقضى أتبع بتنظير حال الرسول ﷺ مع طغاة قومه واستهزائهم بحال موسى مع فرعون وملئه...والمقصود من هذه القصة هو قوله

---

(١)زاد المسير ٣٠١/٧،وانظر الجامع لأحكام القرآن ٤١/١٦،التحرير والتنوير ١٥٧/٢٥.

(٢)جامع البيان ٥٧٥/٢٠.

فيهـا :﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾(الآيتين ٥٥، ٥٦)» [(١)].

قال البيضـاوي-رحمـه الله-:«﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾(الزخرف ٤٦)يريد باقتصاصه تسلية رسول الله ﷺ،ومناقضـة قـولهم:﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾(الزخرف٣١)،والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام إلى التوحيد ليتأملوا فيها» [(٢)].

وقد قال فرعون أيضاً مثل مقالة أهل الشرك تلك،وهو ما أبانه الله في القصة بقوله تعـالى:﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾(الزخرف٥١،٥٢)،ففرعون لا يرى في موسى عليه السلام أهلية الرسـالة؛لأنه لـيس عظيماً عنده،كما كان المشركون يقولون في حق النبي ﷺ.

ومن أوجه الشبه أيضاً بين الحالين ما ذكره القاسمي -رحمه الله-بقولـه:«﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾(الزخـرف ٤٧)،فلما أتاهم بالحجج علـى التوحيد والبراءة من الشرك،إذا فرعون وقومه يضحكون.أي كما أن قومك ،مما جئتهم به من الآيات والعبر ،يسخرون. وهذا تسلية من الله لنبيه ﷺ،عما كان يلقى من مشـركي قومه.وإعلام منه له أن قومه من أهل الشرك،لن يعدوا أن يكونوا كسائر الأمـم الـذين كانوا على منهاجهم في الكفر بالله وتكذيب رسله.وندبٌ منه نبيـه ﷺ إلى الاسـتئناس بهم،بالصبر عليهم ،بسنن أولي العزم من الرسل.وإخبار منه له أن عقبى مَرَدَّتِهم إلى البوار والهلاك» [(٣)].

---

(١)التحرير والتنوير ٢٥/٢٢٣-٢٢٤.

(٢)تفسير البيضاوي ٥/١٤٧.

(٣)محاسن التأويل ٦/١٩٣-١٩٤.

وقال البقاعي-رحمه الله-عن قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾(الزخرف ٤٩)«والتعبير بهذا توبيخ لقريش بالإشارة إلى أنهم وغيرهم ممن مضى، يرمون الرسول بالسحر ويقرون برسالته عند الحاجة إلى دعائه في كشف ما عذبهم ربهم به...وذلك كما وقع لقريش»[(١)].

وبهذا يتبين أن السورة كانت تنظر حال المشركين بحال آل فرعون،وتجعل للنبي ﷺ أسوة بأخيه موسى عليه السلام،وقد ظهر هذا في توجيه المتشابه كما تجده في موضعه،والله أعلم.

وقد مضى متشابه السورة في موضعين:

الموضع الأول:قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾(الزخرف ٤٦)،وقد اشتبه مع الأعراف (آية ١٠٤)[(٢)].

الموضع الثاني:قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾(الزخرف٤٩، ٥٠)،وقد اشتبه مع الأعراف (آيتي ١٣٤، ١٣٥)[(٣)]،والله أعلم.

---

(١)نظم الدرر ٤٤٤/١٧،والذي وقع لقريش هو أن النبي ﷺ دعا على قريش:"اللهم سبعاً كسبع يوسف"،فأخذهم سنة حصتهم حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف ،فأتاه أبو سفيان فقال:يا محمد إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم،وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم.أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب الاستسقاء،باب دعاء النبي ﷺ"واجعلها عليهم سنين كسني يوسف"،فتح الباري ٥٧٢/٢برقم(١٠٠٧)،وفي مواضع أخرى،صحيح مسلم،كتاب صفة القيامة والجنة والنار،باب :الدخان ٢١٥٥/٤،برقم (٢٧٩٨).

(٢)انظر ص ٢٥٩.

(٣)انظر ص ٣٠٩.

سورة الدخان

سورة الدخان من آل حم،وقد سبق أن الحواميم كلها مكية.

قال الكرمي-رحمه الله-:«الدخان:مكية بالإجماع وزعم بعضهم إلا قوله تعالى:﴿ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾(الدخان ١٥).»[(١)].

وقال ابن عاشور-رحمه الله-:«وهي مكية كلها في قول الجمهور .قال ابن عطية:هي مكية لا أحفظ خلافا في شيء منها.ووقع في الكشاف استثناء قوله:﴿ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾(الدخان ١٥)ولم يعزه إلى قائل،ومثله القرطبي»[(٢)].

وهذه السورة تبين التحدي بالقرآن كحال السور المفتتحة بالحروف المقطعة،ولكن هذه السورة ذكرت تخصيص نزول القرآن في الليلة المباركة وهي ليلة القدر:﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾(الدخان ٣)،وبينت عظمة هذه الليلة ،وعظمة المنزل سبحانه،وقررت كفار قريش بما يقرون به من توحيد الربوبية:﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ﴾(الدخان ٧ ،٨)،ثم قررت أنهم «ما هم بموقنين بحقيقة ما يقال لهم ويخبرون به من الأخبار،ولكنهم في شك منه ،فهم يلهون بشكهم»[(٣)]،فقال الله في ذلك:﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ ﴾(الدخان ٩)،ثم هددهم بالدخان عذابٌ يصيبهم:﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾(الدخان ١٠ ،١١).

---

(١)قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن للكرمي ١٨٦/١.

(٢)التحرير والتنوير ٢٧٥/٢٥،وانظر المحرر الوجيز ٦٨/٥،الكشاف ٢٦٢/٤،الجامع لأحكام القرآن ٨٤/١٦.

(٣)جامع البيان ١٣/٢١.

وقد اختلف في هذه الدخان ما هو؟فقيل هو ما كان يراه كفار قريش من هيئة الدخان إذا رفعوا أبصارهم إلى السماء ،من الجوع بعد الذي أصابهم من القحط حين دعا عليهم النبي ﷺ.

واستُدل لهذا بما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما [(١)] ،عن مسروق قال:«بينما رجل يحدث في كندة فقال:يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم .يأخذ المؤمن كهيئة الزكام،ففزعنا فأتيت ابن مسعود وكان متكئاً فغضب،فجلس فقال :من علم فليقل.ومن لم يعلم فليقل:الله أعلم،فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم :لا أعلم .فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾(ص ٨٦).وإن قريشاً أبطئوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي ﷺ فقال:"اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف"فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام ،ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان،فجاءه أبو سفيان فقال:يا محمد جئت تأمرنا بصلة الرحم ،وإن قومك قد هلكوا فادع الله.فقرأ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾(الدخان ١٠) إلى قوله: ﴿عَآئِدُونَ﴾(الدخان ١٥).أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم ؟فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾(الدخان ١٦) يوم بدر ».

وقيل:إن الدخان آيةٌ لم تمض بعد،ويدل لذلك ما ثبت في صحيح مسلم [(٢)] :من أن النبي ﷺ عدّ عشر علامات من علامات الساعة ،منها الدخان.

ولتحرير محل النزاع:فإن آية الدخان التي هي علامة من علامات الساعة لم تأت بعد قطعاً،ولكن هل تفسر آية الدخان بها،أو تفسر بما فسره به ابن مسعود؛لأن الأحاديث

---

(١)صحيح البخاري،كتاب التفسير،باب سورة الروم،فتح الباري ٨/٣٧٠ برقم(٤٧٧٤)وفي مواضع أخرى،صحيح مسلم،كتاب صفات المنافقين وأحكامهم،باب الدخان ٤/٢١٥٥، برقم(٢٧٩٨).

(٢)صحيح مسلم ،كتاب الفتن وأشراط الساعة،باب:في الآيات التي تكون قبل الساعة ٤/٢٢٢٥،برقم(٢٩٠١)

التي وردت في تفسير آية الدخان بأنها العلامة من علامات الساعة،كلها أحاديث ضعيفة ولو صح شيء منها لكان فصلاً في محل النزاع[(١)].

قال ابن جرير-رحمه الله-:«وأولى القولين بالصواب في ذلك، ما روي عن ابن مسعودﷺ:من أن الدخان الذي أمر الله نبيه أن يرتقبه ،هو ما أصاب قومه من الجهد بدعائه عليهم، على ما وصفه بن مسعود من ذلك...وإنما قلت القول الذي قاله عبد الله بن مسعود هو أولى بتأويل الآية؛ لأن الله جل ثناؤه توعد بالدخان مشركي قريش،وأن قوله لنبيه:﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾(الدخان ١٠) في سياق خطاب الله كفار قريش، وتقريعه إياهم بشركهم بقوله:﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ۝٩ ﴾(الدخان٨، ٩)، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام:﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾(الدخان ١٠)أمراً منه له بالصبر إلى أن يأتيهم بأسه، وتهديدا للمشركين، فهو بأن يكون إذ كان وعيدا لهم قد أحله بهم أشبه من أن يكون أخره عنهم لغيرهم،وبعد فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم،ويكون مُحِلّاً فيما يستأنف بعد بآخرين دخاناً على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ عندنا كذلك؛ لأن الأخبار عن رسول الله قد تظاهرت بأن ذلك كائن،فإنه قد كان ما رَوى عنه عبد الله بن مسعود، فكلا الخبرين اللذين رُويا عن رسول الله ﷺ صحيح»[(٢)].

وهذا القول الذي اختاره ابن جرير وجيه،وما يشكل عليه فمجابٌ عنه:

من ذلك أنه وصف الدخان بأنه مبين،فهو يراه كل أحد،وهذا يجاب عنه بأنه مبينٌ عند من حلت عليه العقوبة فهو يراه دخاناً كذلك.

---

(١)انظر جامع البيان ٢١/٢٠،فتح الباري ٨/٤٣٦.

(٢)جامع البيان ٢١/٢٠-٢١.

ويشكل عليه أيضاً:أنه وصفه بأنه يغشى الناس وهذا يفيد تعميمهم لا أن يكون خاصاً بكفار قريش،وهذا يجاب عنه بأن لفظ الناس لا دلالة فيه قطعية على العموم ،بل قد يراد به الخصوص،وهذا معلوم.

وأما من فسره بأنه دخانٌ يأخذ بأسماع الكفار،وأما المؤمن فيأخذه منه كهيئة الزكام،وهو علامة من علامات الساعة فيشكل عليه،ما استشكله ابن مسعود بأن عذاب يوم القيامة لا يرفع إذا وقع،وقد أجاب ابن كثير عن هذا بجوابين متجهين:

أحدهما في تفسيره[(١)]:وهو أن كشف العذاب إنما هو تأخيره قبل وقوعه،مثل ما قال عن قوم يونس:﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾(يونس ٩٨).

والثاني في البداية والنهاية[(٢)]:وهو أن ذلك كائن قبل يوم القيامة،فتمكن معه التوبة والإنابة،ومع وجاهة هذين الوجهين إلا أن تنزيل تفسير الآية عليه يحتاج إلى دليل،فنبقى على ما رأيناه متجهاً من كلام ابن مسعود رضي الله عنه.والله أعلم بالصواب.

وأما قصة موسى عليه السلام في سورة الدخان فقد كان موضوعها واحداً،وهو الخروج ببني إسرائيل من مصر،وتخليصهم من فرعون،وكان هذا هو عنوان بدايتها وهو مضمونها،قال الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾(الدخان ١٧ ،١٨)،ثم ذهبت الآيات في هذا حتى تم الخلاص.

وبناءً على ما رأيناه متجهاً من معنى الدخان،فإن هذا التهديد للمشركين كان في مكة،وأما حصول ذلك ووقوعه فكان بعد هجرة النبي ﷺ.

---

(١)انظر تفسير ابن كثير ٧/٢٥٠.

(٢)انظر البداية والنهاية ١٩/٢٦٦.

قال ابن عاشور-رحمه الله-:«وإذ قد كانت الآية مكية تعين أن هذا الدخان الذي هو عذاب المشركين لا يصيب المؤمنين لقوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾(الأنفال ٣٣).فتعين أن المؤمنين يوم هذا الدخان غير قاطنين بدار الشرك،فهذا الدخان قد حصل بعد الهجرة لا محالة»[(١)].وأما البطشة فأمرها ظاهر.

وبهذا فإنه يلوح لي أن هذه السورة كانت إرهاصاً للهجرة؛لأنها توعدت المشركين بالدخان،وبعده بهزيمة بدر العظيمة،وقد جاءت قصة موسى عليه السلام تتحدث عن الهجرة والخروج من مصر.

وقد سرى النبي ﷺ ليلاً مثل ما فعل أخوه موسى عليه السلام،ففي البخاري[(٢)]:«أن عازب رضي الله عنه سأل أبا بكر رضي الله عنه فقال له:يا أبا بكر حدثني كيف صنعتما حين سريت مع رسول الله ﷺ ؟قال:نعم ،أسرينا ليلتنا ومن الغد حتى قام قائم الظهيرة».

وقد مضى متشابه السورة في موضعين:

الموضع الأول:قول الله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾(الدخان ٢٣)،وقد اشتبه مع طه (آية ٧٧)،والشعراء (آية ٥٢)[(٣)].

الموضع الثاني:قول الله تعالى:﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ (الدخان ٢٥-٢٨)،وقد اشتبه مع الشعراء (الآيات ٥٧، ٥٨، ٥٩)[(٤)].

وبهذا تتم الدراسة التطبيقية،والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

(١)التحرير والتنوير ٢٥/٢٨٦-٢٨٧،وانظر البداية والنهاية ٤/٢٦٧.

(٢)صحيح البخاري ،كتاب المناقب،باب علامات النبوة في الإسلام،فتح الباري ٦/٧١٩،برقم (٣٦١٥).

(٣)انظر ص ٣٧٨.

(٤)انظر ص ٣٩١.

خاتمة البحث

خاتمة البحث

لقد كانت الدراسة التطبيقية هي لب البحث وثمرته،وتبين فيها تطبيق قواعد العلم النظرية،التي هي طرائق في فهم كلام الله سبحانه،وفي نهاية البحث فإنه يبدو لي نتائج أسجل أهمها:

١-لقد تبين لي من خلال البحث أن السياق هو الطريق السليم في توجيه المتشابه،فهو يحمي من الوقوع في التوجيهات الضعيفة،وهو خير سلاحٍ يُردّ به على الطاعنين في القرآن في متشابهه اللفظي.

٢-ويتبع النتيجة السابقة أنني رأيت أن الذي حدا ببعض الموجهين إلى بعض الحجج الضعيفة،هو أنه كان يحدوهم غرض الرد على مطاعن الطاعنين،وقد نصوا على هذا الغرض في مقدمات مصنفاتهم،ولقد كان السعي في بيان الوجه الصحيح لتوجيه المتشابه خيرٌ من التذرع بالحجج الضعيفة؛لأن فيه رداً للمطاعن أيما ردّ،وفيه بيان لوجه الإعجاز.

٣-تظهر أهمية دلالة السياق في توجيه المتشابه اللفظي من خلال أمور:

أحدها:أنه يظهر بها القول الفصل في بعض مسائل العلم التي اختُلِفَ فيها[(١)].

الثاني:يتبين بها ظهور أهمية بعض القواعد البلاغية :مثل وجوب تلمس بعض الأسرار المعنوية في العدول من المضمر إلى المظهر[(٢)].

الثالث:يتجلى لدارس لغة القرآن حين ينظر في المفردات أهمية السياق في توجيه المتشابه،وذلك أنه إذا كان النظر في المفردات نظرٌ قديم،وقد فضل العرب بعض الكلام على بعض،لتمايز بعضها على بعض في مفردات الكلام،فإن المتشابه أدق من ذلك وأعمق،وذلك أن النظر فيه يكون للمفردة والمفردة الأخرى المقاربة لها في المعنى،وقد حلت كل واحدة في سياقها لا يصلح أن ينوب بعضها عن بعض،كما أنه يلزم الموجه أن يبين الفضل في كل مفردة في محلها،بل أن يبين أنه لا يصلح أن يحل بعضها محل بعض[(٣)].

---

(١)انظر ص ١٣٩-١٤٢، وص ١٤٢.

(٢)انظر ص ١٢٣، ١٣٥.

(٣)انظر في هذه الرسالة ص ٣٩، ١٣١-١٣٣.

٤-لقد ظهرت أهمية البحث في المتشابه اللفظي في صعوبة مأخذه،وذلك أن له نظر خاص في تطبيق قواعد العلم؛لما يحتّمه المتشابه من دراسة الشيء وعكسه في المعاني المتقاربة لا المتضادة-كما في التقديم والتأخير-وتطبيق تلك القواعد على النظمين المختلفين على قدم المساواة.

٥-ويتبع النتيجة السابقة:أن المتشابه اللفظي وتوجيهه بدلالة السياق،خير مقرر لصواب تلك القواعد من قواعد العلم،وخير مبيّنٍ لأهميتها[(١)].

٦-وجدت أنه يلزم أحياناً أن يسبق التوجيه،بيان وجه الكلام من لغة العرب،وبيان قواعد العلم التي يرجع إليها الكلام،وهذه القواعد ليست توجيهاً،بل التوجيه خطوة أخرى بعدها،وإنما هي مفاتيح يدخل بها الداخل إلى التوجيه السليم،واقتصار بعض العلماء على بيان وجه الكلام من لغة العرب ليس رفضاً منهم لوجود أسرار وراء ذلك،فكان وراء ذلك أبواب من الفهم يفتح الله بها على من يشاء.

٧-وجدت أن بعض الذين يتحدثون عن السياق يقسمون السياق إلى قسمين :سياق لغوي بأقسامه(المفردة ،هيئة المفردة،العلاقات النحوية والصوتية)،وسياق حالي،ثم يذكر بعضهم أن الأوائل لم تكن هذه الأقسام محررة عندهم ،ولكنهم كانوا يسيرون عليها[(٢)].والحق أن هذه المسائل كانت محررة عند الأوائل كما بيناه في مبحث أركان السياق،وقد نقلنا نقلاً طويلاً عن الزركشي حصر فيه السياق اللغوي بالترتيب المعروف،وكذا تلخيصٌ لابن تيمية لأركان السياق،وكل ذلك وغيره يبطل القول بتفرد الدراسات الأجنبية بنظرية السياق[(٣)].

٨-لقد تبين من خلال الدراسة التطبيقية،ومن خلال دراسة كتب المتشابه،أهمية التأصيل الصحيح لمسائل العلم،وأن من قرر طريقاً في درس العلم لم يوفق فيه،فإنه لا بد أن يقع في الخلل شعر أو لم يشعر.

---

(١)انظر في تقرير هاتين النتيجتين ص ١٣٤-١٣٥،من هذه الرسالة.

(٢) انظر السياق وأثره في توجيه المعنى في تفسير الطبري ص ٤٣-٤٥.

(٣)انظر ص ٤٠-٤١.

٩-أن بعض الموجهين يتبع قواعد العلم في دلالتها على المعنى لكنه يترلها على ما لا يمكن أن تجتمع فيه بحال،كأن يجمع حالين متناقضين لصاحب القصة،والموضوع واحد والموقف واحد[(١)].

١٠-رأيت بعض الموجهين للمتشابه يكون تركيزهم على توجيه الموضع الذي يظن به خروجاً عن الأصل،ويكتفون بذلك عن توجيه الموضع الآخر اكتفاء بدليل الأصل وهذا نقص في التوجيه.

هذا ما يسر الله درْسه وبذله في هذا البحث،فما كان فيه من صواب فمن اللطيف الرحمن،وما كان فيه من خلل فمني ومن زلل الشيطان،أسأل الله سبحانه أن يعفو عن الزلة،وأن يقيل العثرة،وأن يجعله من العلم النافع الخالص الباقي،والله أعلم ،وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،والحمد لله رب العالمين.

---

(١)انظر ص ٣٣٧-٣٣٩ من هذه الرسالة،وقد وضع د. فاضل السامرائي مقارنة بين قصة موسى عليه السلام في النمل والقصص،حيث جعل ما في القصص مطبوعاً بطابع الخوف،وما في النمل المقام مقام تكريم لموسى عليه السلام،ثم جرى على هذا في التوجيه،فظهر من توجيهه أحوالٌ لموسى عليه السلام متناقضة فهو في مقام واثق،وفي الآخر متردد،وفي سورة مهمة موسى غير مهمته في السورة الأخرى،انظر لمسات بيانية ص ٩٠-١١٣.

الفهارس

١-فهرس الآيات المتشابهة التي تم توجيهها

٢-فهرس الآيات المستشهد بها

٣-فهرس الأحاديث

٤-فهرس الآثار

٥-فهرس الأعلام

٦-فهرس المراجع

٧-فهرس المحتويات

فهرس الآيات المتشابهة

المقطع-الموضع | السورة | الصفحة

البقرة

المقطع الأول ١٧٩-١٨٥

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا﴾ (البقرة ٤٨)

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا﴾ (البقرة ١٢٣)

الموضع الأول: في الآية الأولى قدم ذكر الشفاعة على العدل، وفي الثانية العكس ١٧٩-١٨٥

الموضع الثاني: في الآية الأولى نفى قبول الشفاعة، وفي الثانية نفى نفعها ١٧٩-١٨٥

الموضع الثالث: في الآية الأولى نفى أخذ العدل، وفي الثانية نفى قبوله ١٧٩-١٨٥

المقطع الثاني ١٨٦-١٩٤

﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ (البقرة ٤٩).

﴿وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ (الأعراف ١٤١).

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ﴾ (إبراهيم ٦).

الموضع الأول ١٨٦-١٨٩

﴿نَجَّيۡنَٰكُم﴾ (البقرة)،

﴿أَنجَيۡنَٰكُم﴾ (الأعراف)

﴿أَنجَىٰكُم﴾ (إبراهيم)

الموضع الثاني ١٨٩-١٩٤

﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ (البقرة).

﴿يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ (الأعراف).

﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ (إبراهيم).

المقطع الثالث ١٩٥-٢٠٠

﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةً﴾ (البقرة ٥١).

﴿۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةً﴾ (الأعراف ١٤٢).

الموضع الأول..... ١٩٥

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا﴾ (البقرة).

﴿وَوَاعَدْنَا﴾ (الأعراف).

الموضع الثاني..... ١٩٥-٢٠٠

﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (البقرة).

﴿ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ (الأعراف).

المقطع الرابع..... ٢٠١-٢٠٤

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ (البقرة ٥٥).

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ﴾ (النساء ١٥٣).

الموضع الأول..... ٢٠٢-٢٠٣

﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ (البقرة).

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ (النساء).

الموضع الثاني..... ٢٠٣-٢٠٤

زيادة: ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ في النساء.

المقطع الخامس..... ٢٠٥-٢١٠

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ (البقرة ٥٧).

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ (الأعراف ١٦٠).

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم﴾ (طه ٨٠-٨١).

الموضع الأول..... ٢٠٦-٢٠٧

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ (البقرة).

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾ (الأعراف).

وبحذف ذلك في طه.

الموضع الثاني..... ٢٠٨-٢٠٩

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ (البقرة).

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ (الأعراف).

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ (طه).

الموضع الثالث ٢٠٩-٢١٠

﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا﴾ (البقرة والأعراف).

﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ﴾ (طه).

المقطع السادس ٢١١-٢٢١

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ﴾ (البقرة ٥٨).

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ﴾ (الأعراف ١٦١).

الموضع الأول ٢١١

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ (البقرة).

﴿وَإِذْ قِيل لَهُم﴾ (الأعراف).

الموضع الثاني ٢١١-٢١٥

﴿ٱدْخُلُوا﴾ (البقرة).

﴿ٱسْكُنُوا﴾ (الأعراف).

الموضع الثالث ٢١٢-٢١٥

﴿فَكُلُوا﴾ (البقرة).

﴿وَكُلُوا﴾ (الأعراف).

الموضع الرابع ٢١٢-٢١٥

﴿رَغَدًا﴾ (البقرة)

حذفها في الأعراف.

الموضع الخامس ٢١٥

﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ (البقرة).

﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ (الأعراف).

الموضع السادس ٢١٦-٢٢٠

﴿ خَطَٰيَٰكُمۡ ﴾ (البقرة).

﴿ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡ ﴾ (الأعراف).

الموضع السابع ٢٢٠-٢٢١

﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (البقرة).

﴿ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (الأعراف).

المقطع السابع ٢٢٢-٢٢٨

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلاً ﴾ (البقرة ٥٩).

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلاً ﴾ (الأعراف ١٦٢).

الموضع الأول ٢٢٢-٢٢٤

﴿ ظَلَمُوا مِنۡهُمۡ ﴾ (الأعراف).

وبحذفها في البقرة.

الموضع الثاني ٢٢٤-٢٢٥

﴿ فَأَنزَلۡنَا ﴾ (البقرة).

﴿ فَأَرۡسَلۡنَا ﴾ (الأعراف).

الموضع الثالث ٢٢٥-٢٢٦

﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ (البقرة).

﴿ عَلَيۡهِم ﴾ (الأعراف).

الموضع الرابع ٢٢٧-٢٢٨

﴿ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ (البقرة).

﴿ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴾ (الأعراف).

المقطع الثامن ٢٢٩-٢٣٥

﴿ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ ﴾ (البقرة ٦٠).

﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمًا ﴾ (الأعراف ١٦٠).

الموضع الأول ٢٢٩-٢٣٥

﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ (البقرة).

﴿ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ ﴾ (الأعراف).

الموضع الثاني ٢٣٠-٢٣١

﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾ (البقرة).

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾ (الأعراف).

الموضع الثالث ٢٣١-٢٣٤

﴿ فَٱنفَجَرَتْ ﴾ (البقرة).

﴿ فَٱنۢبَجَسَتْ ﴾ (الأعراف).

الموضع الرابع ٢٣٤-٢٣٥

﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (البقرة).

﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (الأعراف).

المقطع التاسع ٢٣٦-٢٤٢

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ (البقرة ٦١).

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران ١١٢).

الموضع الأول ٢٣٦-٢٤٠

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة).

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ (آل عمران).

الموضع الثاني ٢٤٠

﴿ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (البقرة).

﴿ ٱلْأَنۢبِيَآءَ ﴾ (آل عمران).

الموضع الثالث ٢٤٠-٢٤٢

﴿ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ (البقرة).

﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (آل عمران).

المقطع العاشر ٢٤٣-٢٤٨

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ (البقرة ٦٣).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ (البقرة ٩٣).

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ﴾ (النساء ١٥٤).

﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ (الأعراف ١٧١).

الموضع الأول ٢٤٣

افتتحت آيتا البقرة بأسلوب الخطاب.

بينما كانت النساء والأعراف على الغيبة

الموضع الثاني ٢٤٣-٢٤٦

﴿وَرَفَعْنَا﴾ (آيتا البقرة والنساء).

﴿نَتَقْنَا﴾ (الأعراف).

الموضع الثالث ٢٤٤-٢٤٦

﴿ٱلطُّور﴾ (آيتا البقرة والنساء).

﴿ٱلْجَبَلَ﴾ (الأعراف).

الموضع الرابع ٢٤٥-٢٤٦

﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ (الأعراف).

وخلت البقرة والنساء من هذه الزيادة.

الموضع الخامس ٢٤٦-٢٤٨

﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة ٦٣).

﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ﴾ (البقرة ٩٣).

﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ (الأعراف).

آل عمران

تقدم متشابهها ٢٣٦

النساء

تقدم متشابهها..... ٢٠١، ٢٤٣

الأعراف

تقدم من متشابهها..... ١٨٦، ١٩٥، ٢٠٥، ٢١١، ٢٢٢، ٢٤٣، ٢٢٩

المقطع الأول..... ٢٥٧-٢٥٨

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ (الأعراف ١٠٣).

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ (يونس ٧٥).

الموضع الأول..... ٢٥٧-٢٥٨

في الأعراف ذكر البعث لموسى عليه السلام وحده،وفي يونس لموسى وهارون عليهما السلام.

الموضع الثاني..... ٢٥٧-٢٥٨

﴿بِـَٔايَٰتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ (الأعراف).

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ (يونس).

الموضع الثالث..... ٢٥٧-٢٥٨

﴿فَظَلَمُواْ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف).

﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (يونس).

المقطع الثاني..... ٢٥٩-٢٦١

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ (الأعراف ١٠٤).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (الزخرف ٤٦).

موضع واحد..... ٢٥٩-٢٦١

﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف).

﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (يونس).

المقطع الثالث..... ٢٦٢-٢٦٥

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ (الأعراف ١٠٧).

﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ (طه ٢٠).

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾، (الشعراء ٣٢).

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾،(النمل ١٠).

﴿وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ﴾ (القصص ٣٠).

موضع واحد..... ٢٦٢-٢٦٥

﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾(الأعراف والشعراء).

﴿حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾(طه).

﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾(النمل والقصص).

المقطع الرابع..... ٢٦٦-٢٧٥

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ﴾(الأعراف ١٠٩-١١٤).

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ﴾(الشعراء ٣٤-٤٢).

الموضع الأول..... ٢٦٦-٢٦٧

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾(الأعراف).

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾(الشعراء).

الموضع الثاني..... ٢٦٧-٢٦٨

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾(الأعراف).

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾(الشعراء).

الموضع الثالث..... ٢٦٨-٢٧٠

﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾(الأعراف).

﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾(الشعراء).

الموضع الرابع..... ٢٧٠-٢٧١

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾(الأعراف).

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾(الشعراء).

الموضع الخامس..... ٢٧٢

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ۝٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۝٤٠﴾(الشعراء).وليست هذه الزيادة في الأعراف.

الموضع السادس..... ٢٧٢-٢٧٥

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ﴾(الأعراف).

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ﴾(الشعراء).

الموضع السابع..... ٢٧٣-٢٧٥

﴿إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾(الأعراف).

﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾(الشعراء).

الموضع الثامن..... ٢٧٤-٢٧٥

﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾(الأعراف).

﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾(الشعراء).

المقطع الخامس..... ٢٧٦-٣٠٨

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ۝١١٥ قَالَ أَلۡقُواْ﴾(الأعراف ١١٥-١٢٦).

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ۝٦٥ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْ﴾(طه ٦٥-٧٣).

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ۝٤٣ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ﴾(الشعراء ٤٣-٥١).

الموضع الأول..... ٢٧٧-٢٧٨

في الأعراف وطه استأذن السحرة موسى عليه السلام في أيهما الذي يبدأ،ولم يذكر الاستئذان في الشعراء،بل اقتصر على ذكر قول موسى عليه السلام للسحرة بالإلقاء.

الموضع الثاني..... ٢٧٨-٢٨٣

﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾(صيغة الاستئذان في الأعراف).

﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾(صيغة الاستئذان في طه).

الموضع الثالث..... ٢٧٩-٢٨٣

﴿قَالَ أَلۡقُواْ﴾(الأعراف).

﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْ﴾(طه).

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (الشعراء).

الموضع الرابع..... ٢٨٠-٢٨٣

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف).

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ (طه).

﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (الشعراء).

الموضع الخامس..... ٢٨٣-٢٨٥

﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ (الأعراف).

﴿وَأَلْقِ﴾ (طه).

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ (الشعراء).

الموضع السادس..... ٢٨٥-٢٨٧

﴿عَصَاكَ﴾ (الأعراف).

﴿مَا فِي يَمِينِكَ﴾ (طه).

﴿عَصَاهُ﴾ (الشعراء).

الموضع السابع..... ٢٨٧-٢٩٣

﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الأعراف والشعراء).

﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ (طه).

الموضع الثامن..... ٢٨٨-٢٩٣

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ (الأعراف).

﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ (طه).

الموضع التاسع..... ٢٨٨-٢٩٣

﴿وَأُلْقِيَ﴾ (الأعراف).

﴿فَأُلْقِيَ﴾ (طه والشعراء).

الموضع العاشر ٢٩٣-٢٩٥

﴿ سَٰجِدِينَ ﴾ (الأعراف والشعراء).

﴿ سُجَّدًا ﴾ (طه).

الموضع الحادي عشر ٢٩٥

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (زيادة في الأعراف والشعراء).

الموضع الثاني عشر ٢٩٦-٢٩٨

﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ (الأعراف والشعراء).

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ (طه).

الموضع الثالث عشر ٢٩٨-٢٩٩

﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ (الأعراف).

﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ ﴾ (طه والشعراء).

الموضع الرابع عشر ٢٩٩-٣٠٠

﴿ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ (الأعراف).

﴿ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ ﴾ (طه والشعراء).

الموضع الخامس عشر ٣٠٠-٣٠١

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَا ﴾ (الأعراف).

﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ ﴾ (طه والشعراء).

الموضع السادس عشر ٣٠١-٣٠٣

﴿ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ (الأعراف).

وفي طه ذكر العقوبة مباشرة.

﴿ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ (الشعراء).

الموضع السابع عشر ٣٠٣-٣٠٥

﴿ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ ﴾ (الأعراف).

﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ ﴾ (طه والشعراء).

الموضع الثامن عشر ٣٠٥-٣٠٦

﴿أَجْمَعِينَ﴾ (زيادة في الأعراف والشعراء).

الموضع التاسع عشر ٣٠٦

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ (زيادة ذكر محل الصلب في طه).

الموضع العشرون ٣٠٦-٣٠٨

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ (الأعراف)

﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾﴾ (طه).

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ (الشعراء).

المقطع السادس ٣٠٩-٣١٤

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ (الأعراف ١٣٤-١٣٥).

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ (الزخرف ٤٩-٥٠).

الموضع الأول ٣٠٩-٣١١

﴿قَالُوا يَا مُوسَى﴾ (الأعراف).

﴿يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ﴾ (الزخرف).

الموضع الثاني ٣١١-٣١٢

﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الأعراف).

﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ (الزخرف).

الموضع الثالث ٣١٢-٣١٤

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ﴾ (الأعراف).

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ (الزخرف).

الموضع الرابع ٣١٤

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ (زيادة في الأعراف).

المقطع السابع ٣١٥-٣٢٣

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى﴾ (الأعراف ١٥٠).

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ (طه ٨٦).

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ (طه ٩٤).

الموضع الأول ٣١٥-٣١٩

﴿يَٰقَوْمِ﴾ (طه ٨٦).

وليس ذلك في الأعراف.

الموضع الثاني ٣١٥-٣١٩

﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ﴾ (الأعراف).

﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ (طه ٨٦).

الموضع الثالث ٣١٩-٣٢٣

﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ (الأعراف).

وليست هذه الزيادة في طه.

الموضع الرابع ٣١٩-٣٢٣

﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأعراف).

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾ (طه ٩٤).

يونس

تقدم متشابهها ٢٥٧

إبراهيم

تقدم متشابهها..... ١٨٦

طه

تقدم من متشابهها..... ٢٠٥، ٢٦٢، ٢٧٦، ٣١٥

المقطع الأول..... ٣٣٤-٣٤٩

﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ (طه ١٠-١٢).

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ (النمل ٧-٩).

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ (القصص ٢٩-٣٠).

الموضع الأول..... ٣٣٤-٣٣٧

﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ (طه).

﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ (القصص).

وخلت النمل من ذلك.

الموضع الثاني..... ٣٣٧

﴿ٱمْكُثُوٓاْ﴾ (طه والقصص زيادة عن النمل).

الموضع الثالث..... ٣٣٧-٣٣٩

﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم﴾ (طه والقصص).

﴿سَـَٔاتِيكُم﴾ (النمل).

الموضع الرابع..... ٣٣٩-٣٤٤

قدم في طه ذكر تطلب موسى للقبس على الخبر ،وفي السورتين العكس

الموضع الخامس..... ٣٣٩-٣٤٤

﴿أَوْ ءَاتِيكُم﴾ (زيادة في النمل).

الموضع السادس..... ٣٣٩-٣٤٤

﴿بِقَبَسٍ﴾ (طه).

﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ (النمل).

﴿أَو جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ (القصص).

الموضع السابع..... ٣٤٢-٣٤٤

﴿لَعَلَّكُم تَصۡطَلُونَ﴾ (زيادة في النمل والقصص).

الموضع الثامن..... ٣٤٤-٣٤٩

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢﴾ (طه).

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾ (النمل).

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ (القصص).

المقطع الثاني..... ٣٥٠-٣٥٧

الموضع الأول..... ٣٥٠-٣٥٧

﴿وَٱضۡمُمۡ﴾، ﴿جَنَاحِكَ﴾ (طه).

﴿وَأَدۡخِلۡ﴾، ﴿جَيۡبِكَ﴾ (النمل).

﴿ٱسۡلُكۡ﴾، ﴿جَيۡبِكَ﴾ (القصص).

الموضع الثاني..... ٣٥٠-٣٥٧

﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ﴾ (زيادة في القصص).

الموضع الثالث..... ٣٥٠-٣٥٧

﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾ (طه).

﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾ (النمل).

﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ﴾ (القصص).

الموضع الرابع..... ٣٥٠-٣٥٧

﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓ﴾ (النمل).

﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾ (القصص).

المقطع الثالث ٣٥٨-٣٦٤

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ﴾ (طه ٣٧-٣٩).

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ (القصص ٧).

الموضع الأول ٣٥٨-٣٦٠

في طه الآيات على أسلوب الخطاب،وفي القصص على الغيبة

الموضع الثاني ٣٥٨-٣٦٠

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ﴾ (طه).

﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ (القصص).

الموضع الثالث ٣٥٨-٣٦٠

﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ (طه).

﴿إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ (القصص).

الموضع الرابع ٣٦٠-٣٦٣

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ (طه).

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ (القصص).

الموضع الخامس ٣٦٣-٣٦٤

﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ (طه).

﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص).

المقطع الرابع ٣٦٥-٣٦٧

﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ (طه ٤٠).

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ (القصص ١٣).

الموضع الأول ٣٦٥-٣٦٧

﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ (طه).

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ (القصص).

الموضع الثاني ٣٦٥-٣٦٧

﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (زيادة في القصص).

المقطع الخامس ٣٦٨-٣٧٨

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ﴾ (طه ٤٦-٤٧).

﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الشعراء ١٥-١٦).

الموضع الأول ٣٦٨-٣٧٠

﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ (طه).

﴿إِنَّا مَعَكُم﴾ (الشعراء).

الموضع الثاني ٣٧٠-٣٨٣

﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ (طه).

﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ (الشعراء).

الموضع الثالث ٣٧٣-٣٧٥

﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ (طه).

﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الشعراء).

الموضع الرابع ٣٧٥-٣٧٧

﴿رَبِّكَ﴾ (طه).

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الشعراء).

المقطع السادس ٣٧٨-٣٨٠

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ (طه ٧٧)

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾(الشعراء ٥٢)

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾(الدخان ٢٣).

الموضع الأول..... ٣٧٨-٣٨٠

﴿لَيْلًا﴾(زيادة في الدخان).

الموضع الثاني..... ٣٧٨-٣٨٠

﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾(طه).

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾(القصص والدخان).

الشعراء

تقدم من متشابهها..... ٣٧٨،٣٦٨،٢٧٦،٢٦٦،٢٦٢

المقطع الأول..... ٣٨٧

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾(الشعراء ١٢-١٤).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾(القصص ٣٣-٣٤).

موضع واحد..... ٣٨٧

قدم في الشعراء ذكر خوفه من التكذيب على خوفه من القتل،وفي القصص العكس.

المقطع الثاني..... ٣٨٨-٣٨٩

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾(الشعراء:٢٥)

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾(الشعراء:٣٤)

الموضع الأول..... ٣٨٨-٣٩٠

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾(آية ٢٥).

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾(آية ٣٤).

الموضع الثاني..... ٣٨٨-٣٩٠

﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾(آية ٢٥).

﴿إِن هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾(آية ٣٤).

المقطع الثالث..... ٣٩١-٣٩٤

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ (الشعراء ٥٧-٥٩).

﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ (الدخان ٢٥-٢٨).

الموضع الأول ٣٩١-٣٩٤

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ (الشعراء).

﴿كَمْ تَرَكُوا۟﴾ (الدخان).

الموضع الثاني ٣٩١-٣٩٤

﴿وَكُنُوزٍ﴾ (الشعراء).

﴿وَزُرُوعٍ﴾ (الدخان).

الموضع الثالث ٣٩١-٣٩٤

﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (زيادة في الدخان).

الموضع الرابع ٣٩١-٣٩٤

﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (الشعراء).

﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ (الدخان).

النمل

سبق من متشابهها ..... ٢٦٢،٣٣٤،٣٥٠

مقطع واحد ٤٠٠-٤٠٣

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ (النمل ١٠-١١).

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ (القصص ٣١).

الموضع الأول ٤٠٠-٤٠٢

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ (النمل).

﴿ وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ (القصص).

الموضع الثاني..... ٤٠٢-٤٠٣

﴿ أَقْبِل ﴾ (زيادة في القصص).

الموضع الثالث..... ٤٠٢-٤٠٣

﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ (النمل).

﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ ﴾ (القصص).

القصص

تقدم متشابهها..... ٣٥٠،٣٣٤،٢٦٢،٤٠٠،٣٨٧،٣٦٥،٣٥٨

الزخرف

تقدم متشابهها..... ٢٥٩،٣٠٩

الدخان

تقدم متشابهها..... ٣٩١،٣٧٨

فهرس الآيات المستشهد بها

رقم الآية	نصها	اسم السورة	الصفحة
	الفاتحة		
٢	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾		١٠٨، ٥٨
٥	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾		١٠٧
	البقرة		
٨	﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾		١٦
١٠	﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾		٧٩
٢٣	﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم﴾		١٥٦
٢٥	﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾		٨٦
٣٨	﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾		١٢٦
٤٠، ٤٧، ١٢٢	﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾		١٧٦
٥٠	﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾		١٩٢
٥٣	﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾		١٩٧
٥٦	﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾		٢٠٣
٦٢	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾		١٠٤، ١٥١
٧٥	﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾		٢٤٦
٨٠	﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾		١٢٠
٨١	﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾		٥٦
٩١	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾		٢٤٧
٩٢	﴿۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾		٢٤٧
٩٨	﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾		١٦
١١٨	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾		٧٣

١٢٦ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ ١٢١
١٣٤ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ ٩٨
١٤٦ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ ٧٦
١٥٨ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ ٦٠
١٧٠ ﴿قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾ ١١٣
١٧٣ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ ..... ٥٥، ١٦٩، ١٠٤
١٧٧ ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟﴾ ١٥
١٧٨ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ ٧٥
١٩٠ ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ٧٧
١٩٤ ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ٧٧
١٨٧ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ ٣٨
٢٢٨ ﴿وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ ٨١
٢٣٣ ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ﴾ ٨١
٢٥٤ ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ ٢٢٨
٢٧٥ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ ٢٠
٢٨٦ ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ ٧٥

آل عمران

٥ ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ ١١١
٧ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ﴾ ٨٨
١٢ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ﴾ ٤٧
٢٤ ﴿قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ ١٢٠
٣٦ ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ١٨
٣٧ ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا﴾ ..... ١٨، ٤٨

٥٢ ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ١١٢
٥٩ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ٩٢
٦٤ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ ٢٤٩
٨٥ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ ٢٢
١٠٣ ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ٢٠
١٢٦ ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ ١٠٥
١٣٦ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ ١٥٧
١٤٠ ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ ٢٥
١٧٣ ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ ٨٣

النساء

٦ ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ ٣٣٥
٢٥ ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ ..... ١٩، ٤٢، ٤٣
٦٠ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ ٨٠
٦٤ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ ٢١
٦٥ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٨٠
٧٤ ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ ٤٧
٧٨ ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ ٣٢
٨٢ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ ..... ٨٩، ١٣٨
١١٥ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ ١٢٥
١٤١ ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ٦١

المائدة

٢ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ ..... ٥٤، ٥٥
٦ ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ١٦٥

١٨ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ ١٨٠
٢١ ﴿يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ ٢١٢
٣٦ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم﴾ ٦٢
٣٧ ﴿وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ ٦١
٣٨ ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ ..... ٨٣، ٨٤
٤٥ ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ ٢٤١
٦٩ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ ١٥١
٨٢ ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ ١٧
٨٥ ﴿فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟﴾ ١٧
٩٠ ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ ٦٥
٩٣ ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟﴾ ..... ٦٥، ٦٦

الأنعام

٥ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ ١٥٩
٢١ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ ١٢٢
٤٢ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ ١٢٥
٥٠ ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ ١٧١
٧٠ ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ ١٨٠
٨١ ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ ٥٦
٨٢ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم﴾ ..... ٥٥، ٥٦
٩٠ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ ١٢٠
٩٦ ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ ٧٥
١٠٢ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ ١٠٤
١١٥ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ ٨٨

١٤٥ ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ ٥٥
١٦٤ ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا﴾ ٤٧

الأعراف

١-٣ ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ ٢٥٣
٢٣ ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ ٢٢٨
٦٤ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ ..... ١٦٣، ١٤٩
٨٠-٨١ ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ﴾ ٣٩٧
٨٢ ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم﴾ ١٤٩
٩٤ ﴿لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾ ١٢٥
٩٦ ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ ٧٥
١٠٢ ﴿وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ۝١٠٢﴾ ٢٥٤
١٠٣ ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ ٢٥٣
١٠٥ ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ ..... ٢٥٣، ٢٦٠
١١٦ ﴿قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ ٢٩١
١٢٢ ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١٢٢﴾ ١٠٤
١٢٧ ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ﴾ ٢٩٨
١٢٩ ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَا﴾ ١٩٢
١٣٠-١٣٢ ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ ٣١١
١٣٤-١٣٥ ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى﴾ ١٩٤
١٣٦ ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ﴾ ١٩٤
١٣٨ ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾ ١٧٠
١٤٢ ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾ ٣١٦

١٥٠ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ ١٩٩
١٥٥ ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا﴾ ٢٠١
١٥٩ ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٥٩﴾ ٣٢٣
١٦٣ ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ ٨٣

الأنفال

١٠ ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ﴾ ١٠٥
١٣ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ١٢٥
٢٢ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾ ٨١
٦٥ ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ﴾ ٤٧
٦٦ ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ﴾ ٤٧
٦٧ ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾ ١٥٩
٧٢ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ﴾ ١٥٨

التوبة

١٦ ﴿وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ﴾ ١٥٩
١٩ ﴿كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ ١٥٩
٢٩ ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ ٢٣٧

يونس

١ ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ ٨٨
٢ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ﴾ ٣٢٤
٢٧ ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ ٨٢
٣٨ ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ ١٥٥
٦٠ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ١٢١
٦١ ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ﴾ ١١٠

٧٣ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ ..... ١٤٩،١٦٣

٧٨ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ ٢٥٨

٨١-٨٢ ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ ٢٩٢

٩٤ ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ ٣٢٤

هود

١ ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ ..... ٨٨، ٩٦

١٣ ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ ١٥٥

٦٧ ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ ..... ١٢٠،١٤٦،١٦٢

٧٧ ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ ١١٨

٨٢ ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ ٤٣

٩٤ ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ ..... ١٢٠،١٤٦،١٦٢

١٢٠ ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ ١٣٨

يوسف

٨٢ ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ ١٩٦

١١١ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ..... ١٣٨، ٣٠٥

الرعد

٢ ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ ١١٢

إبراهيم

٤ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ ٥٢

٥ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ ٣٢٦

١٠ ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ ٤٧

٣٤ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ ١١٦

٣٥ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ ١٢١

٣٨ ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ ١١١

الحجر

١٢ ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ ١٢٧
٣٥ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ ١٢٩

النحل

٦ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ ٨٢
١٤ ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ ١٠٥
١٨ ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ ١١٧
٨١ ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ ١٦٥
١١٥ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ ٥٥
١٧٥ ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ ١٠٤

الإسراء

٣٣ ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ ٢٢٨
٧٣ ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ ١١٢
٨٨ ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ ١٥٦

الكهف

٦١ ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ ٥٠
٦٣ ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ ٥١

مريم

١٨ ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ٧٦
٢٢ ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ ١٧
٢٤ ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ ١٧
٢٥ ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ ٤٨
٢٦ ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ ٤٨

٢٩ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ ١٨

طه

١-٢ ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ ..... ٣٣٠، ٣٤٣
٤ ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾ ١١٠
٩ ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ ٣٣٥
٢١ ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝٢١﴾ ..... ٢٦٤، ٣٥٤
٢٣ ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ۝٢٣﴾ ٣٥٤
٢٩-٣٢ ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا﴾ ٣٧٤
٤٢ ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ ٢٩٧
٤٣ ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣﴾ ٢٩٧
٦١ ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ ٢٩٧
٦٣ ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا﴾ ٢٩٧
٦٤ ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾ ٢٩٨
٧٠ ﴿بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ ١٠٤
٧٢ ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ ٣٠٥
٧٣ ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ ٢٧٠
٨٠ ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ ١٩٧
٨١ ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ ٢٠٦
٨٣-٨٥ ﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ ..... ١٩٩، ٢٠٦، ٣٢١
٨٦ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ ..... ١٩٧، ٣١٦
١٢٣ ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ ١٢٦
١٣٠ ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ ..... ١٢٩، ٣٣١

الأنبياء

٤٤ ﴿بَل مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ ١٢٣
٧٧ ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ ١١٢
٧٨ ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ ٨٢
٧٩ ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ ٨٢
٨١ ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ ٩٢
٩١ ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ ١٤٥

الحج

١٧ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ ..... ١٥١، ١٠٤
٢٢ ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ ١١٩
٦٢ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ ١٥٣

المؤمنون

٩ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ ١١٩
٥٠ ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ ٨٢
٦٠ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ ٥٠

النور

٣ ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ ٤٦
٦٣ ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾ ٣٣

الشعراء

٣ ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ ..... ٣٨٢، ٣٨٣
٤ ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ ٣٨٢
٦ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ ١٥٩
٢٩ ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ ٣٨٩
٣٨-٤٠ ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾ ٢٩٣

٤٨ ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ ١٠٤
٩١-٩٢ ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ ٣٨٠
١٢٦ ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ ٢٨٧
١٩٢-٢٠١ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ٣٨٣
٢٠٠ ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾﴾ ١٢٧

النمل

١-٦ ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ٣٩٥
١٣-١٤ ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ ٣٩٦
١٥-١٦ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا﴾ ٣٩٦
٤٢-٤٣ ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ ٣٩٧
٥٤-٥٥ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ ٣٩٧
٥٦ ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ﴾ ١٤٩
٧٦ ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ٣٩٧
٨٨ ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ ٢٨٧
٩٢-٩٣ ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ٣٩٨

القصص

١-٣ ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ﴾ ٤٠٤
٤ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ ..... ١٩٣، ٤٠٤
٦ ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ ١٩٣
١٠-١٢ ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا﴾ ٣٦٦
٢٠ ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ ١٠٣
٣٨-٣٩ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾ ٣٥٥
٤٠ ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ ٣٥٥

٧١-٧٢ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ﴾ ٧٣
٧٦ ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ ٤٠٦
٨٣ ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ﴾ ٤٠٦

العنكبوت

١-٣ ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ ١٩٨
٢٢ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ١٧١
٣٣ ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ ١١٨
٥٨ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ١٥٨

الروم

١-٤ ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ ٤٧

لقمان

١٣ ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ ٥٦
٢١ ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا﴾ ١١٣
٢٩ ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ ١١٢
٣٠ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ ١٥٣

السجدة

٢٠ ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ ١١٩

الأحزاب

٢٨ ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ﴾ ٤٤
٣٣ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ﴾ ٤٤
٣٤ ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ ٤٤

سبأ

٣ ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ ١١٠
٥٤ ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ٣٩٣

فاطر

١٢ ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ ١٠٥
٤٥ ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ ٣٤

يس

٢٠ ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ ١٠٣
٨٢ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ ٣٦٣

الصافات

١٠ ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ ٣٤٠

ص

٢٤ ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ ١١٢
٧٨ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ ١٢٩
٨٦ ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ ٤١٣

الزمر

٢٣ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ ..... ٨٨، ٨٩
٧٣ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ ١٦٧
٧٤ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ ١٦٧

غافر

٣ ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ ١٦٧
٧ ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ ١٦٧
٦١ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ١٢١
٦٢ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ ١٠٤

فصلت

٥٢ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ١٦٧
٥٤ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ١٦٧

الشورى

٥ ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّ﴾ ..... ١٦٧،١٦٨
٣١ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ١٧١
٤٩ ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ٨١

الزخرف

٥-٨ ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾ ٤٠٩
٢٩ ﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ﴾ ١٢٣
٣١ ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ ٤١٠
٤٥ ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ ٢٦٠
٤٨ ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَا﴾ ٣١٣
٥١-٥٢ ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ﴾ ٤١٠
٥٤ ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ ٢٦٧
٥٥-٥٦ ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ ٤١٠
٥٩ ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ﴾ ٩٢

الدخان

٢ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ ٤١٢
٧-٨ ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾ ..... ٤١٢، ٤١٤
٩ ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ۝٩﴾ ..... ٤١٢، ٤١٤
١٠-١١ ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ۝٩﴾ ..... ٤١٢، ٤١٤
١٥ ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ۝١٥﴾ ٤١٢
١٦ ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ ٤١٣
٣٠-٣١ ﴿وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ ٣٩٤
٤٩ ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩﴾ ..... ٦٨، ٧١

الأحقاف

١٠ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ٢٣

محمد

١٦ ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ ٣٢

٢٤ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ١٣٨

الفتح

٢٨ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ ٥٢

ق

٣٩ ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ ١٢٩

٤١ ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ ٥٢

الرحمن

٢٦ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦﴾ ٣٤

المجادلة

٢١ ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ ٤٦

الحشر

٤ ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ ١٢٥

الطلاق

٦ ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ﴾ ٨٣

التحريم

١٢ ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ ١٤٥

المعارج

١١، ١٢ ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ ١٠٤

٣٤ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤﴾ ١١٩

المزمل

١٥ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ ..... ٣٣، ٥٢

الإنسان

٩ ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ ١١٣

عبس

٣٤-٣٦ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ ١٠٤

التكوير

١٧ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾ ٧٤
١٨ ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ ٧٤
٢٧ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ ١٢٠

المطففين

١٥ ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ ٧٣
٢٣ ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ٧٢

البروج

١٣ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ ٤٣

الليل

١-٢ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾ ٧٥

الضحى

١-٢ ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾ ٧٥

الزلزلة

٧، ٨ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ٢٢

النصر

١ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ ٧١
٣ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ ٧١

الإخلاص

١ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ ..... ٥٧، ٥٨

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	رقم الصفحة
"احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن"	٥٦
"إذا أتيت مضجعك فتوضأ"	٥٠
"أسرعكن لحاقاً بي"	٦٣
"إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام"	٣٤٧
"أن النبي ﷺ أخبر بقتل أمية بن خلف"	٣١٠
"أن النبي ﷺ دعا عليهم بالسنين"	٣١٠
"أن النبي ﷺ عدّ عشر آيات"	٤١٣
"أن النبي ﷺ لما وضعوا عليه سلا"	٣١٠
"أيما إهاب دبغ فقد طهر"	٥٣
"السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"	٢١٦
"الطاعون رجس أرسل"	٢٢٥
"فكان للحوت سرباً"	٤٩
"قيل لبني إسرائيل"	٢٢٣
"كان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة استغفر"	٧١
"لا يا بنت الصديق"	٤٩
"لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"	٦١
"لأعلمنك أعظم سورة"	٥٧
"اللهم اجعلني من التوابين"	٧١
"اللهم أعني عليهم بسبع"	٤١٣
"ليس كما تقولون"	٥٥
"ما من الأنبياء نبي إلا أعطي"	١٣١
"من قال في القرآن برأيه"	١٦٣
"هلا انتفعتم بجلدها"	٥٢

فهرس الآثار

طرف الأثر	القائل	رقم الصفحة
"أدنه...يوم القيامة"	علي	٦٠
"إنما أنزلها عذراً لمن شربها"	ابن عباس	٦٤
"إنهن من العتاق الأول"	ابن مسعود	٣٢٨
"بئسما قلت يا ابن أختي"	عائشة	٥٩
"لو رأيتني موثقي عمر"	سعيد بن زيد	٣٢٧
"ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر"	ابن مسعود	٣٢٨
"هو أجل رسول الله ﷺ"	ابن عباس	٧٠
"والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة"	ابن مسعود	٣٤
"ولقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أني أعلمهم"	ابن مسعود	٣٤
"ونحن منه في مدة"	أبو سفيان	٢٤٩
"ويحك اقرأ ما فوقها"	ابن عباس	٦١
"يا أبا بكر حدثني كيف صنعتما"	عازب	٤١٦

فهرس الأعلام

الاسم	رقم الصفحة
إبراهيم بن عمر البقاعي	١٧٧،١٩٨،٢٥٤،٣٩٦،٤١١
أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي	٤٢،٧٣، ٧٩، ٩٩، ١٤٤، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤،١٦٥،١٦٦،١٦٧،١٧٧، ١٨٧، ٢٠٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٣، ٢٦٨، ٢٧٨، ٣٠٤، ٣٤٣، ٣٧٥، ٣٧٦
أحمد بن جعفر بن المنادي	١٠٢، ١٣٨، ١٣٩
أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية	٢١، ٢٣، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٤، ٤٥، ٥٢، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٧، ٦٩، ٩٠، ٩٤، ١١٢، ١١٦، ١٢٥، ١٣٧، ٢٩٩، ٣٣١، ٣٨١،٣٥٣، ٣٨٩.
أحمد بن فارس بن زكريا	١١، ٨٦، ١١٤، ١١٥، ١٩١، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٦٩، ٣١٣، ٣٣٤، ٣٤١، ٣٥١، ٣٦٥
أحمد بن محمد ابن النحاس	١٥، ٨٩
أحمد بن يحيى ثعلب	١١٤، ١١٥
الأزهري= محمد بن أحمد	
الإسكافي= محمد بن عبد الله	
إسماعيل بن حماد الجوهري	١١، ٣٠، ٨٦
إسماعيل بن عمر بن كثير	١٥، ١٧، ١٩، ٤٢، ٥٤، ٧٢، ٧٣، ٧٨، ٩٢، ٩٣، ٢١٣، ٢٣٨، ٢٤٩، ٣٠٩، ٣٢٢، ٣٣٦، ٣٤٩، ٣٥٧، ٣٨١، ٣٨٩، ٤٠٦، ٤١٥
الأنصاري= زكريا بن محمد	
الباقلاني= محمد بن الطيب	
البخاري= محمد بن إسماعيل	
البراء بن عازب رضي الله عنهما	٥٠

البغوي= الحسين بن محمد
البقاعي= إبراهيم بن عمر
ابن تيمية= أحمد بن عبد الحليم
ابن جرير= محمد بن جرير بن يزيد الطبري
ابن جزي= محمد بن أحمد
أبو جعفر ١٩٦، ٢٧٣
أبو جعفر ابن الزبير= أحمد بن إبراهيم
ابن جماعة= محمد بن إبراهيم
ابن الجوزي= عبد الرحمن بن علي
الجوهري= إسماعيل بن حماد الجوهري
الجويني= عبد الملك بن عبد الله
الحاجب= عثمان بن عمر
ابن حجر= محمد بن علي
حسان بن ثابت رضي الله عنه ١٣١، ١٣٢
الحسن البصري ٢٠٠، ٣٤٦، ٣٤٧
الحسن بن أحمد الفارسي ١١٥
الحسين بن محمد البغوي ٨٩، ٢٠٧
الحسين بن محمد بن المفضل ١١، ٨٦، ١٩٠، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٤٤، ٢٦٩، ٢٨٧، ٣١٢، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٥١، ٣٦١، ٣٦٦، ٣٧٨
خديجة رضي الله عنها ٣١
خلف بن هشام ١٠٢
الخليل بن أحمد الفراهيدي ٣٥، ٣٦
ابن دقيق= محمد بن علي
الرازي= محمد بن عمر

الراغب= الحسين بن محمد بن المفضل
رشيد الحمداوي ١٠٣
الرماني= علي بن عيسى
ابن الزبير= أحمد بن إبراهيم
الزركشي= محمد بن بهادر
زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٩٩، ١٤٤، ١٧٣
الزمخشري= محمود بن عمر
الزهري ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٢٤٩
زينب رضي الله عنها ٦٣
السدي ١٥
السرخسي= محمد بن أحمد
سعد بن المعلى رضي الله عنه ٥٧
ابن سعدي= عبد الرحمن بن ناصر السعدي
السعدي= عبد الرحمن بن ناصر السعدي
أبو السعود= محمد بن محمد العمادي
سعيد بن زيد ٣٢٧، ٣٢٨
أبو سفيان رضي الله عنه ٢٤٩، ٣١٠، ٤١٣
السمرقندي= نصر بن محمد
السهيلي= عبد الرحمن بن عبد الله
سودة رضي الله عنها ٦٣
سيبويه= عمر بن عثمان
السيوطي= عبد الرحمن بن الكمال
الشنقيطي= محمد الأمين بن محمد المختار
الشوكاني= محمد بن علي
الطبري= محمد بن جرير

طلحة رضي الله عنه ٣٢٧
عائشة رضي الله عنها ٤٩، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٣٢٧
ابن عاشور= محمد الطاهر
أبو العباس بن سريح ٥٧
ابن عبد البر= يوسف بن عبد الله
عبد الحق بن غالب بن عطية ٧٨، ١٩٦، ١٩٩، ٣٣٥، ٣٥٩، ٣٩٣، ٤١٢
عبد الرحمن بن الكمال السيوطي ٢٥، ١٥٤، ١٧٨، ٢٣٣
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ٩٦، ٩٧
عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ١٠٥، ١٠٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٤٠، ٢٧٥
عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ١٠٢، ١٠٣
عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٣، ٢٠، ٢٢، ٣٤، ٦٨، ٢٣٨، ٢٦٠، ٢٨٣، ٣٥٣
عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ١٠٥، ١٠٧، ١٠٩، ١٣٣، ١٣٤
عبد الله بن الحسين العكبري ٣٨
عبد الله بن سلام ٢٢، ٢٣
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ٤٢، ٦٠، ٦١، ٦٤، ٦٥، ٧٠، ٨٠، ٩٣، ١٨٣، ١٩٩، ٣٢١، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٨١
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ٥٣، ٦١
عبد الله بن مسعود ٣٤، ٥٥، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥
عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ٨٧
عبد الملك بن عبد الله الجويني ٦٧
عثمان ابن جني أبو الفتح ٣٥، ٣٦
عثمان بن عمر بن الحاجب ١٢٦
ابن العربي= محمد بن عبد الله
عروة بن الزبير ٥٩
عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام ٦٧

العز بن عبد السلام= عز الدين بن عبد العزيز
عطاء ٢٠٠
ابن عطية= عبد الحق بن غالب
العكبري= عبد الله بن الحسين
علي ﷺ ٦٠
علي بن عيسى الرماني ١٠٩
عمر بن الخطاب ﷺ ٦٤، ٧٠، ٣٢٧، ٣٢٨
عمر بن عثمان بن قنبر=سيبويه ٣٥، ٣٦، ١٠٥، ١٢٦
أبو عمرو ١٩٦، ٢٧٠
العيني= محمود بن أحمد
ابن فارس= أحمد بن فارس بن زكريا
الفارسي= الحسن بن أحمد
فاطمة رضي الله عنها ٦٤
الفيروز آبادي= محمد بن يعقوب الفيروز آبادي
القاسم بن محمد الأنصاري السجلماسي ٢٥
القاسمي=محمد جمال الدين
قتادة بن دعامة ١٤، ٧٥، ١٩٩، ٣٥٧
ابن قتيبة= عبد الله بن مسلم
قدامة بن مظعون ﷺ ٦٤، ٦٥
القرطبي= محمد بن أحمد
ابن القيم= محمد بن أبي بكر
ابن كثير= إسماعيل بن عمر
الكرماني= محمود بن حمزة
الكلبي ٢٠٠
مجاهد بن جبر ٧٥، ١٩٩، ٣٤١، ٣٥٧

محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ١٦، ١٧، ٢٣، ٢٤، ٤٢،٤١، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٩٣، ٩٤، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٦، ٢٧٠، ٢٧٩، ٢٨٩، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣١٣، ٣١٦، ٣١٨، ٣١٩، ٣٤٦، ٣٦٠، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٨١

محمد الطاهر بن عاشور ١٤٠، ١٤١، ١٨٠، ١٨٧، ٢٠٤، ٢٣٥، ٢٧٣، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٩، ٣٠٤، ٣١٨، ٣٢٤، ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٧٩، ٤٠٢، ٤٠٩، ٤١٥، ٤١٦

محمد بن إبراهيم بن جماعة ٩٩، ١١٦، ١٤٤، ١٧٠

محمد بن أبي بكر ابن القيم ٣٠، ٣١، ٤٣، ٥٥، ٦٥، ٦٧، ٧٠، ١٧٧، ٢٨٠، ٣٧١، ٣٧٧،

محمد بن أحمد الأزهري ٢٢٤، ٣١٣، ٣٤٠، ٣٦٥

محمد بن أحمد السرخسي ١٨، ١٩

محمد بن أحمد القرطبي ٥٠، ١٨٠، ٢٣٢، ٢٧١، ٢٧٤، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٩٥، ٤٠١، ٤١٢،

محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ١٥، ٦٧

محمد بن إسحاق ٢٤٩

محمد بن إسماعيل البخاري ٥٠، ٦١، ٦٣، ١٣١، ٢١٦، ٢٢٥، ٣١٠، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣١، ٤١٣، ٤١٦

محمد بن الطيب الباقلاني ١٠٨، ١٠٩، ١٣٦، ١٣٧

محمد بن القاسم الأنباري ١١٥

محمد بن بهادر الزركشي ٢٥، ٣٣، ٢٨، ٣٧، ٣٩، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٨٠، ٨١، ٨٢، ١٠٠، ١٠٣، ١١٣، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٧، ١٩٧، ١٩٨، ٢٤١

محمد بن جرير بن يزيد الطبري ١٤، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٦٠، ٧٢، ٧٣، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨٩، ٩٦، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٨٩، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٤١، ٣٥٧، ٣٦٢، ٣٦٩، ٣٨٣، ٣٩٢، ٣٩٥، ٤٠٩، ٤١٤

محمد بن زياد بن الأعرابي ١١٥

محمد بن عبد الله ابن العربي ١٨، ٧٤
محمد بن عبد الله الأصبهاني الإسكافي ٩٩، ١١١، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٨، ١٦٢، ٢١٣، ٢٦٨
محمد بن علي ابن دقيق العيد ٢٤، ٣٥، ٦٧، ٧٥، ٨٢، ٨٣
محمد بن علي الشوكاني ٧٥، ٨٣
محمد بن علي بن حجر ٥٠، ٥١، ٥٣، ٥٩، ٦٠، ٦٤، ١٧٦، ٣٢٧، ٣٤٩
محمد بن عمر بن الحسين الرازي ٢٠٠، ٨٦، ٢٨٣، ٣٨١
محمد بن محمد أبو موسى ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١٢٢
محمد بن محمد العمادي ٧٥، ٨١
محمد بن مكرم بن علي ابن منظور ١١، ٨٦
محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ١٢، ٨٧
محمد بن يوسف بن علي بن حيان ١٩١، ١٩٦، ٢٨٦، ٣٤٧، ٣٦٣
محمد جمال الدين القاسمي ١٩٣، ٢٣٩، ٤١٠
محمود بن أحمد العيني ٦٣
محمود بن حمزة الكرماني ٩٨، ١٤٤، ١٥٤، ١٥٨
محمود بن عمر الزمخشري ٤٥، ٨٠، ١٠٧، ١٤١، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩١، ٣١٦، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٧٤، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٨، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٠١
مسروق ٢٢
مسلم بن الحجاج القشيري ٣٤، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٦١، ٦٣، ١٣١، ٢١٦، ٤١٣
ابن منظور=محمد بن مكرم بن علي ابن منظور
ميمونة رضي الله عنها ٥٢، ٥٤
النابغة ١٣١، ١٣٢
نافع بن الأزرق ٦٠

ابن النحاس= أحمد بن محمد
نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي ١٦
النووي= يحيى بن شرف
أبو هريرة رضي الله عنه ٥٦، ١٣١
يحيى بن شرف النووي ٦١، ٦٣
يعقوب ١٩٦، ٣٤٠
يوسف بن عبد الله بن عبد البر ٥٢

ثبت المراجع

-أبجد العلوم-صديق بن حسن القنوجي-ت:عبد الجبار زكار-دار الكتب العلمية-ط١٩٧٨م.

-إبراز المعاني من حرز المعاني في القراءات السبع-عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (أبو شامة)(٦٦٥هـ)-تحقيق إبراهيم عطوة-مكتبة مصطفى.

-الإتقان في علوم القرآن-جلال الدين عبد الرحمن السيوطي-تحقيق د.مصطفى ديب البغا-دار ابن كثير-ط٣ ١٤١٦هـ.

-إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام-تقي الدين بن دقيق العيد-تحقيق أحمد شاكر-عالم الكتب-ط٢ ١٤٠٧هـ.

-أحكام القرآن-محمد بن عبد الله بن العربي-تحقيق محمد عبد القادر عطا-دار الفكر.

-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم-أبو السعود محمد بن محمد العمادي-دار إحياء التراث-ط٤ ١٤١٤هـ.

-إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول-محمد بن علي الشوكاني- تحقيق محمد سعيد البدري-دار الفكر-ط١ ١٤١٢هـ.

-الاستيعاب في معرفة الأصحاب-يوسف بن عبد الله بن عبد البر-تحقيق علي البجاوي-دار الجيل-ط١ ١٤١٢هـ.

-أسد الغابة في معرفة الصحابة-ابن الأثير علي بن محمد الجزري(٦٣٠هـ)-تصحيح عادل الرفاعي-دار إحياء التراث العربي-ط١ ١٤١٧هـ.

-الإصابة في تمييز الصحابة-علي بن حجر العسقلاني-عادل عبد الموجود وزميله-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤١٥هـ.

-أصول السرخسي-محمد بن أحمد السرخسي-تحقيق أبو الوفاء الأفغاني-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤١٤هـ.

-أضواء البيان-محمد الأمين الشنقيطي(١٣٩٣هـ)-مكتبة ابن تيمية-ط ١٤١٣هـ.

-الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم-د. محمد أبو موسى-مكتبة وهبة-ط٢ ١٤١٨هـ.

-إعجاز القرآن-أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني-عالم الكتب-ط١ ١٤٠٨هـ.

-إعراب القرآن -أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس-تحقيق د.زهير غازي-عالم الكتب-ط٣ ١٤٠٩هـ.

-إعلام الموقعين عن رب العالمين-شمس الدين أبو بكر بن قيم الجوزية-تحقيق عبد الرحمن الوكيل-مكتبة ابن تيمية.

-الإقناع في القراءات السبع -أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري (٥٠٤هـ)-تحقيق أحمد فريد المزيدي-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤١٩هـ.

-الأمالي-أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤١٦هـ.

-الإمام في بيان أدلة الأحكام-عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام(٦٦٠هـ)-تحقيق رضوان مختار بن غريبة-دار البشائر-ط١ ١٤٠٧هـ.

-الأمثال في القرآن-محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية(٧٥١هـ)-تحقيق إبراهيم محمد-مكتبة الصحابة-ط١ ١٤٠٦هـ.

-إملاء ما من به الرحمن من وجوه القراءات والإعراب-أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري-تحقيق إبراهيم عطوة عوض-المكتبة العلمية.

-الانتصار للقرآن-أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني-تحقيق د.محمد عصام القضاة-دار ابن حزم-ط١ ١٤٢٢هـ.

-أنوار التنزيل وأسرار التأويل(تفسير البيضاوي)-ناصر الدين البيضاوي-دار الفكر-ط١٤١٦.

-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك-عبد الله جمال الدين بن هشام-تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد-المكتبة العصرية .

-البحث الدلالي عن الأصوليين-د. محمد يوسف حبلص-مكتبة عالم الكتب-ط١.

-البحر المحيط-محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي-تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤١٣هـ.

-البحر المحيط في أصول الفقه-بدر الدين الزركشي-تحرير د.عمر الأشقر-وزارة الشئون الإسلامية في الكويت-ط٢ ١٤١٣هـ.

-بدائع الفوائد-محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية-ت:علي العمران-دار عالم الفوائد-ط١ ١٤٢٥هـ.

-البداية والنهاية-عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير-تحقيق د.عبد الله بن عبد المحسن التركي-دار هجر-ط١ ١٤١٨هـ.

-البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع-محمد بن علي الشوكاني-وضع حواشيه خليل المنصور-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤١٨هـ.

-البرهان في أصول الفقه-عبد الملك بن عبد الله الجويني(٤٧٨هـ)-د.عبد العظيم الديب-دار الوفا-ط٤ ١٤١٨هـ.

-البرهان في توجيه متشابه القرآن-محمود بن حمزة الكرماني-تحقيق أحمد عز الدين خلف الله-دار صادر-ط١ ١٤١١هـ.

-البرهان في علوم القرآن-بدر الدين بن محمد الزركشي-تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم-دار الجيل-ط ١٤٠٨هـ.

-بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد-علي بن أبي بكر الهيثمي(٨٠٧هـ)-تحقيق عبد الله بن محمد الدريويش-دار الفكر -ط ١٤١٢هـ.

-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة-جلال الدين عبد الرحمن السيوطي-تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم-المكتبة العصرية-ط١٤١٩هـ.

-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة-جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(٩١١هـ)-تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم-دار الفكر-ط٢ ١٣٩٩.

-البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية-د.محمد محمد أبو موسى-مكتبة وهبة-ط٢ ١٤٠٨هـ.

-بلاغة الكلمة في التعبير القرآني-د.فاضل السامرائي-دار عمار-ط٢ ١٤٢٢هـ.

-بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية-أحمد بن عبد الحليم بن تيمية-تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم-مطبعة الحكومة مكة المكرمة-ط١ ١٣٩٢هـ.

-البيان في غريب إعراب القران-أبو البركات ابن الأنباري-تحقيق د.طه عبد الحميد-الهيئة المصرية العامة للكتاب-١٤٠٠هـ.

-تأويل مشكل القرآن-عبد الله بن مسلم بن قتيبة-ت:أحمد صقر-دار التراث-ط٣ ١٣٩٣هـ

-التحرير والتنوير-محمد الطاهر ابن عاشور-دار سحنون للنشر والتوزيع.

-التسهيل لعلوم التنزيل-محمد بن أحمد بن جزي-ت:محمد اليونسي،إبراهيم عطوة-دار أم القرى.

-التعاريف-محمد بن عبد الرؤوف المناوي-د.محمد رضوان الداية-دار الفكر المعاصر-ط١ ١٤١٠هـ.

-التعبير القرآني-د. فاضل السامرائي-دار عمار-ط٢ ١٤٢٢هـ.

-تفسير السمرقندي-نصر بن محمد السمرقندي-تحقيق د.محمود مطرجي-دار الفكر.

-تفسير السمعاني-منصور بن محمد السمعاني-تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم الغنيم-دار الوطن-ط١ ١٤١٨هـ.

-تفسير القرآن العظيم-إسماعيل بن كثير القرشي(٧٧٤هـ)-تحقيق سامي السلامة-دار طيبة-ط١ الإصدار الثاني ١٤٢٢هـ.

-تفسير القران العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين-عبد الحمن بن محمد الرازي (ابن أبي حاتم)(٣٢٧هـ)-تحقيق أسعد الطيب-مكتبة الباز-ط ١٤١٧هـ.

-تفسير القرآن الكريم-محمد بن صالح العثيمين-دار ابن الجوزي-ط١ ١٤٢٣هـ.

-التفسير الكبير-فخر الدين محمد بن عمر الرازي-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤١١هـ.

-تفسير مجاهد-مجاهد بن جبر المخزومي-تحقيق عبد الرحمن السورتي-دار المنشورات العلمية.

-التمهيد-يوسف بن عبد الله بن عبد البر(٤٦٣هـ)-تحقيق مصطفى العلوي،محمد البكري-وزارة عموم الأوقاف المغرب-ط ١٣٨٧هـ.

-التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي-أحمد أبو زيد-كلية الآداب بالرباط-١٩٩٢م.

-تهذيب اللغة-أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري-تحقيق عبد السلام هارون وآخرون.

-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان-عبد الرحمن بن ناصر السعدي(١٣٧٦هـ)-تحقيق عبد الرحمن اللويحق-مؤسسة الرسالة-ط٦ ١٤١٧هـ.

-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان-عبد الرحمن بن ناصر السعدي(١٣٧٦هـ)-مركز صالح بن صالح الثقافي-ط١ ١٤٠٧هـ.

-ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني-تحقيق محمد خلف الله و د.محمد زغلول-دار المعارف-ط٤.

-جامع البيان عن تأويل آي القرآن-أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(٣١٠هـ)-تحقيق د.عبد الله التركي-دار هجر-ط١ ١٤٢٢هـ.

-جامع الرسائل- أحمد بن تيمية-ت:د.محمد رشاد سالم-دار المدني-ط٢ ١٤٠٥هـ.

-الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه(صحيح البخاري)-أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(٢٥٦هـ)-تحقيق محب الدين الخطيب-دار إحياء التراث العربي-ط١ ١٤٠٠هـ.

-الجامع لأحكام القرآن-محمد بن أحمد القرطبي-دار الكتب العلمية-ط ١٤١٣هـ.

-الجواهر الحسان في تفسير القرآن(تفسير الثعالبي)-عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي-مؤسسة الأعلمي.

-حاشية البناني على شرح الجلال المحلي على متن جمع الجوامع للسبكي-عبد الرحمن بن جاد البناني(١١٩٨هـ)-مطبعة مصطفى البابي الحلبي-ط٣ ١٣٥٦هـ.

-حاشية الشهاب على البيضاوي(عناية القاضي وكفاية الراضي)-شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي-ضبط وتخريج عبد الرزاق المهدي-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤١٧هـ.

-حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على متن جمع الجوامع للسبكي-حسن العطار-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤٢٠هـ.

-الحجة للقراء السبعة -أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي(٣٧٧هـ)-تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير الخولي-دار المأمون للتراث-ط١ ١٤١١هـ.

-حسن المحاضرة في تأريخ مصر والقاهرة-جلال الدين عبد الرحمن السيوطي-تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم-دار الفكر العربي-ط ١٤١٨هـ.

-الخصائص-أبو الفتح عثمان بن جني-تحقيق محمد بن علي النجار-الهيئة المصرية العامة للكتاب-ط٣ ١٤٠٧هـ.

-درة التنزيل وغرة التأويل-محمد بن عبد الله الأصبهاني(الخطيب الإسكافي)-تحقيق د.محمد مصطفى آيدين-مطبوعات جامعة أم القرى-ط١ ١٤٢٢هـ.

-دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب-محمد الأمين الشنقيطي-مكتبة ابن تيمية-ط١ ١٤١٧هـ.

-دلائل الإعجاز-عبد القاهر الجرجاني-ت:محمود شاكر-مطبعة المدني-ط٣ ١٤١٣هـ.

-دلالة السياق-د.ردة الله الطلحي-جامعة أم القرى-ط١ ١٤٢٤هـ.

-دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٠هـ،إعداد الطالب عبد الحكيم بن عبد الله القاسم.

-دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم-عبد الوهاب أبو صفية الحارثي-ط١ ١٤٠٩هـ.

-الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب-ابن فرحون المالكي(٧٩٩هـ)-تحقيق مأمون الجنان-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤١٧هـ.

-الذيل على طبقات الحنابلة-أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد(ابن رجب)-دار المعرفة.
-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني-شهاب الدين الألوسي-دار إحياء التراث.
-زاد المسير في علم التفسير-أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي-المكتب الإسلامي-ط٤ ١٤٠٧هـ.
-زاد المعاد في هدي خير العباد-شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم-تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط-مؤسسة الرسالة-ط ١٤ ١٤١٠هـ.
-السبعة في القراءات-أحمد بن مجاهد-ت:شوقي ضيف-دار المعارف- ط٢ ١٤٠٠هـ.
-سنن ابن ماجة-أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(٢٧٥هـ)-تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي-المكتبة الإسلامية.
-سنن الترمذي-أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي(٢٧٩هـ)-إشراف عزت الدعاس-المكتبة الإسلامية.
-سنن الدارقطني-علي بن عمر الدارقطني(٣٨٥هـ)-تعليق مجدي الشوري-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤١٧هـ.
-السنن الكبرى للبيهقي-أحمد بن الحسين البيهيقي-دار الفكر.
-سنن النسائي الكبرى-أحمد بن شعيب النسائي-تحقيق د.عبد الغفار البنداري،وسيد كسروي-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤١١هـ.
-السياق وأثره في توجيه المعنى في تفسير الطبري-رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها جامعة سيدي محمد (فاس)-إعداد الطالب محمد بنعدة-١٤١٨هـ.
-سير أعلام النبلاء-محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي٧٤٨هـ)-تحقيق مجموعة-مؤسسة الرسالة-ط٨ ١٤١٢هـ.
-السيرافي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه-د. عبد المنعم فائز-دار الفكر-ط١ ١٤٠٣هـ.
-السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية-د.أكرم العمري-مكتبة العبيكان-ط٣ ١٤١٨هـ.
-الشافية في علم التصريف-أبو عمرو عثمان بن عمر ابن الحاجب-ت:حسن أحمد عثمان-المكتبة المكية.

-شرح ابن عقيل-بهاء الدين عبد الله بن عقيل-تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد-مكتبة طيبة-ط١ ١٤١٠هـ.

-شرح العقيدة الأصفهانية-أحمد بن تيمية-ت:إبراهيم سعيداي-مكتبة الرشد-ط١ ١٤١٥هـ

-شرح العقيدة الواسطية-محمد الصالح العثيمين-عناية سعد بن فواز الصميل-دار ابن الجوزي-ط٢ ١٤١٥هـ.

-شرح الكوكب المنير-محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار-تحقيق د.محمد الزحيلي،ود.نزيه حماد-مكتبة العبيكان-ط ١٤١٣هـ.

-الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها-أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا-تحقيق د. عمر الطباع-مكتبة المعارف -ط١٤١٤هـ.

-الصحاح(تاج اللغة وصحيح العربية)-إسماعيل بن حماد الجوهري-تحقيق شهاب الدين أبو عمر-دار الفكر ط١ ١٤١٨هـ.

-صحيح مسلم-أبو الحسين مسلم بن الحجاج(٢٦١هـ)-تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي-دار إحياء التراث العربي.

-الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة-محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية-تحقيق د. علي الدخيل الله-دار العاصمة-٢ ١٤١٢هـ.

-طبقات الشافعية-أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة-تصحيح د.الحافظ عبد العليم خان-عالم الكتب-ط١ ١٤٠٧هـ.

-الطبقات الكبرى-محمد بن سعد-ت:محمد عطا-دار الكتب العلمية-ط٢ ١٤١٨هـ.

-طبقات المفسرين-أحمد بن محمد الأدنه وي(الداودي)-تحقيق سليمان بن صالح الخزي-مكتبة العلوم والحكم-ط ١ ١٤١٧هـ.

-الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز-أمير المؤمنين يحيى بن حمزة العلوي-دار الكتب العلمية.

-العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير-محمد الأمين الشنقيطي-عناية وتعليق خالد بن عثمان السبت-دار ابن القيم ودار ابن عفان-ط١ ١٤٢٤هـ.

-علماء نجد خلال ثمانية قرون-عبد الله بن عبد الرحمن آل بسام-دار العاصمة-ط٢ ١٤١٩هـ.

-عمدة القاري-بدر الدين محمود بن أحمد العيني(٨٥٥هـ)-دار إحياء التراث.

-غاية الاختصار في قراءات العشر أئمة الأمصار-أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني-تحقيق د.أشرف محمد فؤاد-الجماعة الخيرية لتحفيظ القران الكريم بجدة-ط١ ١٤١٤هـ.

-الفتاوى الكبرى-أحمد بن تيمية-ت:حسنين مخلوف-دار المعرفة-ط١ ١٤٨٦هـ.

-فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري-أحمد بن حجر العسقلاني-تحقيق محب الدين الخطيب-دار الريان-ط٣ ١٤٠٩هـ.

-فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن-أبو يحيى زكريا الأنصاري(٩٢٦هـ)-تحقيق عبد السميع محمد أحمد-مكتبة الرياض الحديثة-ط١ ١٤٠٤هـ.

-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير-محمد بن علي الشوكاني(١٢٥٠هـ)-د.عبد الرحمن عميرة-دار الوفاء-ط٢ ١٤١٨هـ.

-الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القران الكريم-د.محمد بن عبد الرحمن الشايع-مكتبة العبيكان-ط١ ١٤١٤هـ.

-الفريد في إعراب القرآن المجيد-المنتجب حسين بن أبي الفرا الهمداني-تحقيق د.محمد حسن النمر-دار الثقافة-ط١ ١٤١١هـ.

-فنون الأفنان في عيون علوم القران-أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي-تحقيق د.حسن ضياء الدين عتر-دار البشائر الإسلامية-ط١ ١٤١٨هـ.

-الفهرست-محمد بن إسحاق بن النديم(٣٨٥هـ)-دار المعرفة-ط ١٣٩٨هـ.

-القاموس المحيط-محمد بن يعقوب الفيروز آبادي-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤١٥هـ.

-قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن-مرعي بن يوسف الكرمي-تحقيق سامي عطا حسن-دار القرآن الكريم-ط ١٤٠٠هـ.

-قواعد التفسير جمعاً ودراسة-خالد بن عثمان السبت- دار ابن عفان-ط ١ ١٤١٧هـ.

-قواعد الفقه-محمد عميم الإحسان البركتي-الصدف ببلشرز-ط١ ١٤٠٧هـ.

-الكتاب-أبو بشر عمرو ن عثمان(سيبويه)-ت:عبد السلام هارون-مكتبة الخانجي،دار الرفاعي-ط٢ ١٤٠٢هـ.

-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل-جار الله محمود بن عمر الزمخشري-تصحيح محمد عبد السلام شاهين-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤١٥هـ.

-كشف الظنون-مصطفى القسطنطيني الرومي(١٠٦٧هـ)-دار الكتب العلمية-ط ١٤١٣هـ.

-كشف المعاني في المتشابه المثاني-بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة-تحقيق مرزوق علي إبراهيم-دار الشريف-ط١ ١٤٢٠هـ.

-اللباب في علل البناء والإعراب-أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري-تحقيق غازي مختار-دار الفكر المعاصر-ط١ ١٤١٦هـ.

-اللباب في علوم الكتاب-عمر بن علي بن عادل الدمشقي(٨٨٠هـ)-تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون-دار الكتب العلمية -ط ١ ١٤١٩هـ.

-لسان العرب-محمد بن مكرم بن منظور(٧١١هـ)-دار صادر-ط١.

-لسان الميزان-أحمد بن حجر العسقلاني-دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي-ط١ ١٤١٦هـ.

-لمسات بيانية في نصوص التنزيل-د.فاضل السامرائي-دار عمار-ط٣ ١٤٢٣هـ.

-متشابه القرآن العظيم-أحمد بن جعفر بن المنادي-تحقيق د. عبد الله الغنيمان-نشر الجامعة الإسلامية-ط١ ١٤٠٨هـ.

-المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند أبي جعفر بن الزبير الغرناطي-د.رشيد الحمداوي-مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

-مجموع فتاوى ابن تيمية-أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية-جمع عبد الرحمن بن قاسم-دار عالم الكتب-ط ١٤١٢هـ.

-مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين-جمع وترتيب فهد السليمان-دار الوطن ط الأخيرة ١٤١٣هـ.

-محاسن التأويل-محمد جمال الدين القاسمي-تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي-دار إحياء التراث العربي-ط١ ١٤١٥هـ.

-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز-أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية(٥٤٦هـ)-عبد السلام عبد الشافي-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤١٣هـ.

-مختار الصحاح-محمد بن أبي بكر الرازي-ت:محمود خاطر-مكتبة لبنان-ط١ ١٤١٥هـ.

-المخصص-ابن سيدة: أبو الحسين علي بن إسماعيل(٤٥٨هـ)-دار الكتب العلمية.

-المزهر في علوم اللغة وأنواعها-جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ)-صححه وضبطه محمد أحمد جاد المولى وزميلاه-دار الجيل ودار الفكر.

-المستدرك على الصحيحين-محمد بن عبد الله الحاكم-تحقيق مصطفى عبد القادر عطا-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤١١هـ.

-مسند أبي يعلى-أحمد بن علي التميمي(أبو يعلى الموصلي)-تحقيق حسين سليم-دار الثقافة العربية-ط٢ ١٤١٢هـ.

-مسند الإمام أحمد-الإمام أحمد بن حنبل-تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون بإشراف د. عبد الله التركي-مؤسسة الرسالة ط ٢ ١٤٢٠هـ.

-مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور-برهان الدين إبراهيم البقاعي(٨٨٥هـ)-تحقيق د.عبد السميع محمد أحمد حسين-مكتبة المعارف-ط١ ١٤٠٨هـ.

-معالم التنزيل-الحسين بن محمد البغوي-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤١٤هـ.

-معاني القرآن-أبو جعفر النحاس-ت:محمد علي الصابوني-جامعة أم القرى-ط١ ١٤٠٩هـ.

-معترك الأقران في إعجاز القرآن-جلال الدين عبد الرحمن السيوطي-تصحيح أحمد شمس الدين-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤٠٨هـ.

-معجم الأدباء-أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي(٦٢٦هـ)-دار الكتب العلمية-ط١ ١٤١١هـ.

-معجم مقاييس اللغة-أحمد بن فارس بن زكريا(٣٩٥هـ)-تحقيق شهاب الدين أبو عمر-دار الفكر-ط٢ ١٤١٨هـ.

-معرفة القراء الكبار-شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي(٧٤٨هـ)-تحقيق بشار عواد معروف،وشعيب الأرناؤوط،وصالح مهدي عباس-مؤسسة الرسالة-ط ١ ١٤٠٤هـ.

-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب-يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام-تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد-المكتبة العصرية-ط ١٤٠٧هـ.

-مفردات ألفاظ القرآن-الراغب الأصفهاني(٤٢٥هـ)-تحقيق صفوان داوودي-دار القلم-ط١ ١٤١٢هـ.

-ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي في آي التنزيل-أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي-تحقيق سعيد الفلاح-دار الغرب الإسلامي-ط١ ١٤٠٣هـ.

-من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم-د.محمد بن علي الصامل-دار اشبيليا-ط١ ١٤٢٢هـ.

-المترع البديع في تجنيس البديع-أبي محمد القاسم الأنصاري السجلماسي-تحقيق علال الغازي-مكتبة المعارف-ط١ ١٤٠١هـ.

-منهاج السنة النبوية-أحمد بن عبد الحليم بن تيمية-تحقيق د.محمد رشاد سالم-مكتبة ابن تيمية-ط٢ ١٤٠٩هـ.

-المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج-أبو زكريا يحيى بن شرف النووي(٦٧٦هـ)-مراجعة خليل الميس-دار القلم-ط١.

-النبوات-شيخ الإسلام أحمد بن تيمية-تحقيق د.عبد العزيز الطويان-أضواء السلف-ط١ ١٤٢٠هـ.

-نتائج الفكر-أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي-تحقيق د.محمد بن إبراهيم البنا-دار الرياض.

-النشر في القراءات العشر -محمد بن محمد بن الجزري (٨٣٣هـ)-تخريج زكريا عميرات - دار الكتب العلمية-ط١ ١٤١٨ هـ.

-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور-برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)-دار الكتاب الإسلامي-ط ٢ ١٤١٣هـ.

-النهاية في غريب الحديث والأثر-أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري-تحقيق طاهر الزواوي و محمود الطناحي-المكتبة العلمية.

-الوافي بالوفيات- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي- نشر:فرانز شتايز.

-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان-أحمد بن محمد بن خلكان-ت:د.إحسان عباس-دار صادر.

فهرس المحتويات

المقدمة ٣
القسم الأول:الدراسة النظرية ١٠
الفصل الأول:دلالة السياق ١١
المبحث الأول:السياق لغة واصطلاحاً ١١
المطلب الأول:السياق لغة ١٢
المطلب الثاني:السياق اصطلاحاً ١٤
المطلب الثالث:دلالة السياق ٢٩
المبحث الثاني:أركان السياق وأنواعه ٣٠
المطلب الأول:أركان السياق ٣١
الركن الأول:الغرض من الكلام ٣١
الركن الثاني:معرفة حال المتكلم ٣٢
الركن الثالث:معرفة حال السامع ٣٣
الركن الرابع:معرفة حال المتكلَّم عنه ٣٥
الركن الخامس:ألفاظ الخطاب ودلالات تراكيبه ٣٦
المطلب الثاني:أنواع السياق ٤٢
النوع الأول:سياق الآية ٤٢
النوع الثاني:سياق النص ٤٣
النوع الثالث:سياق السورة ٤٤
النوع الرابع:سياق القرآن ٤٥
المبحث الثالث:أصل القول بالسياق ٤٩
المطلب الأول:أصل القول بالسياق من سنة النبي ﷺ ٥٠
المطلب الثاني:ما ورد عن الصحابة من اعتبار دلالة السياق ٦٠
المبحث الرابع:عناية العلماء بالسياق وأهميته ٦٧
المطلب الأول:عناية العلماء بالسياق ٦٨

الأمر الأول:صريح كلامهم في العناية بالسياق..... ٦٨
الأمر الثاني:اهتمامهم بأسباب النزول..... ٦٩
الأمر الثالث:اهتمامهم بعلم المناسبات..... ٧٠
الأمر الرابع:اهتمامهم بتوجيه القراءات..... ٧٠
الأمر الخامس:اهتمامهم بتوجيه المتشابه اللفظي..... ٧٠
الأمر السادس:اهتمامهم بالوجوه والنظائر..... ٧٠
المطلب الثاني:أهمية السياق..... ٧١
الفصل الثاني:المتشابه اللفظي في القرآن..... ٨٥
المبحث الأول:تعريف المتشابه والمتشابه اللفظي لغة واصطلاحاً وفي القرآن..... ٨٥
المطلب الأول:تعريف المتشابه لغة..... ٨٦
المطلب الثاني:أنواع المتشابه في القرآن..... ٨٨
المطلب الثالث:تعريف المتشابه اصطلاحاً..... ٩٥
المطلب الرابع:تعريف المتشابه اللفظي في القرآن..... ٩٦
المبحث الثاني أنواع المتشابه اللفظي في القرآن..... ١٠١
النوع الأول:التشابه بالتقديم والتأخير..... ١٠٣
النوع الثاني:التشابه بالإبدال..... ١١١
النوع الثالث:التشابه بالزيادة والنقصان(الإثبات والحذف)..... ١١٧
النوع الرابع:ما يشتبه بالجمع والإفراد..... ١١٩
النوع الخامس:ما يشتبه بالتذكير والتأنيث..... ١٢٠
النوع السادس:ما يشتبه بالتعريف والتنكير..... ١٢١
النوع السابع:ما يشتبه بالإظهار والإضمار..... ١٢١
النوع الثامن:الاختلاف بتغيير الصيغة الصرفية..... ١٢٥
النوع التاسع:ما يشتبه بالإجمال والتفصيل..... ١٢٨
النوع العاشر:الاختلاف بالإضافة وعدمها..... ١٢٩
المبحث الثالث:أهمية علم المتشابه وفوائده..... ١٣٠

المطلب الأول:أهمية علم المتشابه اللفظي..... ١٣١
المطلب الثاني:فوائد علم المتشابه اللفظي..... ١٣٦
المبحث الرابع دراسة في كتب المتشابه اللفظي من حيث عنايتها بالسياق..... ١٤٣
تمهيد..... ١٤٤
درة التنزيل وغرة التأويل..... ١٤٥
البرهان في متشابه القرآن..... ١٥٤
ملاك التأويل..... ١٦١
كشف المعاني..... ١٦٩
فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن..... ١٧٢
القسم الثاني الدراسة التطبيقية..... ١٧٣
تمهيد..... ١٧٤
سورة البقرة..... ١٧٦
المقطع الأول..... ١٧٩
المقطع الثاني..... ١٨٦
المقطع الثالث..... ١٩٥
المقطع الرابع..... ٢٠١
المقطع الخامس..... ٢٠٥
المقطع السادس..... ٢١١
المقطع السابع..... ٢٢٢
المقطع الثامن..... ٢٢٩
المقطع التاسع..... ٢٣٦
المقطع العاشر..... ٢٤٣
سورة آل عمران..... ٢٤٩
سورة النساء..... ٢٥١
سورة الأعراف..... ٢٥٣

المقطع الأول ٢٥٧
المقطع الثاني ٢٥٩
المقطع الثالث ٢٦٢
المقطع الرابع ٢٦٦
المقطع الخامس ٢٧٦
المقطع السادس ٣٠٩
المقطع السابع ٣١٥
سورة يونس ٣٢٤
سورة إبراهيم ٣٢٦
سورة طه ٣٢٧
المقطع الأول ٣٣٤
المقطع الثاني ٣٥٠
المقطع الثالث ٣٥٨
المقطع الرابع ٣٦٥
المقطع الخامس ٣٦٨
المقطع السادس ٣٧٨
سورة الشعراء ٣٨١
المقطع الأول ٣٨٧
المقطع الثاني ٣٨٨
المقطع الثالث ٣٩١
سورة النمل ٣٩٥
مقطع واحد ٤٠٠
سورة القصص ٤٠٤
سورة الزخرف ٤٠٩
سورة الدخان ٤١٢

الخاتمة ٤١٧
الفهارس ٤٢١
فهرس الآيات المتشابهة ٤٢٢
فهرس الآيات المستشهد بها ٤٤٢
فهرس الأحاديث ٤٥٨
فهرس الآثار ٤٥٩
فهرس الأعلام ٤٦٠
فهرس المراجع ٤٦٨
فهرس المحتويات ٤٧٩